الحرب النفسية
(أضواء إسلامية)
د. فهمي النجار
الحرب النفسية
(أضواء إسلامية)

د/ فهمي النجار
المقدمة

إن الحمد لله، نحن متحدون ونسعينه ونستهديه، ونعود بالله من شرور أنفسنا وسائتنا أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ... وبعد:

تراجعت الأمة الإسلامية في هذه الفترة التاريخية مرحلة خطيرة في حياتها لم تشهدها أمة من أمم الأرض.. فقد تداعى عليها الأعداء من كل جانب، وتناهوا أرضها وشعبها وفكرها ومقدساتها، وفرقوا شملها، وداسوا كرامتها، وسلموا عليها شذى الآفاق، بعد أن صنعوا منهم دولة، وردوهم بافتت الأسلحة لينهشوا من خيها، كلما شعروا بالجوع.. دون أن يبر أحد من هذه الأمة على رد العدوان، واسترداد المقدسات، واسترجاع الكرامات...

وما هو أشد وأدهى، تعرض هذه الأمة إلى حرب نفسية ورئة من قبل أعدائها العرقيين في عداوتهم، والذي يشتم الشرل الثالوث اليهودي والصليبي والشيعي، مستخدمين وسائل الإعلام كافة، وبكافحة أنواع الأسلحة من دعاية كاذبة، أو شائعة مفروضة، أو ضغط اقتصادي، أو تخويف وإرهاب، حتى عمليات غسيل الدماغ لم ينسها هذا العدو البغيض، وهذته الأولى والأخير تحت حمائم هذه الأمة، وقطع العرى التي تربطها بدينيتها وقيمها وأخلاقها، ومن ثم تمزيق شملها ووحدها وإضعافها وضمان تبعيتها له في كل أمر من الأمور السياسية أو الاقتصادية أو الفكرية.

لذا نحن أبناء هذه الأمة في أشد الحاجة إلى فهم طبيعة هذه الحرب النفسية ومعرفة أساليبها وأسلحتها، وتحقيق خطرها تقوياً صحيحاً لتنطع - بإذن الله -
أن نقوّت على العدو أهدافه، وتحبط خططه، ونحن عليه حرفاً نفسية مضادة لرد كيده في غضونه.

ولقد كان اختياري هذا الموضوع منبعثاً من هذه الحاجة الماسة إلى فهم هذه الحرب، وعلى الرغم من وعورة الطريق، وصعوبة المسأله ووحشته، سرت فيه أئتمس مواضيع الخطي كما يسير في ليل دائم دون سراج ولا دليل.

وليس مثل هذا الموضوع سهل التهيئة، ولا يسير المعالجة، وذلك لقلة الباحثين فيه بشكل عام، وندرة أو عدم الباحثين فيهم خلال التصور الإسلامي ومرازته.

وقد التجأت إلى القرآن والسنة النبوية الشريفة، وإلى كتب السيرة والتاريخ، وفيها وجدت بعض ما أصبو إليه، مما دفعني إلى متابعة الطريق، حتى نهايته بإذن الله وتوفيقه ورعايته.

وقد وجدت من خلال تهيئة هذا الموضوع أن الحرب النفسية تهدف أول ما تهدف إلى تغيير سلوك الإنسان، فرأيت أنه لابد من دراسة هذا السلوك والقوى المؤثرة فيه، وإمكانية تغييره وتوجيهه وتعديله؛ فكانت بداية البحث دراسة علم النفس الاجتماعي بصفته القاعدة النظرية للحرب النفسية، وأثبتت دراسة قصيرة لعلم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، وتولست بعد ذلك إلى ماهية الحرب النفسية وتعريفاتها وأهدافها. وهذا هو موضوع الفصل الأول من الرسالة.

- وهل الحرب النفسية حديثة العهد أم لها جذور في الماضي؟

والإجابة عن هذا السؤال ألتقيت نظرة تاريخية على الحرب النفسية قبل الإسلام، وفي العهد الإسلامي الأول، وفي حياة الرسول ﷺ في مكة ثم في المدينة وما لاقاه من المشركين والمنافقين واليهود، من دعاية كاذبة وشائعة وإرهاب.
وتحريف، ثم ألقيت نظرة على الحرب النفسية عبر التاريخ الحديث والمعاصر...
وهذا موضوع الفصل الثاني من الرسالة.
والحرب النفسية لا ت الخارب بالمدافع والأسلحة المادّية المختلفة، وإنما ت الخارب
بأسلحة أمضى وأشد... إنها ت الخارب بسلاح الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ، وسواها
أسلحة أخرى، إلا أن هذه أخطرها وأشدها ضراوة، وإن طعتها لا يرغب صادعها،
ولا يرتفق فتقها... وهذا هو موضوع الفصل الثالث من الرسالة، أسلحة
الحرب النفسية.

- وحتى يطلب القارئ على نماذج تطبيقية للحرب النفسية العدوّة بسلاح
الدعاية ليقوم المسلم خطرها ويعد العدة لها، أبهرت في تحليل الدعاية العدوّة لما
نعلمه من المسلمين اليوم منه، ولما نكتوي يوميا من ناره، وخراق من أواه.

- وقد بينت كيف أن الدعاية اليهودية استطاعت بتخطيط رهيب أن تنشئ من
شذاذ الأفاق أمة، وتقيم لهم دولة، وسار هذا المخطط في خمس مراحل، كل مرحلة
تؤدي إلى النبي بعدها حتى الوقت الحاضر... وقد سيطرت على فلسطين كلها
وأصبحت قوة يحسب لها حساب في ميّان الحروب.

- ووضحت المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي وموقف اليهودية
من الإسلام على أنه عقيدة، فلجلّات إلى التحريف والتشويه، فلجلّا مفروما إلى
تحريف الإسلام وتعاليمه في داخل فلسطين المحتلة من طريقة كتاب التعليم،
وخراجها عن طريق المؤلفات الفكرية العامة... وكذلك بينت كيف أن اليهودية
سخرت النصرانية لصالحتها، وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية... وأخيراً بينت
وسائل الدعابة اليهودية وسيطرتها في الداخل والخارج على الإعلام الدولي
ووكالات الأنباء.
والنموذج الثاني للدعاية هو الدعاءة الشيوعية.. نشأتها، وأسلوبها الحبيث، ووسائطها. ومعوقها من الإسلام منذ بداية الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917م وحتى الوقت الحاضر.. وكيف استغطنت هذه الدعاءة بتخطيط خبيث القضاء على معلم الإسلام، وحاولت القضاء على العقيدة الإسلامية في البلاد الإسلامية الواقعة تحت سيطرتها إلا أن محاولاتها باءت بالفشل، وتحررت الدول الإسلامية، بعد القضاء على الاتحاد السوفيتي وتفككه.

والنموذج الثالث الذي ينتمي هو الدعاءة الغربية أو الصليبية، وقد بنيت أسسها وموقفها من الإسلام، ومراحلها، قبل الحروب الصليبية، وبعدها، وفي الوقت الحاضر، ودور كل من الاستشراق والتبرشير في هذه الدعاءة، ووسائطها الحبيثة في هذا المجال، وسيطرتها على وكالات الأنباء التي تزود العالم أجمع بالأخبار من خلال تفسيرها وتشريرها وتزييفها للحقائق، ودس السم في الدم، وما إلى ذلك من أساليب حاقة.

وفي الفصل الرابع من البحث بنيت أن الحروب النفسية العودة لم تنوقف ضد أمننا، لا في سنيننا السمان، سنين العزة والكرامة، ولا في سنينها العجاف، سنين الذل والمهانة.

فالدرب النفسي أضاف إلى حربها ضد عقيدة الأمة وفكرها وكيانها حرباً نفسية خاصة ضد الدعاية الإسلامية في الوقت الحاضر وضد دعاتها ووجهاها فحاولت تشهير صورتهم وتلطيخ سمعتهم في نظر الناس جميعاً، وحرضت عليهم الأنظمة، وبينت خطة أعداء الإسلام في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية.

وفي هذا الفصل أيضاً وضحنا المبادئ الأولية للدرب النفسية من خلال التصور الإسلامي، مبيناً أسسها وأهدافها وأسلحتها، وكيفية مقاومة الحروب النفسية
العدوة. معتمداً في كل هذا على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وسيرة الصحابة الكرام... رضي الله عنهم.. والتاريخ الإسلامي ..
ولا أدعى أعني اوفيت الموضوع حقه من الدراسة والبحث. فهو لا يزال محتاجاً إلى مزيد من الجهد والعرق حتى تعم فائدته بإذن الله. إلا أني قد أكون والله الحمد فتحت باباً للداخلين فيه وحركت الحمم لبحث فيه. وكلما أرجو أن يزيد هذا البحث في وعي أبناء هذه الأمة ويزيد في اهتمامهم بقضاياها.
وإنني أقدم شكري وتقديري للاستاذ الدكتور محمد أديب الصالح رئيس قسم السنة بالجامعة. والمرشح على الرسالة، وكل من الدكتور مالك بدري أستاذ علم النفس الاجتماعي بالجامعة، والدكتور محمد فريد عزت أستاذ الإعلام بجامعة الملك عبد العزيز الذين تفضلوا بقبول مناقشة هذه الرسالة.
وكذلك أقدم شكري وامتناني لكل من الأستاذ عبد الرحمن النحلاوي والأستاذ عبد الرحمن ألباني اللذين استفدت من توجهاتهما التربوية والنفسية وفتحا لي بيتهما ومكتبتهما لتزويدي بالمراجع اللازمة فلهمَا مني الشكر والعرفان.
والحمد لله رب العالمين.

د. فهمي النجار
الفصل الأول:
ماهية الحرب النفسية

المبحث الأول: علم النفس الاجتماعي

- مفهوم علم النفس الاجتماعي.
- السلوك الاجتماعي.
- السلوك عند الغزالي والمدرسة السلوكية.
- الدوافع الاجتماعية للسلوك.
- الغرائز عند مكدوجال وفرويد.
- الغريزة في الإسلام.
- تعديل الدوافع.

المبحث الثاني: العوامل المؤثرة في السلوك:

1- التربية. 2- العقيدة.
3- الرأي العام. 4- الإعلام.

المبحث الثالث: أولاً - علم النفس العسكري.
ثانياً - الحرب النفسية.
الفصل الأول

高血压的社交心理

المبحث الأول - علم النفس الاجتماعي:

يعد علم النفس الاجتماعي القاعدة النظرية والتطبيقية للحرب النفسية، لذلك رأيت أن أجعل المبحث الأول لي: حتى أستند على أساس متين من العلم النظري.. وحتى يكون القارئ الكريم صورة واضحة للحرب النفسية وأسسها النظرية والعملية.

مفهوم علم النفس الاجتماعي:

إن دراسة الإنسان من حيث علاقته بالمجتمع، وتأثيره وتأثيره فيه. كانت متأخرة نسبياً عن دراسة الظواهر النفسية هذا الإنسان وما وراء هذه الظواهر من عمليات عقلية، مما عرف بعلم النفس النظري.

وقد سار علماء النفس شحوداً بعيدًا في دراسة الإنسان دراسة اجتماعية لأهميتها ولا تصل علم النفس الاجتماعي بعلم الاجتماع أولًا، من حيث تداخل موضوعاتهم، "بالإضافة إلى قراءة علم النفس الاجتماعي من علم الشعوب "الأثرواني" وتدخله مع علم السياسة وارتباطه بالفلسفة وعلم الإنسان "انثروبولوجي". ولكن بينما نجد المتخصصين في هذه العلوم يهتم بالنتائج النهائية للتفاعل الاجتماعي أو التعميمات الخاصة بالتفاعل الاجتماعي والمواقف الاجتماعية، بصرف النظر عن السلوك الفردي للأشخاص، فإن المتخصص في علم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الإنساني".

(1) علم النفس الاجتماعي - حامد زهران - ص 19 ط 1 1977 م.
وعلينا من خلال التعريفات المتعارضة لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع الوصول إلى مفهومه وإلي تبيان أهميته في الحياة العصرية، ومن هذه التعريفات: أن "علم النفس الاجتماعي هو ذلك الميدان من علم النفس الذي يتناول الكائنات الحية من حيث هي تؤثر في أفرادها وتتأثر بها، وأن علم النفس الاجتماعي يركز اهتمامه في مبادئ السلوك الاجتماعي كما يقع في الأحداث الاجتماعية المختلفة".

وأيضاً: "إن علم النفس الاجتماعي هو العلم الذي يدرس سلوك الفرد كما يتشكل من خلال المواقف الاجتماعية المختلفة".

ولكن إنما يتم علم الاجتماع أيضاً بالسلوك الاجتماعي، ويحاول فهمه وتفسيره: كي يعلم أنه على الرغم من أن علم الاجتماع الغربي قد توصل إلى تفسيرات وظنية، وعموماً أمورًا، بما فيها استقراءات جزئية ناقصة خلال ملاحظته ودراسته للشعوب وليس هذا موضوع مجتهد إلا أنه يهم الإنسان وسلوكه، فهو إذا يقرب في تعريفه من علم النفس الاجتماعي.

علم الاجتماع يعرفه "جينزبرغ" أنه هو "الذي يدرس التأثيرات والعلاقات الإنسانية المتبادلة وما يتحكم فيها من شروط وما ينشأ عنها من نتائج".

لا أن "أو للسريخ" حاول تحديد ميدان علم الاجتماع وتمييزه عن علم النفس الاجتماعي فقال: "إن علم الاجتماع يدرس ظواهر الاجتماعية فهو لا يهتم بالسؤال عن كيفية تأثير ظواهر الاجتماعية على الفرد ولا عن أسبابه للتآثرات الاجتماعية، وإذا يمكن أن يشبه علم الاجتماع حول التشبيه والانظام في حالة العقل والسلوك وإنتاج الفرد".

(1) ميادين علم النفس - ج. جيلفورد - ترجمة يوسف مراد - مجلد 1 ص 299.
(2) مقدمة لعلم النفس الاجتماعي - مصطفى كريمي - ص 44.
(3) علم الاجتماع - موريس جينزبرغ - ترجمة فؤاد زكريا - ص 10.
(4) علم النفس الاجتماعي - عبد الجليل عبد الرحيم - ص 90-15.
وبهذا لا يمكن عزل علم الاجتماع عن علم النفس الاجتماعي كما يرى الدكتور صلاح غميزر، وأثناء علم النفس الاجتماعي هو كمجال سائر العلوم الإنسانية الأخرى، ينص على الحقيقة الإنسانية في كل مظاهرها (1).

وخلص إلى تعريف جامع كما هو عند الدكتور عبد السلام زهران: "وعلل النفس الاجتماعي يمكن تعريفه بأنه فرع من فروع علم النفس يدرس السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة كاستجابات لثيريات اجتماعية، وهو يهتم بدراسة التفاعل الاجتماعي ونتائج هذا التفاعل - وهذى هو بناء مجتمع أفضل قائم على فهم سلوك الفرد والجماعة (2)."

وبالتالي نظرة على هذه التعريفات العديدة لعلم النفس الاجتماعي نجدان من حيث المنهج والاهتمامات يمكن الاستفادة منها في التصور الإسلامي للفرد والجماعة، ولكن الحذر الشديد من نتائج هذه الدراسات، لأنها نبتت في الأساس، في الحياة الغربية المادية، ومنبحة على آراء (دوركهام) ونظرياته الظلمية في الفرد والمجتمع، وفي الدين والعقائد، وأراء «فرويد» في علم النفس. وما زال فكر هذين الاثنين يغلغل في فكر أكثر علماء الاجتماع وعلماء النفس الغربيين. وإن صورة المجتمع الغربي الحالي وما فيها من تحلل للأسرة والأخلاق لروح المنفعة .. والروح العدائية لغيرهم من الشعوب، بالإضافة إلى الاستغلال السيي لعلم النفس الاجتماعي في الإعلام خاصة، والأسلوب (المكياجلي) في الدعاية والحرب النفسية، إن هذه الصورة المقيته لا تكون أساسا لمجتمع صالح.

وبالقياس نظرة على تعريفات علم النفس الاجتماعي من خلال التصور الإسلامي، نجد أن الإسلام يدرس سلوك أو أخلاق الإنسان لا تبعا لاستجابات.

(1) المدخل إلى علم النفس الاجتماعي - د. صلاح غميزر وعبيد ورق ص 20.
(2) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 9 و 10.
لثيرات فقط بل تبعاً لبعضها اقتصادية. فالأخلاق في الإسلام مبنية على مبادئ من القرآن والسنة. والالتزام المسلم بهذه المبادئ تدفعه إلى التحرك والعمل وفق هذه المبادئ ولا يحتاج إلى مثير خارجي، ولا منع من وجود المثير للسلوك. فالسلوك قد يثيره منفر فقير فيتصدق عليه، أو منظر عاجز فيه. ولكن تصدقه على الفقير وإعانته للعاجز، هذا السلوك يستند على مبادئ الإسلام وخلق القرآن ولا مان كان الفعل موجباً. إذاً حتى المثيرات لا تحرك الإنسان بفعل إيجابي إذا لم تستند على مبادئ. وقد لا تكون هناك استجابة مطلقة إذا تعارض المثير مع هذه المبادئ؛ فالسلوك الصائم يثيره منفر الطعام ولكنه لا يستجيب له. لأن عقيدته تنهب عن تناول الطعام أثناء الصيام.

والنظرية الإسلامية تتميز عن المفهوم الماركسي أيضاً لعلم النفس الاجتماعي. فعلم النفس الاجتماعي - كما يقول يوري شيركوفين - يدرس ذلك الجزء من الوعي الاجتماعي، الذي يتكون ويؤدي وظيفته ك نتيجة إجمالية للانعكاس المباشر لحقائق الواقع الاجتماعي في وعي الناس أو لتفسيرهم النفسي للمعلومات عن هذه الحقائق.

وهذا الترتيب يبحث من التصور الماركسي المادي للأفكار والعقائد. فالوعي الاجتماعي يتكون من الانعكاس المباشر لحقائق الواقع. والظواهر المادية في وعي الناس... أما الحقائق الإلهية .. وآيات الله عز وجل .. وتأثيرها في النفس البشرية.. وأثر ذلك في الأخلاقيات والسلوك - وهذا ما نجده واضحًا في التاريخ الإسلامي .. في حياة الصحابة والتابعين، والفتوحات الإسلامية - كل هذه الحقائق الواقعية عموا عنها وصمّموا آذانهم منها.

(1) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية - يوري شيركوفن - ص 24 - دار دمشق 978 ترجمة - نزار عيون السود.
ففي التصور الإسلامي: الخلق أو السلوك أو الواقع الاجتماعي ينبع من مبادئ الإسلام وهدي القرآن، أو هو نتيجة إيجابية هذه المبادئ، وليس الواقع الاجتماعي مكون هذه المبادئ. ولا حاجة للتدمير على هذا. إذ الحياة الواقعيَّة في الإسلام.. لكي تسمى حياة إسلامية يجب أن تضمن وفق مبادئ الإسلام.. وابتعادها عن هذه المبادئ يьевها عن الإسلام ذاته.. ويعدها عن الحياة الحقيقيَّة، وعن الحضارة الصحيحة التي يريدها الإسلام، قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا أَسْتَجِيبُوا لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِيْمَا تَحْبَسُونَ" {النور: 106}، والذين لا يطيعون الله ورسوله هم بمرتبة الدواب.

وأن القرآن كان هو الهدى إلى سبيل الأخلاص، والسلوك اليومي. كما في حديث عائشة رضي الله عنها - عندما سلَّت عن خلق رسول الله ﷺ أجاب: "كان خلقه القرآن". (1)

ولاشك أن دراستنا للتفاعل الاجتماعي المبني على الكتاب والسنة، ونتائج هذا التفاعل بين لنا عظمة هذه المبادئ، وكذلك بنى لنا الطريق في دراستنا للرأي العام الإسلامي وتكوينه. والدعوة فيه. وكذلك يجعلنا ندرك كيف استطاع أعداء الإسلام، عندما درسوا المجتمع الإسلامي، ودرسوا المракب الأساسي لهذا المجتمع، عرفوا كيف يستخدمون هذا المجتمع.. من الداخل.. عندما يسوا من تدميره من الخارج عن طريق القوة العسكرية.

(1) جزء من حديث رواه مسلم بطوله باب "صلاة الليل والزور").
السلوك الاجتماعي:

رأينا في تعريفات علم النفس الاجتماعي. اهتمامه بالتفاعل الاجتماعي بين الفرد والفرد الآخر في المجتمع، وبين الفرد والمجتمع، وبين المجتمع والمجموعات الأخرى. وما ينتج ذلك من تأثير وتأثير، والسلوك الفرد والاجتماعي هو مظهر هذا التفاعل، وهذا لا بد من دراسة هذا السلوك، وبيان ماهيته، وكيف يكون؟ وما هي القوى الحركة له وما هي العوامل المؤثرة فيه؟

يُعرَف السلوك بـ "أنه المظهر الخارجي لنشاط الكائن الحي"، إن الخصائص الضرورية له هي الحركة التي توجد في أغلب الحيوانات وفي بعض النباتات، هذه الحركة نتيجة تغيرات داخلية وخارجية يقال لها المبتهج.(1)

ويعرف بعضهم السلوك بشيء من التفصيل قائلًا: "هو أي نشاط جنسي أو عقلي اجتماعي أو انفعالي يصدر من الكائن الحي نتيجة علاقة "دينامية" وتفاعل بينه وبين البيئة المحيطة به. والسلوك عبارة عن استجابة أو استجابات لثيرات معينة، ويجب التفريق بين السلوك على أنه استجابة كليّة وبين النشاط (الفسيولوجي) كاستجابات جزئية. والسلوك خاصية أولية من خصائص الكائن الحي، ويتدرج السلوك بين البساطة والتعقيد، وأبسط أنواع السلوك "السلوك الانعكاسي" ومن أعقد أنواعه "السلوك الاجتماعي" فالسلوك الانعكاسي محدود في الفرد ولا يحتاج إلى استخدام المراكز العقلية الأولى في الجهاز العصبي، ومعظمه وراثي، ولا إرادي وغير اجتماعي. أما السلوك الاجتماعي فإنه يتضمن علاقات بين أفراد الجماعة وبين الفرد والبيئة الاجتماعية، ويحتاج إلى تشغيل المراكز العقلية العليا. وهذا السلوك متعلم عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية. ويتضمن اتصالاً اجتماعياً، وهو إرادي وحدود اجتماعياً.(2)

الحرب النفسية - صلاح نصرج 1 ص 31 (نقلًا عن دائرة المعارف البريطانية).

علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 6.
من هذه التعريفين للسلوك ينبين أن السلوك نشاط جسمي أو عقلي أو انفعالي أو اجتماعي. وخصائصه الأساسية هي الحركة. وبكلمة أخرى السلوك: عمل يصدر من الكائن الحي نتيجة منبهات، وهذه المنبهات إذا أن تكون منبهات خارجية من المجتمع. وإذا منبهات داخلية من ذات الإنسان. وما المنه في الواقع سوى الباء على العمل، وهذا الباء يتناسب في البيئة الاجتماعية عن طريق التن써ة الاجتماعية، وكيفما يكون المجتمع يكون سلوك الأفراد، فإن كان المجتمع أخلاقيًا ويسير وفق مبادئ الخير والصلاح، فنشأ الأفراد خيّرين صالحين في سلوكهم في المجتمع، وإن كان المجتمع جاهلًا لا يسير على مبادئ الهدية، والرحي الإلهي نشأ الأفراد ذوي سلوك جاهل غير أخلاقي.

فالطفل مثلًا في المجتمع الإسلامي ينشأ منذ صغره في البيت والمدرسة وال الحي، على الأخلاق الإسلامية، التي تسيرة على هدى الله، أو على مبادئ السلوك الأساسية مثل الصدقة، العدل، الإحسان، والصلاة، والدعاء، بالعده، النداء على الفحشاء والمنك، والبغي.. فنشأ في هذه البيئة النظيفة على هذه الأخلاق، صادقاً عادلاً وفياً... إلخ.

ومقابل ذلك إذا نشأ هذا الطفل في مجتمع جاهلي، بعيداً عن وحي الله بعيدًا عن الأخلاق الأساسية للخير والصلاح، هذا الطفل سينشأ إنساناً أثناً تسيره المنافع المادية والطرقات الحيوانية والهوه البغيّ، سينشأ متحلاً أخلاقيًا، يعيش كبهائم الضالة لا يعرف له وجهة..

وخلص إلى القول إلى أن السلوك في تصورنا الإسلامي عمل، أو حركة لها هدف وثينيع من مبادئ العقيدة والخير المستمرة من هدى الله، في القرآن الكريم والسنة المطهرة، التي وفقها يصوغ المسلم حياته، وسلوكه فيها، ويتحرك وفق
المبادئ. وإن خرج على هذه المبادئ، لا يعد مسلمًا صادقاً في إسلامه ولا مؤمنًا
خلصاً في إيمانه.

وفي التأثير على هذا السلوك يمكن التحكم بالإنسان، وما أن الحرب النفسية
تسعى إلى تغيير سلوك الفرد بعوامل نفسية واجتماعية مختلفة كالدعاية والشاعة
وغيرهما .. وما أن السلوك أسسه عقل الإنسان ونفسه، لذا كان هدف الحرب
النفسية هو عقل الإنسان وقلبه وليس جسمه، فهي تسعى إلى الهزيمة الداخليّة للعدو
وهزيمة نفسه وروحه قبل هزيمة جسمه.

السلوك عند الغزالي والدرسة السلوكية:

رأينا أن علماء النفس يُميزون بين نوعين من السلوك وهما:

1 - السلوك العقلي الراقي (وهو يتضمن السلوك الاجتماعي).

2 - السلوك الآلي أو الانعكاسي.

أما الغزالي – رحمه الله – فقد ميز بين ثلاثة أنواع من السلوك وهي:

1 - الفعل الطبيعي: وهو مجرد التغيير الآلي .. وذلك كخضوع الماء إذا وقف
الإنسان فيه بجسمه (1).

2 - الفعل الضروري: وهو التغيير الحيوي (البيولوجي) والآلي وذلك كالرَّعد
أو الطقس، وهو يعطي هذا الفعل أحياناً الصفة الإرادية ولكنه ينزعها عنه غالباً
فيهن أنه في الواقع ليس إلا سلوكاً آلياً لا إرادة أو عقل فيه، ويشرح ذلك بقوله:
"فلو قصد عين الإنسان بإبرة طبق الأجنان اضطراراً ولو أراد أن تتركها مفتوحة لم
يقدر" (2).

(1) إحياء علوم الدين – الغزالي ج 4 ص 248.
(2) المرجع السابق - الجزء والصفحة نفسها.
3 - السلوك العقلي الإرادي، وذلك كالكتابة والمشي والنطق . ويشرح النفس الغزالي الفرق بين نوعي الفعل الاضطراري والإرادي. ويشرح علماء النفس الفرق بين السلوك الآلي والعقلي. كذلك أن الفرق بينهما في نظره يبدو في أن الأفعال الاضطرارية تصدر عن الإنسان دون سابق إرادة أو علم ودون قدرة على ردّها، أما الأفعال الاختيارية فإنها تصدر بعد سابق معرفة واختيار.

وكذلك نجد ابن تيمية - رحمه الله - يقسم السلوك أو الحركة إلى ثلاثة أنواع:

1 - الحركة القسرية : وهي التي مبدؤها من غير المتحرك.

2 - الحركة الطبيعية: وهي التي مبدؤها من المتحرك ولكن دون شعور منه.

3 - والحركة الإرادية وهي التي مبدؤها من المتحرك وبشعور منه ويضح هذا التقسيم بقوله: "الحركة إما أن يكون مبدؤها من المتحرك، وإما من غيره، فما كان مبدؤها من غير المتحرك فهي القسرية الكرهية، وما كان مبدؤها من المتحرك، فإن كان على شعور منه فهي الإرادة، وإلا فهي الطبيعية".

ويؤكد الغزالي وابن تيمية أن للسلوك دوافع وiroprاعت وغايات وأهداف. وأن هذه الدوافع داخلية تبع من ذات الإنسان إلا أنها تستأثر بمثارات خارجية أو بمثيرات داخلية تتعلق بالحاجات الجسدية والميل الطبيعية... مثل الجو، والمل الجنسي، والخوف من الله، والحب وغير ذلك.

وهكذا نجد أن السلوك عند الغزالي وابن تيمية حركة لها هدف، وليس سلوكاً ساكنًا من النوع الذي حدده بعض المدارس السلوكية الارتباطية.

المراجع السابق ص 248.

(1) د. تعارض العقل والنطل - لابن تيمية ج 9 ص 374، 373 - طبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - وكذلك انتظار فتوى ابن تيمية (ط الرياض) ج 10 ص 495، وانظر أيضاً كتاب العقل، للمؤلف، وهو الكتاب الأول من سلسلة الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية ص 161 - ط 1425 هـ - بالرياض.
فالناهاب السلوكية ترى أن الكائن الحي ما هو إلا آلة معقدة، وتدرس سلوكه كما تدرس آلة لا عقل بها ولا شعور، أما العوامل النفسية الباطنية كالإرادة والرغبة والتفكير فلا أثر لها في العقل أو النتيج، وبعبارة أخرى فالكائن الحي لا تتحرك عوامل داخلية بل منطقات خارجية.

وهناك أمور أخرى يختلف فيها الغزالي المدرسة السلوكية التي يتزعمها "جون بردوس وطنم" ومقتله مذهبه "إذا عرف المنبه فيمكنك أن تنبأ بالاستجابة".

فالإنسان في نظر المدرسة السلوكية آلة يمكن التنبؤ بحركاتها عندما نعرف تركيبها، ويؤكد علم النفس السلوكي دراسة الحركات المقابلة للقياس في الكائن الحي من حيث علاقتها بالمؤثر الذي يسببها، ويعتقد السلوكيون أن حقائق علم النفس يمكن بحثها موضوعياً، وأن وصف الشعور ليس أمراً جوهرياً.

بينما نجد الغزالي وابن تيمية يؤكدان أن السلوك فردي/XV يختلف من إنسان لآخر باختلاف العوامل الفطرية والاجتماعية. ونشاط النفس عند الغزالي أو صفاتها ليست منفصلة عنها "وهبتها لا تماثل ولو تمثلت لاشتهب علينا زيد بعمرو".

والغزالي يؤكد التصور الإسلامي في الإنسان من حيث إمكانية تدابير سلوكه أو تهذيبه أو السمور به في مجال الأخلاق ليصل بالإنسان إلى ما يرضي الله تعالى. لذلك كان يعرف السلوك عند الغزالي بأنه "تهديد الأخلاق والأعمال بالمعارف عن طريق الاشتغال بعمارة الظاهر والباطن".

(1) الدراسات النفسية عند المسلمين - عبد الكريم العثمان - ص 123 مكتبة وهبة ط 1 - 1382 ه.

(2) مبادئ علم النفس - ج - جيلفورد - الجلد الثاني - ص 976 - دار المعارف ط 1962م.

(3) إحياء علوم الدين - الغزالي ج 4 ص 5 - وكذلك رسالة: مسألة فيما إذا كان في العبد عبادة ما هو خير وحق ومحمود في نفسه - تحقيق د. محمد رشاد سالم - ضمن كتاب، دراسات وبحث إسلامية - القاهرة - 1426 هـ 1987م.

(4) الروضة النذية - الغزالي - ص 138.
لذا فإن السلوك الإنساني عند أبي حامد على مستويين: مستوى يقرب فيه من باقي الكائنات الحية. ومستوى آخر يحقق فيه مثله العليا ويقرب فيه من المعاني الربانية والسلوك الملاككي ، وتميز المستوى الأول بتحكم الدوافع والعوامل الادنافية، بينما يتميز السلوك الثاني بتحكم الإرادة وسيطرة العقل.

الدوافع الاجتماعية للسلوك:

يعد موضوع الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك الاجتماعي بصفة عامة من الموضوعات المهمة في علم النفس، لأن دوافع السلوك بطبعية الحال تفسره.

لذلك فإن دراستنا للدوافع الاجتماعية تساعدنا على أمور أهمها:

أ) فهم السلوك الاجتماعي للفرد والجماعة.

ب) توجيه السلوك البشري الوجهة التي تريدها.

ج) وضع معايير اجتماعية للسلوك تتضمن التعاليم الدينية والقيم الأخلاقية والحرص على بنائها من خلال عملية التربية.

د) تحصين الأفراد والجماعات ضد الحروب النفسية وتعريفهم بأساليبه.

ه) تخطيط الإعلام وجعل وسائله السمعية والبصرية، بشكل يؤدي دوره كاملاً في التأثير المرغوب في سلوك الفرد والجماعة.

وقد مر معنا أن السلوك حركة تنتج عن منبهات داخلية وخارجية .. وما هذه المنبهات سوى الدوافع أو القوى الدافعة للسلوك، وتشمل العوامل الفردية والاجتماعية. أما المنبهات الخارجية فتشمل جميع المؤثرات الاجتماعية، أو العوامل الاجتماعية المؤثرة في السلوك.

الدراسات النفسية - عبد الكريم العثمان ص 164.
علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 109.
أنظر المصدر السابق ص 109.
الفصل الأول: عناية العرب النفسية

ومن هنا كان اهتمام خرائط الحرب النفسية بوضوع الدوافع الاجتماعية، واستغلالها وتوجيهها الوجهة المطلوبة عن طريق أسلحة الحرب النفسية المتعددة.

وبوساطة وسائل الإعلام المتعددة.

إن اهتمام علماء النفس في الدوافع ومحاولة دراسة هذا الجزء المهم من الحياة النفسية لم يبدأ إلا حديثاً عند علماء الغرب. بينما نجد الغزالي ومن بعده ابن تيمية كانا من أوائل علماء الإسلام في دراسة الدوافع وتأثيرها في الفرد، وتعديلها وإعلانها، وسبقتهما العلماء المحدثين بقرون عديدة(1)، وإن ذا هذا على شيء، فإنه يدل على أن للغزالي ولابن تيمية خبرة عميقة بالنفس البشرية وأحوالها.

الدوافع عند الغزالي هو كل ما يدفع إلى النشاط النفسي أو السلوك مهما كان نوعه حركياً أو ذهنياً، وإذا كان الغالب على الدوافع أن يكون غير مشعور به، فإن شعرنا به كان رغبة، وإذا قوي واستمر بتثبيت التجارب الانفعالية كان عاطفة فإن الغزالي يستعمل الدوافع بالمعنى الشعوري غالباً(2) ودوافع السلوك عند الغزالي على نوعين:

1- مثيرات خارجية: وذلك كهجاجان الرغبة بصورة امرأة(3) أو هيجان الشهوة بسبب كثرة الأكل، ومداخل هذه المثيرات هي الحواس الخمس.

2- بواعث داخلية تمثل في الحواجز وتراكمها والخيالات الحاصلة التي تبقى في النفس إذ ينتقل الخيال من شيء إلى شيء، ونحب انتقال الخيال ينتقل القلب من حال إلى حال(4).

(1) عاش الغزالي في القرن الخامس الهجري 450 - 500 هـ (الحادي عشر الميلادي)، وعاش ابن تيمية في القرن السابع الهجري 661 - 728 هـ (الثالث عشر الميلادي).

(2) الدراسات النفسية - عبد الكريم العثمان ص 170 .

(3) الإحياء ج 3 ص 40 .

(4) الإحياء ج 3 ص 25 .

(5) الإحياء ج 3 ص 20 .
وإن مطالعتنا للكتاب الإحياء تبين لنا أن الغزالي يكلم عن نوعين من الدوافع
الأساسية:
ا) دوافع فطرية: مغروزة في الإنسان منذ أن خلقه الله. مثل شهوة النسبة
والطعام والزينة.
ب) دوافع مكتسبة: وهي دوافع يكتسبها الإنسان في الحياة. مثل شهوة المال
والرياضة والجاه والاجتماع.
والتقسيم نفسه نجده عند ابن تيمية أيضاً حيث قسم الدوافع إلى فطرية
ومكتسبة. وقد استضاف في تبيان الدوافع الفطرية أو الغرائز في الإنسان في كتابه
الفناوي ودرء تعارض العقل والنقل (1).
والدوافع المكتسبة عند الغزالي لا تقل أهمية عن الدوافع الفطرية، يقول
"ومهما أحب الإنسان شهوة البطن والفرج وانس بهما، أحب الدنيا ولم يتمكن
منها إلا بالمال والجاه وإذا طلب المال والجاه حدد فيه الكبير والعجب والرياضة.
وإذا ظهر ذلك لم تمنح له نفسه بترك الدنيا رأساً وتمسك من الدين بما فيه الرياضة
وغلب عليه الجور (2).
وتحدث الغزالي عن قوة بعض الدوافع وترتيب ظهورها في الإنسان يقول:
"أما الإنسان فإنه خلق في ابتداء الصبا ناقصاً مثل البهيمة، لم يخلق فيه إلا شهوة
الغذاء الذي هو يحتاج إليه، ثم تظهر شهوة اللعب والزينة، ثم شهوة النكاح، على
التاريخ" ثم يظهر فيه،ً ميزاً عن البهائم، العقل والإرادة - والقدرة على دفع
الشهوات (3).

وقد تعارض العقل والنقل.
2) الإحياء ج 3، ص 76
3) الإحياء ج 4، ص 62
ومن هذا النص نفهم أن الغزالي يشير إلى أن الدوافع فطرية في الإنسان وتظهر خلال مراحل العمر من الصبا وحتى الرشد. والمحور الذي تدور حوله دوافع الإنسان هو حب البقاء. وكلما اقترب الدافع من هذه الحاجة كلما كان أشد ضرورة وأكثر إلحاحاً، والغزالي يشرح ذلك فيقول: ولذلك كان أغلب أحوال النفس، الشره والشهوة والجماع على اعتبار أنها الأصلح للحياة(1).

وكما يقول في مكان آخر: (وكررت شهوة البطن والفرح أهم ميول الدنيا(2)).

على اعتبار أنها الأصلح والأساس في بقاء الحياة وكل ما سواهما فهو تبع لها. والغزالي بعد الميل إلى الطعام أساساً للميول والدعاوى لصلته الوثيقة بحب البقاء وكذلك يقول: (أعظم المحلكات لا بن آدم شهوة البطن(3))، ويظهر لنا واضحًا أن الميل لا تقتضى ذاتها وإذا تقتضى لغيرها أي لتحقيق البقاء، فلِيَلِ إلى التملك والميل إلى الاجتماع، وكذلك باقي الشهوات الدنيا إذا يشتغل القلب بها (لبقاء المركب الذي هو البعد(4)).

الفقرات عند مكدوجال وفويد:

لقد درس الغرائز كثير من علماء النفس الغربيين أمثال مكدوجال وفويد، إلا أن ما يجب أن ننبه إليه أن هؤلاء حينما يعرضون هذه الغرائز يعانونها حقائق موجودة في الكائن الحي الإنساني، وهذا جيد، ولكن السبب في دراستهم أن هذه الغرائز يجب أن تترك دون ضبط، طليقة من كل قيد يقيدها، مثل الدين والمجمع والعقل، لأن هذا هو واقع الحياة، وأن أي كف هذه الغرائز تعرض الإنسان للأمراض النفسية، وهذا ما سئراه عند (فويد) بشكل خاص.

______________________________
(1) الإحياء ج 3 ص 243
(2) الإحياء ج 3 ص 244
(3) الإحياء ج 3 ص 77
(4) الإحياء ج 3 ص 249
ونود التنويه إلى أن ما نعرضه من آراء «مكدوجال وفرويد» في حاجة إلى أن يُلقي بانتباه شديد لأنه ليس إلا حدوساً أو افتراضات يحكمها الهوى وتدفعها الرغبة وتحرك من خلال غرض مرسوم. فهي ليست خالصة للعلم وحده، لأن العلم في هذه الآمور ما زال قاصراً في ميادين كثيرة وخاصة ما يتعلق منها بالنفس البشرية.

وقال الكسيس كاريل في كتابه المشهور «الإنسان ذلك المجهول»: »واقع الأمور أن جهلنا مطبق. فأغلب الأسئلة التي يلقيناها على أنفسهم أولئك الذين يدرسون الجنس البشري تظل بلا جواب لأن هناك مناطق غير محدودة في دينانا الباطنة مازالت غير معروفة».

إذاً ليس أمامنا من حقائق إلا ما قدمه لنا الدين الحق في مفهوم الفطرة وقوانينها والسنن الثابتة التي لا تتغير.

قال تعالى: [فَطَرَاتُ اللَّهِ ٱلَّتِيٓ فَطَرَ ٱلْأَنْسَانَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِحَلَقٍ ٱللَّهِ ۛ] (٤٠:٣)

وقال تعالى: [ۙهُوَ الَّذِيٓ أَعْلَمُ بِكُلِّ قَطْرٍ مِّنْ ٱلنَّارِ وَذُنُوبٍ ۚ ۗ وَإِذَا أَنْتُمْ أَحْجَرُونَ فِي بُطُونٍ أَمْهَتِنَّكُمْ] (٣٢:٩)

وستعرض لرأي الإسلام في الغزائم بعد عرض رأي كل من مكدوجال وفرويد.

يُعرف مكدوجال الغريزة بقوله: «إنها استعداد فطري نفسي يحمل الكائن الحي على الانتباه إلى مثير معين يدركه إدراكاً حسياً، ويشعر بأنفعال خاص عند إدراكه، وعلى العمل أخيراً، أو الشعور بدافع إلى العمل يأخذ شكل سلوك معين تجاه هذا المثير، وعلى هذا الفلتغريزة ثلاثة مظاهر: مظهر معري، ومظهر انفعالي، ومظهر نزوعي».

ارجع كتاب "الإنسان بين المادة والإسلام"، محمد قطب.

الإنسان ذلك المجهول - الكسيس كاريل - ص 17 تعريف شقيق أسعد فريد.

علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 109.
الفصل الأول: ماهية العرق النفسية

وقد صنف مكدوم جال الغرائر إلى:
(أ) غرائز فردية.
(ب) غرائز اجتماعية.

أ - الغرائز الفردية: وتلخص في غرزة البحث عن الطعام وانفعالها الجو، وغرزة التملك وانفعالها لذة التملك، وغرائزة الاستغاثة وانفعالها الشعور بالعجز، وغرائز الدموع وانفعالها الخوف، وغرائز النفور وانفعالها الاشمئزاز، وغرائز الاصطدام وانفعالها الشعور بالمرح والنشأة، وغرائز الحديث وانفعالها الشعور بالمرح والنشوة، وغرائز الاتبكار، وهي تصل بغرائز الاستطلاع (1).

ب - الغرائز الاجتماعية: وتلخص في الغرائز الجنسية وانفعالها الشهوة، وغرائز الوالدية وانفعالها الحنون وترطيب الغرائز الجنسية، وغرائز السيطرة وانفعالها الزهو، وغرائز الخنوع وانفعالها الشعور بالنقص، وهي تصل اتصالاً عكسيًا بغريزة السيطرة، وغرائز المقاتلة وانفعالها الغضب، وغرائز التجمع وانفعالها الشعور بالوحدة والعزلة (2).

وقد فسر فرويد الدوافع على أساس الغرائز، والغرائز عينه قوة تفرض وجودها وراء التوترات المتصلة في حاجات الكائن العضوي (أو حاجات الهم) (3).

المراجع السابق ص 101 - 110.
(1) المراجع السابق ص 110.
(2) "الهم" هو الجزء اللاشعورى العميق من النفس والذي يضم الدوافع الغريزية وختلف الرغبات المكبوتة، وتسيطر عليه المبادئ الاندفاعية العمية وهو خاضع لمبدأ اللذة. و"الآن" هو الجزء السطحي الشعوري من النفس ووظائفه أن يفحص الواقع وأن يقبل، عن طريق الاختيار والضبط، بعض المطالب والرغبات التي تمثلها الدوافع الصادرة عن "الهم" وهو خاضع لمبدأ الواقع. (معجم مصطلحات علم النفس - مثير وجه الخازن - مادة: الأنا).
ومصدر الغريزة هو حالة من التوتر داخل الجسم، وهدفها هو القضاء على هذا التوتر، وموضوعها هو الأدلة التي تحقق الإشباع أو توصيل إليه، وهناك عدد كبير من الغرائز، إلا أن معظمها يستنجد من عدد قليل من الغرائز الأساسية (1).

ومن الغرائز التي قال بها فرويد: غريزة الحياة أو غريزة الحب أو القوى البناء في النفس وتهدف إلى البقاء، ويدخل في إطارها غريزة حفظ الذات وحفظ النوع وحب الذات، ويقابلها غريزة الموت أو غريزة الهدم أو القوى التدميرية في النفس، وتهدف إلى الفناء. ويوجد صراع دائم بين هاتين الغريزتين الأساسيةين والسلوك حسب هذه الآراء هو مزيج متوافق أو متعارض من غرائز الحياة وغرائز الموت، ويؤدي فساد هذا المزيج إلى اضطرابات في السلوك (2).

ويبرز فرويد بين غرائز (الأنا) وبين الغريزة الجنسية، فغرائز (الأنا) هي القوى المناعية للنزاعات الجنسية وهي القوى التي تعمل على حفظ (الأنا) والصراع بين الغرائز الجنسية وبين غرائز (الأنا) يؤدي إلى الصراع العصبي، والكبت (3) هو نتيجة تفوق غرائز (الأنا).

ويرى فرويد أن الغريزة الجنسية تؤدي دوراً مهماً في حياة الفرد، وقد لاحظ أن المشكلات الجنسية تكمن وراء الكثير من الاضطرابات النفسية وقام ببحث أدت إلى الكشف عن علاقة اضطرابات الغريزة الجنسية بالأمراض النفسية (4).

(1) الكبت: هو عملية لا شعورية مقتضاها منع الميل والدوافع الكائنة في اللاشعور من أن تظهر في حيز الشعور. (معجم مصطلحات علم النفس مادة: الكبت، الكيما، الكظم) وهو في مفهوم فرويد ليس مجرد الانتفاع عن إتيان العمل الغريزي الذي تدفع إليه الطاقة الشهية - كما هو شائع.

(2) إفراز استقرار العمل الغريزي هو الذي يولد الكبت.

(3) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 110 و111.

(4) المراجع نفسه.
ويُلاحظ أن فرود استخدم اصطلاح (جنسى) بمعنى الواضع مشيراً إلى أي نوع من النشاط الجسدي الذي يجلب اللذة بإشباع الحاجات الجنسية، واعتقد فرود أن النشاط البشري ينبع من دافع غريزي جنسي في طبيعته، وهو الطاقة الجنسية أو ما أسماه الليبيدو (1) الذي يُدر على المظهر الدينياً للغريزة الجنسية ويلاحظ أيضاً أن فرود قد أكد أن كثيراً من العوامل الاجتماعية ترجع إلى دوافع غريزي، فالاضطرابات العاطفية ترجع إلى الغريزة الجنسية، والإبادة يرجع إلى إعلاء الغريزة الجنسية، والعدوان والحرب يرجعان إلى غريزة الموت (2).

نقد نظرية فرود:

هذا موجز لآراء فرود في الغريزة - الغريزة الجنسية بشكل خاص - وقد نقد فرود كثيراً من علماء النفس والاجتماع، واهتماماً بنقد آرائه، ينطلق من أن هذه الآراء والنظريات أخذت صفة الحقائق، وأثّرت تأثيراً كبيراً في الفكر الغربي اولاً وفي مجتمعاتنا الإسلامية ثانياً. ولأثرها الكبير في التحلل الأخلاقي وتفكك الأسرة والمجتمع في الغرب. ويمكننا إيجاز نقاط النقد فيما يلي:

١ - إن نظرية فرويد محدودة، ولا تمثل الحقيقة كلياً، يقول (الكسيس كاريل) إن ملاحظاته (أي فرويد) تتعلق بالمرضى على الأخص، ومن ثم يجب ألا تعمم استنتاجاته بحيث تشمل الأشخاص العاديين، وخاصة أولئك الذين وهما جهازياً عصياً قويةً وسيطرة على أنفسهم، وبينما يصبح الضعفاء المعتملا الأعصاب غير المتنزهين أكثر شاذداً عندما تكتب شهواتهم الجنسية فإن الأقوياء يصرون أكثر قوة بعمارة هذا الشكل من الزهد (3).

(1) الليبيدو أو الطاقة الخبيطة أو الجنسية أو الدافع الخيي (موسوعة علم النفس - عبد المنعم الخفيف).
(2) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص ١١١.
(3) الإنسان ذاك الجهل، الكسيس كاريل ص ١٦٧.
إذا فإن نظريات فرويد في الغريزة الجنسية خاصة استمدَها من تجاربه على المرضى، ولا يستمدها من الأصحاء. ولا صحة لقوله أن المرء حاصل في نفس الإنسان من كتب نزعات "الليبيديو" وتحت ضغط المجتمع. إذاً فإن كتب الشهوات الجنسية عند الأقوياء يصرًون بها أكثر قوة كما يقول (كارل).

2- إن الليبيديو وأصول معناه عند فرويد "الحب" قد وسع فرويد نفسه دلالته حتى جعله يضم مختلف مظاهر النشاط الفردي والاجتماعي. وهذا شبه بعض النظريات المتافيزيقية (ما وراء الطبقي) التي تحاول أن تشرح كل شيء بالاستنتاج إلى فكرة واحدة، كما صنع قديما طاليس (1) حين رد أصول الأشياء إلى الماء. وكما صنع أبلودوق حين فسر كل شيء بالغلظ (2).

3- حصر المجلولون النفسيون - ومنهم فرويد - جميع آسيائهم في كهوف مظلمة من اللاشعور. فسُبقت معظم أفكارهم غامضة وغير مقبعة. يقول العالم النفسي السويسري "كلا باديد" في ذلك: "يَلوُح لي كأن علماء التحليل النفسي في مجال علم النفس أشبه ما يكونون بالنوم، إنهم يرون في الظلام فهم في ذلك ميزة كبيرة، إذ يرون ما لا يرى غيرهم، ولكن هذه الميزة مقتصرة بعيد وهو أنهم اعتدوا الظلام، فهم في بعض الأحيان لا يطبقون مواجهة النور، ولا يستطيعون أن يعرضوا أفكارهم بجلاء عرضًا منطقياً يقع الذين على خلافهم، ولم يسبق الاقتناع إلى قلوبهم، وقد ضيعوا حس التفريق بين الألوان المتناقية فلا يميزون الفرضية الغربية من الاستنتاج الجائز (3).

4- تأثر فرويد بأساطير اليونان القدماء، وبالأساطير والقصص الإسرائيلية الإباحية التي تلصق العار حتى بعض أنبيائهم زورًا وبهتانًا. وجعل من هذه

(*) طاليس وابن مونك من فلاسفة اليونان القدماء.

(1) تهديد في علم الاجتماع - د. عبد الكريم اليافعي ص 365 - 364.

(2) المرجع نفسه.
الأساطير أساساً بنى عليه جانبًا من نظريته كاستورة أوديب التي جعل منها عقيدة موجودة عند كل إنسان حسب زعمه يكره بسببها أباه كرها لا شعورياً، وما قيمة علم أقيم على الأساطير والقصص الكاذبة (1).

5- تقوم مدرسة التحليل النفسي على افتراض وجود (حرب لا شعورية، أو صراع وخلاف عميق بين نزوات الإنسان الغريزية أو مطامعه الفردية، والأخلاق والنظم الاجتماعية). وهذا الخلاف إما أن يؤدي - في زعمهم - إلى صراع نفسي وكبت وعقد وأمراض نفسية، وإما أن يؤدي إلى النواة أو انحراف أو نفاق يظهر في اتخاذ (قناع) كاذب يصطنعه الفرد لكي يتقنع به تجاه المجتمع. مع أن الفرد هو الذي أقر هذه النظم الاجتماعية، فالسلم مثلاً هو الذي اقتنع بالعقيدة التي تنتمي إليها. وبها صلاحه وصلاح المجتمع وتنظيم علاقاته الجنسية وحالة الجنسية. فكان مدرسة التحليل النفسي أقامت الحياه النفسية برمتها على افتراض وجود التناقض بين الفرد والمجتمع، فكان من حصادها، في أوروبا، أن أقامت صراعاً، بل ثورة عازمة ضد الفضيلة والأخلاق، وجعلت زمام المبادنة في هذا الصراع بيد النزاعات الحيوانية الغريزية، وأيدها العلم، حسب زعمهم العلم الكاذب، الذي قام كما رأينا على الأحلام والأساطير والأوهام ونبت في تربة المرثم والأسقام، وفي مجتمع منحل منهار (2).

6- وإن ما يؤسف له أن ننتقل نظرية فرود إلى الفكر الإسلامي وأن تكون ماده تدرس في الجامعات والمعاهد. وهي بهذا الشكل الذي يعترها النقص من كل جانب، وتحيط بها الشبهات من كل جانب، مع أن دراسات متعددة قد خرجت تكشف زيف فروض كثيرة مما طرحه فرود واستسلم الفكر الغربي له:

(1) مدخل إلى علم النفس - الأساطير النحلاوي - ود. عرسوسي ص 106.
(2) المرجع نفسه.
ا) من ذلك ما ذكره الدكتور ناتان كلامين من أن نظرية فرويد في العلاج النفسي والعقلي (ويُنفي النظرية التي ترجع جميع الاضطرابات النفسية إلى أسس جنسية محددة) هذه النظرية ليست سوى معجزة هدام لعقل الشباب، وكدفع ميت للنفس، ورجح الدكتور كلامين إلى أن البيئة هي المسؤول الأول عما يصيب الإنسان من أفراد نفسي وعقلي. 

ب) وكذلك أجرى الدكتور إسقدر دوماس عددًا من البحوث بوساطة فريق من الأطباء النفسيين، انتهى منها إلى أن نظرية فرويد لم تكن مطلقة وأن إقبال رجال التربية على لوم الآباء بشأن توجيه أبنائهم كان من أكبر الأخطاء، ويقول العلماء في تقريرهم: إنهم درسوا حياة 158 طفلاً غير منحرفين بينهم الفقراء والغنياء، ووجدوا أن الأولاد أصحاء مستقيمين بالرغم من قيود النظم القاسية في تربيتهم وذلك يدل على أن مسلك الطفل يتأثر بعدد كبير من العوامل.

(ج) وحتى العلاج النفسي المبني على نظرية فرويد في التحليل النفسي اثبت العلماء عدم فاعليته وجدواه. فالدكتور هاري وليستوك وهو من اللجنة الأمريكية للتحليل النفسي كتب يقول: إن الجمعية لا تزعم شيئاً يتعلق بالفائدة العلاجية للتحليل، ونحن غير مسؤولين عن المزاعم التي تصدر من أفراد قد تغلب حاستهم على معرفتهم» ووضع الدكتور إدوارد جروف» وهو من أكبر المullahين النفسانيين في بريطانيا - القوة العلاجية للتحليل ضمن قائمة الافتراضات.

(1) مفاهيم العلوم الاجتماعية - أنور الجندى - ص 171 (دار الاعتصام 1397هـ - 1977م).
(2) المصدر السابق ص 171 أيضاً.
(3) إن التحليل النفسي الذي يبتلي من (سيجومند فرويد) يقوم على أساس النظرية القائلة إن كثراً من السلوك الإنساني له دوافع كامنة في النفس، وإن التدريب الطويل كفيل بأن يجعل الخلل النفسي بارعاً في استخلاص وتشكيك هذه الدوافع الكامنة عن طريق تداعي المعاي. إذاً فالعلاج النفسي مبني على (بحث أسباب السلوك).
غير الجائزة»، وإن (ه. إيمك) استاذ علم النفس بجامعة لندن يقول: لم يقدم التحليل النفسي أي دليل عملي لا يقبل الشك على أنه نجح في علاج الأمراض النفسية. وأن فرويد نفسه في أواخر أيامه أخذ تشاؤمه يزداد حاليا الإمكانات العلاجية للفنون التي وضعها هو بنفسه(1)。

7 وأخيراً تتضح الصورة لنظرة فرويد، عندما يبين لكل ذي بصيرة أن غاية فرويد البعيدة هو إفساد المجتمع، وإنهاي أحلاته وذلك بتبجيده للإباحية وإطلاقه عنان الشهوات البشرية للرجل والمرأة تنفيذا لمخططات يهودية خبيثة. ويشهد على ذلك أحد كتاب العرب هو «لوكلهارت» في كتابه أيهود العاصران» إذ يقول: «إن الأدب العالمي قد يكون مديناً لبعض كتاب اليهود، ولكن شرهم أكثر من نفعهم وإنهم أكثر من خيرهم.» وأن فرويد قد أوجد الإباحية الحديثة على نمط الوثنية الإغريقية، ومحمد الغريزة بحيث أطلق عنان الشهوات البشرية ورخص للرجل والمرأة أن يفعلوا بجسدهما ما شاء(2).

الفريدة في الإسلام:

ما زال العلم الإنساني قاصراً على التوصل إلى حقيقة الغرائز ودورها في حياة الإنسان، وما الآراء التي أشرتنا إليها أنفنا لكل من (مكدوجل) و(فرويد) إلا حدوس أو افتراضات شخصية يحكمها الهوى.

إذا ليس أمام الإنسان من حقائق حول هذه الأمور النفسية إلا ما قدمه الدين الحق في مفهوم الفطرة وقوانينها، والسنة الثالثة التي لا تحفر... الحدود والجهل مصدر هذه الحقائق... والله أعلم بمخلوقاته وما غرز فيها من قوى باتنة كي تستطيع الحياة، وتحقيق مفهوم الخلافة الصحيحة في هذه الأرض قال تعالى:

---------------

(2) مفاهيم العلوم الاجتماعية – أسرة الجندى – ص 125.
من هذه الآية الكريمة نبين أن هناك بواعث فطرية خفية، فطر الله الناس عليها لتؤدي دوراً أساسياً في حفظ الحياة وامتدادها، وصباغة الفعل للمجهول «زين للناس» تشير إلى أن تركيبهم الفطري قد تضمن هذا الميل (1)، وأن المزين هو الله تعالى لا الشيطان كما هو عند بعض المسرين (2)، والغرائز في الإنسان كثيرة ومتنوعة. ومنها الأساسية ومها الفرعية المرتبطة بالأساسية والمتصلة بها. ومن خلال استقرائنها موضوع الغرائز. نرى أن نصف الغرائز في الإنسان إلى خمس غرائز إصيلة وأساسية، تتفرع منها مجموعة من الغرائز الأخرى. وهي كما يلي:

أولاً: غريزة البحث عن الطعام: وهي من أقوى الغرائز العضوية والحيوية (البيولوجية) في الإنسان. خلقها الله - عز وجل - في الإنسان لحافظ على ذاته. تولد هذه الغريزة مع ولادة الإنسان، وتموت معه، وهي أقوى من الغريزة الجنسية، إذ إن الإنسان قد يصبر على عدم إشباع الغريزة الجنسية، ولكنه لا يستطيع أن يصبر

ارجع إلى الظلال ج 3/ ط دار الشروق.

(1) أخرج ابن جريج الطبري في تفسيره عن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - ، مما نزلت «زين للناس حب الشهوات» قلت: الآن يا رب حين زينتها لنا، فنزلت «قل أؤمنك خير من ذلك» الآيات. (ارجع إلى تفسير الطبري المجلد الثالث ص 134) (تفسير سورة آل عمران).
عن الطعام .. بالإضافة إلى أن الصوم عن الطعام وسيلة من وسائل القضاء على الشهوة الجنسية أو التخفيف من حدتها مؤقتاً إلى أن يتبخر للإنسان الزواج وإشباع هذه الغريزة.

قال رسول الله ﷺ: "يا معشر الشباب من استطاع منكم الباء فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحسن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" (1).

ثانياً - غريزة الحياة: وهي من الغرائز التي خلقها الله - عز وجل - في الإنسان ليحافظ بها على ذاته، ويتفرع منها غريزة المقاتلة، وغريزة الخوف، وغريزة الحرب، وغريزة الحياة غريزة قوية في الإنسان، وتستيقظ هذه الغريزة عندما يهدد حياة الإنسان خطر ما، من إنسان آخر أو حيوان.

ثالثاً - الغريزة الجنسية: وهذه الغريزة في الإنسان تهدف إلى حفظ النوع الإنساني، وعن طريق إشباعها يتكاثر البشر.. وهي تستيقظ في سن البلوغ عند الإنسان، وقد شرع الإسلام إشباع هذه الغريزة عن طريق الزواج .. لذلك حضَّ الإسلام على الزواج المبكر.. وقد هدر هذه الطاقة الحيوية في الإنسان.

رابعاً - غريزة المال: وحب المال: ويتفرع عنها غريزة السيطرة، والطمع، والبخيل، وحب الظهور والزينة، والسلطان، والجاه .. إلخ.

والآية الكريمة المذكورة آنفاً "زَيْنَ للناس"، تبين هذه الغريزة في الإنسان قال تعالى: "وَالقَنُوُنِ الْمُقَنُّ وَأَلْفِضْ، وَالذِّهْبَ، وَالْخَيْلِ، وَالْمُسَوَّمَةَ، وَالْأَنْعَمَرْ، وَالْحَرَّثَ" (الشعراء 34).

وقال تعالى: "وَإِنَّهُ لَحَبِّ الْخَيْلِ لَشَهِيدٌ (35) "(الشعراء 8).

وقال تعالى: "وَخَيْلُ أَلْمَالٍ حَبَّا جَمِّا (36) (الشعراء 10) ".

أخرجه البخاري ومسلم والترمذي وأبو داود والنسائي .. أرجع إلى جامع الأصول ج 426/11، واللفظ لسلم (كتاب النكاف - باب استحباط النكاف من تأثيث نفسه إليه ...).
لا أن الإسلام سما بهذه الغرائز. كما سنرى في الفقرة الآتية.

خامساً - غزوة الاستعداد للنسامي: وهي الغريزة التي توازي جميع الغرائز السابقة في فترات الإنسان، وتعمل حارسة للإنسان لئلا يُفسَر في جانب واحد من حياته.

ويقف قوة النفس الإلهية ومراعتها وإيجادها.

والاستعداد للنسامي هو الاستعداد لضبط النفس ووقفها عند الحد السليم من مزاولة إشباع الغرائز في الإنسان; الحد الباني للنفس والحياة، مع التطلع المستمر إلى ترقية الحياة ورفعها إلى الأفق الذي تهدف إليه النفحة العلوية، وربط القلب البشري بالله تعالى والدار الآخرة ورضوان الله، هذا الاستعداد يهدب الغرائز الأخرى ويتفق عنها الشوائب، ويجعلها في الحدود المأمونة التي لا يطقها فيها جانب اللذة الحسية على الروح الإنسانية(1).

قال تعالى: {فَلَوْ أَتَاكُمْ خَبِيرٌ مِّن دُلُّكَمْ إِلَّا لَيَذَّكُّكُمْ أَنْتُونَ عَدَّ رَبِّنَا جَنَّتُ وَتَجْرِي مِن خَبِيثٍ الأَخِلَاءُ خَيْدَاءَ فِيهَا وَأَزُوَّجَ مُطْهَرٌ وَرَضٌّ عَرْقُونَ مِنْ أَلٍّ وَلَلَّهُ بَصِيرٌ بِالْبَعْدِ}(3)

(1) سورة مرء 104

تعديل الدوافع:

إن مسألة تعديل الدوافع أو إبديها، أو إعلانها أصبحت لها أهمية كبيرة في الوقت الحاضر، وخاصة في مجال علم النفس الاجتماعي الذي هو بدوره أساسي مهم من أعمق السلوكيات النفسية، التي تهدف أولًا ما تهدف إلى تغيير سلوك الفرد والجماعة، وتوظيف ذلك لصالح من يشبهها. ومن المعلوم في علم النفس أن السلوك الغزيري لا يبقى ثابتاً عند الإنسان كما يبقى عند الحيوان - بل يتعرض للكثير من التعديل، حتى إن أفراد الجنس الواحد يرذون حاجة غريزية واحدة بأسلوب كثيرة متنوعة بعضها مكتسب وبعضها محتسب وبعضها خاطئ للظروف المتجدة بتجدد الدنيا والحضارة(2).

(1) ارجع إلى في ظلال القرآن، لسيد قطب ج 3/ 372 ط دار الأشواق.
(2) ارجع إلى «المدخل إلى علم النفس» النحلاوي ودروسي ج 2 ص 23.
ويمكن، للتيسير، عرض أنواع التدريب للدوافع كالآتي:

1- تعديل من الناحية الإدراكية، فبعد أن كانت الدوافع الغريزية تستنفر بمشاعر طبيعية يمكن استغلالها بمشاعر غير طبيعية. أو أن يفقد المثير الطبيعى كالظلمة مثالاً قدرته على إثارة الخوف ويحل محله مثير آخر غير فطري هو الخوف من العار مثالاً، لإدراك الإنسان أنه ليس في الظلمة ما يخفف منه. وكذلك الخوف من الأصوات العالية فإن إدراك الإنسان لعدم ضرر الأصوات العالية في المناجم والمعامل الصاجبة يجعله لا يخف هذه الأصوات.

2- تعديل من الناحية النزوعية. وهذا النوع من التدريب واضح في حياة الإنسان، الذي ينزع بفطشه إلى نوع من السلوك لتحقيق دافع ما، لكن هذا السلوك لا يبقى ثابتاً عنه، فبدلاً من أن يروى الإنسان غضبه بالملابسة أصبح يرويه بالجحيل أو الاستهتساء أو حتى من قدر عدوه، أو بالحصار الاقتصادي أو بتدبير المؤامرات. أو بأي سلاح من أسلحة الحرب النفسية كالشائعات والدعايات وغيرهما. ومثل هذا يقال في باقي الغرائز...

3- تعديل بسبب استنار غرائز مختلفة في آن واحد، فنجذب السلوك الغريزي يتعدل بسبب ما يستنار معه من دافع أو دوافع أخرى في الوقت نفسه، فمثلًا إذا وجدت ابناً قد أتلف شيئاً عزيزاً على نفسك، فالإثارة يثير الغضب والمقاتلة، والابن يثير الوالديه والحنو، فتكون السلوك في هذا الموقف سلوك عتب وتأديب لا سلوك ضرب أو تويج ...

للإطلاع أكثر على موضوع تدريب الدوافع يراجع ما يلي:
1- علم النفس وأسس التطبيقية والتدريبية - للدكتور عبد العزيز الفصفي. ص 137، 138، 139، 265.
2- علم النفس - للدكتور محمد خير عرقوسي وعبد الرحمن النحلاوي وعبد الكريم العنوان (ص 131، 132، 133، 1393هـ).
3- مختارات في وسائل التربية الإسلامية وغاياتها للدكتور محمد أمين المصري (ص 59، 58).
4 - تعديل ناشئ من ينظم الاستعدادات الغريزية وانفعالاتها حول شيء لتكون ما يسمى بالعواطف.. فيحول الإنسان دواعيه الغريزية إلى عواطف نبيلة سامية موجهة.. فالعاطفة استعداد مكتمب للانفعال تتجاه موضوع معين والقيام نحوه يساهم بتلبيه الموقف لأرواء الرغبات المتبقية عن العاطفة.

وأبو حامد الغزالي - رحمه الله - له نظرة عميقة في هذا المجال، فهو لا يعترف بكبث الغرائز والدواعي وعما يقول بإمكان تدليكها وإعلانها، وذلك لأنه يعتبر مختلف الدواعي أساسية في الإنسان، ويعترف بكل ما في المرء من دواعي وموه. وبين الغزالي أن الشهوة والغضب والحنك والطمع والشهلة وغيرها من دواعي لا تقطع ما دام الإنسان حياً.

وليس المطلوب القضاء على الغرائز وإماتتها بل ضبطها وتسيرها بمسار الشرع، وإن الشهوة والغضب لم يخلقهما الله - عز وجل - كما يقول الغزالي، "لتكون أسرارهما ولكن خلقهما ليكنا من أسرار فتنهرهما للسفر الذي أمماك، تجعل أخذهما مركب وأخر سلاحك حتى تصيد سعادتك".

وعترفُ الغزالي بدواعي الإنسان يتفق مع الإسلام، الذي يأخذ لما غلبناه من معنى الفطرة: هو وجود الاستعدادات المختلفة في الإنسان وذلك استنادًا

(1) الإحياء ج 3 ص 29.
(2) كيمياء السعادة للغزالي ص 504.
(3) إن كلمة الفطرة تأخذ عند الغزالي مفاهيم متعددة قد تبدو معارضة. فهو أحيانًا:
(أ) قد يقصد بها التصقيح بالربوية، يعني أن يولد الإنسان وهو بالفطرة مقيد بالرغبة لمعرفة الله وهو المعنى الذي يقصده الفقهاء حين يعرفون الإسلام بأنه دين الفطرة "كل مولد يؤلد على الفطرة .. الحديث".
(ب) وقد يقصد بالفطرة قول الخير والشر وخلو القلب عن كل نقص.
(ت) كما قد يقصد بها الاعتدال، لأنه غالب على أهل الإجماع، ومهمه يك من أمر فإن هذه الأقوال لا تنافق القول بأن في النفس مجموعة من الميل والدواعي الفطرية والمكتسبة (الدراسات النفسية - عبد الكريم العثمان ص 168 حاشية). والفطرة عند ابن نسيم هي الإسلام، أو هي الاستعداد للإسلام، وقد استضاف في الحديث عن الفطرة في كتابه: (درء تعارض العقل والنقل).
على أن الإنسان تألف من طبيعة أرضية وأخرى سماوية لقوله تعالى: «وَأَذَّ قَالَ رَبُّكَ لِلَّدَيْنِ إِنَّكُمْ خَلَقْتَ بَنَاتَكُمْ مِن صَلَالٍ مِّن حَمُّمٍ مَّسْتَنَوْنَهُمْ فَإِذَا سَوَّتَهُمْ وَتَفَحَّصَتْ فِيهِمْ رُوحُ فَقَعَوْاْ لَهُ سَنَبِييْنِ» إِبْرَاهِيمٌ ۚ (١٩) (2) ١٩. ١٨

فالآصل الأرضي يتمثل بالطين، أما الأصل العلوي فإنه روح الله (3) .

والدواتع التي تقوم على كل من هاتين الطبيعتين مطلوبة، لأن كيان الإنسان جمع جسمه وعقله وروحه، إذا صح لنا أن نفصل بينها، ففي كيان مترابط واحد متمتع اسمه الإنسان.

والعقل يقوم بمهمته في مساعدة الإنسان من أجل حصوله على المعرفة والوسائل الصحيحة، للإجابة على نوازع الغريزة، كما يمثل النزعة الدائمة إلى المعرفة والتي يبدو كأنها في ذاتها هدف مقصود، عن طريقها تتقدم الحياة وتتقدم وهي تحقق أهدافها الأصلية في الوقت ذاته، وكذا يكون الرقي باعتنا أصلاً في الإنسان وينزع إليه تزوع ذاتياً (٢).

ويلح الغزالي على أن الدوافع مهما نزلت درجاتها طبيعة مزدوجة، أي أنها: إما أن تكون وسيلة لارتقاء الإنسان وإما أن تكون سبباً في ضياعه. وذلك إنها إما أن تسير متزنة يُوجهها هدف واحد، فتقوم بمهمتها على وجه صحيح ولا يكون هنالك ما يدعو إلى محاولة للتعديل أو للتصعيد، وإما أن تسيطر أحد الدوافع على الأخرى، فيفرض سلطته عليها، وتنحرف الميل عن الهدف الصحيح، وتكون مسورة بعدم الدنيا دون الآخرة (٣)، ويهيج المرء عداً لهامؤثراً بأمرها (٤)، كما يصح العقل خادماً لها (٥).

الدراسات النفسية - ١٩٦.

الإنسان بين المادة والإسلام - محمد قطب - ص ٨٤.

الأحياء ج ٣ ص ٩.

الأحياء ج ٣ ص ٦٤.

الأحياء ج ٣ ص ٤٥.
فالليل إلى الطعام إذا انقلب إلى شهوة للطعام، فإنه يستعد الإنسان ويسيطر على تفكيره وسلوكه ويقض به عن الارتداع، وكذلك الأمر بالنسبة لشهوة الجنس وغيرها.

والمخترش الشديد أن هذه الدعوات إذا استحكمت يرتبط بعضها ببعض ويتآزر كلها لتحليم الإنسان؛ إذ تُبتُبُ شهوة الطعام «شهوة الفرج وشدة الشبق إلى المنكوبات، ثم تبت شهوة الطعام والنكاف شدة الرغبة في الجاه والمال اللذين هما وسيلة إلى التوسع في المنكوبات والمطعومات. ثم تبت استكثار المال والجاه أنواع الروعات وضروب المنافع والمماضات».

وهكذا فالإسلام ينكر خروج الدعوات عن طريقها الذي رسمه الله لها؛ طريق حفظ الإنسان وحفظ الحياة، ودفع كل أسباب الهلاك والوصول إلى الله تعالى.

وقد ذم رسول الله ﷺ عبودية الغرائز للإنسان ومنها عبودية المال والشهوة وحب الماظر الفارغة، وحَضّ على الجهاد في سبيل الله. عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي ﷺ قال: «ثَمَّ عَبَدَ الْبَيْتِ، وَعَبَدَ الْمُنْبِرِ، وَعَبَدَ الْخَيْرَةَ، إِنَّهَا...»

__________________________

(1) الأخواء ج 3 ص 77.
(2) الدراسات النفسية من 199 عبد الكريم العثمان.
أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تمس وتكمس، وإذا شبك فلا انقش، طوي لعبد آخذ

بعدان فرسه في سبيل الله، أشعت رأسه مغرة قدماه..(1)

ثم إن الإسلام يقيم توازنًا دقيقًا بين مختلف الدفاعات. ويكره التطرف فلا هو يكتبها ويقضي عليها، ولا هو يرضى باستعابها للإنسان.

فالقرآن الكريم يوصي الإنسان حالة الوسط بين الإفراط والتفرط قال تعالى:

«وَسَكَّلُواْ وَأَشْرَبُواْ وَلاَ سَرِّفُواْ إِنَّهُ لَا يَحْبُبُ الْمَسْرِفِينَ» [الأعراف: 33]
«وَالذِّينَ إِذَا أَنْفَقُواْ لَا يُسِرِّفُواْ وَلَا يَقْتُراْ وَيَحْتَابُونَ بِذَلِكَ قَوْمًا» [الفرقان: 17]

وكذلك بين القرآن الكريم، أن الدفاعات فطرية ومغروزة في الإنسان منذ أن خلقه. قال تعالى: «فَطَرَتْ اللَّهُ لَهُمْ فَطَرَ مَنْ أَنْفَسَ عَلَيْهِ» لِتَبْتَغُواْ لِحَيَّةٌ أَخْلَقًا» [الرحمن: 6]

وقال تعالى: «زَنِينَ اللَّهِ جَحْبَ أَلْشَهَوْاتِ» [التوبة: 41] وقال تعالى: وَإِنَّهُ لَحَبِيْ

أَلْخَيْرِ لَشَكْرِيْ [اليونس: 8]

وإلا أن الله - عز وجل - بالإضافة إلى تقرير هذا، يوجه الإنسان إلى الملا

الأعلى حتى لا يسرف فيما فطر عليه، وأن الآخرة هي الحياة الحقة. قال الله تعالى:

«أَلْمَالَ وَالْبَيْتَانِ زِيَّةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَيْنَتَانِ أَصْلَحَتْ حُبُّ عَنْدَ رَبِّكُمْ ثُلُّبًا وَخَيْرًا أَمَامًا» [المائدة: 10] وَمَا عَنْدَ اللَّهِ خَيْرًا وَأَبْتَقَى١٠٣ [الأعراف: 177-178]

نُؤْرِيْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَالْأَخْرَىَ حُبُّ وَأَبْتَقَى١٠٣ [الأعراف: 177-178]

وهكذا يوجه الإنسان المؤمن غرائزه ودوافعه فيما يرضي الله تعالى: وفي الطريق

المستقيم الذي رسمه الله تعالى للناس أجمعين.. طريق الإسلام العظيم، وقلمنا إن

الإسلام يكره التطرف في كل شيء، ولو إلى أعلى، كما يظن البعض، لذلك منع

الرهبة التي تقوم على القضاء على كل نوازع الجسد. قال تعالى: وَرَهْبَانَيْةٌ

أَبْنَذُوهَا مَا كَتَبَنَّاهَا عَلَيْهِمْ١٠٣ [ال wes]

(1) رواه البخاري - باب الخروة في الغزو في سبيل الله - فتح الباري (ج 6 ص 81 السلفية).
ورد رسول الله ﷺ على نفر من الصحابة أرادوا القضاء على بعض دواعف الإنسان في الطعام والنساء، قولهم، مبيناً لهم طريق الإسلام الصحيح كما ورد في الحديث الشريف: "جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادة النبي ﷺ فلمما أُخبروا كأنهم تقالُوها فقالوا، وأين نحن من النبي ﷺ؟ قد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخره. قال أحدهم، أنا فإن أصلِّي الليل أبداً، وقال آخر: وأنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبداً. فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: أنتم الذين فلمكم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكُم الله وأتفاهم له进而 اقترب من رجعتي خمسة». 

وما لاريب فيه أن أفضل أسلوب تربوي لإعلاء الدواعف هو "ربطة سلوك الإنسان بأهداف علية للحياة الإنسانية، وذكر الناس دائماً بهذه الأهداف كلما اتعرفت عندها. أو حُطت بهم شهوات الجسد عن التوجه إليها. إذ لا بد من غاية أو تعبير الغزالي من هم يسيطر على القري كلها، وبذلك تضطعب حياة الإنسان بهذه الأهداف وتتوجه الدواعف كلها في سبيل تحقيقها، وهذا ما يحقق رقياً وسمواً وتصعبداً دائماً".

"من أجل هذا يربط الغزالي الإنسان بغذاء أساسي وهي الوصول إلى الله - عز وجل - ويذكره بهذا الهدف الأعلى دائماً، حتى يُوجه جميع إمكانياته وطاقاته دواعه من أجل تحقيقه".

وهكذا يكون الغزالي بتأكيده هذا على الهدف من السلوك قد سبق الكثير من علماء النفس الذين أكلوا على وجبة دراسة السلوك من خلال الأغراض والغايات، ويتوجه البحث حينئذ إلى الغاية من السلوك وليس إلى سببه.

---

(1) متفق عليه - واللفظ للبخاري - كتاب النكاح - باب الترغيب في النكاح.
(2) الدراسات النفسية - عبد الكريم العثمان - ص 200.
(3) المرجع السابق ص 200.
والغزالي في هذا كله يبدو بعيداً عن عملية الكبت، ويمكن أن نسمي طريقته في معالجة الدواقع باسم عملية الضبط، وهي تختلف عن الكبت. لأن هذا الأخير عملية قمع لا شعورية، في حين أن عملية الضبط عملية إرادية، وسلوك الإنسان هنا مرتبط إرادياً، يتميز بالقدرة على الكف، وتركيز الانتباه في اتجاه معين مرسوم، وذلك لتحقيق إلغاء المول، وعناصر هذا الضبط حاضرة في شعورنا ولذلك لا يرتبط عليه كبت ما، وهو عملية واعية لا تتعرض للشهوة في مبته - والمهمة الأساسية لها التنظيم والتصعيد.

بالإضافة إلى ذلك فإن الكبت يتولد لا شعورياً من استقراض العمل الغزيي نفسه، بينما عملية الضبط في الإسلام، فإنها تُسيّر العمل الغزيي في مسراه الصحيح، ولا تستقرده، بل ويثب الإسلام عليه أيضاً.

قال {١} : «.. وفي بضع أحكام صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيّنا أحنون شهودهم وكبُون فيها أجر، قال: أرايتكم لو وضعها في حرام أكان عليه فيها وزر فكذلك إذا وضعها في الخلال كان له أجر» {٢}

وهكذا جعل الإسلام للعبد المؤمن ثواباً على تهذيب دواقعه وإروائها بالطريقة الشرعية، وما يقال عن الغزيزة الجنسية يقال عن شهوة الطعام، وشهوة المال وغيرها من الغرائز والدواقع.

فالإسلام لم يكبت الدواقع بل صعدها ووجهها، بل حرص على تحقيقها بشكل كامل غير قابل للنقاء في الجنة التي وعد الله المتدين الذين يوجهون دواقعهم لِإرضاء الله تعالى ويعملونها في حدود شريعة. قال تعالى بعد أن قرر وجود هذه

(١) المرجع السابق ص ٢٠١.
(٢) وهو جزء من حديث رواه مسلم بطوله في «كتاب الزكاة» باب «كل نوع من المعروف صدقة».
الشهوات في الإنسان: يَزْيِنُ اللَّاهُ ﷺ نَفْسَ الشَّهَوَاتِ ﻣِنْ ﺍﻟْيَسَاءَةِ وَالْبَيْنَيَّةِ ﻭَالْقَنْطُورَةِ ﺍﻟْمُقَنْطُورَةِ ﻣِنْ ﺍﻟْذَّهْبِ وَالْفِضْلَةِ ﷺ ﻣِنْ ﻓُرُوحِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ 

الله ﷺ وَالْيَدَاءُ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ ﯽوْهُمُ ﻓِي ﺍﻟْمَذْهَبِ 

على هذا الأسلوب النفسي الرائع في تجميع الدوافع الإنسانية والطاقات البشرية وتوجيهها واستسلامها لله - جل جلاله - تربى الجيل الأول من المسلمين بحيث أصبحوا جيلاً قرآنياً فريداً، لم ينشأ مثله في قرون القرنين.

عن عمران بن حضين - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: "فلا أدرى أذكر بعد قرنين أو ثلاثين - ثم إن بعدكم قوماً يِشْهَدُونَ ولا يُسْتِرُّونَ، يُخْرُونَ ولا يُؤْتُمُونَ، يُذْهَرُونَ ولا يَفْقُونَ، يَظْهَرُونَ فيهم السَّمْنَ". (1)

والصور الواقعية التي تشهد بذلك كثيرة جداً، لن يقلب صفحات التاريخ وتاريخ الصحابة بشكل خاص. باعتبارهم - رضي الله عنهم - هم النقلة الأولى.

والصورة الثانية للإنسان الجاهلي بعد أن آمن وأسلم الله.

أما ما نشاهده اليوم من استياظ الشهوات، واستعبادها للإنسان بحيث أصبحت وثناً يعد من دون الله، فهو بسبب بعَدنا عن مبادئ الإسلام العظيم، وعن الحجة البيضاء التي تركنا رسول الله ﷺ عليها. كتاب الله وسنة نبيه... فكان هلاكنا...

وتلك الذي نعيش في ظلاله.

(1) رواه البخاري - فتح الباري - كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ - ج 7 ص 300 (ط السلفية).
المبحث الثاني

العوامل المؤثرة في السلوك:

عرفنا أن السلوك حركة أو عمل يتكون في البيئة الاجتماعية. وفي هذه البيئة مؤثرات كثيرة تؤثر فيه. وتدفعه إلى تحقيق هدفه. وقد يستجيب الفرد لهذه المؤثرات أو لا يستجيب، بعضاً لقوة المؤثر، وكذلك بعضاً لوعي الفرد، ونضجه.

ومن هذه العوامل المؤثرة في سلوك الفرد، على سبيل المثال: الخصوصية، القدرة التي ينشأ عليها الفرد، نتحدث عن ثقافة وثقافة. ثم الرأي العام، وآخرًا الإعلام، وأشكاله المختلفة من إذاعة ووراثي (تلفزيون)، وكتاب، وصحافة. إلخ. وسنرى أن هذه العوامل مجتمعة تستعملها الحروب النفسية الحديثة لتحقيق أهدافها في تغيير سلوك الفرد.

1- التربية: في المعجم الفلسفى تعرف التربية بما يلي: «التربيه هي تبليغ الشيء إلى كماله، أو هي كما يقول المحدثون: تنمية الوظائف النفسية بالتمرين حتى تبلغ كمالها شيئاً فشيئاً.»

تقول: ربيتُ ورث ونى، إذا قويت ملكتاه، وغيت قدرته، وهبته سلوكه، حتى يصبح صاحباً للحياة في بيئة معينة.

وتقول: تربي الرجل إذا أحكمته التجارب وننشأ نفسه بنفسه، ومن شروط التربية الصحيحة أن تنمي شخصية الطفل من الناحية الجسمية والعقلية والخلقية، حتى يصبح قادراً على مؤلذه الطبيعة، ويتجاوز ذاته، ويعمل على إسعاد نفسه وإسعاد الناس.

وتدعى التربية ظاهرة اجتماعية تضع لما تضع له الظواهر الأخرى في نموها وتطورها.

المعجم الفلسفى - جميل صليبا - (٢٠٢/٢٠٢) وقد أقر هذا التعريف جميع اللغة العربية بمصر.

ولزيادة الإطلاع على معاني التربية ارجع إلى مدخل إلى التربية في ضوء الإسلامية للأستاذ عبد الرحمن الباني (ص ١٥) نشر المكتب الإسلامي.
والمجتمع هو الذي يقوم بمهمة التربية، ويُعيد الفردة سلوكياً وفكرياً للحياة، وأصغر خلية اجتماعية الأسرة، لذا كان للأب والدهد دور كبير في هذه المهمة الخطيرة.

يقول الإمام الغزالي: «الصبي أمانة عند والديه، وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية من كل نقش وصورة، وهو قادر لكل نقش وصورة، وما إلى كل ما يُقال به إليه، فإن عُرُوا الخير وعلمه وُلد عليه، ومعيد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبوه وكل معلم له ومؤدب، وإن عُرَوا الشر وأهل إثم البدائع شقي وهمَّك وكان الوزير في رقية القيم عليه والوالي له وقد قال الله - عز وجل - «يدأيها أليمين ظلمتُها قوًا أنفسكُم وأهلِكم نارًا»».

ويقول ابن قيم الجوزية: «وهما يحتاج إليه الطفل غاية الاحتياج الاعتنة بأمر خلقه فإنه ينشأ على ما عَرَواه المربي في صغره، وهذا نجد أكثر الناس منحرفة أخلاقهم وذلك من قبل التربية التي نشأ عليها».

والتربيَّة لابد لها من أساس فكري يقرره، وعقيدة توجهها، وباختلال المجتمعات البشرية تختلف عمليات التربية، وهذا مشاهد في سائر العصور ولدى الشعوب والأمم كافة.

والعقائد تتفاوت في صحتها، فالعقيدة السليمة أساس للتربية الصحيحة، ومن هنا صرح أن نقول إن للتربية أساساً دينياً، وحديث رسول الله ﷺ يقودنا إلى هذه الحقيقة العلمية التزوية، وذلك حيث يقول: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة».

---

(1) إحياء علوم الدين (9/19) ط دار إحياء الكتب العربية.
(2) مساحة المولد بأحكام المولود من 240-244 تحقيق الشيخ عبد القادر الأناوُوط - مكتبة دار البيان بدمشق 1391/1971 دار الفكر ط 2 - 1392 هـ.
فأبوه يهوديًا ويتصرأه ويعجّساه، كما تُنتج الهمة بهمة جمعاء، هل ينجّون فيها من جدعاه؟ (1)

فولود يولد على الفطرة السليمة وهي الاستعداد للإسلام، ولكن أبوه، إذا كان مسيحيين - يبعدان البقرة أو الناز - ما يزالان باخذانه بتربيته محبًّ، ويعبِّر آخر إن فكرتهما الجاموسية توجه تربيتهما لطفلهما، وكذلك إذا كانا يهودين فإنهم ينحرفان به بنوع آخر من الترنيمة إلى اليهودية، وهكذا الأبوان النصارى... وهكذا كل أسرة، تنشأ أولادها على عقيدتها ودينها (2).

ولأهمية دور التربية في التأثير على سلوك الأفراد والجماعات، لذا الغرب الصليبي في أوائل هذا القرن إلى الترنيمة لינוكل سلوك الفرد في المجتمعات الإسلامية، وإبعاد المسلمين عن دينهم ليسهل السيطرة عليهم بعد ذلك، وما مهمة المدارس والجامعات التبشيرية في البلاد الإسلامية إلا هذه المهمة.

يقول «محمد أسدا» (3) في كتابه القيم «الإسلام على مفترق الطرق»: «إن التنسيمة الغربية لأحداث المسلمين ستفضي حتمًا إلى زععة إرادتهم في أن يعتقدوا أو أن ينظروا إلى أنفسهم على أنهم هم مثلوا الحضارة الإلهية الخاصة التي جاء بها الإسلام» (4).

الحديث أخرجه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه كتاب القدر - باب يعني كل مولود يولد على الفطرة - ويعني تائج (يفتح الثالثة) تولد. وانظر مدخل إلى الترنيمة في ضوء الإسلام - عبد الرحمن الباني - ص 31 - المكتب الإسلامي - ط 1400 هـ.

المراجع السابق.

(2) محمد أسدا - مهني مسلم، غسائى الأصل، كان يدعي ليوبرولا فايسبس، ومن مؤلفاته أيضاً الطريق إلى مكة (وفي طبيعته الحديثة: الطريق إلى الإسلام) نشر دار العلم للملايين - بيروت.

(4) ص 7 - ترجمة عمر فروخ - دار العلم للملايين 1977 م.
ويقول أيضاً: "إن تعليم الأدب الأوروبي على الشكل الذي يسود اليوم الكثير من المؤسسات الإسلامية يقود إلى جعل الإسلام غريباً في عيون الناشئة المسلمة، وربما هذا - ولكن إلى حد أبعد - يصدق على التعليم الأوروبي للتاريخ العام. إذ لا يزال الموقف القديم في "رومانيون وبرابرة" يظهر جلاءً. ثم إن مثل هذا العرض في التاريخ هدفاً خفياً، ذلك أن يدل على أن الشعوب الغربية ومدنتها أرقى من كل شيء، جاء أو يمكن أن يجيء إلى هذا العالم، وهكذا يمكن خلق نوع من التبشير الأدبي لسمى الأوروبيين إلى السيطرة والقوة المادية" (1).

وليس هدفنا هنا تبيان الغزو الفكري الغربي للمجتمعات الإسلامية ومراميه البعيدة لأن هناك كتبًا توسعت في هذا الأمر، ولكننا نريد أن نوضح الأهمية الكبيرة التي أولاها الغرب الصليبي للتربية والتعليم في البلاد الإسلامية، والتأثير على الأفراد والمجتمعات فكرياً وعقيدياً. كما لا نزال نعاني من ويلاته حتى الآن.

وقد زاد أوار المعارك الفكرية بين الغرب وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية والعالم الإسلامي بعد أحداث المحيط عشر من "إيول" عام 2000 وغزو الأخيرة العراق، باسم الحرب على الإرهاب، وحاول فرض سينتها في التغيير الثقافي والتعليمي في الدول العربية عامة وفي المملكة العربية السعودية خاصة، حيث تعتقد أن المناهج الحالية هي التي ولدت الإرهاب الذي غزا أمريكا في عقر دارها. وهي تعلم جيداً أن المملكة لا يد لها في تفجير مبنى التجارة العالمية في الولايات المتحدة الأمريكية. ولكن العداء للإسلام والتربية، هو الدافع الحقيقي للحرب النفسية التي تشتهى ضد العالم العربي والإسلامي، وللمملكة خاصة بصفتها بلد الحرميين الشريفين، ومركز وحدة العالم الإسلامي. فهي تريد ضرب الإسلام في عقر داره، وسلب المسلمين عقيدتهم وشريعتهم، ليسهل عليها الهيمنة

المصدر نفسه ص (74، 75).

(1)
عليهم، وسلب ثرواتهم وعقوهم، وسنورد تصريفات المسؤولين حول هذا الموضوع في المكان المناسب من هذه الدراسة (1).

2- العقيدة: مر معنا آنفاً حديث رسول الله ﷺ، "ما من مولود إلا يولد على الفطيرة... الحديث.

هذا الحديث العظيم يبين لنا مدى تأثير عقيدة الأبرون على سلوك الفرد في الحياة، وما يقال عن تأثير الجماعية واليهودية والنصرانية، يقال عن تأثير العقائد الحديثة مثل الشيعية والثوريّة ومذهب المنهج واللقدة وغيرها. فكل عقيدة من هذه العقائد لها الأثر الكبير على سلوك الأفراد، وأخلاقهم في الحياة الاجتماعية.

وما لا شك فيه أن العقائد الجاهلية - غير الإسلام - تسعى دائماً بوسائلها المختلفة من إعلامية وتربيّة إلى تطبيـع حياة أفرادها وتوجيه سلوكهم.

وسنرى، إذن الله، وبشكل مفصل، كيف أن الشيوعية جنحت كل وسالتها ومؤسساتاتها الواسعة الإعلانية والتربيّة في توجيه سلوك الأفراد داخل البلاد الشيوعية وخارجها، وكيف أن هذا التوجيه بدأ من رياض الأطفال، بوساطة التعليم المشيع بالعقلية الشيوعية الملحّنة، حتى يصبح الفرد عضواً في الحزب الشيوعي. وحتى إن جهاز التعليم في روسيا أطلق عليه "جهاز دعاية".

وكل تلك العقائد الغربية المعاصرة: من مادية، ومنعفة وذرائية (برجاتزم) ووجودية، وغيرها... كلها أسهمت بصياغة الفرد الغربي الحديث وطبعت سلوكه وفق أهواءها الزائفة عن الخير والحق.

إن أهم الأحـادات التاريخية والفكرية التي أثرت في الإنسان الغربي منذ مطلع هذا القرن الأخير، وأثرت في سلوكه وأخلاقيّاته نقولها بإيجاز وهي:

(1) أنظر التقرير المعين: أمريكيا تريد فرض التغيير الثقافي والتعليمي - وكالة الأنباء السعودية (واس) في 31/10/2002م.
1- الصراع بين العلم والكنيسة.. وانتصار العلم على خرافات الكنيسة، وكان من نتيجة ذلك ابتعد الفرد الغربي عن الكنيسة، ولم يبق لها مكان في قلبه عدا الآثار الشكلية غير المجدية في حياته وسلوكه.

2- نظرية فرويد في علم النفس. هذه النظرية الباطلة قد أثرت تأثيراً عميقاً في فكر الإنسان الغربي وروحه، وساعدت على التحلل الأخلاقي وذهب المجتمع في حالة الفساد والإباحية.

3- نظرية داروين في أصل الأنواع والتطور والآثار غير الأخلاقية المرتبطة عليها، وخاصة ما روجه اليهود حول مذهبه، من تأويلات ما خطرت لدارون على بال استخدموه في القضاء على الآديان والقوميات والقانون والفنون، مظهرين أن كل شيء بدأ ناقصاً شائعة يثير السخرية والاحتقار ثم تطور. فلا قادسة إذا لديه ولا وطنية ولا قانون ولا فن ولا مقدس ممن القداسات» (1).

4- الوجودية الملحدة التي أشاعت روح الانحلال والإباحية في أوروبا وفي فرنسا بشكل خاص على يد اليهودي أو نصف اليهودي (سارت) ورفقة عمرو زوجته غير الشرعية (سيمون دي بوفوار) والتي لا تزال آثارها تنخر في أخلاقي الإنسان الأوروبي حتى اليوم.

5- مذهب المتفعة والذراعية (البراجماتزم) كما نادى بها كل من وليم جيمس وجون دبوي وما ترتبت على هذا المذهب من ترسيخ روح الأذنية الفردية، ومن تكالب على الدنيا، وابتعاد الإنسان الغربي عن معنى التعاون الإنساني، والإخاء... فأصبح كل إنسان لا يهمه إلا نفسه.. وتنمية أمواله ورفاهيته.

وذلك العقيدة الإسلامية.. وتأثيرها في سلوك الإنسان الجاهلي عندما آمن بها مما لا ينفي على أي إنسان، فهي قد قلبت حياته كلها.. وأصبح إنساناً متميزاً

(1) انظر بروتوكولات حكمة صهيون - ترجمة محمد خليفة التونسي - (المقدمة ص 82) ط 1971م.
بأسلوبه، وأخلاقه، وعاداته، وما أبلغ تلك الكلمة التي قالها جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه للنجاشي، يرد بها على كفار قريش الذي لحقهم إلى الحبشة حاولين إرجاعهم إلى الكفر بعد أن أمتنوا مبيناً كيف كان سلوكيهم الجاهل، وكيف أصبح سلوكيهم الإسلامي.

قال رضي الله عنه «أبيا الملك كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأنصام وناكمل الميتة، ونأتي الفواحش، وتقطع الأرحام، ونسيج الجوار وياكلل القوي منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله علينا رسوله نعرف نسبه وصدقه وأماته وعفاه، فدععنا إلى الله نؤخذ، ونعبده ونلتيم ما كنا نعبده نحن وأباونا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وحسن الجوار والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش وقول الزور، وأكل مال اليتيم، ووقف المحتصة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيطناً» (1).

كل هذه النماذج تدلل لنا على تأثير العقيدة في الفرد والجماعة.

- السؤال العام: قبل أن نعرف تأثير الرأي العام في السلوكي لأبدي من إلقاء نظرة قصيرة على مفهوم الرأي العام هنا، وقيمته في الحياة المعاصرة، والذي أصبح موضوعاً مهماً للكثيرين من السياسيين ورجال الدولة والعلماء الاجتماعي وعلماء النفس وغيرهم، وخاصة في الدول الغربية.
- تعريف الرأي العام: للرأي العام تعريفات كثيرة ومتعددة، وسأختار أهمها، منعاً للإطالة:
  - تعريف دوب: «الرأي العام ميل الناس نحو قضية ما، هو كان هؤلاء الناس من فئة اجتماعية واحدة» (2).

(1) سيرة ابن هشام (1358/11) دار الفكر، بيروت.
(2) الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام - عبد القادر حام (ج 2 ص 123).
الرأي العام تعبر جمع كبير من الأفراد عن آرائهم في موقف معين يهم غالبية لها تأثير في الموقف. 

وهذا التعريف يختلف عن رأي (دوب الذي يلتفت إلى م泖 الناس بينما (الاليور) يتحدث عن التعبير العملي لبث الناس، سواء كان هذا التعبير رأياً أو سلوكاً صريحاً واضحًا (1).

ويبرز آخرون (2) إن «الرأي العام هو الحُكم الذي تصل إليه الجماعة في قضية ما ذات اعتبار ما».

حتى تصل الجماعة إلى هذا الحكم لابد من شروط أهمها:

أ - أن تكون هناك مناقشات وافية حول القضية المطروحة.

ب - أن تكون القضية مثاراً بكل حقوقها عن طريق القادة أو أجهزة الإعلام والدعاية أو عن طريق الجماعات والهيئات العامة.

ج - أن يكون الاتجاه الذي تتخذه الجماعة في هذه القضية متفقاً تماماً مع المعتقدات العامة للناس (3).

ويتكون الرأي العام نتيجة لعناصر كثيرة هي في الأصل مقومات تكون الرأي الفرد، والإنسان الفرد يتكون رأبه بعد انصهار العناصر التي تصنع أفكاره وعواطفه، وقد وصل علماء الإعلام إلى أن هذا الرأي يتكون خاضعاً للعوامل الآتية:

1 - نتيجة النشأة والتربية.

2 - أهمية تأثير الدين.

المصدر السابق الصفحة نفسها.
(1) محمد عبد الغفور حامد - وزير الإعلام بعد الثورة المصرية عام 1952م.
(2) المصدر السابق ص 143.
الفصل الأول: علامة الحب النفسية

3- نوعية الطبقة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد.

4- نوعية الثقافة.

5- تأثير وسائل الاتصال.

6- أهمية المدرسة والبيت.

7- أهمية التجارب الإنسانية الماضية.

8- الظروف التي يعيش فيها ويفكر فيها للمستقبل (1).

وهذه العوامل المكونة للرأي العام يمكن اختصارها إلى ثلاثة عوامل أساسية هي:

1- العقيدة وهي التي ترسم الضوابط والحدود والسلوكيات للأمة.

2- البيئة - وتنضم البيت والمدرسة والمجتمع بشكل عام، ومدى تأثيرها على الفرد.

3- وسائل الاتصال ومدى قابلية الفرد للتأثير لها.

والذي يهمنا هنا أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة. في المجتمعات الدولية بشكل عام ومن ثم أثره في المجتمع الإسلامي بشكل خاص.

أما ما يتعلق بتلك النقطة الأولى، فإن أثر الرأي العام في سلوك الفرد والجماعة يتضح بما يلي:

1- يحدد الرأي العام نشاط الفرد والجماعة وسلوكهما في المجتمع، ويوجد بين الأفراد في السلوك الاجتماعي، نظرًا لأنه ينتج عن عقيدة واحدة. وهذا الأثر يتضح أيضاً في المجتمع الإسلامي .. الذي يسير وفق العقيدة الصافية.

المصدر السابق ص 128.

(1)
2- يتأثر سلوك القادة في المجتمعات الغربية باتجاه الرأي العام (إرادة الشعب).

3- يحدد الرأي العام حدود التحريم والتجريم ويحدد المسؤولية الفردية والجماعية ويستلزم المشاريع من الرأي العام أساس القانون وقواعد تنظيم الحياة وأسساليبها في الجماعة. وهذا الآخر يُرى في المجتمعات غير الإسلامية. بينما في المجتمعات الإسلامية يعد القرآن والسنة هي أساس التحريم والتجريم والقانون وغير ذلك...

5- يؤثر الرأي العام في تدعيمن السلوك الجماعي السوي ومقاومة السلوك الجماعي المنحرف.

6- يؤدي الرأي العام دورًا مهمًا في عملية التغيير الاجتماعي.

7- يحافظ الرأي العام على الروح المعنوية للجماعة ويرفعها، إذا كان قويًا متماسكًا يعبر عن الاتفاق الجماعي والوحدة العقائدية داخل الجماعة أو يشتبه إذا كان عكس ذلك.

ولكننا بهذا التصور، لأثر الرأي العام على سلوك الفرد والجماعة، نلغي الفرد واتجاهاته ودوافعه الخاصة وموطه الفرد في الخبرة الشخصية، ولو كان هذا التصور صحيحاً. ومطابقاً لما كان هناك مصلحون يُؤثّرون في المجتمع ويغيرون اتجاهه الفاضل إلى الصالح، خصوصاً إذا علمنا أن الرأي العام معرض للإغراف والأهواء لذا كان من ميزة التصور الإسلامي أن هناك ضابطًا ثابتاً يوجه الرأي العام ويُضعف له الجمعية، إنه سلطان الشرعية - وعقدار ما يعد الإنسان عن هدي الله وشريته يُفضّل للأهواء والبدع الاجتماعية الصادرة عن الرأي العام الجاهلي.

أما إذا كان الرأي العام مهتديًا بهدي الله، وسائرًا في طريق شريعته فإنه يصح قوة للمسلم، يشبه إذا ضعف ويُقوّمه إذا أعوج - وياخذ بيده إذا تاء عن الطريق.

(1) علم النفس الاجتماعي - حامد زهران ص 195 - 196.
لا كا كانت قوة الفرد في المجتمع الإسلامي تعادل قوة المجتمع وعبارة "البيان المرصوص" في القرآن الكريم يوجي بهذه القوة الفردية الجماعية قال تعالى: "إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّهُ لَقَادِيرٌ عَلَى شَيْءٍ مُّرِضَى" (الأنفال: 1). وكذلك قول الرسول الكريم ﷺ "المؤمن للمؤمن كالبيان يشد بعضه بعضًا".

أما إذا أعرف المجتمع عن طريق الله - فعلى الفرد المسلم أن يهدي بهدى الله في قرآنه، وبسنته نبيه محمد ﷺ، فهما الميزان الدقيق يزن به كل أمر يتخذه به في حياته الاجتماعية. قال ﷺ "تركت فيكم أمرين لن تضلوا ما تمسكن بهما: كتاب الله وسنة رسوله".

والحديث الشريف الذي ينهي المسلم أن يكون إمّة يعبر عن هذه الفردية في المجتمع مصدر "أو المنحرف عن هدى الله ...". قال ﷺ: "لا تكونوا إمّة تقولون إنحراس الناس أحسن وإن ظلّوا ظلمًا، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أصروا فاذا ظلموا".

وقد تكون هناك استجابة للتآثرات المجتمعية، إلا أن هذه الاستجابة ليست مطلقة، وله حدوت نقف عندها ومقدار وقّعي المسلم وفهمه لديه، والتزامه في القول والعمل، بمقدار ما تكون استجابة ضعيفة أو معدومة لأي تأثيرات أخرى خالفة لتصوره الإسلامي.

4- الإعلام: الإعلام هو عملية نشر وتقديم معلومات صحيحة وحقائق واضحة وأخبار صادقة، وموضوعات دقيقة. ووقائع محدودة، وأفكار منطقة وآراء راجحة، للجماهير مع ذكر مصادرة خدمة للصالح العام.

(1) رواه (البخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أبي موسى) - أرجع إلى الجامع الصغير ج 1/5.
(2) أخرجه مالك في الموط في القدر رقم 3 بباب النهي عن القدر بالقدر بلاغًا.
(3) رواه الترمذي وقال: حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه - سنن الترمذي ج 3 ص 244 باب الالب والصلاة.
والإعلام يغطى عقول الجمهور وعواطفهم والسامة، ويقوم على المناقشة والحوار والإقناع وينزع نزعة «ديمقراطية» وعلى هذا لابد أن تسم العملية الإعلامية بالأمانة الموضوعية.
ويهدف الإعلام إلى النمو واليقظة والتوافق الثقافي والحضاري والارتقاء بمستوى الرأي العام بتونيره وثقيته).
وهكذا نجد أن الإعلام عملية يترتب عليها تأثير فعلي في سلوك الفرد والجماعة.
والإعلام ظاهرة اجتماعية نشأت منذ أقدم العصور وفي شتى المجتمعات القديمة والحديثة.
ولقد تطورت وسائل الإعلام وفقاً لتطور هذه المجتمعات فانتقل الإعلام من مرحلة التبليغ من شخص إلى شخص إلى مرحلة التبليغ المتبادل من جامعات منظمة، ثم لمرحلة التبليغ الجماعي عن طريق وسائل الاتصال الجماهيري. أي الصحافة والطبعات والإذاعة والرادي وغيرها.
إذ وإن عملية الإعلام تعد عملية اتصال بالجماهير، وقد حدد الدكتور «إبراهيم إمام» خمسة عناصر رئيسيَة لهذه العملية وهي:
1- المرسل: الذي يصوغ فكرته في رموز معينة وقد تكون الفكرة واضحة أولاً تكون.
2- التعبير الشكلي أو الصياغة. ووضع الرسالة في شكل معين متعارف عليه.
3- تفسير المستقبل لهذه الرسالة وفق رموزها.
4- استجابة المستقبل للرسالة، ومدى تأثره بها وتقبله لها.

(1) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 297.
الفصل الأول: ناهية الحرب النفسية

5- يتمثل في الردود والأصدا الإجابة من المستقبل إلى المرسل(1). والذي يهم في هذا المجال: هل للعملية الإعلامية تأثير مطلق في الفرد والجماعة، بحيث تغير سلوكهم، وأفكارهم؟ أم أن تأثيرها يوقف على عوامل معينة؟
والواقع أن الفرد المستقبلي للرسالة الإعلامية، ليس مجرد وعاء سليم يفرغ فيه المرسل أفكاره ومعلوماته، ولكنه إنسان إيجابي يدرك ويفهم ويفسر ويقارن ويزن المعلومات التي تصله بميزان العقائد التي يؤمن بها، ومن ثم يحكم عليها، فقد يقبلها أو يهملها.
وعامل آخر مهم في تقبل الرسالة الإعلامية وهو مدى ثقة الناس في مصدر الرسالة. هل عرف بالكذب أم بالصدق؟ هل يبت أخبارًا بشكل موضوعي؟ أم عرف عنه اتجاهه المعروف في تفسير الأنباء والظواهر بمظهر معين؟ كل هذه الأمور تؤدي دورًا مهمًا في مدى تأثير الإعلام على السلوك الفردية والجماعية.
وحين يكون للرسالة الإعلامية أثر فعلي في السلوك، لابد من صفات مهمة أو عوامل تجعل الرسالة متميزة عن غيرها في عصر انتشرت فيه وسائل الإعلام المختلفة. والتي تبت الغث والحسين، ويخلط فيها الحق مع الباطل، وتتساهم السم في الدسم. وهذه الصفات هي:

1- الموضوع الحق والمنهج الصادق: ونقصد بالموضوع الحق، هو الذي يستند على العقائد الصحيحة والمبادئ السليمة الواضحة، وليس ضرورياً أن يكون الإعلام معبأً عن عقلية الجماهير(2) إذ إن هذه الجماهير قد تقبل عن الحق، إذا كانت

(1) الإعلام والاتصال بالجماعي. د. إبراهيم إمام ص (190، 31، 70).
(2) يعرف "أنتكرت" الألمانية الإعلام بقوله: "الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروها وموهها واتجاهاتها في الوقت نفسه" ارجع إلى "الإعلام والاتصال بالجماعي" إبراهيم إمام ص 11 و "الإعلام له تاريخه ومذاهب" عبد اللطيف حمزة ص 32 (ط 1965).
بعدة عن هدى الله... بعيدة عن وحية تعالى... ولا يحتاج أن ندّلّ على هذه النقطة.
وكيفسنا نظرتنا على المجتمعات الغربية وما آلت إليه من الفساد والأخلاق الحكيم.
والتكيف الأسري حتى نستطيع الحكم على ما فعله الإنسان في نفسه. وفي مجتمعه.
وإن المضمون الحق للإعلام لا يتمثل واقعًا إلا في الإعلام الإسلامي الذي
أسس على العقيدة الإلهية الحقّة(1)، قال تعالى: (وَبَلۡ أَنَّنَا نَزَّلْنَا وَيۡلَامِيۡنَىۡ نَزۡلًا) (الإسراء: ۱۰۵).
وقال تعالى: (إِنَّا أَرۡسَلۡنَا بِالۡحَقِّ بِشِیۡرٍ وَنَذِيرًا) (المدّة: ۱۱۱).
فإن الإعلام الإسلامي ينطق بالحق، ويسعى من وراء ذلك إلى الخير للفرد
وللمجتمع ومنهجه الصدق والعدل، فهو لا يلجأ إلى الكذب والهتات لتأييد وجهة
نظرة، حتى لو كان موجهاً إلى الأعداء.
قال تعالى: (يَنَبِيۡهَا اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا آتَقَوا اللَّهَ وَكُُولُوا مِنَ الصَّدۡقِ) (المهد: ۱۱۱).
وقال تعالى: (وَلَا يَجۡرِمُ تَحَقِّمٌ شَكَّانِ قَوۡمِهِ عَلَيۡهِ أَنَّهُ أَنۡعَمۡتُوۡاَ عَلَیۡهِ هُوَ أَقَرُّ لِلۡقُوۡسِ) وَأَنۡتَ قُوّةٌ إِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ بِمَا تَعَمِّلُونَ (صَبۡر: ۸).
وقال تعالى: (يَنَبِيۡهَا الَّذِينَ آمَنُوا آتَقَوا اللَّهَ وَقُولُوا قُوَّلَا سَلۡبِيۡداً) (الإحزاب: ۱۰).
وقال تعالى: (رَأَيْتُ رَجُلًا أَتۡبَعَ أَنۡتَ صَدَقَ يُخۡبَرُكُهُ فِي كَذِبٍ بِالۡكَذِّبِ فَتُحَمَّلُ عَنْهُ تَبَلُّغُ الَّذِينَ فَيۡصَعُّ بِهِ إِلَى يَوۡمِ الْقِيۡامَةِ) (النجم: ۱۲).
ويلحق بهذه النقطة القاعدة الإعلامية الإسلامية العظيمة: هو التنبؤ من
الأنباء وعدم إذاعة الخير أو تقبله إلا بعد تبيان حقيقته.

(1) *الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية* مجموعة محاضرات، في أسبوع نظمته الندوة العالمية
للشباب الإسلامي بالرياض - محاضرة الأستاذ زيد العابدين الركابي - ط ۱۳۹۹ هـ ـ ۱۹۸۹ م.
(2) رواه البخاري من (كتاب الأدب، باب قول الله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله) وكونوا مع
المصادر) وما ينهي عن الكذب (ج ۱۰ ص ۵۰۷ رقم ۱۰۹۱) (فتح البلاء) وهو جزء من
حديث طويل رواه البخاري في كتاب الجنائز.
قال تعالى: "ميَّزَّا الذين امتِنوْنَ إِن جاءَ كَم فَمَا أَنْجَسْتُ بِنَايَكُمَا فَقَبِلْتُمَا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا (}\ هُسَب فَالْحِيَّةَ عَلَى مَا فَعَّلْتُمْ نَذَرَهُمْ (3)" (سورة البقرة: 3).

الوسيلة الناجحة: وهي من عوامل نجاح الرسالة الإعلامية والإعلام المعاصر. أصبحت مجموعة أجهزة وسائل اختارت مساحات المكان ومسافات الزمان، وخاطب أكبر عدد من الناس في أسرع وقت ممكن. ومن هذه الأجهزة مضاعف الرأي (التلفزيون) والصحافة، والكتاب، والبريد، وغيرها ولا يكون استخدام هذه الوسائل سليماً إلا بشرطين:

1) الكفاءة التقنية.
2) القضية المختارة بعناية.

في الكفاءة لابد من التخصص الفني بمثابة العلمي والجمالي، واختيار القضية يجب أن يتلاءم مع المجتمع ومستوى الثقاف، والفكري، وكذلك عدم نسيان القضايا التي تهم الناس في الحياة المعاصرة.

بالإضافة إلى النواحي الجمالية في عرض المضمون الإعلامي، وجذب انتباه الجمهور وإثارته، وتحريز الإحساس الجمالي، الذي هو فطرة في الإنسان للدخول إلى نفوس الناس وعقوقهم وأفكارهم.

3- ربط الرسالة الإعلامية بالحياة حاضراً ومستقبلًا.. وتضمن هذه النقطة ما يلي:

أ) بحث مشكلات الإنسان الواقعية، ومحاولة إيجاد حلول لها.
(ب) الاستفادة من الدراسات المستقبلية في مجال الاقتصاد والتعميم والسكان والصحة، وإقامة الصلة بين حاضر الناس ومستقبلهم لفتح آفاق جديدة أمام عقل الإنسان ونفسه وطموحه. 

(ج) استعمال الرموز المفهومة من قبل الجمهور، وعدم الغموض، وقد قال علي ابن أبي طالب – رضي الله عنه – « حدثوا الناس بما يعرفون أحبون أن يكذب الله ورسوله؟».

وقال ابن مسعود: «ما أنتم معدوناً قوماً حديثاً لا تباهوا عقولكم إلا كان لبعضهم فتنة».

(د) مراعاة الحالة النفسية للمستقبل، ومراعاة الدقة في اختيار الوقت المناسب والمكان الملائم والوسيلة الجيدة حسب نوع وقدرة المستقبل.

(ه) غاية السلوك الإنساني على أساس الفرصة المفتوحة، ذلك أن التدريس والقرارات المطلقة والأحكام النهائية، والطرق المتسودة اتجاهات لا يقرها الإعلام الإسلامي، لأنها تحجر ما وسعه الله، وتحبس الناس في سجن الواقع، وتحب آلامهم.

(و) إشباع الحاجات النفسية للناس وتلبية رغباتهم في حدود العقيدة والشريعة.

وهكذا تحقق فائدة ملموسة في حياتهم اليومية ومن أهم هذه الحاجات التي يجب أن يشعها الإعلام ما يأتي:

---

(1) رواه البخاري في باب "من خصص بالعلم قوماً دون قوم كراهية أن لا يفهموا" رقم 49 حديث رقم 127 - فتح الباري.
(2) قول ابن مسعود رواه مسلم 1 ص 76 (باب النبي عن الحديث بكل ما سمع).
(3) إبراهيم إمام (الإعلام والاتصال بالجماهير) ص 226.
(4) زين العابدين بن الركابي "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص 325.
الفصل الأول: ماهية الكيفية النفسية

- الحاجة إلى المعلومات والتسليط والترفيه.
- الحاجة إلى الأخبار حول مشكلات الساعة.
- الحاجة إلى رفع مستوى المعارف والثقافة العامة.
- الحاجة إلى دعم الاتجاهات النفسية وتعزيز المبادئ والقيم والمعتقدات.

ويلخص إبراهيم إمام بعض الملاحظات على المضمن الإعلامي ويظهر في الجماهير مستشفى بالبحث التي أجريت حول مضمون الرسالة الإعلامية ومضمون الاتصال ويمكن إجمال نتائج هذه البحث فيما يلي:

أ) في حالة عرض قضية ما على جمهور مثقف ثقافة عالية، يجب تقديم وجهت النظر المختلفين، أما في حالة الجمهور الأمي أو قليل الحظ من الثقافة، والذي يميل إلى القضية أصلاً، فكفي عرض وجهة النظر المستهدفة فقط.

ب) يجب أن يلتزم الإعلامي بالموضوعية، وأن يبتعد عن الحياد الظاهري والانحياز المستقر لوجهة نظر واحدة، لأن الحياد الظاهري والانحياز المستمر يؤديان إلى خداع الجمهور وانصرافه عن الرسالة الإعلامية وشcke في مضمونها.

ج) يعتبر عرض وجهة النظر معاً (أي وجهة النظر المعضدة، وجهة النظر المعارضة) بمثابة "تحصين" للجمهور ضد التحول إلى وجهة النظر الأخرى حين تعرض عليه. أما إذا الذي الجمهور علناً وجهة نظر تم الاتفاق بها في إطار من الحرية فإن تعرض الجمهور لوجهة نظر واحدة يصبح كافياً.

د) تزداد قوة تأثير المضمون الإعلامي في تحول الرأي عند الشرح والتصريح بالاستنتاجات أكثر منها عند العرض والتلميح فقط.

ه) وكلما كان طريق تحقيق الأهداف واضحاً محدداً أمام الجمهور كان تحول الرأي إلى سلوك أسهل وأيسر.

(1) حامد زهران (علم النفس الاجتماعي) ص 203.
وكلما زاد استخدام التهديد والتخويف كأداة للتآثر في الرأي وتحويله أحدث أثراً قليلاً، وكلما قل استخدامه فإن ذلك يحدث تآثراً أكبر. لذلك وجد أن التهديد الشديد يعرق عملية التعلم ويقلل التآثر بالمعلومات نظراً للاستغراق في عناصر التهديد الشديد.

(1) يؤثر التكرار تأثيراً قوياً في إقناع الجماهير بالرسالة الإعلامية بشرط أن يكون متغيراً متنوعاً ولا يصل إلى حد الإلحاح والضيقة والمباردة حتى لا يحدث أثراً عكسياً.

(2) يؤدي الإعلان عن الاستجابات الناجحة للرسالة الإعلامية إلى مزيد من الاستجابات الناجحة الجديدة.

(3) الاستناد إلى الحاجات النفسية وإشباعها، والدوافع النفسية للسلوك البشري ومقابلتها يسهل العملية الإعلامية، أمّا خلق الحاجات النفسية جديداً والبحث على اكتسابها وتعلمها فإنّه يكون أصعب بكثير.

ي استغلال الاتجاهات النفسية السائدة وأفكار السلوك الحالية يساعد في التحول إلى أهداف جديدة.

وبهذه الفقرة .. نكتفي من العوامل المؤثرة في السلوك، وهناك عوامل أخرى كثيرة، مثل الإدرار والتعليم وغير ذلك من العوامل، والتي منها ما كان في أبواب هذا البحث مثل الدعاية، والشاعة، وغسل الدماغ (أي أسلحة الحرب النفسية الشهيرة) وما ذكرناه على سبيل المثال لا الحصر، لأن كل فقرة من هذه العوامل تحتاج إلى بحث مفصله.. وأرجو أن يكون قد أعطيت تصوراً واضحًا لهذه النقطة.

(1) علم النفس الاجتماعي د. زهراً ز. ور 2001-3 (ناقل الإعلان والاتصال بالجماهير) د. إبراهيم إمام).
المبحث الثالث
علم النفس العسكري والحرب النفسية

أولاً: علم النفس العسكري:

علم النفس العسكري أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، ولا بد من إلقاء نظرة عليه لأهميته البالغة في دراسة أسس السلوك والتفاعل الاجتماعي بين الأفراد والجماعات والوحدات العسكرية في وقت السلم ووقت الحرب، وفي عملية التعليم وفي تصميم المواقف التدريبية، وفي العلاج النفسي للحالات المرضية التي يمكن أن تصيب رجال القوات المسلحة أثناء المواقف التدريبية أو في المعارك الحربية (1).

وبإلقاء نظرة على اهتمامات علم النفس العسكري الآثمة تستطيع التوصل إلى المدلول الحقيقي له، وإن كان لنا بعض الملاحظات على هذه الاهتمامات وتقويمها فستكون بإذن الله من خلال دراستها بإيجاز. والدخول بعد ذلك في موضوعنا "الحرب النفسية" بعد أن نكون قد حددنا القاعدة النظرية لهذه الحرب.

فعلم النفس العسكري يهم بـ:

أ) دراسة السلوك الاجتماعي للأفراد في الجماعة الصغيرة والوحدة الكبيرة، ومن ثم إكسب الفرد الأساليب السلوكية الجديدة التي عليه أن يلتزم بها في الحياة العسكرية التي تختلف عن أساليب السلوك في الحياة المدنية. وإن كان لنا تقد للسلوك العسكري في بعض الأنظمة العربية، والمأخوذة ابتداء من الأنظمة الغربية، "الإنجليزية والفرنسية بشكل خاص"، هذا السلوك الذي ظاهره النظام والطاعة للقائد، وباطنه التحلل من كل قيم الأخلاق والدين. إذ إن مبدأ الطاعة العمياء للقائد، أو للأمر العسكري لا يحمل له في التصور الإسلامي. إذ «لا طاعة لمخلوق

(1) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص. 28.
في معصية الخالق» والجانب الإيجابي في الطاعة هو الطاعة في الخير، وهو أمر إلهي:

{ "يَبْتَغُواْ الَّذِينَ أُمِينُواْ أَطْلِعُواْ اللَّهَ وَأَطْلِعُواْ الرَّسُولَ وَأَطْلِعُواْ آمَنُواْ ذُكُورُ وَمُنْكَرُ نَعْدُسُوسَ " (طَعَاءٍ 9:11)

أما النظام والتدريب، والجنودية الدائمة في السلم والحرب، فيعطيها الإسلام الأهمية الكبيرة لبقاء شعلة الجهاد في المسلم مستمرة.

ب) دراسة الجماعة العسكرية، وأهمية هذه الجماعة في القتال، إذ تتعطى الفرد قوةً كبيرةً... وهو لا يتحمل ضغط المعركة بمفرده، لذا حض الإسلام على القتال في الجماعة المتراصة، وشبهها بالبنيان المرصوص الذي لا خلل فيه ولا فجوة: {إِنَّ اللَّهَ يُحَبِّبُ الَّذِينَ يَقِيمُونَ الصَّالِحَاتِ فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنُّهُمْ بَيْنَ يَدَيْ بَنِي مَرْتُوسٍ} (النور 24:43) وتقوم الجماعة بتزكية الفرد إن زل عن الطريق، وتأخذ بيده وتعينه على مواجهة فتن الحياة.

ج) دراسة التفاعل الاجتماعي بين أفراد الجماعة والقيادة وبين الجماعة والجماعات الأخرى، كيف تكون علاقة الأفراد بالقائد؟ هل هناك معايير سلوكية محددة منضبطة أم أن العلاقات تختلف حسب الأفكار والعقائد المختلفة؟

وإن علماء النفس العسكري يقولون إن دراسة التفاعل الاجتماعي بين الفرد والجماعة لا بد أن تقوم على أساس علمي وليس على أساس الإرتيجاء، فنحن نحتاج إلى معرفة النظريات العلمية التي تعلدها وتهذب وتوجه تفاعلنا مع الآخرين سواء كانوا قادة أو رفاق جهاد. إن مثل هذه المعرفة تفيد في فهم السلوك الحاضر والتنبؤ بالسلوك في المستقبل. إن الفرد في تفاعله مع الجماعة يجب أن نسبه أمام مسائل عديدة منها علاقاته مع الأفراد الآخرين في الجماعة سواء كان جندياً أو ضابطاً أو قائدًا، وعليه أن يشترك مع الجماعة في كثير من أوجه السلوك في التدريب وفي الميدان وفي الحياة اليومية وحتى في الترفيه.

المصدر نفسه ص 79.
د. دراسة نفسية «سيكولوجية» القيادة: فيجب على الضابط باعتباره قائدًا دراسة نظريات القيادة ومبادئها وأنواعها، وعلى أنه يعرف دوره في الجماعة ووظائف القيادة، وإعداد وتدريب القيادة. يجب أن يعمل القائد جهد طاقته حتى تصبح الحياة العسكرية حياة حماة إلى نفس الأفراد. إن القيادة الحقيقية هي الإحساس بمشاعر الأفراد ومطالبهم وتعبر عنها وإيجاد الوسائل لتحقيقها وتقديم القوى وراء الجهود المحقة لها. لذلك فلابد للقيادة أن تعي دورها الاجتماعي، في التوجيه والتدريب، وحسن القيادة، وعمل في تاريخنا الإسلامي العظيم أمثلة حية هذه القيادة الفاضلة.

ه) دراسة الروح المعنية للفرد المقاتل ودورها في النصر والهيبة، يقصد بالروح المعنية القدرة على البقاء والاستمرار، والجهاد الطويل عن تصميم ورغبة، وإن علماء النفس العسكري نظرًا إلى أهمية الروح المعنية بعد تجارب أظهرت لهم أن الجنود ذوي الروح المعنية المنخفضة، يحاربون بضعف ويهزمون بسرعة ويتكونو نسبيًا إصابات أكثر من الجنود ذوي الروح العالية. إلا أن الصخرة الفاسية التي وقفت في طريق علماء النفس العسكري والقادة العسكريين هي كيفية تنمية الروح المعنية لدى المقاتل؟ وكيف يجعله ذا روح قتالية مستمرة، وصلبة؟ وإنما توصلنا إليه يبدو جزئيًا في هذا المجال، وعمدوا إلى أمور سطحية ومادية، لا تسمن ولا تغني من جوع، اللهم إلا في مواجهة قوات من صنف القوات المقاتلة لها من حيث الفراغ الروحي والاعتماد على القوة المادية فقط. يرى بعض الباحثين أن «تنمية الروح المعنية وتطويرها من أهم المشكلات التي تواجه القيادات العسكرية وأصعبها، فهي تعتمد على عدد كبير من العوامل بعضها خفي ولا يمكن قياسه بدقة. ولكن يبدو أن تقوية الروح المعنية عمل يعتمد

المصدر نفسه ص 29.
أساساً على عوامل حيوية لدى الجنود وعلى الدافعية والثقة بالنفس وقوة الإرادة(1).

وتساءل من: ما هي هذة العوامل الحيوية والدافعية، ومن أين تولد؟ هل من القوة الجسدية أم من مصادر أخرى كالعقيدة والمبادئ الفكرية؟ ولو رجع هذا الباحث إلى التاريخ الإسلامي .. ودرس قوة الروح المعنوية عند جند الله في فتوحاتهم. وغزواتهم .. وما يتمتعون به من الشجاعة والصبر وقوة البأس، على قلة عددهم وعدهم، في مواجهة قوى كبيرة وكبيرة جداً كقوى الفرس والروم .. ومع ذلك انتصروا .. لنعرف أن الإيمان هو سبب ذلك كله، الإيمان الصادق بالله .. والجهاد في سبيله، والاندفاع لتحقيق النصر أو الشهادة .. ولا أريد أن أسترسل في هذا المجال لأن تاريخ الإسلام يفيض بهذه البطولات ..

والذي لا ريب فيه أن الخوف هو العدو الأول للروح المعنوية العالية، وأنه لا تنمية للروح المعنوية ولا تقرية لها إلا بتزعج الخوف من القلوب، والرعب من النفوس، وقد حقق الله - عز وجل - ذلك للمؤمنين. قال تعالى: »مَتَّهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا خَافُونَ لَوْمَةً لَّا يُؤْتَىُوهَا* (المائدة: 101)«. وقد بين الله تعالى أن الشيطان هو مصدر الخوف: »إِنَّمَا ذَلِكَ مِنْ آتِيَاتِ اللَّهِ وَالشَّيْطَانِ مَخْتَوَقَ أَوْلَاهُمْ، فَلَا تَخَافُوْهُمْ وَخَافِفٌ إِنْ كَتَبَ مُؤْمِنِينَ* (الأعراف: 176)«.

الحرب النفسية من غايتها الكبرى قبل المعركة زرع الخوف في قلوب الأعداء. قال تعالى: »وَخَفُّوْنِ فَلَنَّكُمْ بِالْخُفُوْفِ مِنْ دُوَاهُمْ* (الزمر: 31) فَلَنَا لا تَخَفِّ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى* (اللهم: 87)«. وقال تعالى في إعداد القوة لزرع الخوف في قلوب الكفار: »وَأَعْدِواْ لَهُمْ مَا أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ زَيْنَاطٍ أَلْحَيْلِ تُزَهِّبُوهُ بِهِ عَدُوٍّ اللَّهِ وَعَدُوُّ حَكَمٍ* (الأعراف: 10)«.

(1) الحرب النفسية - مقال في مجلة العربي العدد 117، 1967 م. د. عبد الله ناصر - (عدد جمال الأول 1388هـ).
فلمؤمن الصادق المجاهد، عندما يعتقد يقيناً أن الله معه، وهو ناصره على أعدائه،
وإن استشهد فهو حي في الجنة، كيف له بعد ذلك أن يخف ويرهب الأعداء،
ويهرب من المعركة. كيف لا تكون روحه المعوية عالية.
أما التوصيات العديد من التي ينص بها القادة لرفع الروح المعوية لجنودهم ما
هي إلا أمور ثانية، لا بأس بها من حيث حسن سلوك القائد مع جنوده؛ كالإغراء
المادي، والثناء الشخصي، وعدم احترام وإهانة، والتدريب المستمر، والعمل مع
الجماعة، كل هذه الأمور حسنة، ولكن ليست هي الأساس في رفع الروح المعوية
كما ذكرنا آنفاً.

هذه هنالك الاهتمامات الرئيسة لعلم النفس العسكري، ولقد قام علماء النفس
ببحث عديدة أثناء الحرب العالمية الثانية لكشف اتجاهات الجنود وموهومهم،
واستخدموا مقاييس عديدة تستخدم في اتقاء أفراد القوات المسلحة من جنود
وطلاب وضباط وتدريبهم وتوزيعهم على الوحدات والأسلحة المختلفة، ومن
أمثلة الدراسات في هذا الصدد ما قام به "فرنون وباري" عام (1949) في القوات
المسلحة البريطانية(1).

ولقد أخذت الدول بأحداث الأساليب في اتقاء وتدريب الأفراد في
القوات المسلحة فأنشأت معمل علم النفس العسكري لتحقيق مبدأ وضع الرجل
المناسب في المكان المناسب، على أساس الاختبارات النفسية الفائقة، ليعمل كل وفرد
في القوات المسلحة العمل الذي يتلاءم مع استعداداته النفسي، وقدراته العقلية
والجسمية(2).

وهكذا نجد أن علم النفس العسكري لم يتم إلا أثناء وبعد الحرب العالمية الثانية
وإشراف الناتو، وتسليطالدول المتحاربة في الحرب النفسية بشكل علمي ومدروس، ومن
هذا أثناء كلامنا عن تاريخ الحرب النفسية بإذن الله.

(1) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص 28.
(2) المصدر نفسه ص 28.
الحرب النفسية:

ثانياً:

بعد أن ألقينا نظرة على علم النفس الاجتماعي، وعرفنا اهتمامه بالسلوك الاجتماعي والتفاعل الاجتماعي، وفسير السلوكي بالدوافع، والقدرة على تعديل الدوافع وتوجيهها، وانخرطنا إذن فتح لنا سبيل الانخراط، ورأينا العوامل المؤثرة على هذا السلوك، وعرفنا علم النفس العسكري بصفته أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس الاجتماعي، نستطيع الدخول في صميم الموضوع، موضوع الحرب النفسية، علمًا بأنه ليس إلا موضوعًا مهماً من موضوعات كل من علم النفس الاجتماعي وعلم النفس العسكري، وعندما نعرف أن الحرب النفسية هي حرب غايتها تغيير السلوك وميدانها هو الشخصية، يظهر جلياً أهمية دراستنا للسلوك والدوافع قبل ذلك.

ولكي نتوصل إلى المدلول الواضح للحرب النفسية، لا بد من دراسة تطورها من قبل الحرب العالمية الثانية حتى اليوم، أي منذ وجود الحرب النفسية كفن وتطبيق واصطلاح .. أما عن وجودها الفعلي فهي موجودة منذ فجر التاريخ ويعبر مختلفة، وسبب مبتها في الفصل الثاني من هذه الدراسة بإذن الله.

وقبل بدء البحث يجب أن نعرف أن الحروب نوعان:

- حروب تقليدية تستخدم السلاح.
- وحروب لا تستخدم السلاح مثل: الحرب السياسية والاقتصادية والنفسية.

ولقد قال ﷺ: "جاهدوا المشركين بآموالكم وأنفسكم والستكم". (1)

والحرب النفسية أخطر أنواع الحروب، فهي حرب تغير السلوك، وميدان الحرب النفسية هو الشخصية، وهذا فإن هذه الحرب تستخدم علم النفس بصفة

---

(1) حديث صحيح (مسند أحمد، أبو داود، والسني وابن حبان والحاكم) عن أنس رضي الله عنه.

ارجع إلى صحيح الجامع الصغير ج (344) للألباني.
عامة، وعلى النفس العسكري بصفة خاصة لإحراز النصر. وتعتبر الحرب النفسية
أضمن سلاح تستخدمه الدول في الحرب الحديثة لأنها تقوم بالدور الفاعل في قتل
إدارة الخصم وتحطيم معنوياته والحصول على استسلامه(1) .. ومعرفتنا للحرب
النفسية ومدلوها تعنينا درساً في الحرب النفسية الدفاعية لتثأر بسلاح العدو
مؤثراً فيها.

ولكن تعريفات الحرب النفسية اختلفت، وذلك حسب الغاية التي تسعى إليها،
بالإضافة إلى تطور مدلولها على مر السنين وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية.
وقد وردت عبارة "الحرب النفسية" لأول مرة في مؤلف لكاتب مالي وهو
(الكولونيل بلاو) وكان رئيساً للمعمل النفسي بوزارة الدفاع وقد أصدره عام
1935م بعنوان "Propaganda ale wathe"

ثم شاعت عبارة "الحرب النفسية" خلال الحرب العالمية الثانية من قبل
الحلفاء ودول المحور على السواء، وكانت تعبر عن الدعاية المبنية على الاستفادة من
دروس علم النفس، وفي أمريكا أول من استخدم هذه التسمية بصفة رسمية عنوان
الكتاب هو (بول لا ينبارجر) ثم (دانييل يدنز) في كتابه "الحرب النفسية ألمانيا" في
عام 1954م (3).

ومن بين أول التعريفات للحرب النفسية في الجيش الأمريكي: "هي استخدام
أي وسيلة بقصد التأثير على الروح المعنية وعلى سلوك أي جماعة لغرض
عسكري معين" (1)، ثم عرفت في معجم المصطلحات الحربية للجيش نفسه:
الحرب النفسية: هي استخدام خطط من جانب الدولة في وقت الحرب أو في

(1) علم النفس الاجتماعي - زهرا - ص 353-354.
(2) مجلة السياسة الدولية - 6 أكتوبر 1967 - القاهرة - مقال بعنوان "الرأي العام الدولي
والسلوك السياسي". د. حامد ربيع . أستاذ العلوم السياسية المساعد في جامعة القاهرة.
(3) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج 1 ص 90 - دار القاهرة ط 1/1967 م.
(4) المصدر السابق ص 92.
وقت الطوارئ لإجراءات دعائية، بقصد التأثير على آراء وعواطف وموافقة وسلوك جماعات أجنبية عدنانية أو محايدة أو صديقة بطريقة تعين على تحقيق سياسة الدولة وأهدافها(1).

وقد عدل هذا التعريف في طبعة المعجم اللاحقة بجهد كمبي في "في وقت الحرب أو في وقت الطوارئ" لأن مجال الحرب النفسية لا يقتصر على هذه الأوقات(2).

وهناك نسخة خطيّة للبحرية الأمريكية أُعدت عام 1942م وأعيدت كتابتها عام 1950 جاء فيها "إن المهجة الأساسية للحرب النفسية هي فرض إرادة على إرادة العدو بغرض التحكم في أعماله بطرق غير الطرق العسكرية، ووسائل غير الوسائل الاقتصادية.

وعمليات الحرب النفسية قد تكون قصيرة المدى وقد تكون بعيدة المدى وأنواع نشاطها القصير المدى يشمل: 
أ) الدعاية الإستراتيجية.

ب) دعاية القتال.

ج) نشر الأخبار.

د) خداع العدو بطريقة منظمة محكمة.

ه) دعاية سرية، وتتضمن الحرب النفسية البعيدة المدى: "نشر الأخبار بطريقة مستمرة ووسائط شتى بغرض مساعدة السياسة الخارجية للدولة ورفع سمعتها والحصول على العطف والتأييد"(3).

وعندما نجمع بين التعريفين السابقين مع التعديل الذي طرأ على التعريف الأول يتضح أمامنا:

__________________________________________________________________________

(1) نفس المصدر ص 92.
(2) نفس المصدر ص 92.
(3) المصدر السابق ص 94.
الفصل الأول: ماهية الحرب النفسية

أ) أن من بين عناصر الحرب النفسية خداع العدو بطريقة منظمة ومحكمة، في الحرب والسلم على السواء. وقد يكون الخداع سائغاً في الحرب. أما في السلم فلا تجيزه شريعة من الشرائع، ولا أمة عندما أخلاق إلا إذا كانت هذه الأمة تتبع سبيل:

»الغاياس تبرر الوسيلة» على مذهب مكافيلى (١).

ب) أن الحرب النفسية كانت مرتبطًة بالقتال المسلح، ثم أصبحت إحدى خصائص العالم المعاصر بعد عام 1948م بالرغم من عدم وجود قتال مسلح. وأخذت أسماء متعددة: مثل الحرب الباردة أو الحرب السياسية أو حرب الدعاية.

ج) أن الحرب النفسية تقوم على الدعاية، ولذا كان تعريف الدعاية في تصور هؤلاء يمثل تعريف الحرب النفسية، وهذا كانت الدعاية إحدى أسلحة الحرب النفسية. كما سنرى مستقبلاً إذن الله، لأن مضمون الدعاية هو ضموم الحرب النفسية من حيث اعتماده على الخداع والتمويه; فالدعاية تقوم على أساس فكرة

»الاستخدام المنظم لوسائل الاتصال لتوجيه شخص أو أكثر وتغيير رأيه أو التعديل فيه استناداً إلى حجج أو أساليب تتضمن نوعاً من التمويه والتضليل في الحقيقة المجردة (٢)

د) أن الدعاية قد تسعى للإقناع ولو بأساليب غير نظيفة. إلا أن الحرب النفسية تعد من أسوأ الصور للدعاية السياسية. فهي:

١ - لا تسعى للإقناع ولكن غايتها الوحيدة تحطيم القوة المعنوية للخصم موضع الهجوم.

٢ - أنها لا تتوجه إلا إلى خصم، سواء كان الخصم محلياً أو أجنبياً، على أن الصورة العادية للحرب النفسى هي الخصم الأجنبي (٣).

١) مكافيلى صاحب كتاب "الأمير" المشهور.

٢) الرأي العام والسلوك السياسي "مقال حامد ربيع في مجلة: السياسة الدولية" ص ٩٤.

٣) المصدر السابق ص ٩٥.
بالإضافة إلى ما تقدم في تعريفات الحرب النفسية، نجد أنها تتخذ صوراً كثيرة في الحياة المعاصرة، وخاصة بعد الصراع العقائدي بين الشرق والغرب، وهذا ما يجعل تعريفاتها تتنوّع وتضيق حسب الغاية المرجوة منها، وحسب المواقف والعلاقات الدولية.

ومن الأسماء المتعددة للحرب النفسية، الحرب العقائدية، حرب الأعصاب، الحرب السياسية، الحرب الباردة، حرب الأفكار، الحصول على عقول الرجال وإرادتهم، التسليم السياسي. إلخ.

واسم الحرب السياسية بالذات تسمية بريطانية للحرب النفسية: تعريف الحرب السياسية في الصحيفة الرسمية التي تصدرها الحكومة البريطانية «أنها شكل من أشكال الصراع بين الدول يسعى كل جانب منه أن يفرض إرادته على خصمه بطريقة غير طريقة القوات المسلحة، ومن الناحية العملية يمكن أن يقول: إن السلاح الرئيسي للحرب السياسية هو عملية مشتركة بين الدبلوماسية والدعاية»(1).

وكتب جون سكوت وهو مؤلف أمريكي كتاباً أسماه «الحرب السياسية دليل للتعاويش التنافسي» يعرف الحرب السياسية فيه: «إنها تتضمن الأنشطة التي يطلق عليها الجيش حرباً غير تقليدية» وبينه هدف الحرب السياسية والذي لا يخرج في كثير ولا قليل عن هدف الحرب النفسية يقول: «إن الهدف الأساسي للحرب السياسية المدمرة هو إضعاف العدو وإذا أمكن تدميره بواسطة استخدام المناورات الدبلوماسية والضغط الاقتصادي والمعلومات الصحيحة والضللة والإثارة والتخويف والتمرير والإرهاب وعزل العدو عن أصدقائه ومؤيديه»(2).

ويقول في هذا الكتاب: «ومن الوسائل الكبرى التي تستخدم عند شن حرب سياسية نقل الأفكار»(3) ويوضح لنا هذا التعريف الهدف من الحرب السياسية أو

---

(1) الحرب النفسية - صلاح نصرج 1 ص 96.
(2) المصدر السابق ص 97.
(3) المصدر السابق ص 97 أيضاً.
النفسية وآساليّتها، دور التخويف والإرهاب والكذب، والتفضيل في هذه الحرب، بالإضافة إلى دور الغزو الفكري في تهديد الطريق لهذه الحرب، ولعل المسلمين الذين عانوا من الغزو الفكري أكثر مما تعلَّق به شعوب الأرض على الإطلاق، أكثر وعيًا لهذه الحرب التي تشن عليهم بشكل دائم من الشرق والغرب على السواء.

أما مصطلح «الحرب من أجل السيطرة على عقول الرجال» الذي هو اسم آخر للحرب النفسية فلا يتم هذا إلا بتغيير سلوك الإنسان الذي هو هدف الحرب. أما كيف يتم هذا التغيير، فقد رأى البعض أنه لا يتم إلا بعملية غسيل النيوخ أو عمليات تغيير الشخصية بوسائل «فسيولوجية» أو غيرها من الوسائل المباشرة أو غير المباشرة، أو إعادة البناء الذي أو التكتيك السيكولوجي» وفكرة غسيل النيوخ من الله كسلاح من أسلحة الحرب النفسية مفصلا.

أهداف الحرب النفسية: يتضح مفهوم الحرب النفسية أكثر من خلال تبيان غايات الحرب النفسية وأهدافها في الحياة المعاصرة. وهذه الأهداف لا يمكن أن تتعدى واحداً من أربع وهي:

1- تجنب إمكان الخصم بعقيدها السياسية.
2- تجنب الوحدة النفسية للخصم العقائدي.
3- استغلال بعض الانتصارات التي توصل إليها الطرف المهاجم، واتخاذ هذا النجاح الذي لم يستطع الخصم الوصول إليه وسيلة لإضعاف الثقة في عقيدة هذا الآخر التي لم تسمح له بجعل هذا النجاح.
4- رفض دعوية أو حملة خلافة.

ولتحقيق هذه الأهداف يلجأ الخصم إلى وسائل مختلفة، وقد ساعدت وسائل الاتصال الحديثة في ذلك. ومن هذه الوسائل الدعاية والشائعة. وليس ضرورياً.

(1) مقال: الرأي العام الدولي والسلوك السياسي. حامد ربيع ص 95 مجلة السياسة الدولية- أكتوبر 1917 القاهرة.
نجاح الخصم في أهدافه، بل قد تؤدي الدعابة إلى عكس ما يراد لها كما سئر في
جهذا للدعاية. وخاصة إذا كان الخصم أمة داعية مؤمنة بمبادئها، محصنة ضد الحرب
النفسية الموجهة من عدوها، روحها المعنوية عالية بإيائها وثباتها على الحق.
الفصل الثاني
نظرة تاريخية

المبحث الأول – ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام
وفي العهد النبوي.
أولاً – ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام.
ثانياً – الرسول ﷺ والحرب النفسية.

المبحث الثاني – صور من الحرب النفسية:
أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ.
ثانياً: الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما.
ثالثاً: الحرب النفسية المعاصرة.
المبحث الأول
ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي

أولاً - ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام: إن ظاهرة الحرب النفسية ليست جديدة، إن قلنا إنها ليست إلا الجانب المعنوي من القتال بين الشعوب، فمنذ أقدم العصور عرف قواد المعارك أهمية إطلاق الشائعات لضعف الروح المعنوية أو على الأقل خلق صورة من الارتباك التي كثيراً ما توجد عدم الثقة بالنفس والإيجاء مقدماً بالمخاطرة، ومن ثم يكون نصف المعركة قد تم دون إزالة أي نقطة من الدماء.

وكذلك استخدام القادة الخداع والخيل المختلفة لإثارة الفتنة، وتقريب المجتمعات بعضها عن بعض، والظهور بظهر القوة لإرهاب الآخرين.

وهذا الأساليب في الحرب النفسية في صورته القديمة ما زالت حتى الآن هو أسلوب الحرب النفسية في الوقت الحاضر، إلا أن الوسائل ترقت وتعددت بوجود وسائل الإعلام المتعددة المسموعة والمرئية والمكتوبة.

وإن أهم هدف تسعى إليه الحرب النفسية قدماً وحديثاً هو زرع الخوف في نفس من توجه إليه، لأن أفعال الخوف نفسها متعلقة بسرعة حب الحياة وكرامة الموت... ويرتبط على الحدث الحرب في المعارك، وفي غيرها عدم الشعور بالأمن والاستقرار والحياة بقلق دائم...

لذلك كان من نعم الله عز وجل على قريش - وحتى في حالة إشراكهم بالله - نعمة الأمن من الخوف، لأنهم أهل الخوف فليعبدون زب هدنا البيت آلذك

ارجع إلى مقال الرسائي العام الدولي والسلوك السياسي - د. حامد ربيع، مجلة السياسة الدولية 6 أكتوبر 1966.
أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف <br/>بالمقابل أذاق الله عز وجل الكافرين والظالمين أنفسهم لباس الجوع والخوف <br/>وفي قصص الأمم السابقة صور لاستخدام الحرب النفسية في هزيمة الأعداء، وهي كثيرة ولا ندري مدى صحتها وقد تناولها بعض الكتاب بشكل مفصل ومطول دون أن يرجعنا إلى سند تاريخي، وبعضها يرجعنا إلى التوراة، والتوراة بصورة الحالية لا تعد سندًا تاريخيًا موثقاً لما أصابها من التحريف على يد أحباب اليهود. وإن القرآن الكريم هو أصح مرجع صحيح يكمن الاعتماد عليه، حيث إنه لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد حفزه الله عز وجل على مر القرنين من التبديل والتحريف.

عم القصص القرآنية التي تدل دلالة واضحة على تأثير الخوف في النفوس التي لم تكن إلا إيمانًا، ومن ثم ترتد على أديارها خاسرة، من هؤلاء قوم موسى عليه السلام في فترة من فتراتهم، وذلك عندما أمرهم نبيهم بدخول الأرض المقدسة، فامتقوا من دخولها خوفهم من سكانها الجبارين ذوي القوة الجسدية الكبيرة، قال تعالى يصف هذه الحادثة: نٍّبَّقوُّو آذَّلُوا الآلَٰى الْأَرْضَ المُقْسَمَةَ الَّتَيْ كَتَبَ ﷺ لَّكُمْ وَلَا تَرْتَدُوا عَلَى أَدِبَارُكُمْ فَتَنَفَّسُوا حَسِيبٌ قالوا يُنَمَوسَى إنَّا وُسِعَتْ قُوَّتُكُمْ إنّا همُّ نُبْلِئُكُمْ <br/>ارجع إلى الحرب النفسية - صلاح نصرج 1 ص 55
فيها قوما جبائر، وإنما لن ندخلها حتى نخرجوا منها فإن نخرجوا منها فانّما
دحلن === قال رجلان من الذين تخافون أنعم الله عليهما أدخلوا عليهم
الباب فإذا دخلتموه فإكم غلبون وعلى الله فتوكلوا إن كنت مؤمنين
قالوا بنموسي إنما لن ندخلها أبداً ما داموا فيها فادْعِهِ أن تزلف فإن
هينم فبعد من === قال رب إنه لا أملك إلا نفس وأنا فاقترب بيننا ونبر
القوم الفرسقين قال فإنها محرمة علىهم أربعين سنة ينهاون في الأرض
فلأنااس على القوم الفرسقين 7
[الصمد 21: 27]

 وإن القصة التي بوردها ابن كثير لتوضيح سبب خوف بني إسرائيل من القوم
الجابرين، وإن كانت القصة رواية إسرائيلية «في سندها نظر» على حد تعبير ابن
كثير - رحمه الله - إلا أنها تبين تأثير الرمز في النفس الإنسانية، والرمز يُغني عن
الكلمات الكثيرة في مجال الحرب النفسية.

«أمر موسى أن يدخل مدينة الجبارين فسار موسى بن معه حتى نزل قرباً من
المدينة وهي (ارجاء) فبعث إليهم أربعين عيناً من كل سبي منهم غنيين ليثوبوه بحبور
القوم فدخلوا المدينة فرأوا أمراء عظماً من همهم وجسمهم وعظمهم فدخلوا
حائطاً لبعضهم فجاء صاحب الحائط ليجتني الثمار من حائطه فجعل يجتني الشمار
وينظر إلى آثارهم فتبينهم فكلما أصاب واحداً منهم أخذه فجعله في كمه مع
الفاكهة حتى النقط الثالث عشر كلهم فجعلهم في كمه مع الفاكهة وذهب بهم إلى
ملكهم فشتراه بين يده، فقال لهم الملك: قد رأيت شائنا وآمرنا فأذحوا فأخلاروا
صاحبكم، فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما عانوا من أمرهم». وفي رواية أخرى
فأعطوه حبة من عنب تكفي الرجل فقالوا لهم: اذهبوا إلى موسى وقومه فقولوا
هم: هذا قدر فاكهتهم «وطبعاً فوق كسر حجم الفاكهة رمز يدل على قوتهم
وعظمتهم... فرجعوا إلى موسى فأخبروه بما رأوا فلما أمرهم موسى عليه السلام
بالدخول عليهم وقاتهم، قلوا: يا موسى اذهب أنت وربك فقالنا إذا هاجنا
قاعدون(1) وقولهم هذا كان نتيجة الخوف الذي زرعه العيون الذين أرسلوا وكانوا وسائل لدعوة العدو. وهكذا نجد أنه عندما يضعف الإنسان يضعف أعدائه، ويتحكم به الخوف، فيجين ويولي مديراً، مؤثراً السلامة المؤقتة على السعادة الأبدية والأمان الزائف على النصر والعزة.

وفي مقابل هذه القصة، نجد أن الحرب النفسية تصبح كلمات جوفاء بوجود الإيمان الصادق والعزيمة الثابتة في قصة أصحاب الرسول ﷺ قبل وقعة بدر الكبرى. قال ابن إسحاق: وما رأى أبو سفيان أنه قد أحرز عريضه أرسل إلى قريش أنكم إذا خرجتم لتنعموا عيركم ورجالكم وأموالكم فقد نجاها الله فارجعوا، فقال أبو جهل بن هشام: والله لا نرجع حتى ترى بذراً (وكان بذر موسماً من مواسم العرب تجتمع لهم به سوقٍ كل عام) فتقيم على ثلاثة فتحار الجزر، ونطع الطعام، وتستقي الخمر وتعزف علينا القيان، وتسمعُنا العرب ومسيرنا وجمعنا، فلا يزالون يهجروننا أبداً بعدها فاضموا(2). ولم يرهب صحابة رسول الله ﷺ من قوله هذا.

وهذا يظهر واضحًا من قول المقداد بن عمرو رضي الله عنه لرسول الله ﷺ، والرسول يستشير أصحابه وقد علم بخروج قريش والجمع الذي جمعوه.

يا رسول الله إمضا لما أراك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: فاذدهب أن وربك فقاتلا إننا ها ها قاعدون ولكن إذدهب أن وربك فقاتلا إننا معكما مقاتلون، فوالذي بعثك بالحق لو سوت بنا إلى برك الغماد(3) لجالدنا معك من دونه حتى تبلغه، فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له(4).

------------------
(1) تفسير ابن كثير ج 2 ص 38 تفسير سورة المائدة.
(2) سيرة ابن هشام ص 258ج 2 - دار الفكر.
(3) برك الغماد: موضع في اليمن.
(4) سيرة ابن هشام ج 2 ص 253 وكذلك البداية والنهياء لابن كثير ج 3 ص 262.
وفي قصة موسى عليه السلام مع فرعون، تلمس أيضاً بعض أسلحة الحرب النفسية مثل الدعاية الكاذبة والفكر والصرح، وإن كانت الوسائل بدائية خالفة عن الوسائل الإعلامية الحديثة، إلا أنها كانت تؤدي الغرض المرسوم لها، فردوه مكرههم وسحرهم وبالأيام علواً عليهم ونهبوا فرعون تعبر عن نهاية الطغاة على مر العصور.

هذه الأسلحة التي أشارنا إليها نستطيع إيجازها بما يلي:

1. الدعاية والإدعاء الكاذب: فرعون مصر على ظله وجبوره واستعداده لعباد الله يرى أنه على الحق، وأنه يهدى قومه سبيل الرشاد، والخير والصلاح. فما أريك إلا ما أرى وما أهديك إلا سبيل الرشد.

وهل طغاة اليوم البعيدون عن شريعة الله وهداه، إلا صورة مكررة من فرعون موسى عليه السلام، الذين يظنون أنفسهم على حق وغيرهم على باطل. وأنهم هم المصلون وغيرهم هم المفسدون.

2. مقابلة الحق والهدى بالضلالة والخيانة والصرح: وفرعون يقابل الحقائق الإلهية التي أتى بها موسى عليه السلام ومعجزاته بصرح خادع للعيوب، وهم يخليون لاستشمار الآخرين، وزوروهم عن الحق، وما أكثر ما استعمل أشكال الحرب النفسية لإهراء الآخرين، وتوسيعهم بأسلوبهم من الفكاهة، وخداع الرأي العام بالشعرات البراقية التي لا مضمون لها لصرف الناس عن الحق. فلقد أريتته يا بنيته فكذب وقلت عليه القائل أحقنتنا لتخجيتنا من أرضتنا بصرحك ينموا في فلانتينك يا مهلك يا علماً وبنك موعد لا خلفه، حن ولي أنت ملكاً سوى.

3. التخريف والإرهاب: إدخال الخوف والرعب في نفوس الآخرين من أهم غايات الحرب النفسية قديماً وحديثاً، وهو سبيل الطغاة والظالمين في كل زمان، لأن الظلم لا يجب من يعترض عليه في ظله، ولا من ينطق بكلمة الحق، فهذا فرعون
مصر يهدد ويتوعد السحرة الذين آمنوا بموسى بعدما اكتشفوا لهم الحق. قالون:

«لقد نرى أنكم تدعون إلى ما هو أعظم من نعمة الله!»

أذرواكم وأذرواكم من خيالكم وأذرواكم في جدوعدخلكم وتعلمن أينما أشد عذاباً واقتئداً.»

فكان رداً للمؤمنين، والذين لا يخفيفهم من أحد إلا الله، مهما كانت قوة الطاغية وقوه تعذيبه. قالوا: لن نؤثرك على ما جاءنا بنبرس والذين فطرنا، فنفوض ما أنتم فاضي، إنيما تقصه هذه الحياة الدنيا.

وهكذا وقع في هذه القصة درساً بليعاً لأجل المؤمنين. فالإيمان هو أقوى من كل حرب نفسية أو مادية، وأن الإيمان هو الصخرة الصلدة التي تقف في وجه الطغاة.

وفي قصة يوسف عليه السلام ملاحص من الحرب النفسية أيضاً وأساسها أيضاً وبعض أشكالها تستطيع إيجازها فيما يلي:

1- المكر والمخديجة، وإظهار النصح والحب، مع أن القلوب ملئت حقداً وغيظاً، وذلك بفعل إخوة يوسف عليه السلام الذين بدت لهم ليوسف وأرادوا إبعادهما عن أبيه، والقرب إلى أبيهم، وأن يخلوا معه، وقالوا: إننا لا نأثناه على يوسيف وإننا له ننصحون أرسلنا عدنا غداً يرتع ويلعب وفينا له لحنفطن.

2- الظهور ب filmer البريء من الذنوب لإبعادهم: «وجاهوا أباهم عشاء بتكون»: مكنها ي加分نا من ذنبوه، ونستبق بوعيسيف، ونودكنا، فأصبحه الذنب.

3- الإصراق التهم الباطلة بالأخرين، وستر الحقيقة بسائر من الدعاية الكاذبة المباشرة، (الدعاء السوداء كما يطلق عليها حديثاً) - وهو ما كان من امرأة العزير تجاه يوسف عليه السلام عندما حاولت إغواءه فابين. واستنبط ألباب وقددت قبيحة من ذكر وألفاي سيدتها إذا ألباب قالت ما جرأه من أراد بأملك سوياً، إلا أن يسجبن أو عذاب أليمر (٥)».
الحرب النفسية

4- الشائعة وسرعة انتشارها في المجتمع، وهي من أخطر أسلحة الحرب النفسية وموضوع الشائعة هنا "امرأة العزيز تراود فتاه عن نفسها" وأنها تعب فتاه...

قال وقال نسوة في المدينة أمّات العزيز تراود فتاه عن نفسها، فقد شغفتها حبًا إني لزرتها في ضلل مبين

وكذا وفاد الأمر يتعلق بامرأة العزيز والحديث علاقته حب وغير ذلك كان انتشار الشائعة بين النساء أكثر من الرجال.

5- الهيدئ والإرهاب للضغط على الآخرين، وهنا امرأة العزيز على الرغم من انتشار خبرها في المدينة، وعلى الرغم من اكتشاف أمرها، فإنها لا تزال مصرة على موقفها حتى تحقق رغبتها. وهنا يتم تجاهل النسوة اللواتي شاعت بينهم فضيحتها تقول لهم بدون حياء مهددة متوبة:"قالت فذاً كلك الذى لم يشأني فيه ولقد عدوت على نفسك، فأستعصم ولا يفنى ما أمره، ليسجننا وليكونا من الصغيرين" (بفس 32)

وفي قصص الأنباء عليهم السلام أمثلة حية وبيئة لأشكال مختلفة من هذه الحرب النفسية، بين الأنباء وأقوامهم، كمثل الدعايات الكاذبة والاتهامات الباطلة وتهديدهم بالقتل والسجن...

إن كلمة "الملا" التي تتردد في القرآن الكريم وإن كانت تعني الأشراف والكبراء وأهل الرأي، ولكنها تعب عن الرأي العام - في المصطلح الحديث - أو من يمثل الرأي العام الكافر في عهد الأنباء عليهم السلام الذي وقع في صراع مع أنباء الله، ومع المؤمنين الذين هداهم الله. هذا الملا هو الذي شن الحرب النفسية على الأنباء الذين ما أرسلوا إلا هدايتهم إلى الطريق المستقيم، وإلى صراط الحميد. وهي صورة واحدة تكرر مع جميع أنباء الله عليهم السلام.

الملا مع نوح عليه السلام - يهيم بالضلال وهو الرسول من رب العالمين: قال قلالي من قوة إذا كنت في ضلل مبين قال ينقوئ ليس في ضلل ولا كي رسنون من زب آنعامي (الإعراف 110-11)
فمثلاً على الساحة: «فقال الاملا الذين كفروا من قومه، ما ترملك إلا بشرداً ومما ترملك أذى السمع إلا الذين هم أرازذلنا بادي الرأي وما ترى لكم علئا من فضل بل تظنككم كذبيرين.» (العد 17)

والسحرة منه للإقال من شأنه ونزع هيئته من الناس: «وتصنع الفلك وسكالما مركعباً على ملا من قومه، سخرؤا ميتا.» (العد 38)

مع صالح عليه السلام، يظهر الملا بصورة التكبرين على المؤمنين الضعفاء، ويجاهران بكرهم «لصالح» وهم الآفونى التكبرين: «قال الاملا الذين است تصروا من قومه، لذين است ضيعوا لمن أؤمن بهم أن علمور أبن صديقاً مسولٌ من ربيه، قالوا إنما أرسل به يؤمنون» (العد 42) است تصروا إذا بالذين أتمهم به، كفروا. (العد 43) (العد 76)

مع شيعه عليه السلام، الملا من قومه يهددونه بالنفي من المدينة إن لم يرجع عن دينه الذي يدعو له وكذلك كل من يؤمن به: «قال الاملا الذين است تصروا من قومه، لنخرجنك وتشيعب والذين أتموا معاك من قربان أو لتحوذن في ملؤنا قال أولو كن كرهين» (العد 48) وتهديد كل من يتبع شعباً عليه السلام بالهللاك والخسارة: «وقال الاملا الذين كفروا من قومه، لين أتبعهم شعباً إن كره إذا لخسرون» (العد 50)

وقد تقدم موقف فروع من موسى عليه السلام، وهنا يتكرر الموقف مع الملا من قومه؛ الافتراء، والكذب والمؤامرة وهم بالقتل، والاستكبار في الأرض والفاسد، لذا فهو شريك فروع في الكفر، ورفقه في النار ومن أجل هذا جعلهم الله عز وجل سواء في المسؤولية: «إني فرعون وهذين وجنودهما سكاناً خطيئةين» (القصص 8).
هؤلاء الملا يتهمون موسى عليه السلام بالسحر: «قال آلّملا من قولك فرعون».

إبّ هنا لست سحر علىٌّ (الاّرف ۱۱۰).»

وذلك فإنّ هؤلاء الملا يدفعون فرعون للتخلص من موسى عليه السلام بحجة الإفساد في الأرض، وهم الفاسدون ولكن لا يشعرون: «وطلب ألملا من قولك فرعون أثدر موسى وقومه ليقذوا في الأرض ويدرك واهلته. قال سنجينون أبناءهم ونستحمي بسآهام وإنما فوههم قنهرود» (الاّرف ۱۵٢).

والملا يأمرون بموسى عليه السلام ليقتلونه: «وجاء رجلٌ من أئمّا المدينتة يستعي قال يعّمسي إن ألملا يأمرعون بك ليقتلونك فاجترح إلى ذلك من النصيبين» (الاّرف ۱۵۱).

وفي نهاية المطاف، فرعون الذي استخف قومه فاطعوهم، يستخف بهذا الملا، ويستخف بعقولهم، ويستخدم الميزان المادي، ليعرف دعوة موسى عليه السلام أصادقة هي أم كاذبة. فصدقوه، وقد عبث أصحابهم عن الحقيقة: «وأمّ فرعون يتأتى ألملا ما علمت لحكم من إله عبارت أوقيد لي يهدمون على أطيني فأجعل لي مكرحك لعلّ أطلع إلى إله موسى وذرء لأطنه من ألكذبين» (الاّرف ۱۵۰). هذه صورة من صور الرأي العام الكافر وموقفهم من الأنيبياء وأتباعهم من المؤمنين.

وسورة أخرى من صور الحرب النفسية «حرب العقيدة»؛ ومن التاريخ القديم ومن قصص الحق قصة «الراهب والغلام» التي قصها رسول الله على الصحابة الكرام لليظهر لهم مقدار صبر المؤمنين في سبيل الله، ومقدار ما تعرضوا له من تهديف وتهديد وقتل، وما ركّم هذا من دينهم الحق.

عن صهيب أن رسول الله قال: «كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر قال للملك إنني قد كبرت فأبعت إليّ غلامًا أعلم به السحر فيبث.
إليه غلاماً يعلمهم، فكان في طريقه إذا سلك راحب فقعد إليه، وسمع كلامه فأعجبه.
فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه فشكي ذلك إلى الراهب فقال: إذا خشيته الساحر فقل حبشي أهلي، وإذا خشيته أهلك فقل حبشي الساحر، فبينما هو كذلك إذا أتى على دابة عظيمة قد حسبت الناس فقال:

الأكمة: الذي خلق أعين.

المشار: رواية الأكثرين ويوزف تخفيف الهمرة بقلبها بآية وروي بالانتشار باللون وهما لغتان

صحيحتان (ارجع إلى شرح النووي).

(1) يُشير الأكمة إلى الأرمفون.
(2) الانتشار: طريقة الإلهام التي ي chỗها الشعائر عند الأثريات.

و قصة «الراهب والغلام» تعبّر عن روح الطوعيّت في كل زمان ومكان، هذه الروح التي لا تطبق رؤية من خلافها في عقائدها وإن كانت باطلة، ولا ترغب بالتخلي عن استعبادها لعباد الله، وما تلّجأ إليه من أساليب متنوعة في معاملة من يخرج عن خطّها الفاسد الكافر من تقويف وإرهاب وتهديد، حتى لا تكون هناك عقيدة إلا عقيدتها، ولا نظام إلا نظامها.

(1) فروقو (بضم الفاءين) السفينة الصغيرة (ارجع إلى شرح النروي).
(2) رواه مسلم (ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النروي) ج 18 ص 130 باب (قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام).
وفي القصة نجد الملك الجائر يهدد الغلام بِإلقائه من فوق الجبل فيموت، أو
إلقائه في البحر فيغرق، ويهدد المؤمنين بالإحرق بالنار إن لم يرجعوا عن دينهم،
وهي صورة متكررة للطغاة وحربيهم للمؤمنين والدعاء الصالحين في السجون
المملوءة بأدوات التعذيب المختلفة الأشكال.

إذ قال الملك «إني لست بقاتلي حتى تفعل ما أمرك به. قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس
في صعيد واحد وتصلبي على جذع، ثم خذ سهماً من كناني ثم ضع السهم في كبد
القرس ثم قل بسم الله رب الغلام ثم ارمني فإنك إذا فعلت ذلك قتلتي».

أثر هذا التدبير من قبل الغلام، كان أسلوباً إعلامياً ودعائيًّا عظيماً؛ كان من أهم
آثاره إيمان الناس الذي جمعوا لِمشاهدة مصير الغلام، وكان بمثابة برهان ساطع
على صدق دعوته. إذ إن الناس كانوا في حيرة من أمره، أيصدقوه وقد ظهرت
على يديه الآيات، أم يكذبونه ويكونون مع الرأي العام الكافر ومع الملك. كانت
الساعة الحاسمة في حياتهم أن رأوا الحقيقة في إبينها. لم يستطع الملك قتل الغلام
إذنا عند نطقه: «باسم الله رب الغلام» فما كان منهم إلا أن قالوا جميعاً وبصوت
واحد: «آمنا برب الغلام».

وكان موت الغلام حياة للناس أجمعين. وكان انتصاره على الخوف والإرهاب
والتهديد بإيمانه وصدقه. وإتنا لا نزال نذكر أن الإيمان الصادق وحده هو الصخرة
السماء التي تكسر عليها الحرب النفسية الموجهة من أعداء الله والإنسان.

ثانياً: الرسول ﷺ والحرب النفسية:
إن ما تعرض له رسول الله ﷺ من المشركين والمنافقين والكافرين واليهود؛ لعد
من أشد ما تعرض له صاحب دعوة .. وأشكال محاربته تعدت من حرب
مادة إلى حرب نفسية، ويهيمنا في هذا المجال ما تعرض له ﷺ وصوابه من حرب
نفسية وأسلحتها المختلفة من دعاية وشائعة وتكذيب وهزء، ومحاولات عديدة لإيقاف دعوته، بالإغراء بالمال والجاه والملك ثم بالتخويف والإرهاب. ونرى أن نقسم جهتنا إلى مرحلتين: المرحلة الملكية، والمرحلة المدنية.

المرحلة الملكية:

دكتوري أن نوجز أسلحة الحرب النفسية التي استعملت من قبل المشركين بما يلي:

1- الدعاية الكاذبة والتكذيب: بدأت حرب قريش الدعائية بعد أن أمر الله عز وجل رسوله الكريم محمدًا ﷺ بالجهاد بالدعوة وإظهار الدين قاصدًاً بما تؤمن، وأعراض عِنْ أَلْمُشْرِكِينَ (الحجر ١٢) .

فأظهر المسلمون صلاتهم بعد أن كانوا يستخفون فيها، فأخذ المشركين يعبون على المسلمين صلاتهم ويكرونها عليهم (١) وأغروا برسول الله ﷺ سنهاهم فكذبوه وأذوه ورموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، وصار لنا القرآن الكريم هذه الحملة الدعائية، داعي الرسول ﷺ إلى عدم الالتفات إليها باعتبارها دعابة كاذبة، ولم يمضي في دعوته مادام على الحق. قال تعالى: فذُكِّرْ فَمَا أَنتُ بِعَمُّ مَّقْتِكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ (٢) أم يقولون شاعرٌ نُصْرُ يَتَرَكَّصُ بِهِ رَيْبَ أَلْمَنْوَى (الشعراء ٢٢) . فبل قالوا أضجع أحسن بل أقرنون بل هو شاعر قلبيتة يبَلَّبةً كمما أرسى الأولون (البهجة ٥) وقيلون أينما نباركو أيهتنا لشاعري مجانون (العش ٣٢) .

والرد على الدعاية الكاذبة لا يكون إلا بالإعلام الصادق، من القرآن الكريم الذي لا يكتب الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والله عز وجل يبرئ رسوله الكريم من هذه التهم الباطلة فيقول: إنه، لقول رسول كريم، وما هو يقول (١) 

السيرة النبوية لابن هشام ج1 ص ٢٧٥. دار الفكر.
الفصل الثاني: نظرة عقلية

شعر قليلًا ما تؤمنون ؟ ولا يقول كاهن قليلًا ما تذكرون ؟ تنزل من ربك العليمين  
(الحلقة 142).

ويقول الله تعالى مسلياً نبيه عليه السلام في تكذيب قومه له وغالبهم إياه: "قد تعلم الذين لم يعلموا"، أي لا يفهمون بالكذب في الأمر نفسه، ولكنهم يعانون الحق ويدفعونه بصدودهم.(1) ولقد كذبت رسول الله ﷺ من قبلك فصبروا عليه ما كذبوا وأووذوا حتى أتتهم نصرًا ولا مبدل لكلمتين الله ولقد جاءك من ذيئ.
(الشم 43).

وهذا من جملة التسليمة للرسول الله ﷺ أي أن هذا الذي وقع من هؤلاء إليك ليس هو يقول ما صنعه الكفر مع من أرسله الله إليهم، بل قد وقع التكذيب لكثير من الرسول والرسل من قبلك فافتقدهم، ولا تحزن، وأصرنا كما صبروا على ما كذبوا به، وأوذوا حتى يأتية نصرنا كما أتاه إلا لا خلف الميعاد.(2)

وهكذا نجد أن معاناة الحق من قبل مشركي قريش، مع علمهم بصدق الرسول ﷺ، وهو الصادق الأيمن كما عرفوه، ولم يعلموا عنه كذبة واحدة في حياته الطويلة بينهم قبل الرسالة، هذه الصورة تتكرر دائماً في كل زمان ومكان مع أصحاب الدعوات الحقة والمعاندين من الطاغية البعيدين عن هدي الله.

2- السخرية والاستهزاء: ولجأت قريش إلى أسلوب آخر من أساليب الحرب النفسية كثيرة ما اتبع حديثًا بصورة مختلفة وهو أسلوب الهزء والسخرية من رسول الله ﷺ ومن آيات الله المنزلة عليه. ومن معجزاته  
وأسلوب السخرية والاستهزاء يُتبع لإسقاط الهيبة من الخصم في نفوس الناس فضلاً عن تغليب الحقائق يخلاف من عدم الجدية، لتميع هذه الحقائق وإبعاد الناس.

(1) تفسير ابن كثير - تفسير الآية (33) من سورة الأنعام.
(2) فتح القدير للشوكاني - تفسير الآية (34) من سورة الأنعام.
عن احترامها أو التفكير فيها، وفي كل الحالين ابتعاد الناس عن توجه إليهم الحرب النفسية...

وقد اتبعت قريش (1) هذا الأسلوب، وقص علينا القرآن في كثير من آياته حاضراً هذا: فهم يشعرون من الرسول حين رؤيته، قال تعالى: "وإذا رأوا، إن يتخذونك إلا هزراً أهذا الذين يبعث الله رسلولاً (2) [القرآن 40:47] وقال تعالى:

"و قالوا أخذ الرحمن وليداً سبحنه و ليبعث مكرم» (3) [الأعلى 22].

وذلكهم يستهزئون حالات الله: قال تعالى: "و أخذوا أهداها وما أذنوا هزوا (4) [العد 4:1] وقال تعالى: "وإذا علم من أهداها شيئاً أخذها هزوا أو أذنوا لهم عذاب مبين (5) [العذاب 10].

ولكن الله عز وجل لن يترك المستهزئين، ولن يفلتوا من يده، والله كاف عبده محمدًا.

"إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ " (العد 50:2).

ولكن فرح المشركين كثيراً بما عثروا من العلم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون: "فلا يجاه بأعثروا فرحوا بما عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون (6) [العد 50:12]

وفي آية أخرى يترك مصير المستهزئين غير محدد إلا أن العذاب واقع بهم لا محالة، نتيجة استهزائهم: "و ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كبدوا فسواهم أذنت و ما كانوا به يستهزئون (7) [العد 50:15]

يقول الشوكاني رحمه الله في تفسيره مبيناً تسلسل مواقف المشركين في مكة من النبي (8)

المستهزئون كانوا خمسة من رؤساء أهل مكة هم: "الوليد بن المغيرة - والعاص بن وائل -

والأسود بن الطليب بن أسد - والأسود ابن عبد يغوث - والجرب بن الطلابي".

انظرة تفسير تجتهما: البداية والنهائية لأحسن كثيرة 3/105، سيرة ابن هشام 15/16-11،

فتح القدير للشوكاني. تفسير سورة الحجر (3/44).

(1) المرجع السابق - للإطلاع على ما أصاب المستهزئين في الدنيا كما روت كتب السيرة.
الفصل الثاني: نظرة تاريخية

: "... فالاعراض عن الشيء عدم الالتفاف إليه، ثم انتقلوا عن هذا على ما هو أشد منه وهو التصريح بالكتاب، ثم انتقلوا عن الكتاب إلى ما هو أشد منه وهو الاستهزاء كما يدَل عليه قوله (فسيأتيهم أبناء ما كانوا به يستهزئون) والأنباء هي ما يستحقون من العقوبة آجلاً وعاجلاً. وسميت أبناء لكونها ما أبدا عنه القرآن وقال: "ما كانوا به يستهزئون" ولم يقل ما كانوا عنه معرضين أو ما كانوا به يكتبون، لأن الاستهزاء أشد منهما ومستلزم هم وفي هذا وعيد شديد".

3- التشهير والفصل: ولجأت قريش أيضاً إلى شتم رسول الله ﷺ وذلك للتقليل من شأنه وإظهار ضعفه أمام الناس في مكة.

يروي ابن إسحاق أن أم جبل: "حالة الحطب" كانت تهجد النبي ﷺ بعد ما نزل فيها من القرآن الكريم وعرفت مما ينظرها من سوء المصير. فقد كانت ترتل: "مُدَمِّمًا عصيّناً، وأمّرهُ أبيّنا، ودينهُ قلّنا".

ووأت كانت قريش إذا تسمي رسول الله ﷺ مُدَمِّمًا، ثم يسبونه، فكان رسول الله ﷺ يقول: "ألا تعجوبون لمن صرف الله عني أذى قريش يسبون ويهجرون مُدَمِّمًا".

وأنا محمد".

وأنا أمية بن خلف كان إذا رأى رسول الله ﷺ همزة ومره، فأنزل الله تعالى:

وَيُبِّيِلُ لَكُمْ هُمْرَةَ لَمَّا ظَلَّ مَعُونًا (الغزة: 3).

وذلك أطلق قريش على الرسول الكريم ﷺ لقب الأبتر، وذلك لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ خرج أبو جهل إلى أصحابه فقال بُيِّب محمد فنزلت الآية:

(1) فتح القدر - ج 4 ص 194 (تفسير سورة الشعراء).
(2) أم جبل أروى بن حرب بن أمية أخت أبي سفيان زوجها أبو لهب: عبد العزيز ابن عبد المطلب.
(3) السيرة النبوية لابن هشام - ج 1 ص 278 (رجل مدمم: مذموم). مذموم، القاموس مادة: فمه.
(4) المرجع السابق: وقال ابن هشام: الهمزة الذي يشتم الرجل علانية ويكره عليه، والللمزة الذي يعيب الناس سراً وبداً.
فإذا أعثِّنَتَكَ اللَّهُ فَصِلَّ لَكَ وَأَخْرُجْ إِنَّ شَانِئكَ هُوَ الأَبْتَرُ
(2) قَالَ وَقِيلَ القَالِشُ هو عَقْبَةُ بْن أبي مَعْبِطٍ.
ويروي الطبري عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله: إن شانئك هو الأبتر قال هو العاص بن وائل.
ووعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قالت قريش، ليس له ولد، وسيموت وينقطع أثره فأنزل الله تعالى سورة الكوثر إلى: إن شانئك هو الأبتر يعني شامع محمد هو الأبتر.
(3)
4- التحريم والتشويش: حينما يشتهي قريش من غلبها رسول الله بالحجة والبركان لجأت إلى ما يسمى اليوم بالمتعيم الإعلامي والتشفيش الإعلامي.
ووهذا الأسلوب كثيراً ما تلجأ إليه الدول المتخصصة، أو يلجأ إليه الحاكم المستبد، حتى لا تصل الحقائق إلى الآخرين، والتشويش على الحقائق الذي يذيعها الخصم...
ومعروف لدينا أجهزة التشويش الحديثة التي تستخدمها الدول الآن وخاصة أثناء الحروب.
وما صنعته قريش لا يخرج عن هذا الإطار، وذلك بعد أن أجروا في كفرهم وعندهم. فإن قال الذين كفروا لا تسمعوا هذا القرآن وآلهوا فيه لتفكير تغلبون

(1) فتح القدر للشوكاني (تفسير سورة الكوثر).
(2) تفسير الطبري. تفسير سورة الكوثر.
(3) إخراج رزين - جامع الأصول 2/ 236.
(4) جاء في خutar الصحاح: مادة: شوش: (التشويش: التخليط، وقد تشوش عليه الأمر).
إلا أن صاحب القاموس يقول: مادة: شاش: (التشويش والتشوش كلها لحن والصواب: التهويش والميلوش والتهوهش).
وفي مادة: هوش هوش تهويش: خلط انتهى.
وآرنا استخدام التشويش لاشتهارها على أنها مصطلح إعلامي فضلاً عن أن لها أصل.
الفصل الثاني: نظرة للريفية

(33) 

(32) 

(31) 

وهي هذا نهج أن هذه الآية تبين أسلوب الكفار في التعبير والتشويش. ففي قوله تعالى: "وقال الذين كفروا لا تسمعوا هذا القرآن" التعبير على القرآن الكريم في عدم سماعه والانصات إليه، حتى لا يؤثر فيهم.

وفي قوله تعالى: "والغزوا فيه" أي أرفعوا أصواتكم ليتشوه القراء له، وقال الضحاك: أكثروا الكلام ليختلط عليه ما يقول".

بالإضافة إلى قول مجاهد: إنَّهُما فيه بالملكاء والقصيدة والتصنيف والتشويش في الكلام حتى يصير لغوا".

وكل هذه المعاني تعبير عن مفهوم التشويش الواضح الدقيق في الوقت الحاضر...

ولكن هذا كله ذهب إدراج الريحان وغلب القرآن الكريم، لأنه يحمل سر الغلب، إنه الحق والحق غالب مهما جهد السبطنون.

(34) 

(33) 

(32) 

(31) 

- أخرج ابن إسحاق عن ربيعة بن عباد رضي الله عنه قال: إنَّ له لغام شاب مع أبي بنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم يقف على منازل القبائل من العرب فيقول "يا بني..."
فلاً، إنني رسول الله يُعِيدكم أَمرُكم أن تُعَبِّدوا الله ولا تشركون به شيئًا، وأن تخلعنوا ما تعبدون من دونه من هذه الأنداد، وأن تؤمنوا بي وتصدقو بي، وتمعونوني حتى أَبْيَنِي عن الله ما بيني به» قال: خُلَفْهُ رجلٌ أَحْوَلٌ وضَيِيء له غديرتان على حُلِّة عدُنُة. فإذا فرغ رسول الله ﷺ من قوله وما دعا إليه، قال ذلك الرجل: يا بني فلان: إن هذا إما يدعوكم أن تسخروا اللات والعزرى من أعناقكم وحلفاتكم من الجن من بني مالك ابن أَقيش إلى ما جاء به من البذعة والضلالة فلا تطيعوا ولا تسمعوا منه.

قال: فقالت لابي: يا بني من هذا الرجل الذي يتبعه ويرد عليه ما يقول؟

قال هذا عم عبد العزيز بن عبد المطلب أبو لهب(١).

وأخذ أبو نعيم في الدلاة عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: لقد كان رسول الله ﷺ يخرج في المواضيع ويدعو القبائل، ما أحد من الناس يستجيب له ويقبل منه دعاء فقد كان يأتي القبائل بمجتهدة وعكاظ ومهنى(٢) حتى يستقبل القبائل يعود إليهم سنة بعد سنة حتى إن القبائل منهم فقال: ما أن لك أن تيُشِ؟

ويعتبر علينا القرآن محاولة تعزيز الرسول ﷺ من قبل الملا من قريش وأنهم علقو إياهم حتى يُجبِّهِم إلى طلبهم، وما كان هدفهم الإيمان، وإنما العناد والتعزيز، ومحاولة إثارة الرسول ﷺ عن تلبين رسله، قال الله تعالى: «وَقَالُوا لَن نَّفْأِمَهُنَّ لَكَ حَتَّى نَفَسْحُ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوِعَا وَلَنْ نَفْسَقُ الْسَّمَاءَ كَمَا زُرِعَت عَلَيْنَا كَمَا وَأُتِينَا بِالْيَدَٰلِّيْلَ وَالْيَوْمِ السَّمِيعِ» (الإسراء: ٢٠).

وُلِيُّ الْجَمِيعُ الْهُدَى وَأَيُّهَا النَّاسَ تَحْيَاهُمَا وَأَيُّهَا النَّاسُ أَطْهَرُ الْبُطُورُ ﴿۳﴾.

البداية والنهائية ١٣٨/٣

(١) مَجَذَةٌ وعِكَاضٌ ومَنِى مَوَاصِبٌ قَرْبَ مَكَةِ الْمُكْرَمَةِ.
الفصل الثاني: نظرة تاريخية

وقريش غفلت عن المعجزة الباقية في القرآن، فراحوا يطلبون تلك الخوارق المادية، ويعتنون في اقتراحاتهم. "والخيارية ليست من صنع الرسول، ولا هي من شأنه، إنما هي من أمر الله سبحانه وحصبر وحكمه، فأدب الرسلة وأدرى الرسالة. فأكرر الرسالة، في تدبيره يمنعان الرسول أن يقترح على ربه ما لم يصرح له به. قال سبحانه: "قل سبحانه ربي هل كنت إلا بشرا رسولًا يقف عند حدود بشريته، ويعمل وفق تكاليف رسالته، لا يقترح على الله ولا يتزيد فيما كلفه إياه". 

وفي أول سورة فصلت يصورون لنا الله عز وجل أسلوب التيوس الذي اتبعه قريش مع الرسول. ليفك عن دعوتهم.

قال تعالى: "رحم م انزلت رحمة الرحمان رحمته كتب فصيّلت، ابتنتها، فرءان عرباً يقوه يعلمون، بيئي وبدعور فأعرض أكررهم فهم لا يسمعون، وقالوا قلوبنا في أسكنها، مما ندعونا إليه وقذافان، وقروك ومن بنيتنا ونبيك، جاهب فاعمل إتنا ععملون" (سورة 13).

وقول كفار قريش في الآية الأخيرة أثناها: إعماناً في العنا، وتيسناً للرسول ليكف عن دعوتهم، لما كانوا يجدونه في قلوبهم من وقع كلماته، على حين يريدون عاملين لا يكونون مؤمنين.

قالوا: قلوبنا في أغطية فلا تصل إليها كلماتك، وفي آذاننا صمم فلا تسمع دعوتك. ومن بنيتنا وبنينا حجاب، فلا اتصال بنينا وبنينا، فدعا واعمل لفسك فإننا عاملون لمنفسنا، أو أنهم قالوا غير مبالين، فنحن نلبائي قولك وفعلك وإذارك ووعدك، فإن شئت فامض في طريقك فإننا ماضون في طريقنا، لا نسمع لك وافعل ما أنت فعل، وهات وعيدك الذي تهدينا به فإننا غير مبالين.

(1) أرجع إلى "في ظلال القرآن" ص 240 (تفسير الآيات في سورة الإسراء).
هذا نموذج ما كان يلقاه صاحب الدعوة الأول ثم يمضي في طريقة يدعو ويدعو لا يكف عن الدعوة. ولا ينض، ولا يستبطع وعد الله له ولا وعده للمكذبين...«(1)

6- الضغط العالٍ: وحاولت قريش الضغط على رسول الله ﷺ حتى يكف عن دعوته، وتسهله أصنامهم، فاستعانت بعده أبي طالب وقالوا: "يا أبا طالب، إن ابن أختك يُأتيك في أنيتاك وفي نادين فيسمعنا ما يؤذينا به، فإن رأيت أن تكفه فافعل".

فقال أبو طالب للنبي ﷺ: "يا ابن أخي، والله ما علمت إن كنت لي مطاعاً وقد جاء قومك يزعمون أنك تأتيهم في عبودتهم وفي نادين تسمعهم ما يؤذينهم، فإن رأيت أن تكف عنهم، فحلق ببصره إلى السماء فقال: والله ما أنا بأقدر أن أدع ما بعثته به من أن يشعل أحدكم من هذه الشمس شعلة من نار. فقال أبو طالب:

وألف الله ما كذبت ابن أخي قط ارجعوا راشدين" (2)

وفي رواية أخرى: "أبا طالب قال له ﷺ: يا ابن أخي، إن قومك قد جاؤوني وقالوا كذا، وكذا فابق علي وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا انت فاكشف عن قومك ما يكرهون من قولك، فظن رسول الله ﷺ أن قد بدأ لهم فيه، وأنه نافذ وصلبه، وضعف عن القيام معه. فقال رسول الله ﷺ: "يا عم لو وضعت الشمس في يمين والقرم في يسار ما تركت هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك في طلبه"، ثم استعب؟ رسول الله ﷺ، فبكى...

(1) في ظلال القرآن (تفسير الآيات الأولى من سورة فصلت).
(2) أخرج الطبراني في الأوسط والكبر: وقال الهيثمي (ج 6 ص 14): رواه الطبراني وأبو يعلى باختصار يسير من أهل، ورجال أبي يعلى رجال الصحيح، انتهى، وأخرجه البخاري في التاريخ بنحو كما في البداية (ج 3 ص 43).
حين ذلك قال أبو طالب «امض على أمرك وافعل ما أحببت، فإن الله لا أسلمك لشيء أبداً»(1).

وهل تظن قريش أن المسألة خلاف شخصي يمكن أن يجل بتوسط كبير العائلة أو القبيلة. إذا دعوة الله.. التي هي أكثر من أي عرف ومن كل ضغط، و موقفه موجب لمواقيث الثبات على الحق والصلاحية في الرأي.. والتي يجب أن يسير على منوالها الدعاء إلى الله على مر التاريخ.

- الإغراء بالمال والملك: واتبعت قريش مع الرسول أسلوب الإغراء بالمال والملك لتقويل الرسول الكريم عن وجهته، بتيغ دعوته وتسفيه أحلامهم وعقائدهم؛ وهذا الأسلوب طالما اتبع حديثاً في الحرب النفسية التي تشن على الدعاء والمخلصين، وإغرائهم بالمال والوظائف العالية، وقد يستجب أصحاب النفس المريضة لهم ويتخلوا عن مبادئهم.

واتبعت قريش أسلوب الإغراء هذا مع الرسول ظن أن الأمر قضية شخصية، أو دعوة لأرائه وأفكاره.. لنتنظر إلى محاولة الإغراء عند أهل السيرة: قال ابن إسحاق: إن عتبة بن ربيعة، وكان سيداً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله جالس في المسجد وحده، ياretval قريش ألا أقوم إلى محمد فآكله وأعرض عليه أموراً تعله يقبل بعضها فتعطيه أيضاً نان شاء ويكف عنها، وذلك حين أسلم حزرة، ورأوا أصحاب رسول الله يزيدون ويكثرون فقالوا: يلي يا أبا الوالي، فقم إليه فكلمه، فقام إليه عتبة حتى جلس إلى رسول الله. فقال: يا ابن أخي، إنك منا حيث قد علمت من البيئة(2) في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أثبت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم، وعبت

(1) رواه البيهقي – كذا في البداية (ج2 ص42).

(2) البيئة بكسر السين وفتح الطاء مخففة: المنزلة الرفيعة.
به آلهتهم ودينهم، وพวกته به من مرضى من أبائكم، فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضًا. فقيل: فقال رسول الله ﷺ: "قل يا أبا الوليد أسمع" قال: "يا ابن أخي، إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالًا جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالًا، وإن كنت تريد بما جئت به شرفاً سودناك علينا حتى لا تقطع أمرًا دونك، وإن كنت تريد به ملكًا ملكنا علينا، وإن كان هذا الذي يأتينك رأباً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبدنا في أموالنا حتى نبريك منه، فإنه ربما غلب التتابع على الرجل حتى يداوي منه، أو كما قال له، حتى إذا فرغت عبطة ورسول الله ﷺ يسمع منه قال: "أقد فرغت يا أبا الوليد؟" قال: نعم. قال: "فاسمع مني" قال: أفعل فقال: "بسم الله الرحمن الرحيم" ثم قال: "من أمرتم أن تصدون في وجه الخبيث، فورأيتك كيلموك أو يديلوك، أو يقيموا، أو يقطعون سلكك، أو يحاربونك، أو يتعاونون في ملكتك، أو يدعونك إلى خلقهم، أو يهدونك إلى خلقهم، أو يحتقرن منك، أو يعنونك منك، وزيدوك حجاب فأعمل إنهنا عنبلون".

ثم مضى رسول الله ﷺ يقرؤها عليه كما سمعها عبطة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة منها فسجد ثم قال: "قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأتت وذاك".

فقام عبطة إلى أصحابه، فقال بعضهم لبعض: "خلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟ قال: وراه إنني سمعت قولًا ما سمعته مثله قط، والله ما هو بالشعر، ولا بالسحر ولا بالكحالة، يا معشر قريش أطيعوني، وأجعلوا بي، وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه، فاعترف الله ليكون ذئبًا لقوله الذي سمعت منه نباً عظيمًا.
فإن نصب العرب فقد كافحوا بهرهم وفإن يظهر على العرب فملككم وعزكم وقتم أسع الناس به. قالوا: سحركم والله يا أبا الوليد بلسانه، قال هذا رأي فيه، فاصنعوا ما بدا لكم".

8 - المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية: ولجأت قريش إلى سلاح المقاطعة، وذلك عندما رأت أن الإسلام ينمو بين القبائل. ولم يفع ملاحظة المسلمين الذين هاجروا إلى الحبشة وأن حزنة أسلم وكذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فقررت قريش مقاطعة الرسول ﷺ الاقتصادية والاجتماعية في كتاب يتعاونون فيه على بنى هاشم وبنو المطلب على أن لا ينكحوا إليهم ولا ينكحوهم ولا يبيعهم شيئاً، ولا يبتعوا منهم وكتبوه في صحيفة علقوها في جوف الكعبة توكيداً على أنفسهم. وقي الرسول ﷺ وصحابته ثلاث سنوات متواصلات على هذه الحال لا يبيع ولا شراء ولا زواج. ورسول الله صابر وهو يرى ما يؤوله، زوجه خديجة الطاعة في السن وعمه أبو طالب وبقية آل وأصحابه، ومع ذلك لم يتوقف يوماً عن تبلغ دعوته ليلاً ولا نهاراً، وسراً وجهاراً.

خرج أبو نعيم عن سعد، رضي الله عنه، قال: كنا قوماً يصيبنا ظلوف العيش بمكة مع رسول الله ﷺ، وشدته، فلما أصابنا البلاء اعترفنا لذلك ومربنا عليه وصبرنا له، ولقد رأيتني مع رسول الله ﷺ بمكة خرجت من الليل أبو، وإذا أنا أسمع بقمعته شيء تحت بولني إذا قطعت جلد بعي، فأخذتها فغشلتها ثم أحرقتها فوضعتها بين حجرتين ثم استفها وشربت عليها من الماء، فقويت عليها ثلاثاً.

وقي بنو هاشم وبنو المطلب في شعب أبي طالب حتى جهدوا من ضيق الحصار، وأكلوا ورق السمر، وأطفالهم يتضاعفون من الجوور حتى يسمع بكارهم

(1) سيرة ابن هشام ج 1 ص 314 - 315، وأيضاً البداية والنهاية 2/3.
(2) الخليفة ج 1 ص 93.
(3) السمر نوع من الشجر يسمى شجر الطلح يترب في شعب مكة.
من بعيد، وقريش تحول بينهم وبين التجار فيزيدون عليهم في السلعة أضعافاً حتى لا يشفروها.

هكذا ضرب الصحابة مثلاً رائعاً في الثبات على الحق، والصبر على الشدائد، والتضحية بكل غال في سبيل الله دون أن يتنازلوا قيد شعرة عن عقيدتهم. حتى قام نفر من قريش من أهل المواء في نفس الصحيفة وبكل ما فيها من الظلم.

وهكذا نجد أن هذه المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية لم تزعج الجماعة المسلمة إلا ثباتاً على الحق، وذلك يوجد الإيمان الصادق، والذي تتحطم على صخرته كل الحروب النفسية والمادية.

9 - الإرهاب والتأمر: فتفرن الطغاة في كل زمان في أساليب الحرب النفسية الموجهة إلى خصومهم. بل قد استعانوا بالخبراء في الإرهاب والتأمر والتعذيب وفضيل الدماغ، وغياتهم واحدة هي ارتداد هؤلاء الخصوم عن عقيدتهم التي يؤمنون بها.. إلى ما يرغب الطاغية وما يريد.

هذه الصورة الحديثة من الحرب النفسية وما تضمنه من إرهاب وتآمر وقتل وتعذيب تنطبق أيضاً من حيث المضمون على ما أصاب الرسول ﷺ والمسلمون على يد مشركى قريش، فينما النبي ﷺ ساجد - ذات يوم - في المسجد وحوله آناس من قريش، إذ جاء عقبة بن أبي معيط بسلاج الزوور (2) فقدل على ظهر النبي ﷺ فلم يرفع رأسه، فجاءت ابنته فاطمة - عليها السلام - فأخذته من ظهره ودعت على من صنع هذا .. ودعا عليهم النبي ﷺ (3).

___________________________
(1) البداية والنهاية لابن كثير 95/95.
(2) سلاج الزور: وهو اللفافة يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان وهي من الأدمية والشيبة.
(3) رواه البخاري في باب «ذكر ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة» (ج 7 ص 124) - فتح الباري. »
وفي آخر المطاف تآمر قريش على قتل النبي ﷺ بعد أن عجزت عن إيقاف دعوته، التي أخذت تتدفق إلى خارج مكة، وذلك قبل هجرته ﷺ إلى المدينة.

قال ابن إسحاق: فلما رأت قريش أن رسول الله ﷺ صار له شيعة وأصحاب من غيرهم بغير بلدهم، ورأوا خروج أصحابه من المهاجرين إليهم، عرفوا أنهم قد نزحوا داراً وأصابوا منهم منحة، فأخذوا خروج رسول الله ﷺ إليهم وعرفوا أنه قد أجمع عليهم، فاجتمعوا له في الدار الندوة. يتناولون فيما يصنعون في أمر رسول الله ﷺ حين خافوه. فقال بعضهم لبعض: إن هذا الرجل قد كان من أمره ما قد رأيت وإننا والله ما نأمنه على الوثوب علينا بمن قد اتبعه من غيرنا فاجتمعوا فيه رأياً.

فتشاوروا ثم قال قائل منهم: احسوه في الحدي واغلقوه عليه باباً، ثم ترصوا به ما أصاب أشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله زهيراً والتابعة، ومن مضى منهم من هذا الموت حتى يصيبه ما أصابهم. فقال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي والله لن حسبتموه كما تقولون ليخرج فهم أمه من وراء الباب هذا الذي أغلقتم دونه إلى أصحابه، فلاوشكوا أن يبوا عليك ويتزعمون من أيديكم ثم يكاثرون به حتى يغلبكم على أمركم، ما هذا لكم برأي. فتشاوروا ثم قال قائل منهم: خرجنا من بين أظهرتنا فنفي من بلادنا فإذا خرج عنا فو الله ما نبالي أين ذهب ولا حيث وقع، إذا غاب عنا وفرغنا منه فأصلحنا أمرنا وإلتفتنا كما كانت.

قال الشيخ النجدي: لا والله ما هذا لكم برأي ألم تروا حسن حديثه وحلوة منطقته وغلبته على قلوب الرجال بما يأتي به؟ والله لو فعتم ذلك ما أمنت أن يجعل علي حي من العرب فيغلب عليهم بذلك من قوله وحديثه حتى يتابعوه عليه، ثم يسير.

(1) الشيخ النجدي: إيليس لعن الله في صورة شيخ اشترك مع أشراف قريش في دار الندوة للتأمر على النبي (البداية والنهجية 170).
بهم إليكم حتى يطاكم بهم فيأخذوا أمركم من أيديكم ثم يفعل بكم ما أرادوا أو يروا فيه رأياً غير هذا. فقال أبو جهل بن هشام: والله إن لي فيه رأياً ما أراك وقعتم عليه بعد.

قالوا: وما هو يا أبا الحكم؟ قال: أرى أن نأخذ من كل قبيلة فتى شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فيها، ثم نعطي كل فتى سيفاً صارماً، ثم يعمدوا إليه فيضربوه بما ضربة رجل واحد فقتلوه فاستريح منه، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جمعها، فلم يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعًا. فرضوا منا بالعقل فعقلناهم. فقال الشيخ النجدي: القول ما قال الرجل هذا الرأي ولا رأي غيره، فتفرق القوم على ذلك وهم يجمعون له(1).

قال ابن إسحاقي: فكان ما أنزل الله في ذلك اليوم وما كانوا أجعموا له قوله تعالى: ﴿وَإِذَّ يَمْكُرُ بِكُلِّ الْأُمَنِّينَ كَفَرُوا لَيَتَّبِعُونَ أَوْلَدَتْكَ أَوْ يَقْتَلُوكَ أَوْ يَخْرُجُوكَ وَيَمْكُرُونَ ﻣَيْكَرُ ﺍлِهَّ ﻭَاللَّهُ ﺧَيْرُ الْمُتْمَيْسِكِينِ ﴿(1) وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّ ﻲَقُولُونَ شَاعِرُ ﱡنَتَّرَبِصُ ﰊ ﺭَبِّ الْأَمْمِ إِنَّهُ ﺑَلَاءٍ مَّعَلَمٍ ﱡأَلْمَتْرَبِصُونِ ﱡۡۡ﴾ (1) وتفرد. قال ابن إسحاقي: فاأذن الله لنبيه ﺑِالْبَحِرَةِ(1).

10 - السجن والتعذيب: وكان نصيب المسلمين السجن والتعذيب بعدما يقضى قريش من رسول الله ﷺ ومنهم أبي طالب. فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين، فجعلوا يحبسونهم، ويعددونهم بالضرب والجوع والعطش وبرمضاء مكة إذا اشتد الحر، من استضعفوا منهم يفتنونهم عن دينهم، فمنهم من ينتظر من شدة البلاء الذي يصيبه، ومنهم من يصلح لهم ويعصم الله منهم(2).

البداية والنيابة 163 - 166.
المراجع السابق ص 167.
سيرة ابن هشام ج 1 ص 329 - 340. وطباق ابن سعد ج 3 ص 82. والاستيعاب ج 1 ص 288.
(1) (2) (3)
وأما حدث لبلا رضي الله عنه وآل ياسر رضي الله عنهم من العذاب والفتنة، ومن ثم استشهد أم عمر في سبيل الله وهي تحت العذاب.. لذكرنا بالأساليب الرهيبة لزبانية طغاة اليوم، واستشهد المئات في السجون، وليس لهم من ذنب إلا أن يقولوا ربا الله. والتاريخ يعيد نفسه في حرب الإسلام والمسلمين. وكما انتصر المسلمون بعون الله ورعاية رسوله وللمؤمنين. فكذلك سينتصر المسلمون الصادقون إن نصروا الله وأخلصوا له النية.. وأعدوا للصراع عدته.

(1) وَيَتَّلِقُ غَزْيَةُ عَزِيزٍِّ ذَٰلِكَ الْحَقُّۢ لَقُوَّةٌ إِنَّ اللَّهَ لَقَوْمِ عِزِّيۡزٍ﴾ إِلَّهٍ﴾

والسجون لندة طويلة من أساليب الحرب النفسية.. وفيه تتم عمليات غسيل الدماغ(1)، والتلقين للمبادئ التي يرغب بها الطاغية، وذلك لشعور السجين وعزلته عن الدنيا والناس والأهل والأصدقاء .. بشكل يضطر فيه السجين إلى إعادة التفكير بما هو فيه وما يؤمن به.. وما في السجين من إذلال لشخصيته، وخراب لتجارته وانتقاء لسبيل معاشه.. وما ينظر أهله وأولاده من الفاقة ، والذال يساعد على الرجوع عما يؤمن به السجين إلا من عصمه الله.

وإذا رافق السجن التعذيب، الرهيب، وما يتفنن به الطغاة من أنواع التعذيب تصير النتيجة أدهى من ذلك..

وهذا قول أبي جهل أخزاه الله: "إذا سمع بالرجل قد أسلم له شروفاً ومتناه أباه وخزازاه، وقال: شرعت دين أبيك وهو خير منك، لئفه نُجْمُك ولَتْفِنْ رَأْيِك(2) ولضنن شرفك، وإن كان تأجراً قال: والله نكسدن تجارتك، ولنلهلك مالك، وإن كان ضعيفاً ضربه وأغرى به(3).

(1) انظر أساليب الحرب النفسية - البحث الأول .. فقرة غسيل الدماغ في الفصل الثالث من هذا البحث.
(2) قوله لنفرين رأيك: أي لتقبح وخطته كما في القاموس.
(3) سيرة ابن هشام ج1 ص342.
وهكذا كان المشركون يحاربون المسلمين نفسيًا ومادياً. أما الضعفاء من المسلمين، فمن ليس لهم قبيلة تحميهم كان العذاب والسجن مصيرهم وربما القتل في النهاية.

قال ابن إسحاق: "حدثني حكيم بن جبير عن سعيد بن جبير، قال: قلت لعبد الله بن عباس: أي كون المشركون يبلعون من أصحاب رسول الله ﷺ من العذاب ما يعذبون به في ترك دينهم؟ قال: نعم والله، إن كانوا ليضربون أحدهم ويبيعونه ويعتثنون حتى ما يقدر على أن يستوي جالساً من شدة الضرب الذي نزل به حتى يعطيهما ما سألوه من الفتنة..."(1).

ومن المؤمنين من يصير على الأذى الشديد ويصمه الله من الفتنة... يقول خباز بن الأمر: لقد رأيت يومًا أخذوني فأوقفوا لي نارًا ثم سقوني فيها، ثم وضع رجله على صدرًا، فما اتقت الأرض أو قال برده الأرض إلا بظهري، ثم قال كشف عن ظهره فإذا هو قد برص(2).

وعلل الأبيات التي قالتها عبد الله بن الحرة بن قيس بعد هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ما يصور ما أصاب المسلمين في مكة من اضطهاد وفتنة:

يا راكونا بلاغنا مغلقة ممن كان يرجع بلاغ الله والدين مظالم مكتوبًا بطن مكة مفهوم ومكتوب أننا وجدنا بلاد الله واسعة

المصدر السابق ص 342.  
(1) طبقات ابن سعد ج 3 ص 117.  
(2) سيرة ابن هشام ج 1 ص 303.  
(3) مغلقة: الرسالة ترسل من بلد إلى بلد.  
(4)
الفصل الثاني: نظرية الريفية

المرحلة المدنية:
واجه الرسول ﷺ الحرب النفسية التي شنت عليه من جهتين في المدينة وهما:

أولاً: جهنة المنافقين.
ثانيًا: جهنة اليهود.

ويمكن أن ينجح الغاية من حربهما للرسول ﷺ بما يلي:
- هزيمة الرسول ﷺ وصحبه في قتالهم مع مشركي قريش.
- القضاء على الدعوة وتمكين المشركين واليهود من التسلط على المدينة.

وكان سلاح كل من المنافقين واليهود في هذه الحرب هو:

1- إثارة الشائعات المختلفة حول الرسول ﷺ وأهل إزالة قديسية الدين ومن ثم إظهار الرسول ﷺ بالظهر الإنساني العادي.

2- الدعاءات الكاذبة، واستخدام الشر في ذلك للتشهير بالرسول وصحبه.

ومنها - يا ذن الله - كيف حاول كل من المنافقين واليهود الوصول إلى غاياتهم.
إلا أنهم ووجهوا بالإبان الصادق، العزيمة، والشجاعة، والوعي العميق بما أفشل هذه الحرب، ورد كيدهم في غورهم. وجاء نصر الله والفتح.. ودخل الناس في دين الله أفواجاً...

أولاً - جهنة المنافقين: بعد أن قام المجتمع الإسلامي في المدينة، وأصبح للمسلمين قوة ودولة، أخذت ظاهرة النفاق تبرز على السطح، لذا لم يكن في مكة نفاق لأن الإسلام هناك كان مغلوباً على أمره ولا يملك لأحد نفعاً ولا ضراً، بل إن من

(1) وهو الذي يرجحه أكثر الفسرين والمؤرخين، وجميع السور التي ذكر فيها النفاق مدنية، وقد جاء في سورة التوبة ﷺ وَيَمُنْ حَوْلَكَ مِنَ الْأَغْرَابِ مَنْ يَقُولُنَّ عَلَى الْأَلْيَافِ المُنْفَقِينَ وَمَنْ أَهْلِ الْمُدَّيْنَةِ مَرْدُوا.
يدخل فيه يعرض نفسه للخطر والضرر... والتفاق «ظاهرة طبيعية نفسية تظهر في بيئة تجمع بين دعوتين منافستين وقيادتين متنافتين، هناك يوجد عنصر مضطرب يترجح بين هاتين الدعوتين ويتبدد في إثار إحداهما على أخرى، وقد ينحاز إلى دعوة، فتكون في معسكرها، ويعطيها ولاءه ووجه العاطفي، إلا أن مصالحه المادية، وانتشار الدعوة المقابلة وانتصارها... كل ذلك لا يسمح له بإعلان موقفه والانضواء إلى الدعوة الأولى، وقطعه للحبال التي تربطه بيته الأولى.

وقد صور القرآن هذا الموقف المضطرب بصورة دقيقة، فقال: ﴿وَمِنْ آلدَاءٍ مَنْ يُعَبِّدُ اللَّهَ عَلَى حُرُفٍ فَإِنَّ أَصَابَهُ حَبْرٌ أُثْمَانٌ ﰲ يَدَّ عَلَى وَجُهِهِ خَيْرَ الْأَدْبَارِ وَالْأَخْرَى ذَلِكَ هُوَ الْأَخْسَرُانُ أَلْمَّهُنَّ ﴾ (الإس١١)، ﴿وَهُمَّ الْذِّينَ ﻋَدَّلُواْ بِكُلِّ ذَيْلٍ لَا إِلَى هَيْلٍ َوَلَا إِلَى هَيْلٍ ؟ ﴾ (النور٤٩).  

وكان سلاح المنافقين في حربهم النفسية الدعابة الكاذبة والشائعة:

(1) الدعابة الكاذبة: وتهدف هذه الدعابة إلى تفتيت الصف المسلم، وخlicativeه لإضعافه أمام خصمه مشركي قريش.

ولكي يضمن المنافقون نجاحهم في هذه الدعابة، لا بد وأن يظهروا مظهراً متشابهًا لما يشاهدونه المسلمون الصادقين، فهم تارة يبهرنهم إسلامهم أمام الرسول ﷺ: ﴿إِذَا جَاءَ الْمُنْفِقُونَ قَالُواْ نَشَدُّوا إِنَّكَ لَرَسُولٌ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكُذِّبُونَ ﴾ (المغافر١)، ﴿وَهُمْ تارة يُظْهِرُونَ إِيَامْهُمُ الكاذِبِ وَبَيْنَاهُمُ الصُّدِّ عِنْ سَبِيلِ اللَّهِ ﯿ مُتَمَسِّكِينُ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾ (البقرة٢٣٩).
والمنافقون مظهر خادع، وكلامهم ظاهره مقنع. ولاشك أن من عوامل نجاح الدعاية الظهور بظهور الصدق أمام الناس، واتخاذ أساليب الإقناع العقلي، وطفاداً وصفهم القرآن: "فأيام رأيتهم تُصُحبُوا أجسَامهم*، وإن يقولوا: تَسْمَعُونَ أيها الناس، نقلت بينكُم هُمَّ أن تعذبوا في الآخرة، فإن الله أن يعذبهم*" [القصص: 1]

وقوله تعالى: "فااحذرهم" تبيان خطورهم الكبير في الصف المسلم، وانخاذ المسلم بهم. أما إذا كشف أمرهم، وظروا على حقيقتهن، صدوا عن سبيل الله ولم يقبلوا هدى الله: "فأيام وَإِنَّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ وَيَعْمَلُونَ الْعَمَلَ الْبَيِّنَةَ مَن يَتَّقُونَ وَيَعْمَلُونَ الْحَقَّ فَلْيَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ" [الثغور: 2] [القصص: 2]

وفي صدر سورة البقرة وصف دقيق للمنافقين، واحراقهم ذات الوجهين، واعقائهم الإيمان والصلاح، وتأمرهم مع رؤسائهم اليهود على المسلمين فنزلت الآيات تكشفن وتعريهم أمام المؤمنين: "وَمَن أَكِلَ الْأَذْنَبَاتْ مِن يُقُولُونَ إِنِّي أُمَلِئُتُ بِأَنَفُسِي بِاللَّهِ، وَيَأْتِيَهُمُ الْآخِرَةُ وَمَا هُمْ يُؤْمِنُونَ، وَفِي لَغْوِهِمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يُنْذِرُونَ" [البقرة: 211] "وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ مَا كَانُوا يَكَتَبُونَ وَإِذَا جَاءَهُمْ جَعَلُونَهُمْ هَادِئِينَ، لَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْتَرِضُونَ وَلَا يَفْتَرُونَ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَالُوا: إِنَّا مُتَّبِعُونَ، وَأَنْفُسَهُمْ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَلَا يُنْذِرُونَ" [النحل: 49] [القصص: 3]

وهناك ثلاثة مواصفات للمنافقين بين دعايتهم الخبيثة على سبيل المثال لا الحصر:

وهذه المواصفات هي:
(1) موقف المنافقين قبل غزوة الأحزاب وكان دورهم الشهير عن الجهاد وخليل الصف المسلم، وكانت الدعاء في ذلك الوقت نجدها آراماً خصبة لها. إذ النفوذ موقفاً، والحلف بصدور القلوب، ومن هنا يأتي خطر المنافقين على الصف المسلم. إذ وجدت دعاء المنافقين قبولاً لديه. لذا كانت رعاية الله لرسوله ولمؤمنين في الكشف عن شخصية المنافقين ودخيلة نفوسهم وجنبهم في القتال.
قال تعالى: "قدْ يَعْلَمُ اِلَّهُ الْمُعْقُولِينَ مِنْكُمْ وَالْأَقْبَلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هُلُمْ إِلَيْهِمْ وَلَا يَأْتُونَ الْبَاسِ إِلَّا قَلِيلًا (أَشَدَّهَا عَلَيْكُمْ، فَإِذَا جَاهَزَ أَحْزَنَ فَرَأَيْتُهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ) تَدُورُ أَعْجَبُهُمْ كَذَٰلِكَ يُعَنِّي عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَتٍ، فَإِذَا ذَهَبَ أَحْزَنَ سَلَفْوُكَمْ بَالْأَسْبَابِ حَدَادًا أَشْحَدَ عَلَى أَخْيِكَ أَوْلَّيْكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اِلْلَّهُ أَمْعَلَهُمْ، وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اِلْلَّهِ يَسِيرًا (2)."

(النزع، 29).

(2) و موقف آخر أثناء المعركة، وفي غزوة أحد، إذ أشاع المنافقون أن الرسول قد قتل، وذلك بعد أن كسرت رباعيه ومشى وجهه. وسرعان ما انتشرت الشائعة في صفوف المؤمنين والمشركين، ولقد كان يوم بلاء ومحصيب، وكانت دعاء المنافقين والمشركين ذات أثر بالغ في صفوف المسلمين فتوقف بعضهم عن القتال. وكانت كلمة أنس بن النضر، رضي الله عنه، الصادقة بعثة الدعاء المضادة، وذلك عندما رأى رجالاً من المهاجرين والأنصار، وقد ألقوها بأيديهم فقال: "فمما تصنعون بالحياة بعد؟ قوموا وموتونا على ما مات عليه رسول الله ثم استقبل القوم فقاتل حتى قتل، رضي الله عنه."(3).

(3) موقف ثالث للمنافقين، يبين فيه دورهم في تبتيط المسلمين عن الجهاد حتى يهزموا في المعركة، وذلك في "غزوة أحد" عندما تخاذلوا وخفافوا على...

(1) السيرة النبوية لابن هشام 3/21.
أنفسهم من القتل. ولاشك أن تخاذل جزء من الجيش في المعركة، يضعف الجيش ويوجهه مادياً ومعنويًا. وقد كشف الله تعالى هذه الطائفة، وأظهر خبيثة نفوذهم بقوله: «فَمَّا أُزِلَ عَلَيْكُم مِّن يَوْمِ الْقَرْعِ أَنِّي نَعَسَتُ لَكُمْ طَارِقًا إِنْ كُنتُمْ يَدْعُونَهُ» (البقرة: 48). وقد استخفهم أنفسهم يطوفون بيده، غير الحق ظنًا فهموهم، بل يحنون في أنفسهم ما لا يجدون للذين كيب عليهم القتل إلى مصائبهم، ويستقل الله ما في صدورهم وليمحيص ما في قلوبكم وأن الله عليهم بدات الصدور» (إنس 94:10).

وهذه الطائفة «هم المناقون لا هم غير أنفسهم، فهم من حذر القتل على أنفسهم، وخوف المنية عليها في شغل قد طار عن أجتهم الكرى يظنون بالله الظون الكاذبة، ظن الجاهلية من أهل الشرك بالله، شكا في أمر الله وتكدسياً لبئبه 1).

ومن الظن غير الحق بالله أن يتصوروا أنه - سبحانه - مضيعهم في هذه المعركة التي ليس لهم من أمرها شيء، وإنما دفعوا إليها دفعاً لمروتوا، والله لا ينصرهم ولا ينقذهم إذاً يدعهم فريسة لأعدائهم ويساءلون: هل لنا من الأمر شيء؟.

وتتضمن قولهم هذه الاعتراف على خطة القيادة والمعركة والتشكيك فيها والتحريض على عصيانها.

وكان الرد المباشر لدعايتهم ومحاولات التحريض والتشكيك .. إذاعة الحقيقة في إينانها، لتصحيح أمر الحياة والموت والابتلاء .. وأن هذه الأمور كلها من الله عزوجل: قُل لَو كُنْتُمْ فِي بَيْنِي كُبْرِيْكُمْ لَبَرِّ أَلَّذِينَ كَبِبْ عَلَيْهِمْ الْقَتَالُ إِلَى مَصَابِهِمْ وَلِيْمِحِصُّنَّ أَلَّهَ نَا مَّا فِي صُدُورِهِم وَلِيْمِحِصَّنَ مَا فِي قَلْبِكُمْ وَاللَّهُ عَلَيْمُ هُدَىٰ الصُّدُور (إنس 94:10).»

1) الطبري في تفسيره هذه الآيات من سورة آل عمران.
الحرب النفسية

(2) الشائعة: تعد الشائعة من أخطر أسلحة الحرب النفسية. وسندرسها بشكل مفصل بإذن الله. وتعرض هذا إلى ما لاقاه الرسول ﷺ من اليهود والمنافقين من شائعات تهدف إلى هدم الدعوة وقدرتها في نفوس المسلمين في الدرجة الأولى، بالإضافة إلى التشجير بأهله وبرغبيها، وهي الطاهرة النقية. وإن من أخطر ما تعرض له رسول الله ﷺ من شائعات. ما يعرف بقصة الإفك أو حادث الإفك. وقد ذكرها القرآن الكريم (و) وبسطتها كتب الحديث (و) ولعل من المفيد ذكرها باختصار: "كان رسول الله ﷺ إذا آدر سفرًا، أقع بين نسائه، فأنه خرج سهمها خرج بها معه، خرج سهم عائشة بنت أبي بكر زوج رسول الله ﷺ في غزوة بني المصطلق، فخرج بها رسول الله ﷺ فلما فرغ من سفره ذلك توجه قافلاً، حتى إذا كان قريبًا من المدينة نزل منزلًا، فبات به بعض الليل، ثم آذن بالرحيل، وخرجت عائشة لبعض حاجتها، وفي عقدها عقدها، فانسل من حيث لا تشعر، فلمما رجعت إلى الرحل فقدت العقد فذهبت تبحث عنه وقد أخذ الناس في الرحل، فجاء القوم الذين كانوا يرحلون لها البعير، فأخذوا الهودج، وهم يظنون أنها فيه، وكانت فتاة صغيرة السن، خفيفة اللحم، فلم يبتها خفته، ولم يشكون أنها فيه، ورجعت عائشة إلى العسكر وما فيه داع ولا بجيب قد انطلق الناس، فتطلقت بجلبها واضطعتها في مكانها.

وبينما هي كذلك إذ مر بها صفوان بن المطلب السلمي، وقد كان تختلف عن العسكر لبعض حاجته فلما رآها استرجع وقال: ظعينة رسول الله ﷺ: ثم قرب

(1) سورة النور آية 11-12
الفصل الثاني: نظرة تاريخية

البُعيِر وإسْتَأْخِر، فرَكَبْت وأَخِذت بِرَأسِ البَعير، وانطِلق سِريعاً يَطلب الناس فَادرِكُهم،
وُقِدَ نِزْلَوا، وَحَقَّت بالرَكِب فَلَم يَرع الناس شَيء، فَكَانَ مَا أُلفوه ... وَكَانَت القَضِىَّة
لَاتَّسْرِعُ اِثْنَابِه، وَلَكِنْ عَبْد اللَّه بِن أبي بْنِي هَذِه القَضِيَّة وَتَحْدُثَ بِهَا بَعْد عُودُه
إِلَى المَدِينَة، وَشَيَاعَ أَصْحَابِهِ مِن النَّافِقِين وَهُمْ بِعْلَها لِإِثْنَاء القَضِيَّة بَين الوَسَّلِين
وُعَضِفَ الْصِّلَاة الَّتِي تَرْبطُهُ بِمَكَام صَاحِب الرِسَالَة العَظِيمِي وَمَن يَتَصلُّ بِهِ مِن
أَهْلِ، وُعَضِفَ ثَقَة الوَسَّلِين بَعْضِهِم بِأَمَانَة بَعْض، وَتُورُطُ فِي هَذِه المُكَيدَة عَدَدَ قَلِيل
مِن الوَسَّلِين الَّذين أَصْبَحُوا فَرْيَة التَشَهِى لِلْحَدِيثَ وَالْتَزْوِيد لِكُل مَا قِيل مِن غَيْر
تَمْحِيصٍ، فَلَمَا سُمعَت بِذَلِك عَائِشَة، وَفَوْجِهتْ هِي فِي المَدِينَة فَزَعْتُ لَه، وَحَزَنت
حَزْنًا شَديداً حَتَّى لَا يَرْقَى لَهَا دَمَع وَلَا تَتَحْلَّل بِنَوْم، وَكَبَرَ عَلَى رَسُول اللَّه ﷺ
وَعَرَف مُصَدِّرَه فَقْام مِن يَوْمِه، فَعِتْرَعَ مِن عَبْد اللَّه بِن أبي وَهُوَ عَلَى المُنْبِر قَالَ:
نَا مَعَشُر الوَسَّلِين مِن يَعْذِنِي مِن رَجُل قَد بَلْغُيَّهُ عِنْدَهُ أَنَا فِي أُهْلِي وَلَهُم مَّعَلَمَت
عَلَى أُهْلِي إِلَّا خَيْرًا، وَقَد ذَكَرُوا رَجْلًا مَا عَلَمَتْ فِيهِ إِلَّا خَيْرًا، وَمَا يَدْخِل عَلَى
أُهْلِي إِلَّا مَعِي، وَغَضَبُ رَجُل مِن الأَوْس لِرَسُول اللَّه ﷺ، وَأَبِدَوا أَسْتَعْدَادِهِم
لَقْتُ مِن تَوْلي كِرْهُ هِذِه المَقَاة إِن كَانَ مِن الأَوْس أَو مِن الخَزِرْج، وَكَانَ عَبْد اللَّه بِن
أَبِي مِن الخَزِرْج فَأَحْتَلَّت بِعَضُوْمَهَا الْحَمْيَة، وَثَارُ الْحِيَانُ، وَكَادَ الشِّيْطَان أَن يَلْعِب
بِهِمَ لَوْ حَكَمَة رَسُول اللَّه ﷺ وَحَلِيمَهُ.

هَذَا وَالِصِدِّيِّقَ بِنت الصَّدِيق مُوقَّعَة بِلاءِتِها، عَزِيْزَة النَّفْس، مَلْوَىَة بِالْقَصَة
وَالْعَتِزاَز شَانِ الأَبْرِيء الَّذين لَا تَرْتَقَى إِلَيْهِم شَهِيَة، وَلَا تَلْتَصِق بِهِم لَوْنَهَا، تَعْلَم أن
اللَّه سِبْرُهَا، وَيَعِيدُ كِل ظَنْة وَثَقَة عَن سَاحَة رَسُول اللَّه ﷺ، وَلَكِنْهَا لَمْ تَكُن تَظَن
أن اللَّه مَنْزِل فِي شَأْنَهَا وَحَيَّيْ يُنْهَى، وَيُجْعَل كِلَّمَة باقِيَة فِي أَعْقَاب هَذِه الأَمَة، وَلَكِنْهَا لَم
تَلْبَى طَوْبًا حَتَّى أَنْزِل اللَّه عَلَى رَسُوله فِي شَأْنِهَا الْقَرَان، وَأَنْزِل بِرَاءَتِهَا مِنْ فَوْق
سَعِ سَمَّاوات فَقَالَ: "إِنَّ اللَّهِ ذَاتُ الْأَفْلَام قَدْ عَصِبَهَا عَصِبَةُ مَكْرَه لا مَخْسَوْعُ مَنْ أَكْبَرُ
بَل هُوَ خَيْرُ لَكُمْ لِكُلِّ أَشْرِيِّ مِثْلِهَا ما أَكْسَبَ مِنَ النَّاسِ وَالَّذِي تَوْلَى كُبْرَهُ،
منهم الله عداً عظيمٌ
ولا إلا ذا سمعهٔ وظف المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم
خيراً وفالوا هنداً إفق مبينً ۙ (الشعرى: ۱۲۰)

ذلك انطفأت نار الفتنة وخزي الشيطان، وكان شيئاً لم يكن شيء، فتشاغل
المسلمون بما أمرهم الله به ورسوله بما، يعود عليهم وعلى الإنسانية بالخير
والسعادة .

وإن حادث الإفك هذا والذي عاش فيه المسلمون شهراً كاملاً في مجار الشك
والقلق الذي لا يطاق قد كلف أظهر النفس في تاريخ البشرية كلها آلامه لا تطاق،
وكلف الأمّة المسلمة كلها خبرة من أشد التجارب في تاريخها الطويل ...
وفي الآيات الكريمة إشارات عميقة نرى أن نلمح إليها لعل فيها درساً
للمسلمين على مر الزمان. ومن هذه الإشارات :

أ- » إن الذين جاؤوا بالإفك عصبة منكم...« إنهم ليسوا فردًا ولا أفرادًا،
إذا هم عصبة متجمعة ذات هدف واحد ولم يكن عبد الله بن أبي بن سلول وحده
هو الذي أطلق ذلك الإفك، إذا هو الذي تولى معظمه، وهو يمثل عصبة المناقين
واليهود، الذين عجزوا عن حرب الإسلام جهيرة، فتواروا وراء ستار الإسلام
ليكيدوا للإسلام خفية... وكان حديث الإفك أحد مكائدهم القاتلة... وكان التدبير
من المهارة والخبيث بحيث أمكن أن ترجه به المدينة شهراً كاملاً وأن تتداوله
الألسنة في أظهر بيئة وأنفها».

ب- » لا تحسبوا شراً لكم بل هو خير لكم» إن هذه الحادثة ليست كلها شراً
بل خيراً - لأنها كشفت الكاذبين للإسلام في شخص رسول الله واهل بيته -

(1) السيرة النبوية - للندوي.
(2) راجع إلى »في ظلال القرآن « ميد نطب تفسير سورة النور.
وفيها تبيان خطر الشائعات على الجماعة المسلمة إذا تداولتها الألسنة دون دليل ولا برهان.

- وهو خير أن يكشف الله للجماعة المسلمة - بهذه المناسبة - عن المنهج القوي لمواجهة هذا الأمر العظيم:

«لو أن تُعَتَّمُوُّهُ أَلْمَؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بأنفسهم خيرًا وقالوا هَذَا إِفْكٌ مُّنِينٌ».

- ج- إن في هذا الحادث درسًا بليغًا، وتربيه للجماعة المسلمة، إن عليها أن لا تلوك بالاستناد شائعات لا دليل عليها، ولا تدبر ولا ترو ولا فحص ولا إمعان نظر، بل عليها أن تتبين الأمر، فإن الله أعلم، فإن الأمر فساق بنية تغريناً.

[المراتب ٤].

والتعبير القرآني (إذ تَلْقَوْنَهُ ضَلَّةً لا ضَلَّةً) [السَّبِيعَةِ] يظهر طريق الشائعة وسبيل سريانها بين الناس وانتشارها، لسان يلقي على لسان، وهذا القول كأنه يبر على الأذان ولا تتدبر القلوب، وهذه من خصائص الشائعة، تلقاوناً تلقاون بآفواههم ما ليس لكم فيه علمًا [القُرْآن] ١٠. وما دام الأمر اكتشف للمسلمين، أخذ الدرس، عليه أن لا يعود مثل هذا، فإن لو أن سبتموُّهُ ألمؤمنون وألمؤمنات بأنفسهم خيرًا وقالوا هذَا إفك منين [القصار ١٢].

د- أن سرعة انطفاء هذه الشائعة يزيد على سرعة انتشارها، إذ إنها انطفأت بلا أدلّة أو براهين لتفنيدها، أو أخذ ورد في الأمر، بل إن الشائعة انتهت بمجرد نزول الآيات الكريمة تبرئ السيدة عائشة رضي الله عنها، وكان الآيات أعادت من اشترك من المسلمين في الشائعة إلى صوابهم، أو كانوا في نوم فاستيقظوا، وهذا دليل على أن الشائعة سرعان ما تنطفئ بالحقائق الناصعة، مثلها مثل النار المستعرة سرعان ما تنطفئ بصب الماء عليها.
ثانيا - جهة اليهود: لما هاجر النبي محمد إلى المدينة، حاول أن يتالف قلوب اليهود، فعقد معهم المعاهدات (1). وأحسن معاملتهم، ولكن اليهود قاوموا هذه المعاملة بالمثل ظاهراً، إلا أن قلوبهم تفقر بالأخلاق والحسد باتناً، وخاصة وقد بث النبي بين غيرهم، وهم يعرفون كما يعرفون أبناءهم، والقصة الآتية تبين هذه النفسية اليهودية الحاصلة: عن أم المؤمنين صفية بنت حبي بن أخطب (2) قالت: كنت أحب ولد أبي إليه وإلى عم أبي ياسر، للفهما قط مع ولد حما إلا أخذاني دونه، فلما قدم رسول الله المدينة ونزل بقباء في بني عمرو بن عوف، غدا عليه أبي: حبي بن أخطب، وعمي أبو ياسر مغفلين (3)، فلم يرجموا حتى كان غروب الشمس فأتياً كالنين كسانين، ساقطين يشيّبان الهويني، قالت: فهُشتت إليهما كما كنت أصنع، فو الله ما التفت إلي واحده منهما مع ما بهما من الغم.
"عذابه والله ما بقيت." (4).

هذا هو موقف اليهود من النبي، وهو ما زال على أبواب المدينة.. وقد ظهرت بعد ذلك أحقادهم. فثاروا حرباً عاصفة من الجدل والشبهات، والكيد

السيرة النبوية لابن هشام ج 3 ص 119.

(1) حبي بن أخطب: زعيم بني النضير وحبرهم. وقد ظل يؤجج العداوات ضد الإسلام بعد هزيمة فوهم (في السنة الثالثة للهجرة) إلى أن قتل مع بني (فريضة) عقب خيانتهم الفاحشة للمسلمين في معركة المخندق، و(صفية: تزوجها النبي بعد فتح (خير) في السنة السابعة من الهجرة النبوية (النظرالبداية والنهج 1/74 و 116).

(2) مغفلين: الغفلة ظلّة آخر الليل.

(3) ارجع إلى البداية والنهج 3/212. وسيرة ابن هشام 2/140.
والله، والتأمر والتحرض على النبي ﷺ والمؤمنين حتى حالقوا الشركين، والمنافقين، في سبيل النيل من المسلمين...

وزاد عداء اليهود بعد أن أسلم بعض أحبهم كعبد الله بن سلام وغيره من اليهود (1) ولم يقتصر على خلافة الإسلام بل تعدوا ذلك إلى تفضيل عبادة الأوثان والشركين على عقيدة الإسلام، وهم يدعون أنهم من أهل التوحيد، فضلاً عن تحريب الأحزاب على رسول الله ﷺ قال ابن إسحاق: «إن نقرأ من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق النضري وحي بن أخطب النضري وكنانة بن الربيع... وهم الذين حزبوا الأحزاب على رسول الله ﷺ» وقالوا إذا سنكون معكم عليه حتى نستأصله، فقالت لهم قريش: يا معشر يهود إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا مختلف في نحن وعمر، أفديننا خير أم دينه؟ قالوا: بل دينكم خير من دينه، وأنتم أول بأحق منه، فهم الذين أنزل الله ﷺ فيهم: {آلم ترى إلى الذين ألوّنا لأزلت ﷺ، والطاغوت ويدعون لذين كفر واهموا هتأذى} ﷺ من الذين إينما سببنا ﷺ أو لتلك الذين أهدهم ﷺ وهم يلقى ﷺ ﷺ فإنّك من بني قريش ونحية له» (نصيرة (2) إصدار ۰۹/۰۳۰۲)

ويعلق كاتب يهودي على هذه الحادثة يقول: «ولكن الذي يلائم عليه يحق
- أي اليهود - والذي يؤمن كل مؤمن بإله واحد من اليهود والمسلمين على السواء إنها هو تلك الحادثة التي جرت بين نفر من اليهود وبين بني قريش الوثنين، حيث فضل هؤلاء النفر من اليهود أديان قريش على دين صاحب الرسالة الإسلامية».

---

(1) انظر البداية والانهاء لابن كثير 30/120 - ويبلغ عدد من أسلم من اليهود وكان له شرف الصحابة (329) رجلاً جاءت أسماؤهم في كتب طبقات الصحابة، كالإصابة والاستيعاب، وأسد الغابة.

(2) البداية والانهاء ٤/٩٦ وسيرة ابن هشام ٢/١٩٠).
إلى أن يقول: "ثم إن ضرورات الحرب أباحت للأمم استعمال الخيل والآكاديب والتوصيل بالخداع والأصوات للغلب على العدو. ولكن مع هذا كان من واجب هؤلاء اليهود ألا يحتموا في مثل هذا الخطا الفاحش وألا يصرحوا أمام زعماء قريش بأن عبادة الأصنام أفضل من التوحيد الإسلامي"(1).

ولكنا نود أن نقول للكاتب اليهودي: إن أساليب الخداع والآكاديب قد أبدعت بين الدول المتحاربة وليست بين الدول التي بينها عهود ومواثيق فيهود المدينة مرتبطين بالعهود التي قطعواها على أنفسهم تجاه المسلمين. فكيف يahkan لهم قضية من وراء ظهور المسلمين؟ وهذه النقطة لم يتطرق لها الكاتب اليهودي. وإذا عد موقف النفر من اليهود من باب الخطا الفاحش لأنهم فضلاً عبادة الأصنام على التوحيد الإسلامي...

وتضمن العهود شريعة اليهودية، تحت أفانين من الخداع، والمبررات الكاذبة، وأوامر من ضروب التحريف التي الكلمة عن موضعه، وتزييف المعاني والمفاهيم، وفلسفات الاستحلال التي يجيدونها، وتعزيزهم حري الدم.

والعهد عند اليهود ضرورة مرحلية يعقد لأجلها، ثم ينقضيه بانتهاء ضرورتها و춥ها!

وبين العقد والنقض يظل اليهودي كالثعلب الجبان يتلفت، ويتربق الفرصة أو يوجدها، لنقض تحت أمان العقد، وغفلة الخصم!!

والقرآن العظيم يقرر أن هذه خطة يهودية دائمة، فيقول على سبيل الحصر لا الشمول: "آذنعوا عهدنت ميثم ثم ينقضون عهدكم في سكيل متزعمهم لا يتقولون"(2) (النساء 26).

(1) اليهود في بلاد العرب – ص 142 - تأليف إسرائيل ولفسون (نقداً عن السيرة النبوية للنديوي ص 232).
الفصل الثاني: نظرة تاريخية

وحتى الليلة الختامية التي يمثلونها اليوم تحت اسم: «الحمائم» أو «الصقور» (1) هي لون قديم من خداعهم، ويشير إليها القرآن الكريم بأسلوب التكرار المطرد كالأية السابقة: تَأْكُلُوا عَهْدَيْنَا نَبِيًّا فَرَقِيْتُم بِهِمْ بَلْ أُكْرِرُوهُمْ لَا يَوْمَئِنَّ بِهِمْ (العنكبوت: 100) [1].

وقد ظهر مصداق هذا في كل تصرفاتهم القديمة والمعاصرة على سواء، وتواترات على هذا الدرب أجاهم...

- ابتداء من عهودهم مع الله تعالى على يد كبار أسلافهم كما قال تعالى: 

فَمَنْ أَحْذَنَا مِثْلَ مَيْنَقَةٍ غَلِيظَةٍ فَوَقَعَتْ مَيْنَقُهُمَّ وَكَفَّرُهُمْ بِقَابِلَتِ اللهِ وَقَتَلُوهُمَا أَنَّهُ يَغْفُرُ حقَّ وَقُوْلُهُمَا طَغْنُوتُا عَلَى بَيْنِي يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (النساء: 63) [2].

وقال تعالى: فَوَإِذْ أَحْذَنَا مِثْلَ مَيْنَقَةٍ فَوَقَعَتْ مَيْنَقُهُمَّ عَذُورًا مَا ءَايَتَنَا لَكُمْ بِحَقّ وَأَسْمَعُوا قَالُوا سَيْعَانَا وَعَصِينَا وَأَشْرِبُوا فِي قَلُوبِهِمْ عُجُلٌ بَعْكَرُهُمْ قُلْ يُؤْمِنُونَ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ (العدسة: 34) [3]

- وانتهاء بما صنعوا من النبي ﷺ من غدر، ونقض المعاهد في أحر الأحوال، وأحلل المعارك، كما صنع «بنو قريظة» يوم الأحزاب فوجلوا بالذنباء;

وأتزيل الذين ظهرهون الفَأَهِل أَلْكَانَ بِمِن صَيِّباصِهِمْ (3) وقذف في قلوبهم الرَّضُب فَرَقَّا تَقَلَّبَوْا وَتَأَسَبَّوْا فَرَقَّا وأَوْرَنَّكَمْ أَرْضَهُمْ وَديَرُهُمْ وأَمْوَاهُم وأَرْضَهُم تَطَوُّهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى مُكَلِّمٍ شَيْءٍ قَدِيرًا (العدسة: 23) [3]

(1) أي يظهر جماعة منهم التفاهيم واللعين ويظهر آخرون التشريد، ومقصد الجميع واحد في الشر والاذى.

(2) الصحيح: جمع صيحة وهي كل شيء يتحصن به والمراد بها هنا الخصون.
ناثيكم عما صنعه اليهود مع غير الأنبئاء، وما زالوا يفعلونه، من غير حجل ولا اعتبار للقيم والأخلاق.. والأمثلة على ذلك كثيرة(1).

وقصة غدر «بني قريظة» ونقضهم عهد رسول الله ﷺ في غزوة الأحزاب.. ومحاولة طعن جيش المسلمين من الخلف. لابد من وقفة قصيرة، لما هذا الغدر من وقع شديد على المسلمين وعلى معنوياتهم، وهم يواجهون المشركين.. وتصور الآيات الكريمة هذا الوضع أبلغ تصوير: "إذ جاؤوكم مين قوكم ومن استفل منكم وإذ راغت الأبصر وبلغت القلوب `

هتاكاه أبتلى المؤمنون ونذرولوا زلزالاً شديداً

(الإغزاب 110)".

وحيانة يهود هذه. هل تذهب دون جزاء؟ لا، لأنه ليس من العدل أن لا ينال الحائن جزءاً، والغادر عقابه. وقد نال «بني قريظة» جزاءهم العادل على يد رسول الله ﷺ، وذلك بعد أن رد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيراً، وكنى الله المؤمنين القتال، وبعد أن انصرف المسلمون من الخندق راجعين إلى المدينة، أمر رسول الله ﷺ مؤذناً فأذن في الناس: "أن من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة")².

(1) أقرب مثال لذلك تفسيرهم للقرار الشهر ٢٤٢ لسنة ١٩٦٧ الخاص بالجلاء عن الأرض العربية في فلسطين المحتلة، فقد فسروه محيلة لغوية شيطانية وقائلاً إنهم يعني الجلاء عن "أراض" بالتنكر، وليس عن "الأراضي" بالتعريف، وجعلوا ذلك دربة للبقاء في القدس وغيرها، بل جعلوا ذلك وسيلة للمساسات والمجادلات، وأغراموا بهذا الحب أن أصحاب القضية في كل واد يهيمون ويقولون ما لا يفعلون، ومن هذا الباب أيضاً خرقهم اتفاقيات الهندة التي وقعت معهم في كل الجهات وفي جميع الحرب ابتداء من عام ١٩٤٨ وحتى عام ١٩٧٣ م، (راجع إلى: معركةCU_129_الوجود بين - القرآن والترمود - للدكتور عبد الستار فتح الله سعيد- ص).

(2) البداية والنهاية ١١٦/٤.
ونزل رسول الله ﷺ فحاصرهم خساً وعشرين ليلة حتى جهدهم الخصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، ونزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم بأن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتسي الذراري والنساء}.

هكذا قضى على آخر حصن من حسون اليهود في المدينة، وبالقضاء عليه لم يعد يسمع حتى للمناطقين في المدينة أي صوت أو عمل يناقض إدارة النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم.

وكذلك كان بنو النصير على شاكلة «بني قريظة» في الغدر والخيانة، فقد حاولوا اغتيال الرسول ﷺ عندما كان يومًا في ديارهم، وحاولوا إلقاء صخرة عليه بينما كان جالساً إلى جانب جدارهم.

فأتى رسول الله ﷺ الخبر من السماء بما أراد القوم، فقام وخرج راجعاً إلى المدينة، فلما استلم النبي ﷺ أصحابه قاموا في طلب فلقو رجلاً مقبلاً من المدينة فسألوه عنه فقال: رأيته داخلاً المدينة فأقبل أصحاب رسول الله ﷺ حتى انها إلىدهم فأخبرهم الخبر بما كانت يهود أرادتهم من الغدر به}.

وتوبا رسول الله ﷺ خربهم وإجلاتهم من المدينة «بعث إليهم أهل النفاق يثبتونهم ويعرضونهم على المقام ويعدونهم النصر، فقويت عند ذلك نفوسهم، وهمي حيّيّ بن أخطب ويعدوا إلى رسول الله ﷺ أنهم لا يخرجون، ونابذوه بقض العهود، فمنذ ذلك أمر الناس بالخروج إليهم، فحاصرهم خمس عشرة ليلة} ثم تم إجلاوهم عن المدينة جزاء ما أقترفوه من غدر ونقص للعهد. وقد أنزل الله فيهم:

المصدر السابق - الجزء والصفحة نفسها.

البداية والنهائية ٤/٧٤. وسيرة ابن هشام ٣/١٩١.

المصدر السابق. ٤/٧٤.
هو الالذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتب من ديارهم لأول الحشر ما طستهم أن خرجوا وقذف في قلوبهم الورع تخترعون بيوتهم بأيديهم وأبدوا المؤمنين قاعتراً يتأولون الأبرص، وولاه أن كتب الله عليهم الجلاء لعذبهم في الدنيا وهم في الآخرة عذاب النار، ذللك بأيهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاق الله فإن الله شديد العقاب.

- ومن صور دعابة اليهود ضد المسلمين، ما قام به كعب بن الأشرف أحد روؤساء اليهود وكان شاعرأ، والشعر من أسرع وسائل الاتصال في ذلك العهد، فقد كان شديد الأذى لرسول الله وصحابته الكرام، إذ كان يشبه(1) في أشعاره بناء الصحابة فلم ما كانت وقعة بدر، ذهب إلى مكة فجعل يولب على رسول الله وعلى المؤمنين، ثم رجع إلى المدينة على تلك الحال.

- ففي مكة أخذ يندى الأشعار ويدنب من قتل من المشركين يوم بدر وقد ذكر ابن إسحاق قصيدته التي أوهاها:

طحت رحي بدر لهلك أهله
ولمل بدر تستهل وتديمع
قتلت سراة الناس حول حياضهم
لا تبعدوا إن الملك تصرع

إلى أن يقول محرضاً على قتال المسلمين:

(1) شبيب بناء الصحابة: تغزل فين وذكرهم في شعره.
(2) رحى الحرب: مجتمع القتال ومعظم الحرب، وتسهل: تسيب بالدمع يقال استهل المطر والدمع إذا سالاً.
(3) سراة الناس: خيارهم وزعماهم، والحياض جمع حوض.
ليت أن الحرف بن هشامهم
يعم على الحساب الكريم الأروع

وقد رد عليه "حسان بن ثابت الأنصاري":
فابكي فقد أكبت عبداً راضعاً
شبه الكليب إلى الكلية يتبع
ولقد شفى الرحمن منا سيداً
أهان قوماً ما قاتلوا وصرعوا
ونجا وألقت منهم من قلبه
شفع يظل لحوفه يتصدع

ويروي ابن إسحاق أن كعب بن الأشرف أحد بنى النضر ركب إلى قريش
فاستغواهم، ولم يخرج من مكة حتى أجمع أمرهم على قتال رسول الله
ثم رجع إلى المدينة فشبب بناء المسلمين حتى آذاهم، فقال رسول الله:
"من لكبر بن الأشرف؟ فقال محمد بن مسلمة أثب أن أقفه؟ قال: نعم. قال: فأذن
لكب أن فعلته". وقتل على يد جماعة من الأنصار.

ومن أساليب اليهود أيضاً أساليب التزيف والتحريف والجدل العقيمي، بل إن
قلوبهم طبعت على ذلك. وأصبحت هذه الأساليب سجية في تكبيهم الخلقى
والنفسي.

الأروع: الذي يروع جمته وجمله.
راضعاً: أراد لجمعاً.
عي هنا بالسيد النبي.
شفع - بالعين المهلة - ومعناه عرفة القلب. ويروي - "شفع" بالعين المعجمة - وآراد
أنه قد بلغ الحزن. شغف قلبه. ويتصدع: يتشقق.
ارجع إلى البداية والنهائية لا ببنى كثير ١/٤.
رواية البخاري - باب الفلك بأهل الحرب. ١٦٠ (فتح الباري).
ارجع إلى البداية والنهائية ٥/٦. ومنيرة ابن هشام ٢/٤٣١. وزاد المعاد ٢/٣٤٨/٦٢.
قال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِي الَّذِينَ هَادَأْوَ سَمَّعُونَ لِلسَّمَّاعِ سَمَّعُونَ لِقُوْمِ إِنَّهُمْ لَا يَأْتِيَهُمْ آخَرُونَ لَمْ يَأْتُوهُمْ ﺟِزَاءُ ﺍلْكُلّمِ مِنْ بَعْدٍ مَوْضِعِهِ ﴾ (النور: 40).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِي الَّذِينَ هَادَأْوَ ﺟِزَاءً ﺍلْكُلّمِ عِنْ مَوْضِعِهِ وَيُقُولُونَ سَيِّئًاٰ وَعَصِيَّةً ﴾ (النساء: 41).

وقال تعالى مبيناً للمؤمنين طبيعتهم حتى لا يطمعوا بإيامهم وتعديل سلوكهم:

فاليهود يعرفون «كلام الله» من بعد ما عقلوه، فهم لا يفعلون ذلك ناسين أو
جاجلين وإنما يزاولون التحريف (1) عامدين وهم يعلمون. ولذلك أمعن اليهود في
الفحش والافتراء على أئمة الأنبياء قبلهم مثل: نوح وإبراهيم ولوط- عليهم
السلام. - بل وصموا أعلام أنبيائهم - عليهم السلام - بكل منكر وفاحشة مثل:
موسى، وداود، وسليمان - عليهم السلام (2).

وبهذا النفسية الخبيثة حشوا النور، وسائر أسفارهم «المقدسة» - في زعمهم
بكل ضلالات الاعتقاد، وشناصات التشريع، وموقات الأخلاق، وأساطير
القصص والأخبار، ونسبوا ذلك إلى الوعي والأنبياء، وبذلك أصبح اليهود «علماً
مفردًا في الضلالات والبهتان»، وغدت كلمة «الإسرائيليات» عناوين للاكاذيب
والمزورات والإباطيل، ومن العجيب أن يسررب كثير من هرائها إلى ثقافة المسلمين،

---

(1) من أخطر ألوان التحريف اليهودي ما قاموا به من ترجمة آتاجيل المسيحية وتحريفها في أكثر من
(376) موضعًا (راجع كتاب «إسرائيل حرف الأنجيل» ص 37 وما بعدها).
(2) أرجع إلى كتاب: «معركة الوجود بين القرآن واللهمود» ص 144.
وإلى كتاب: «فضائل النور» للدكتور أحمد عبد الرزاق مصطفى دار صائب للنشر والتوزيع
- دير الزور - ط 1 - 2004 م.
الفصل الثاني: نظرة تاريخية

"بل وصلت إلى تفسير القرآن العظيم، حتى غص بعض قول الله في نصه "ال.BOLD. الإسرائيليات" وذلك حين غفل بعض المسلمين عن حقيقة "النفسية اليهودية" وأبقوا في حسن الظن بقية في بعض بني إسرائيل، ناسين هذه الوصايا والتحذيرات القرآنية الصريحة."(1)

والنفاق اشتهر به اليهود في العهد النبي، أيضاً، فضلاً عن منافقين المدينة، الذين تشبهت قلوبهم، ومناهجهم، مع الإصرار على الكفر الباطني في كل حال.

قال تعالى: "وإذا جاءوكم قالوا: "هؤلاء أعيان، وقد دخلوا بِالكُفْرِ وهم قد خرجوا" "(2)

لا أعلم بما كانوا يُهْزِمُونَ. (3) "(الإنس 4:15)

هذه بعض صور الحرب النفسية التي شنت من قبل اليهود على الإسلام والمسلمين في البداية. وقد أطلنا البحث في الدعاية اليهودية في غير هذا الموضوع(2) ليطلع المسلم على طبيعة "النفسية اليهودية" على مر التاريخ.

وليوظف هذا الوعي في الصراع الدائر اليوم بين اليهودية والإسلام.

(1) ارجع إلى: معركة الوجود بين القرآن والتلمود. د. عبد السالك الله مسعد. ص 116.
(2) ارجع إلى الدعاية اليهودية في أسلحة الحرب النفسية في هذا البحث. (المبحث الثاني من الباب الثالث).
البحث الثاني
صور من الحرب النفسية

أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ:

(1) من التاريخ الإسلامي: يزخر التاريخ الإسلامي بالأمثلة الحية للحرب النفسية، والتي أدخت الربع والحلع في نفوس الأعداء .. وكان من نتيجتها الانتصارات العظيمة للجيوش الإسلامية.. والقضاء على أكبر إمبراطوريتين في ذلك العهد، الإمبراطورية الرومانية والإمبراطورية الفارسية.. وما لاشك فيه أن المسلمين نصروا بالربع، تحقيقاً لقول الرسول ﷺ "أعطيت هما لم يعطاه أحد قبل في نصرت بالربع مسيرة شهر، وجعلت في الأرض مسجداً وظهراً، فايما رجل من أمي أدركه الصلاة فليصل، وأحلت في المغام ولم تحل لأحد قبلي، وأعطيت الشفاعة، وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة ويعين إلى الناس عامة" (1).

فالانتصارات الإسلامية كانت تسبق الجيوش، والتي كانت بمثابة الدعاية المؤثرة في نفسية الأعداء، القاذفة في قلوبهم الربع. والجيوش تهزم من الداخل قبل هزيمتها في المعركة .. وهذا تلاحظت الانتصارات، ولم تعرف كلمة الهزيمة في قاموس الجهاد الإسلامي .. مع أن الأعداء أضعاف عدد المسلمين .. هذا خالد بن الوليد رضي الله عنه يسمع قُبّل بدعاء معركة اليرموك رجلاً من نصارى العرب يقول: "ما أكثر الروم وأقل المسلمين" فقال له خالد: "ويلك أنخويني بالروم، وإنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر (فرسه) براء.. وأنهم أضعفوا العدد" (2) .. بهذه الروح المعنوية العالية انصر المسلمون ..

(1) رواه البخاري - باب التحقيق - فتح الباري رقم (335).
(2) البداية والنهائية ٩/٧ (معركة اليرموك جرت في عام ١٥ هـ بين المسلمين والروم).
فصل الثاني: نظرة تحليلية

والتي أسسها الإيمان الصادق، وليس الرواتب العالية، أو الإغراءات المادية الأخرى، والتي بلجأ إليها في جيشه اليوم.

هذه الحقيقة عرفها كل جندي من جندي الله، الذين رؤؤُ أرض الإسلام بدمائهم الزكية، جهادًا في سبيل الله. والتي نتخلى عنها اليوم لأعداء الله وأعداء الإسلام والمسلمين اليهود.

ولقد استخدم المسلمون أساليب الحرب النفسية (1) لإدخال الرعب في نفوس أعدائهم وطبقتهم عملياً في الغزوات والمعارك الإسلامية الشهيرة، ومن هذه الأساليب:

أ. استخدام صيحات القتال لبث الرعب والرعب في قلوب أعدائهم ومن أمثلة صيحات القتال هذه والتي استخدمها المسلمون: «أحد، أحد» في غزوة بدر، و"أميت، أميت" في غزوة أحد. ومنها أيضاً «يا خيل الله اركبي» في وقعة يربوعك، إلى جانب التكبير الذي هو شعار كل مسلم "الله أكبر".

ب. التفريق بين الأعداء، وهو ما قام به نعيم بن مسعود الغطفاني - رضي الله عنه، عندما أسلم، أثناء وقعة الخندق، دون علم قومه. فقال له الرسول ﷺ: "إِنَّمَا أَنْتِ رَجُلٌ واحِدٌ، فَخَذْثُلَّ عَنَا مَا اسْتَطَعْتَ، فَإِنَّ الْحَربَ خَذْعَةٌ"، وقام نعيم بمهنته خير قيام، وفرق بين قريش وبين قريطة من اليهود (2).

ج. الدعاء بالأعمال الرمزية لإدخال الرعب في نفوس الأعداء فقد أمر رسول الله ﷺ، عممه العباس باحتجاز أمي سفيان في مدخل الجبل إلى مكة، حتى ثم به جنود المسلمين، فحدث قومه مما رآه عن بيئة وقين، فقضي على أي أمل لديهم في المقاومة وذلك قبل فتح مكة (3).

(1) انظر مبادئ الحرب النفسية في الإسلام في الباب الرابع من هذا البحث. حيث بحثت هذه الأساليب بشكل مفصل.
(2) البديآة والنهاية 4/111
(3) البديآة والنهاية 4/292
د. ولقد أجاد المسلمون استخدام رسول الأعداء في الحرب النفسية، وذلك في
حمل أخبار المسلمين وسلوكهم اليومي، إلى أقوامهم وقادتهم.
- بعث المقربين عظيم مصر رُسلاً إلى جيش عمرو بن العاص، فأتبعهم
عمرو عنه يومين وليلتين، اطعوا خلاها على حياة جند رباهم الإسلام ويهابهم
ففتح أرض الكنانة، وله عادة الرسل إلى المقربين ساهم: كيف رأيتهم قالوا:
"رأينا قوماً الموت أحبة إلى أحدهم من الحياة، والتواضع أحب إليهم من الرفعة،
ليس لأحدهم في الدنيا رغبة ولا نهبة، وإنما جلوسهم على التراب وأكلهم على
ركبهم. وأميرهم كواحد منهم، ما يعرف رفعهم من وضيعهم، ولا السيد من
العبد، وإذا حضرت الصلاة لم يتخلف عنها منهم أحد، يغسلون أطرافهم بالماء،
ويخشعون في صلاتهم"، فقال عند ذلك المقربين: "والذي يُحفّز به، لو أن
هؤلاء استقبلوا الجبال لأزالوها، وما يقوى على قتال هؤلاء أحد".(1)
- وقيل وقعة (أجنادين)(2) بعث أمير الروم "القيلقلان" رجلاً من نصارى
العرب يسوس له أمر الصحابة، فلما رجع إليه قال: "وجدت قوماً رهباناً بالليل
فرساناً بالنهار، والله لو سرق فيهم ابن ملكه لقطعوه، أو زنى لرمجه"، فقال له
القيلقلان: "ولله لن كنت صادقاً لبطل الأرض خير من ظهرها".(3)

(1) من التاريخ غير الإسلامي:
(2) استخدم المغول الجاسوسية للحصول على المعلومات اللازمة لشن حملاتهم،
كما جاؤوا إلى الشائعات وغيرها من وسائل المبالغة لتجسيم عدد قواتهم وعنف

(1) النجوم الزاهرة - جمال الدين أبو الحسن يوسف بن تغري بردى الأتابكي - طبعة دار الكتاب
المصرية عام 1349هـ / 1930م 1 ص: 11/10.
(2) وقعة أجنادين - كانت آخر جمادي الأولى سنة 13هـ / قبل وقعة البرموق بستين (ارجع إلى
البداية والنهاية 7/7).
(3) البداية والنهاية 7 ص 7.
الفضل الثاني: نظرة تاريخية

جندوهما، ولم يكن بهم ماذا يكتم أن يظهر أعداؤهم مادياً يتفتون من الخوف والرعب. وقد وصف الأوروبيون خيالة المغول الضاربة بأنها ظاللاً لا حصر لها، وإن كانت أقل من ذلك، لأن عملاء المغول كانوا يهمسون مثل هذه القصة في الطرقات.

ب- وأجاد النتائج الحرب النفسية وكانوا أساتذة فيها. وأن جنكيز خان استخدم جواسيس العدو وسيلة لإرهاب الجنود العدو أنفسهم، وعندما كان يستميل جواسيس العدو إلى جانب بروح يلقنهم الشائعات التي ينشرونها بين قواتهم.

يقول أول مؤرخ أوروبي جنكيز خان واصفاً كيف أن جنكيز خان أطلق «خلية النحل» على ملك خوارزم أي جعله يعيش في دوامة من الاضطراب... 

يقول المؤرخ: «ولقد جعل الجواسيس الذين بعث بهم ملك خوارزم لرؤية قوة جيشه وتداعيه... يقول بوصف الأمه بهذه الصورة: إنهم - كما قال الجواسيس للسلطان - كاملو الرجولة شجعان لهم مظهر المصارعين، لا يستنثرون شيئاً إلا رائحة الحرب والدماء...».

ج- وقد أدت "شركة الهند الشرقية" والتي أسستها بريطانيا في الهند عام 1600م والتي استمرت حتى عام 1858م حتى انتقلت السيادة على الهند إلى التاج البريطاني... أدت هذه الشركة دوراً مهماً في الحرب النفسية. إذ استخدمت الجاسوسية، والخلافات العقائدية، والدعاية، وسياسة (فرق تسد) في سبيل السيطرة على الهند...
يقول أدموند تيلور (1): «في الأيام الأولى لشركة الهند الشرقية أرغم الإنجليز على أن يستخدموا بدرجة كبيرة ما يعتبر اليوم (الحرب النفسية السوداء) وذلك باستخدام الطابور الخامس (2) وباستخدام أساليب فجأة من الدعاية السرية مما مهد الطريق لجند الشركة «وللكويزنتجين الوطنيين» الذين عينوا حكاماً ليحذفوا العبء عن إداري الشركة في الأماكن المختلفة.

وقد عبد الإنجليز إلى المناورة لإبقاء القوى الوطنية السياسية المضادة هم ضعيفة ومقسمة، وبوساطة الدعاية نجحوا في أن يلأوا عقول المهن بخزافات مضللة: فظن كل مجموعة من المجتمع الهندي أن الجماعات الأخرى تقف منها موقف مضاد، وكانت الحكومة الوطنية في البلاد تستخدم الجواسيس بإعداد كبيرة للتعرف على اتجاهات الرأي العام في هذه البلاد الواسعة لضغط أي تأثير، حتى قبل أن العدد كان يصل في هذا العصر المبكر إلى ثلاثين ألفًا في خدمة راجاه واحد من حكام الأقاليم.

وقد استغل الإنجليز الخلافات العقائدية بين المسلمين والهنود، فمثلًا إذا وطى مسلم دون قصد منه ذيل بقرة رابضة في الطريق، أو دك هندوسي على طبلا.

راجع كتاب الحرب النفسية - صلاح نصر - ج 1 ص 68.

(1) الطابور الخامس: اصطلاح يطلق اليوم ليدل على فترة داخلية خبيثة غريبة في مجتمع ما. عرفت هذه العبارة لأول مرة عام 1839 عندما تشترب الحرب الأهلية في إسبانيا التي بدأت عام 1836 حتى عام 1839، والتي قادها فرانسيسكو فرانكو ضد نظام الحكم الجمهوري الذي قام عام 1831. ولما ستلت إحدى قادات فرانكو وهو «أميليوبلو» عن خطة هجومها العاصفة الإسبانية.

(2) مدريد قال: سأؤهجمها في أربعة طوابير وطابور خامس داخل المدينة مدريد. ولا ستلت عن الطابور الخامس الموجود داخل المدينة كيف ذكروا قال: لم أقصد طابوراً خامساً عسكرياً بل فئة من سكان المدينة غابتها تبغيهم وترويج الشائعات وآثار البلدة. وفي عام 1939 سقطت مدريد وعرف العالم اصطلاحًا جديداً «الطابور الخامس» (راجع كتاب «عوامل النصر والخريجية عبر تاريخنا الإسلامي - شوفي خليل دار الفكر) حاشية صفحة 51.
الفصل الثاني: نظرة تاريخية

أمام مسجد أثناء إقامة الصلاة، نشأت اضطرابات أشبه بالحرب الأهلية، واستغل الإنجليز هذه الخلافات لزيادة الشقاق بين أصحاب العقائد المختلفة.

وقد استخدم الإنجليز الطوائف المختلفة في كبت الثورات، فإذا ما ثار السيك استخدموا المسلمين لكتبة الثورة، وإذا ما ثار المسلمون استخدموا السيك في القضاء على الثورة، وبذلك كانوا يقرون الخلافات بين الجماعات مشتركة دائماً. وهذا كان باعتبار سياسة (فرق تسد) استطاع الإنجليز السيطرة بقوات قليلة نسبةً على الهند الواسعة المساحة الكثيرة السكان.

وأن هذه السياسة (فرق تسد) طبقت من قبل الإنجليز في جميع البلاد الإسلامية، وممازالت آثارها حتى الآن في تقسيمات البلاد العربية على إثر معاهدة سايكس بيكو عام 1916م (1). وهكذا كان الإنجليز في تاريخهم الطويل، وجه كالح بغيض، ومنهما حاولوا الآن تلميعه وتزيينه فسيقي المتضمن للملسم هو هو الوجه البغيض نفسه للإسلام والمسلمين.

- والفرنسيون: ودورهم في البلاد الإسلامية لا يتعلق من الإنجليز، فمنذ أن وطأ مسلمون بونابرت أرض مصر عام 1798م لم تنته الحرب النفسية المطلقة على المسلمين، إلا أن الفرنسين يميزون بالساحة بالنسبة إلى الإنجليز، لأن خداعهم كان سرعان ما ينتفخ أمام الواقع، فنابليون هذا والذي خلع على نفسه صفة حامي الإسلام، بل ادعى أنه مسلم وأنه يحارب النصارى، وروما، وذلك لخداع المسلمين في مصر، وبالوقت نفسه كانت خيوله تدوس الجوامع وتضرب المجاهدين في وجههم، ويسفر عن وجهة الصليبي القيح... وعليه في كتابة مقتطفات من

الحرب النفسية - صلاح نصرج ص 69 - 70.

معاهدة سايكس - بيكو، الصرية عقدت بين بريطانيا وفرنسا، عام 1916م وقد كشفت المعاهدة بعد الثورة الشيوعية في روسيا عام 1918م.
المشور الذي وجهه إلى المسلمين في مصر حينما وطئت قدماه مدينة الإسكندرية ما يطلعنا على صورة واضحة من أساليب الحرب النفسية: "بسم الله الرحمن الرحيم، لا إله إلا الله لا ولد له ولا شريك له في ملكه... يا أيها المصريون... قد قيل لكم إني ما نزلت بهذا الطرف إلا بقصد إزالة دينكم، فذلك كذب صريح. فلا تصدقوه، وقولوا للمفتنين: إني ما قدمت إليكم إلا لأخلص حقكم من يد الظلمين، وإني أكثر من المماليك - أعبد الله - سبحانه وتعالى وأحترم نبيه والقرآن الكريم.

أيها المشايخ والقضاء والأئمة قولوا لأمتك أن الفرنسيون هي أيضاً مسلمون خلصون، وإدماج ذلك أنهم نزلوا في رومة الكبرى، وخرجوا فيها كرسي البابا الذي كان دائماً يحتل النصر على محاربة الإسلام.

ويتضمن المشور أيضاً الإغراء بالعوامل العالمية من يقف بجانب الفرنسيين والويل كل الويل لمن يحاربهم "كل قربة تقوم على العسكري الفرنسي تحرق بالتنـ".

بيان كل كلمة فيه تشهد بكذب كاتبه، وخداعهم، للتوصل إلى السيطرة على بلاد الإسلام.

ثانياً: صور من الحرب النفسية في الحرب العالمية وما بينهما:

1- الحرب النفسية في الحرب العالمية الأولى: في هذه الحرب تحولت الحرب النفسية من وسيلة عرّضة إلى أداء عسكرية رئيسية حتى قيل إن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب. بل إن أولئك الذين كانوا لا يولون أمر الدعاية في

---

(1) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج 1 ص (576، 77، 78، 77، 68).
(2) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 254.
الفصل الثاني: نظرة تاريخية

صفوف الحلفاء راحوا يشرون الاعتقاد بأن مهارتهم كانت قاطعة، وأن القتال العنيف الذي جرى في الخندق لم يكن بأكثر من شمل حركة الجانبيين المضاردين على كل حال، وإن كان هذا الكلام مبالغًا فيه، إلا أننا مع الذين يقولون بأهمية دور الحرب النفسية في الحروب: أما ما نسبه هذا الدور فهذا مرجعه إلى الجوهر نفسه وعقيدتها، وأخلاقيها، وقويتها، وإعدادها. والذي يهمنا هنا العرض التاريخي للحرب النفسية وأسلحتها الفتاكة في الحرب مثل الدعاية والشائعة وغيرهما.

والدعاية بشكل خاص تطورت - خلال الحرب العالمية الأولى - لتصبح علماً من العلوم التي تقوم على أسس عامة (1) وأعيد تنظيم الدعاية بعد الحرب من قبل الحلفاء وأنشأوا إدارة للدعاية ضد العدو. وكونوا لجنة مؤلفة من عدة دول لهذه الغرض فاشتركت فيها المملكة المتحدة والولايات المتحدة وفرنسا وإيطاليا (2).

وأن الدعاية البريطانية بشكل خاص نشطت منذ بداية الحرب عام 1914م، وكانت تهدف لتحقيق غايات ثلاث: فكان عليها أولاً، أن تقنع أبناء البلاد في الداخل بعدة قضيتهم في الحرب، وكان الهدف الثاني هو إقناع الدول الصديقة والمحيدة بأن النصر سوف يعجل لها آخر الأمر، أما الهدف الثالث فهو أن تلقى الأكاس والقنوط في قلوب الألمان (3).

ومن النقاط الرئيسية التي ركزت عليها الدعاية الإنجليزية لتحقيق الهدف الأول هو إقناع الشعب بعدة قضيتيهم:

1) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج 1 ص 80.
3) المصدر السابق - نفس الصفحة.
العداء الألماني على بلجيكا لم يكن إلا اعتداء القوي على جار ضعيف لا حول له ولا قوة.

ب- ذوي الروايات عن قسوة الألمان ووحشيتهم - إعدام الأسرى - الأعمال الوحشية ضد النساء والأطفال ورجال الدين، وإشعاعتها في بريطانيا.

ج- أن الألمان أعلنوا عدم اعترافهم بأي قواعد قانونية حربية، واستعمالهم الغازات السامة في الحرب.

وقد نجحت هذه الدعاء، وصدقها الناس، وتكارها أكثر من مرة وانتشارها بين الناس أصبحت حقيقة لاشك فيها.

وأن دور الصحافة كان له أثر في ذلك، وذلك بتضخيم الأخبار والبالغ فيها حتى أيقن الناس بصدق الشائعات. مما عباهم نفسياً للقتال ضد العدو الألماني.

- لتحقيق الهدف الثاني وهو إقناع الدول الصادقة والحيدة بأن النصر حليفهم وذلك بتحويل الرأي العام الأمريكي بشكل خاص. وقد ركزت الدعاء عليه لأنه الأمر في مستقبلها وانتشارها على الألمان.

وقد اتبعت الدعاء الإجليزية الحذر والحكمة، والطرق العلمية المنظمة نحو الشكوك التي ساورت الأمريكيين عن موقف الخلفاء، مع العلم أن كثيراً من الأمريكيين ناصروا الألمان في بداية الأمر، كما اعتبروا بريطانيا لا حق لها في محاصرة الموانئ الألمانية مخالفتها ذلك خريطة البحار.

وهكذا أعد الخبراء الدراسات الخاصة بالصحافة الأمريكية دون إزعاج للفارئ。

الأمريكي العادي، وتجنبوا المغالاة، وأظهروا الحقائق عن أعمال الألمان، دون تدخل ظاهر ودون القيام بمحاولات عنفية لكسب الرأي العام الأمريكي.

المصدر السابق ص28.
المصدر السابق ص28.
وقد ساعدت الدعاية الألمانية في نجاح الدعاية البريطانية، إذ إنها وقفت موقف المدافعين للرد على دعايات الخلفاء. وهذا نوع سيء من الدعاية لأنه يذكر المستمع أو القارئ برأي العدو، فضلاً عن أن محاولة الرد على هذه الدعايات حملت الناس على الظن بأن الألمان يحاولون استثارة العطف عليهم.

بالإضافة إلى ذلك، وكالات الأنباء البريطانية والخلفية استطاعت أن تتوصل إلى نتائج بعيدة المدى في كسب الرأي العام في مناطق كثيرة من العالم إلى جانب الخلفاء.

أما تحقيق الهدف الثالث وهو إلقاءает الأساس والقنوط في نفس الألمان، عن طريق توجيه الدعاية إلى العدو. فقد اعتمدت على المطبوعات والنشرات التي تلقيتها الطائرات على صفوف الأعداء والجدير بالذكر أن هذه النشرات كانت تحتوي على حقائق ولكن ليس كل الحقائق، وغابتها كسبب ثقة الأعداء.

بالإضافة إلى النشرات بوساطة الطائرات، كان هنالك الجواسيس داخل بلاد العدو فقد ساعدوا على نشر النشرات، وكتابة الشعارات العدائية على الحوائط، ونشر الشائعات التي تفت في عضد الأعداء. وكانت هذه الوسيلة الوحيدة للنشر قبل اختراع المذياع.

وقد نجحت دعاية الخلفاء في الأهداف الثلاثة مما اضطر الألمان إلى الجنوب إلى السلام بعد أن صار موقفها الحربي غاية في السوء مما هدد بوقوع كارثة.

الحرب النفسية ما بين الحربين: إن فترة ما بين الحربين لم تبرز إلا الحرب النفسية لألمانيا النازية، في داخل ألمانيا وفي خارجها. إذ استخدم سلاح الدعاية بشكل منظم وعلمي. وقد كان هتلر نفسه يشرف على الدعاية، بل هي من صنع يديه.

المراجع السابق ص 30.
2. المراجع السابق ص 34 لزيادة التفصيل.
أما الدعاية في داخل ألمانيا فقد ركزت على نقاط هامة بنظر هتلر، وخاصة وأنه ورث تركه شعب منهزم في الحرب، وهذه النقاط هي:

1- تأكيد الذات والثقة بها، وذلك عن طريق الدعاية بأن الجيش لم يهزم وأن الهزيمة قد كانت لعوامل أخرى غير انتحار الجيش. وظل الألمان يرددون الشعارات المعبرة عن قوتهم ووحدتهم، ويعلقون على صورهم الشعارات التي ترمز إلى هذه المعاني، والقول بأن الجيش لم يهزم هو قول يرضى الشعور الكامن بتأكيد الذات.

2- الخوف من المستقبل، وذلك بتأكيد روح العداء للدول المجاورة: فرنسا وبولندا وتشيكوسلافيا، لأن هؤلاء يعبرون هجمات جديدة على ألمانيا من الشرق ومن الغرب بالإضافة إلى أن ألمانيا تعاني أزمة اقتصادية بعد أن حرمها من مستعمراتها. ويعتبر أن النظرية للمستقبل مظلمة. فما على ألمانيا إلا الاستعداد لكل طارئ، والنظر بريب إلى كل الدول المجاورة أنها العدوة الأولى لألمانيا.

3- أن الرجل الألماني هو الرجل الأسمي (السوبرمان)، وهو البطل الذي لا يقهر، وأن ألمانيا تمتاز على سائر الدول بعلومها وصناعتها، لذلك تعاديها الدول الأخرى خوفاً من منافستها لهم في القوة العسكرية والاقتصادية. وكانت كل غاية هتلر من التركيز على هذه النقاط هو الإعداد للحرب العالمية الثانية.

أما خارج ألمانيا، فقد كانت الدعاية تشيطة جداً، وقد كان أعظم سلاح استخدمته الدعاية الألمانية في الخارج في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية هو المطبوعة. وتعتبر ألمانيا أول دولة استطاعت أن تنظم الدعاية بأسلوب علمي، وكان يشرف عليها الدكتور (جوليز) وزير الدعاية وذلك في عام 1939م قبل نشوب الحرب العالمية الثانية.
أما عن توجه الادعاء الخارجية فقد كانت توجه إلى الألمان الذين يعيشون في الخارج حتى تزيد فيهم الإحساس بولاهم لموطنهم الأول. وتحوج ثانياً إلى الأعداء اللدودين لألمانيا بريطانيا وفرنسا. وفي هذا المجال كانت تتسم الادعاء في الفترة ما بين 1933 و1939م بالطبع العدواني وأثناء الحرب تميزت بالطبع الدفاعي وذلك للرد على النشاط المتزايد للدفاعية المضادة.

والحق أن الادعاء المباشرة الموجهة للعدو هي سلاح محدود الفعّل، ومن الصعبية بكثرة أن يكتب مثل هذه الادعاء النجاح المرجو، وتنهف قدرتها في التأثير على مدى صدقها وعدم تضارب أقوالها وعلى فهمها العميق للحالة النفسية للجماهير التي تطأها. ولم يكن حزب هتلر يعرف شيئاً عن نفسية الجمهور المعادي، كما أن المبالغات التي صورت بها انتصارات الألمان المتطرفة والتي ساعد على انتشارها نجاحهم السريع في بدء الحرب، جعلت الناس يشعرون كثيراً في صحة ما يقال.

2- الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية: كان لإذاعة دور مهم في الحرب العالمية الثانية من قبل الحلفاء أو دول الخوار (روما - برلين - طوكيو) وذلك باستخدامها وسيلة من وسائل الحرب النفسية، حتى ظهر ما يسمى بـ "حرب الإذاعة".

ولقد حققت الادعاء الألمانية انتصارات ثلاث:

1- في المجال السياسي يجعل كتلة كبيرة من الرأي العام الدولي ترى أن مستقبل العالم يتوقف على الاختيار بين الشيوعية والفاشية.

2- في المجال الإستراتيجي بأن تبدو كل ضحية على أنها هي الضحية الأخيرة، وبذلك كانوا يجدون في كل مرة الفرصة للمضطيج الجيد وازدراد ما يضغونه.

الادعاء السياسية وأثرها على مستقبل العالم - لندلي فريزر ص 46.

المصدر السابق ص 51.

(1) (2)
في الميدان النفسي (السيكولوجي) باستخدام "الذعر الكامل" يجعل الشعب الألمانى نفسه يخسر من تصفية الشيوعية له، كما استخدمت أفلام عمليات الحرب الخاطفة إضافة إلى الجماعات الحاكمة في دول أخرى وتحظيم المعنويات وتنسب عن ذلك ما يسمى "بالانهيار العصبي" للأمم، وذلك بإباقتها دائماً في حالة شكل وعدم تيقن ما يمكن أن يحدث لها غداً.

ونظراً لأهمية الحرب الألمانية أو الحرب النفسية، فقد أنشأها من هتلر وزارة The Minestry Of Popular Enlightenment خاصة بالدعاية والتنوير والارشاد Joseph Goebbels، وعين وزيراً لها هو جوزيف جوبيل Peripheral route واستخدمت ما نطلق عليه اليوم الطريق السطحي في الإقناع من أجل إقناع الجمهور المستهدف من داعيهمها. وفي بعض الأحيان كانا يفاطبان عواطف الناس، كما اعتمدا على تكرار إطلاق بعض الشعارات Emotions، ولم تكن هذه الدعاية تهم كثيرةٍ بمبادئ الأخلاقية Ethics، Swift victory، كما كانت تذهب إلى دعاية النازية، ولكن في واقع الحال، انتهت بهزيمة منكرة ومن معها من دول الخيبر "إيطاليا واليابان".

ومن هذه المبادئ المستخدمة في الدعاية الألمانية ما يلي:

1- الاعتماد على غزارة أو تصفية المادة المراد إرسالها، بحيث تحقق الهدف النفسي منها، ومؤدي ذلك أنه لا يلزم بالضرورة سرد الحقائق كلها أو وكما هو في الواقع الواقعة الواحدة يمكن تجزئتها Selective filtering of materials واستقطاع جزء واحد منها واستعماله.

(1) الحرب النفسية - صلاح نصر 1 ص 84.
ولقد تمكننا النازية من تحقيق ذلك بعد سيطرتها على أجهزة الإعلام الجماهيرية أو وسائل الاتصال الجماهيرية (mass media)، وتشمل الآن الإذاعة والسينما والترانزيون وغيرها من الوسائل والدوريات والمجلات والمعرض والمهرجانات، بحيث لا يصل إلى الناس سواء في الداخل أو في الخارج إلا المعلومات "المفتزة" أو المتناقضة والمختارة خصيصًا لتحقيق الآثار النفسي.

وسيراً في طريق السيطرة على الصحافة كان الصحافيون يتم اختيارهم بدقية شديدة من أصحاب الولاء للفكر النازي، وكانوا يخضعون للعوامل أو نيل الثواب والجزاء بصورة منتظمة، بناءً على جهودهم في خدمة النازية، أو السماح لبعضهم بالاطلاع على بعض الحقائق أو القصص. وكانت صورة شائعة عن الشخصية النازية؛ صورة الجسارة والشجاعة والإقدام عن طريق عرض الشعارات والملصقات ذات القدرات العالية على جذب الانتباه، وكانت الرسائل الموالية للنازية تمتزج مع برامج التسليه الشيقة والمشهورة.

2- تنمذج إقناع الناس بأن انجلترا تعاني من أزمة اقتصادية طاحنة، أو عدم الاستقرار السياسي.

3- عرض الأفلام التي توضح اتفاق الشعب مع هتلر وسياسته.

4- خلق صورة من مشاعر الأشخاص والمصمو لدى الشعب الألماني "grandeur"، ومن أجل تحقيق هذا الغرض تم بناء استدعيات كبيرة واستخدامهم لعقد اللقاءات والمقابلات بين الناس لإقناع الناس بأن النازيين أصولًا ثقافية عريقة وقوية في الماضي وذلك لإقناع الناس بقوة النازية.

5- تكوين جماعات من الشبيبة موالية هتلر، يدينون بالولاء للنازية، وكانوا يتميزون بارتداء القمصان البنية اللون كشعار لهم.

6- الاستفادة من حالة الخوف والإحباط التي ترتبت عن خوض ألمانيا الحرب العالمية الأولى، والتي تركتها تعاني أشد المعاناة من الصعوبات الاقتصادية، وشعور
الناس بعدم الأمان حول المستقبل؛ ولذلك ابتكر هتلر فكرة أن اليهود هم تسببوا في امتصاص الاقتصاد الألماني ومصدره ومتابعيه، ولذلك لفظ المجتمع الألماني اليهود بينما توحد الشعب الألماني معاً.

7 - استخدام الإذاعة أثناء الحرب العالمية الثانية، من طرف النازع على حد سواء بقصد إضعاف معنويات العدو، واستخدم النازي بعض الخونه من الإنجليز في الإذاعة، كما استخدمتهم اليابان لهذا الغرض. وتم استخدام هذه الإذاعات والبرامج الإذاعية إلى جانب إسقاط المنشورات والكتبيات والأوراق والصور من الطيران.

8 - إشارة حرب الأعصاب التي كان النازي يذكرونها قبل توجهه عداوه نحو الشعوب الأوروبية بالإدعاء بأن الأقلية الألمانية في البلد المستهدف تم القبض عليها وأن الجيش الألماني يقف على أبهة الاستعداد للرد الصارم على ذلك. هذه الدعاية أو حرب الأعصاب كانت تستهدف إضعاف العدو، وجعله في حالة من الخيرة والتردد والانقسام على نفسيه.

9 - تصوير هتلر في صورة الأب العظيم والقائد الكفء والمحارب الفذ، وأن مشاكل الأمة تجد حلها في الالتفاف حول هذا القائد العسكري الحبير. فكانت صورته كالآب المتواضع، وأن الشعب كله يقف من ورائه. كما يقال الآن في بعض المجتمعات "زعييم الأمة" أو "حبيب الشعب" "راعي الشبى، "نصير الحق". ركزت جهوده لمقاومة أو مكافحة دعاية الأعداء، ولخفض معنويات القوات المسلحة الألمانية والإيطالية واليابانية، والنقل من معلومات المدنيين، وفي الوقت نفسه كانت تعمل هذه الدعاية لتقوية الروح المنوية في الداخل، وتقوية الدوافع نحو الحرب (1).

وقد استخدمت بريطانيا الإذاعة أيضاً في حربها الدفاعية، ولكنها تتميز كما
يقول لندلي فيزير الدفاعي العالمي "بأنها التزمت جانب الصدق في بعدها. لأن
العالم كان قد أظهر بأن الدعاية التي أسسها الكذب سxfff في آخر الأمر بالغالب
التي تهدف إلى تحقيقها".1)

أما أن الإذاعة البريطانية التزمت بالصدق، فهذا الإدعاء يحتاج إلى دليل، إذ إن
رجال هذه الإذاعة وحتى اليوم يُذعنون ذلك وأنها موضوعية في بث أخبارها
وتعليقاتها إلا أن تجربة المسلمين مع هذه الإذاعة عرفتهم كيف أنها في كثير من
مواضيعها "تدس السم في الدسم" وإن جاءت تبخر لا تأتي به كاملاً، أو أن
تصوغ الخبر بشكل يتلاءم مع تصورها وسياستها الصليبية.

ويرجع "فريزر" نفسه فيقول: "إذا الحقائق يمكن أن تعرض بأسلوب يشيع
في التفاؤل أو يشوه التشاو، بحيث يثير تعليقات معينة في كل حالة، وقد حاولت
الإذاعة البريطانية أن تسلك هذا المنهج.

إذا يمكن للإذاعة البريطانية أن تتلاعب بالحقيقة كيفما تريده، بما يخدم مصالحها
.. فأين الصدق والتزام؟

وإن الدور الذي أدته الإذاعة البريطانية في الحرب العالمية الثانية كان كبيراً جداً
وخصوصا فيما يتعلق بالرد على دعاية ألمنيا النازية، إذ كانت تعرض المسائل بطريقة
أكثر حيوية. فأحرجت زعماء النازية باستمرار، وذلك حين أظهرت مبالغتهم
وبعد تمسك أقوالهم وعجزهم في إنجاز وعودتهم. بالإضافة إلى أنها كانت تحتفظ

(1) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم ص 59.

انظر: أيضاً الفصل الثالث - البحث الثاني: "الدعاية الغربية" فكرة أسلوب الدعاية الغربية
للإطلاع على دور الإذاعة البريطانية بعد الحرب العالمية الثانية وفي الوقت الحاضر – وخاصة في
مجتمعاتنا العربية والإسلامية.
بتسجيلات صوتية لجميع الخطاب الهمة التي ألقاها أولئك الزعماء في الاجتماعات العامة. وبواطسها تعمل على تذكر المستمع بصفة دائمة محققة الزعماء النازيين، واستخدمت تلك الطريقة للكشف عما وراء الدعايات الألمانية المغالكة، وكان هدف النشاط المبذول - في الرد على الدعاية المضادة هو الخط من شأن العدو.

أستخدمت الإذاعة البريطانية بأسلوبها الملتوية اكتساب الألمان أنفسهم للاستماع إليها، وذلك بإذاعة أسماء الأسرى الألمان الذين وقعوا في قبضة الحلفاء، مع ذكر بيانات من صحتهم والإصابات التي أصيبوا بها، والإشارة إلى ما يلقونه من علاج في المستشفيات وهذا ما ساعد على سرعة انتشار هذه الأخبار في أنحاء ألمانيا بعد ساعات من نشرها.

ولم تكن الإذاعة البريطانية وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل كانت الإذاعة الفرنسية أيضاً تعمل إلى جنبها في بداية الحرب إلى أن سقطت بيد الألمان، وأيضاً الإذاعة الأمريكية تعاونت معها منذ عام 1942م - وكانت هذه الإذاعة ترسل من داخل الولايات المتحدة، ثم أنشأت محطة إرسال بعد غزو النرويج بوقت قصير عام 1944م عرفت باسم "محطة الإذاعة الأمريكية لدول أوروبا" ابتعدت من لندن مقرًّا لها.

ولم يقتصر الأمر على الإذاعة وحدها في ميدان الحرب النفسية، بل استخدمت السلطات البريطانية المطبوعات أيضاً باعتبارها وسيلة قيمة للدعاية بالإضافة إلى النشاط الإذاعي. وهكذا ألقى المشورات التي أعدت في لندن داخل أقليم العدو عن طريق البلاد المحاذية مثل سويسرا والسويد، وبعد انقطاع التواصل أثناء الحرب ألقيت المشورات عن طريق الجو فوق الأقاليم التي احتلتها ألمانيا، وقد

(1) الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم: ص 68.
سميت في وقتها «حرب القصاصات» (1). أما ما تتضمنه هذه النشرات فهو ما يتردد في الإذاعة من إشارة إلى تزايد قوة الحلفاء والسخرية من الحزب القومي الاشتراكي «النازي» والتهكم من تأكيدهاتهم ووعوده بالنصر التي أثبتت الأيام كذبها. ثم الإشارة إلى ما في أقوال الزعماء من تناقض.

وقد زادت قيمة هذه النشرات أو القصاصات، وذلك بعد دخول الولايات المتحدة الحرب، وتوحيد جهود الدعاية بإنشاء منظمة مشتركة لهذا الغرض أطلق عليها: لجنة الشؤون النفسية (السيكولوجية) للشؤون الحربية. فصارت المطبوعات في خدمة الغايات العسكرية المباشرة، ووزعت النشرات والقصصات في الجهات الحربية العسكرية المباشرة ولاحظ أن ثلاث لجاناً ملهمة الجمهور الذي توجه إليه، وهذا الجمهور هم جنود العدو الذين يقاتلون في الميدان.

والغرض النهائي الذي هدفت تلك المطبوعات إليه هو بث اليأس في قلوب جنود الأعداء وحملهم على الاستسلام أو الهرب، إذا كان ذلك ممكنًا، واستخدمت براهين مختلفة لإقناع الجنود بذلك، فهي تشير إلى أن النصر النهائي معقود للحلفاء، وكلما أدرك الجندي الألماني أو الإيطالي هذه الحقيقة فإنه سيوقع لعودته سريعاً لأسرته، وأنه لا خيار أمامه فهو أمام أمرين: الاستسلام أو الموت. وتشير النشرات إلى مدى تنافض وجبن وخيانت القيادة الألمانية، وتكفي تدفقهم هذه النشرات إلى الاستسلام فهي تظهره بأنه ليس عاراً غزياً إذا كان هذا الاستسلام في الظروف الميدانية منها، ومن حق الجندي الألماني الذي يستسلم حسن المعاملة المكافلة بمقتضى اتفاقيات جنيف الدولية. وكان هذا القول الأخير أثره الفعال في نفسية الجنود الأعداء مما دفع عدًا منهم إلى الاستسلام وذلك في شمال إفريقيا من قبل.

---

(1) مجلة المختار من (ريدجز دايجست) آذار (مارس) 1944 مقال عنوان (حرب القصاصات).
معسكرات الإيطاليين، وإن كان من الصعب الإحصاء بدقة للمستسلمين من الجنود الذين توجه إليه الدعاية ولا تتوفر إحصاءات بين أسباب استسلامهم.

وإذنكنا نجد أن الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية استخدمت سلاح الدعاية بوساطة الإذاعة والنشرات من قبل دول المحور ومن قبل الحلفاء وكانت ذات أثر فاعل ومؤثر في نفسية الجنود. وهو ما يصب إلى هذه الحرب.

ثالثاً: صور من الحرب النفسية ما بعد الحرب العالمية الثانية:

(1) صور من الحرب النفسية الصهيونية: سنذكر مفصلاً أسلحة الحرب النفسية اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة. أما موضوع هذه الفقرة فإتنا نعرض بشكل مختصر صوراً من الحرب النفسية التي تشنها الصهيونية العالمية على العالم إجمع بعامة وعلى العرب والمسلمين بخصوصاً، من قبل اغتصاب فلسطين وتحت الوقت الحاضر، فمن هذه الصور:

1) نشر الأساطير والشائعات الصهيونية وتكرارها بوسائل الإعلام حتى تصبح حقائق بزعمهم - مثل الهولوكوست - وما يتحدث عن مذبحة أو حرق 6 ملايين يهودي على أيدي النازية في الحرب العالمية الثانية (1) وشائعة «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض» (2).

2) تلميع صورة اليهودي، وإظهاره أنه العبري المستحق، وأن الجندي الإسرائيلي هو الجندي الذي لا يقهر، وأثبتة الأيام أن اليهودي إنسان كغيره من الأنساس ليس لديه أي تميز، بل إنه إنسان جبان في المعارك.

3) تشويه صورة الإنسان العربي - وهي صورة قددها الإعلام الغربي كافة وليس الصهيوني فحسب، فهم يصورون الإنسان العربي بأنه إنسان منزور ومندفع.

المراجع السابق.

(2) المراجع السابق.
وراء شهواته، عنجه يقيم وزناً لأي مثل، متنقل، جاهل، عاجز عن استيعاب مبادئ المساواة، الفعلالي، عدواني، إرهابي، وتهمة الإرهابات هذه تكرست وفق أسس أسطورية علمية تعد أن أصل الإرهاب يعود إلى جماعة "الحشاشين" (1) وأن هذه الجماعة هي التي اخترعت الإرهاب.

4) التضليل الإعلامي... وأخطر صورة:
- اليهودية هي قومية (بدلأن إسرائيل وطن قومي لليهود) أما العربية فهي ديانة (بدلأن أن 80% من الأمريكيين يعتقدون أن إيران وباكستان هي دول عربية).
- أن (إسرائيل) تملك تاريخاً وأنها أسبق من العرب في ملكيتها للأرض... مع العلم أن (إسرائيل) تنفي المخططات التاريخية، وتمنع المؤرخين من مجرد الإطلاع عليها.

أن (إسرائيل) تحمي مصالح العرب وهي بمنزلة الخادمة لمصالحها.

5) نشر شائعات اللهجة: أطلق الكيان الصهيوني شائعات مازال بردها حتى اليوم، وقوامها أن الفلسطينيين لم يهرعوا من الإبادة في مذابح كفر قاسم وديرباسين وغيرها... بل إنهم تركوا أرضهم بناء على أوامر الجيش العربي التي كانت تنوي إبادة اليهود بعد خروج العرب (2).

(1) صحفية الأندلسية (مرجع سابق)، والحشاشون لقب أطلق على فرقة من غلالة الإسماعيلية، هم النزاريون الذين استقلا في قلعة ألوت بقيادة الحسن بن الصباح (1090م) استهروا بتنظيمهم السري وتدبير الأغتيالات... حاربوا السلامة واحتفلوا بلاغتهم إلى الوزير نظام الملك في نيسابور (992م). عرف خلفاء الحسن بن الصباح بشيوخ الجبل، اتبع نظام دعوتهم بغالب بلاد الشام وتستولوا على قلعة مصباح وقدمرس (1411م) قضى عليهم في فارس هولاكو (1256م) وفي سوريا الظاهر بيرس سلطان المماليك (1272م).

(2) المرجع السابق.
(2) تفكيك العالم العربي وتزويقه، وبدا هذا واضحًا من الوثيقة التي نشرتها مجلة كيفونيم التي تصدرها المنظمة الصهيونية العالمية، وعنوانها: "إستراتيجية إسرائيلية للثمانينات" وقد نشرت باللغة العربية وتتضمن بعض النصوصها:

أ. تقسيم العراق وسوريا وليبيا ومصر والسودان وجزيرة العرب إلى دولات طائفية.

ب. على الرغم من الصورة القاتلة للدول حول إسرائيل وتشكل تحديات وأخطار ومشكلات، ولكنها تشكل فرصةً عظيمة.

ج. إن الدول الأبعد عن إسرائيل مثل المغرب والجزائر والسودان وليبيا سوف لا يكون لها وجود بصورةها الحالية.

د. إن العراق يشكل خطراً على إسرائيل لأنه الأقوى في العالم العربي، لذلك يجب تقسيمه وتفتيته إلى مقاطعات إقليمية طائفية؛ دولة في البصرة ودولة في بغداد ودولة في الموصل وهكذا تفصل المناطق الشعبية عن الشمال السني الكردي.

ه. من غير الممكن أن يبقى الأردان على حالته وتحكيه الحالية لفترة طويلة.

إن سياسة إسرائيل - إنها الحرة أو السلم - يجب أن تؤدي إلى تصفية الحكم الأردني الحالي ونقل السلطة إلى الأغلبية الفلسطينية.

و. إن التعيش والسلام الحقيقي سوف يسودن البلاد فقط إذا فهم العرب بأنه لن يكون لهم وجود ولا آمن دون التسليم بوجود سيطرة يهودية على المناطق الممتنعة من النهر إلى البحر، وإن أمنهم وكيانهم سوف يكونان في الأردان فقط.

7) تشييع العرب من أي انتصار على اليهود، وعلى الجيش اليهودي الذي لا يقهر، وقد صرح بهذا أحد وزراء العدو الصهيوني (1) بقوله: "إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب يأتين قاماً من مقدرتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي".

(1) ترجمة الوثيقة إلى اللغة العربية، وقدمها الدكتور عصمت سيف الدولة كأحد مستندات دفاع عن المتهمين في قضية تنظيم ثورة مصر عام 1988 م.

(2) انظر: "إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماعي ص 331 وانظر الدعاية اليهودية في الفصل الثالث من هذه الدراسة."
8) ومن الصور الأخرى التي سنذكر في الفصل الثالث في قوة الدعاية اليهودية بشكل مفصل:

- إسرائيل تمثل حلقة الوصل بين العرب والغرب، وأنها الوحيدة التي تحقق مصالح العرب في الشرق.
- أن إسرائيل حامية الشرعية والقاضية على الإرهاب في المنطقة.
- إسرائيل حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب.
- إسرائيل دولة عصرية متقدمة تقنياً.
- العرب متحالفون حضارياً وعلياً وتقنياً.
- توزير الفكر والثقافة الإسلامية في كتب التعليم داخل الأرض المحتلة.
- التغلغل داخل الكنائس النصرانية، واستخدامها لتنفيذ خططها.
- استخدام وسائل الإعلام المتعددة بشكل متقن.
- استخدام السينما والأفلام في الحرب النفسية.
- يعتبر مبدأ معاودة السامية السيف المسلط على كل معارض للصهيونية.

(2) صور من الحرب النفسية بعد الثورة المصرية عام 1952م.

* استخدام الدعاية الرمادية.

- ركزت الحرب النفسية في هذه الفترة على الدعاية. إما لتمجيد الحاكم أو للقضاء على الخصوم، وكانت الإذاعة هي الوسيلة الإعلامية الفاعلة في هذا المجال. وكان تلمس الحكام بالمشاريع الخيالية، والإيحاءات الكاذبة، والأعمال البطولية.. الباطلة.. وهدف الدعاية التأثير على سلوك الأفراد وتزوييف وعيهم، بحيث يصبح الحاكم الفرد الوحيد المهم في الشعب.
ولعل الإنسان العربي الذي عاصر إذاعة "صوت العرب" في الخمسينات وما بعدها ومعلقها المشهور "أحمد سعيد" يدرك الدور الذي قامت به بعض الإذاعات العربية من تخدير للعرب والمسلمين.

- أسا الحرب النفسية ضد خصوم الحاكم ومعارضيه في ضوءها (مايلز كولمان) في كتابه "العربية الأم" كيف أن حاكم مصر في تلك الفترة حاول القضاء على خصومه بالدعاية السوداء فلم يفلح، لأن خصومه كانوا يتمتعون بسمعة جيدة في جهاد المستعمر الإنجليزي في قناة السويس، وجهادهم اليهود في حرب فلسطين عام 1948، وبعد استشارة خبراء الدعاية نصحوه باستعمال "الدعاية الرمادية" أو "الدعاية السمراء" وهو مدخل العدو بقصد التشير به لدى أنصارهم في الرأي العام العربي والصوفي. والذي يقوم بالملاح هو عدو البلد (إسرائيل)، واستطاع رئيس المخابرات الأمريكية في تلك الفترة إقناع (إسرائيل) للقيام بهذا الدور. وبدأت فعلاً في مدخل القوى المعاصرة للحاكم.. وتشويب سميتها داخل الشعب المصري؛ حيث إن ما يدفعه اليهود، إذاً هو عميل لهم، وشاركت في النشر إذاعة موسكو أيضاً كما يقول المؤلف، لماذا؟ (1). أي أن المؤلف لا يعرف دوافع موسكو في هذه الدعاية!!

(3) صور من الحرب النفسية في حرب الخليج الأولى:

- بدأت هذه الحرب في عام 1991م بين قوات التحالف الأمريكية والجيش العراقي..

(1) مايلز كولمان، من رجال المخابرات الأمريكية في مصر بعد ثورة يوليو 1952م - ومؤلف أيضاً كتاب (لاعب اللعبة).

(2) انظر كتاب لعببة الأمям، ص 105، وكتاب: "الدبلوماسية والمكاييفية في العلاقات العربية الأمريكية خلال عشرين عاماً 1947 - 1967(2) للدكتور محمد صادق.

(3) المراجع السابق.
ومن صور الحرب النفسية الأمريكية ضد الجيش العراقي يومها:

1- استخدام مكبرات الصوت من قبل إحدى الوحدات الصغيرة للقوات الأمريكية - أطلق فيها أصوات الحوامات والذيبان من خلال شراط مسجدة، من أجل الإيحاء للجيش العراقي بأن إمكانيات الوحدة أكبر بكثير من حقيقة الأمر.

2- قامت قوات التحالف - وعلى مدى سبعة أسابيع متواصلة - بإسقاط 29 مليون منشور على هيئة 14 شكلًا مختلفًا، وصلت إلى 98% من الجيش العراقي، تقوم بعضها بتهديد الجيش العراقي، وتزعمه في حال عدم الاستسلام، وفي بعضها الآخر تذكر الجنود العراقيين بالأهل وأنهم ينتظرون عودتهم. كما كانت بين تلك المنشورات واحد على شكل (دينار عراقي) يسهل إخفاؤه داخل أي محفظة، وقد أكدت القوات الأمريكية أنه من يأتي إليها من العراقيين حاملًا ذلك المنشور فسوف يجد لديهم الملازم الآمن.

3- إذاعة شبكة صوت الخليج - وتعت من أهم إنجازات القوات الأمريكية الخاصة بالعمليات النفسية في حرب الخليج، والتي استمر إرسالها - دون انقطاع - في الفترة من 19 كانون الثاني (يناير) 1991م إلى 1 نيسان (إبريل) 1991م، وكانت الشبكة مكونة من عدة أجهزة إرسال داخل إحدى دول الخليج بالإضافة إلى الإرسال من طائرتين من طراز 130 -1 - Volant sofo EC.

4) صور من الحرب النفسية في العراق:


---

(1) ومن طرق إسقاط المنشورات (قنبلة المنشورات) والتي يتم إسقاطها من إحدى الطائرات، ثم تتفجر القنبلة في الهواء بعد ابعادها عن الطائرة قليلاً، لفتح الصندوق الداخلي المحتوي على المنشورات، ومن ثم تنتشر إلى مسافات بعيدة.
قبل عرض صور الحرب النفسية التي شنت على الجيش العراقي والشعب عامة، نقول مع المفكر الفرنسي جان بودريار: "إن حرب الخليج الثانية انتهت قبل أن تبدأ" وكان يقصد بذلك أن الاستراتيجيات الإعلامية الأمريكية أشتعلت على البنية النفسية للقيادة والجيش العراقي، وأفلحت في تفكيك قلب أن تشتعل فوهات المدافع وتنهم الصواريخ العابرة على المدن العراقية بلا رحمة.

- وأن وسائل الإعلام قامت بدور فاعل في هذه الحرب، في تنفيذ مهنيات القوات العراقية والشعب العراقي، بالإضافة إلى التضليل الإعلامي المركز حيث تسوق الحكومة لشعبها بوصف الحرب على العراق بالحرب "العادلة" و"لا فكر منها حفاظاً على الأمن القومي الأمريكي" ومن ثم يسمونها "دفاعية" وتسبح «وقائية» من خطر محتمل قد يأتي من "أسلحة الدمار الشامل" العراقية المزروعة، ثم وصلت إلى الحرب على "الإرهاب" وغيرها من الدعايات التي تحكم فيها الترسانة الإعلامية الأمريكية.

- ومن التضليل الإعلامي وتزوييف الوعي لدى الناس جميعاً، إخفاء الهدف الحقيقي من الحرب على العراق، وهو تدمير القوة العراقية المتتالية والتي تشكل خطراً حقيقياً على الكيان الصهيوني، بعد ضرب المفاعل النووي العراقي من قبل الطائرات الصهيونية، حيث أصبح لدى العراق أكثر من سبعين مصنعاً حريباً لتصنيع الصواريخ، والمدافع والطائرات دون طيار، بالإضافة إلى تدمير تاريخ وحضارة العراق الإسلامية. وحتى يكون نموذج العراق العلماني الذي ينون تشكيكه هو النموذج المجتمع في العالم العربي بحجة .. بعيداً عن الإسلام والشريعة الإسلامية.

(1) أنظر: د. محمد أحمد النابلسي - الحرب النفسية في العراق - مركز الدراسات النفسية بروت/أيار ٢٠٠٣م. وكذلك وليد الكردي - سيكولوجية الاحتلال الأمريكي - شبكة الإنترنت للإعلام العربي في ٦ كانون الثاني ٢٠٠٤م.

(2) المراجع السابق.
الفصل الثاني: نظرة عربية

- ومن الصور الملاحظة للحرب النفسية في العراق:

1- إغراء عناوين المسؤولين العراقيين السياسيين والعسكريين برسائل (فاكسات) من قبل: "نعرف أنتم... الهمزة ستكون من نصيبكم".

2- إسقاط المشورات عبر الطائرات قبل وأثناء العمليات، تدعو العراقيين إلى التعاون مع قوات التحالف وعدم الخوف من النظام.

3- استخدام الإذاعة وبيث الأخبار التي تبث الرعب في النفوذ، وذلك لقلة وجود أجهزة الإعلام المرئية (التلفاز) والفضائيات في العراق.

4- استخدام الشائعات: مثل شائعة الخيانة التي تلصق بكبار ضباط الجيش العراقي، وشائعة استسلام الوحدات الجيشية ولمجاهدة نظام الحكم السابق، وشائعات كثيرة استخدمت لإلحاق الهزيمة النفسية للجيش والشعب العراقي، ويشير هذا واضحًا في سقوط المدن والقرى دون أي معركة حيث كان يعلن الجيش الأمريكي عن احتلال المدينة أو القرية ويدم سقوطها فعلاً بعد ذلك دون أي مقاومة لانتشار الشائعة بين الناس عن سقوطها قبل ذلك (1).

5- صور من الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني:

بدأت الحرب النفسية على الشعب الأفغاني قبل بدء الضربات الأمريكية، ويشكل دقيق في 8/10/2001، ومن صورها:

1- إسقاط 376000 عبوة من المذخورات للشعب الأفغاني!! وذلك لأجل تأييد المجتمع الدولي، وكذلك الشعب الأفغاني الفقير الجائع، وخطب يومها بوصول قائلًا: "إن الشعب الأفغاني المقهور سوف يعرف كرم أمريكا وحلفائها عن طريق...

(1) د. محمد أحمد النابلسي - الحرب النفسية في العراق (مرجع سابق).
إسقاط مؤن غذائية وأدوية وتجهيزات جنود أفغانستان من الرجال والنساء والأطفال أثناء قيام الجيش الأمريكي بضرب الأهداف العسكرية داخل أفغانستان. 

2- إسقاط مشورات أمريكية تظهر «أن الولايات المتحدة صديقة للشعب الأفغاني كما أنها صديقة لأكثر من مليار مسلم حول العالم».

3- إذاعة برمج إذاعية من طائرات Ec-130 E Commando تحت الشعث.

4- إعلان الحكومة الأمريكية توفير 350 مليون دولار أمريكي إعانة للاجئين الأفغان لتحسين صورتها، وإظهارها بصورة الصديق الذي يسعى لإعانة صديقه وقت الشدة.

5- إسقاط أعداد هائلة من آجهزة الراد (الراديو) للاستماع إلى إذاعة البيانات والبرامج الأمريكية بلغة الشعب الأفغاني.

(1) من خطاب الرئيس بوش الأبن عقب الضربات الأولى لأفغانستان.
(2) جزء من خطاب بوش الأبن أيضاً، كما جاء في تقرير لجنة جنرال العسكرية في تصريح لوزير الدفاع أنه قد تم بالفعل، وقبل الضربات الأمريكية على أفغانستان شن ما يعرف بالعمليات داخل أفغانستان من خلال إسقاط مشورات أمريكية للشعب الأفغاني (تذكر Psyops النفسية). 
(3) ناداة العرضي - الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني - في 13/10/2001م - موقع إسلام أون لاين.
(4) إذاعة (بي بي سي) البريطانية، في اليوم الثاني للهجوم الأمريكي على أفغانستان (انظر: المرجع السابق).
(7) صور عن الحرب النفسية الأمريكية الحالية.

هذه الصور ليست هي بنت ليلتها، أي بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) 2001م - ولكن هذه الأحداث علقتها وأسرعت من وتيرتها، وسنذكر بإذن الله إستراتيجية الغرب عامة وأمريكا خاصة في الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الفصل الرابع من هذه الدراسة. أما في هذه الفقرة فإننا نبين بإيجاز صور هذه الحرب التي أصبحت مارستها واضحة لكل ذي بصرة على سبيل المثال وليس على سبيل الحصر وهي:

1- الحرب على الإسلام تحت عنوان الحرب على الإرهاب .. (تم تفصيل ذلك في الفصل الرابع من هذه الدراسة).

2- عولمة الرعب .. حرب أمريكا الجديدة. هذه الصورة للحرب النفسية هو عنوان لكتاب (ليوسف الأشرف - بيروت 2001م) حيث يتحدث المؤلف «مشروع نظام عالمي سياسي - عسكري واقتصادي وثقافي، من الممكن والواجب إسقاطها وإيقافها، إذ إنها من الماضي المختلف الذي أصبح خطراً، فهي تسلل بثورة الوسائل لتفتح الحاضر والمستقبل وغاريها بسلاحها».

3- إرهاب الدولة باستعراض القوة العسكرية، وذلك للهيمنة على الدول الأخرى. يقول شارلز جونسون، في كتابه الجديد (2004م) الذي يحمل عنوان: "حرب الإمبراطورية": "منذ أن قررت الولايات المتحدة ترسخ تفوقها العسكري على العالم أصبحت (أي الولايات المتحدة الأمريكية) تطبيق وحيدة: تثير الخوف والكراهية، فاسدة وتنتشر الفساد، تفرض "النظام" - بدعمها - باستعمال إرهاب الدولة تارة وبالرشيقة تارة أخرى، وكذلك غرق في شعارات إعلامية جنونية وفازحة، وبسلوكها هذا فهي تستدعي تكارف العالم ضدها".

(1) انظر مراجعة للكتاب - موقع: الإسلام اليوم - 12/12/2005م
(2) عرض الكتاب: د. محمد عبد المنعم - مجلة المجتمع - العدد 16/10-12 16/10-12/2004م
الحرب النفسية

4- العولمة والهيمنة على العالم (انظر الفصل الرابع).

5- دعم التوجهات الخداعية والعلمانية في العالم الإسلامي (انظر الفصل الرابع).

6- السيطرة على الإعلام (انظر الفصل الرابع).

7- الاقتصاد: هذه الصورة من الحرب النفسية تجمع صوراً متعددة منها:
   - الحصار الاقتصادي وما يتبناه من بطالة وفقر في الدول الأخرى.
   - تجميع الأرصدة والممتلكات (لم يخالفها).
   - القروض والمساعدات (الرشوة للدول التعاونية معها).
   - تزوير العملة.
   - العقود التجارية الخاصة (1).

تعد الحرب الأمريكية على العراق وما سبقها أفضل نموذج للصورة المطلوبة.

8- إثارة التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة - وهذه تشمل بؤر التوتر في الحدود حيث إن الاستعمار قبل أن يرحل عن العالم العربي ترك بؤراً متوترة على الحدود بثيرة عند الزوم (2).

9- القضاء على المؤسسات الخيرية في العالم الإسلامي بحجة تمويل الإرهاب.

10- التلاعب بالعقل - حيث يقدم الوعي جاهزاً ومعلباً.

تؤكد هذا الأمر بعد حرب الخليج الأولى والثانية، حيث اجتذبت وسائل الإعلام الأمريكية الموهوبين للعمل في الإعلام والتضليل، وبصفة ما يشاع من

(1) انظر: الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد – د. سعد العبدي - مجلة النبا العدد 56 ذو الحجة 1421 هـ (آذار 2001 م).

(2) المرجع السابق.
التفليزون الأمريكي أمرة ديمقراطية ثقافية، وأمام الضغط الإعلامي لا يجد الجمهور فسحة للتأمل والتفكير والتحليل، لذلك يقدم إليه الوعي جاهزاً - ولكنه وعي مبرمج ومعد باتجاه مرسوم (1).\\n\\n11 - استهداف العقل الفاعل للشباب. والشباب في كل أمة هم قوتها الضارية. فصحتهم البنية والنفسية وسلامة تفكيرهم، فضلاً عن قوة إبعادهم وعقيدتهم.
تعزيز هذه القوة.
وإلى هذه القوى يحاول العدو الاختراق بوسائل متعددة ... منها الغزو الفكري، والتشكيك بالمعتقدات، وإفساد الأخلاق بالمخدرات، والأفلام الجنسية ... وغير ذلك. وزاد هذا الاختراق بالقوانين الفضائية المتأمرة في العالم العربي والإسلامي (2).
\\n12 - عزل المجتمع العربي عن الإسلامي. .. تشكل المجتمعات الإسلامية عمها إستراتيجياً للمجتمعات العربية، حيث تقرض المشاعر وتتحدد العقائد والأمل والآلام. وهذا التقارب يزعم النظام العالمي الجديد، وهو غير مرغوب فيه، لذلك تركز الحرب النفسية الأمريكية إلى تكوين أهداف مختلفة وزرع الفتن بين الدول، واتباع سياسة فرض تست لإضعاف المجتمعين سوية (3).
\\n13 - تعميم مشاعر الإحباط في المجتمع الإسلامي، ويظهر هذا واضحاً في الحروب التي شنتها الولايات المتحدة على أفغانستان والعراق والقوى العسكرية التي ترسلها هنا وهناك، والقواعد العسكرية الضخمة التي تبنى في العالم العربي.


(2) انظر: الحرب النفسية في النظام العالمي الجديد (مراجع سابق).

(3) المراجع السابق.
والإسلامي، بل في العالم أجمع. كلها هدفها بث الإحباط في المنطقة والشرق الإسلامي، وتشير من مقاومة مخططات الولايات المتحدة في المنطقة. (1)

14- الحرب السياسية، وهي مرادة للحرب النفسية. وهي تهدف:
- تدعيم قوة المعارض في الدول التي لم تهيمن عليها الوصول إلى الحكم، أو
- إضعاف القوى المنافسة.
- معاونة الدول الواقعة تحت سيطرتها مادياً.
- الانقلابات العسكرية، حيث تأتي بحكومة ديمقراطية (على الرغم من مناداتها بالديكتاتورية) لتنفيذ سياساتها في المنطقة - والأمثلة كثيرة في هذا المجال. (2)

15 - استخدام المخابرات الجاسوسية: الاستخبارات أو مصلحة الاستخبارات أو أجهزة الاستخبارات أو المخابرات: تعني مجموعة الأجهزة والتشكيلات والوسائل المستخدمة جمع المعلومات السياسية والنفسية والاقتصادية والعسكرية الخاصة بالعدو وتحليلها، والعمل بالوقت نفسه على مكافحة عملية التجسس أو التخريب المعاي.

وكان دور "السي أي إيه" وهو جهاز المخابرات الأمريكي، فاعلاً في كل الحروب التي خاضتها أمريكا في العالم الإسلامي (أسلوبستان، حرب الخليج الأولى، حرب العراق) حيث هي موجودة في العالم الإسلامي تحت غطاء مهني قديم، أو بصفة رجال أعمال، أو طلاب، أو صحفيين، أو مبشرين، أو عمال، أو خادمات بيوت، أو على شكل ساح أو أسانذة، أو مثليين أو شحادين، أو شرار...

(1) انظر: حسين العسكري التنديم - المخططات المطروحة: حرب نفسية لبث الإحباط في المنطقة العربية. مجلة البيان - 4 شوال 1423 هـ.
(2) انظر كتاب "لعبpeek الأندام" ما يلز كويت. د. حنان الخضاع - علم المخابرات الجاسوسية. 9/10/2004 م.
الفصل الثانوي: نظرة تاريخية

16- أساليب (السي أي إيه) في التعذيب النفسي والجسدي: إن ما تناقلته وكالات الأنباء والفضائيات من وقائع وصور عن ما يجري في سجن (أبي غريب) في العراق، ومن سجن (غوانانتانامو) في كوبا، لتشعر منه الأبدان من وسائل التعذيب والقتل، مما يندي له جبين الإنسان في من ندى. ونذكر هذه الأساليب على سبيل المثال لا الحصر(1)، وكذلك ما حدث من تنديس القرآن الكريم في غوانانتانامو وفي دولة يهود لإذلال المسلمين في إهانة أقداس مقدساتهم.

ومع هذا لا يستطيعون فعل شيء؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

- الاعتقال لفترة طويلة دون محاكمات، وهذا ما يثير القلق النفسي والذهني والشعور بعدم الأمان.

- أسلوب الإكراه ويهدف إلى إحداث حالة من الانكسار والضعف والتردي النفسي، وفقدان التحكم على الذات، وانهيار الشخصية، وفقدان القدرة على القيام بأي نشاط فكري مما يؤدي إلى الإحباط التام.

- الحبس الإلزامي كوسيلة للضغط على الشخص، حتى يتحول السجين إلى كراهية الأحياء عامة، وإلى الهلوسة والإرهاب والتخيلات.

- استخدام الوسائل الكهربائية على المنطقة الحساسة من الجسم.

- الاغتصاب وضرب النساء.

- التنويج المغناطيسي.

- الحرق بالنار.

- استخدام الكلاب .. إلخ.

وكال هدف المخابرات هو الإذلال وقهر الإرادة، ليس للسجينا فقط بل لكل الحكام والعديد المسلمين، لذلك كان رد الفعل هزيلًا، لأن الإحباط سيطر عليهم وكذلك التخاذل واليأس نتيجة لكسر الإرادة.

(1) المرجع السابق.
الحرب الباردة الثقافية: هذه الصورة للحرب النفسية الأمريكية، هي عنوان كتاب، ومؤلفته الباحثة الأمريكية: فرانسيس ستوفر سوندرز.

يفضح الكتاب زيف الادعاءات التي عاش عليها أجيال الحرب الباردة، ولا سيما في عالم الفنون والآداب، حيث يصاب القارئ بالصدمة حين يعلم أن رواد الحداثة الغربيين أمثال سارتر وأرويل، ورسول، وستيفن سيزر وغيرهم م يكونون سوياً أبواق جهاز الاستخبارات المركزية الأمريكية (CIA) الذي استطاع صناعة فضائح أدبية وثقافية من خلال تقديم الرشاوي والأموال لؤلؤة وغيرهم، خدمة للأهداف الأمريكية المتمثلة بمحاربة المد الشيوعي.

ويذكر الكتاب الواقع في 457 صفحة أن عام 1946م كان بداية النشاط الأمريكي لهذه الحرب الثقافية الباردة، حيث استطاع جهاز (CIA) إنشاء مؤسسات ثقافية ومجلة أدبية لتسويق خطط الجهاز.

ويتحدث الكتاب عن رابطة حرية الثقافية التي أسّسها جهاز (CIA)، وكان أول مكاتبها في العالم العربي، في لبنان ثم في مصر، وعلى سبيل المثال يؤكد الكتاب أن مجلة «حوار» العربية الصادرة في القاهرة، قبلاً جمعة «شعر» 1957م، من نتاج هذه الرابطة. يُعني أن ما أُخفّنا به نقاد وشعراء وأدباء ومفكرو ما سمي بالحداثة والشعر الجديد المستنير كان زائتاً ويعبر عن رؤية أمريكية خالصة. ويكفي أن نعرف أن دعوة «الحداثة» العربية على الطريقة الأمريكية اعتبروا كل استلهم للتراث العربي والإسلامي نوعاً من التخلف، وأن الشعر والأدب والفكر ما لم يحاكي التصورات الغربية هو الجهل بعينه... ومع الأسف كان الوصول إلى هذه الحقائق جاء متأخراً وبلسان غير عربي أيضاً.

الفصل الثالث
أسلحة الحرب النفسية

المبحث الأول - أسلحة الحرب النفسية:

1 - الدعاية.
2 - الفتنة.
3 - غسيل الدماغ.

المبحث الثاني - نماذج من الدعاية المعادية:

1 - الدعاية اليهودية.
2 - الدعاية الشيوعية.
3 - الدعاية الغربية.
المبحث الأول
أسلحة الحرب النفسية

قلنا في الفصل الأول (1) إن الحرب النفسية هي حرب تغيير السلوك ومبدوتها هو الشخصية، لذلك فإن سلاحها هو الكلمات والأفكار من خلال ما يطلق عليه حديثاً "الدعاية والشائعة وغسيل الدماغ".

وقد اطلعنا في الفصل الثاني على أسلحة الحرب النفسية قديماً مثل الخداع والتخريب والإرهاب، وإثارة الفتن والفرقة بين الجيوش المعادية.

بقي أن نعرف أسلحة الحرب النفسية الحديثة، وهي لا تختلف عن الأسلحة القديمة من حيث الهدف، وإنما تختلف من حيث الأسلوب والوسيلة، فأسلوبها أسلوب يخطط على أسس علمية دقيقة ومدروسة (2) ووسائلها هي وسائل الإعلام الحديثة والتطورية يوماً بعد يوم... لذلك كان خطرها أكبر، وتأثيرها أوسع.

وقد اخترن ثلاثة أسلحة من أسلحة الحرب النفسية الحديثة وتعت أخطرها شانهاً.

وهي:
أولاً: الدعاية.
ثانيًا: الشائعة.
ثالثًا: غسيل الدماغ.
أولاً: الدعاية.

(1) مفهوم الدعاية: إن لكلمة دعاية مفاهيم مختلفة، وذلك لتغير هذه المفاهيم على مدى التاريخ وما أدخل عليها من تعديلات ويرجع علماء اللغة في

(2) لم أجد هذه الكلمة في كتب اللغة عند المتقدمين، إلا أن أصلها قد ذكره الزعهري في أساس البلاغة، مادة "دعا" ومنها: دعوت فلاً إذا ناديت وصحبت به والتي دعاء داعي الله وهو دعاء الحق، ودعاة الباطل.
الدراسات اللاطينية أن الأب جريجوري هو أول من استخدمها عندما أسس "جمعية الدعاء المقدسة" عام 1624م للفيام بالتبشير فيما وراء البحار (1) وإن كان هذا المفهوم لا يختلف عن المفهوم الذي استخدمه المعز لدين الله الفاطمي في مصر 975م عندما أسس وظيفة "داعي الدعاء" وسبق به البابا جريجوري بأكثر من ستة قرون (2).

والحقيقة أن ورود كلمة "دعوية" بمفهوم الدعوة، كان قبل ذلك بكثير، وذلك عندما ذكرها في رسالته إلى هرقل ملك الروم ونص الرسالة كما ورد في صحيح البخاري "بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإنني أدعوك بدعوته الإسلام، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأرسيفين واللهم أنت اللطيف المخلص، يتأهل الكتاب تعالى إلى صله سواء بيننا وبينك ألا تعود إلا الله ولا تشرك به شيء ولا ينخدع بعضنا ببعض أزبابة من دون الله فإن تولوا فإن قولوا أشهدوا بئاتي مسلمون" (3) [ص 321].

=وذكر الأزهرى (كتاب تهذيب اللغة) وابن دريد (كتاب جهرة اللغة) أيضاً معاني كثيرة لكلمة دعاء، إلا أن الجمع لم يذكروا كلمة "الدعوية" مطلقًا.

أما المتأخرون مثل أحمد رضا "عضو الجمع العلمي العربي بدمشق" وصاحب معجم متن اللغة فقد ذكروا في مادة "دعو" - مقابلًا على معنى الدعوة "مصدر" وهم نشر الدعوة إلى شيء. قال: وهي الدعوة أيضاً وهذه اشتهرت كثيراً عند المتاخرين أهل العصر، ويعضدها الحديث الشريف الصحابي السند (ولم يذكر الحديث)، إلا أنه بعد البحث في كتب السنة وجدت حدوثين لله الحمد يذكرون كلمة الدعائية وسردان في المتن إذن الله في فترة مفهوم الدعاء.

(1) المرجع السابق.
(2) رواه البخاري في كتاب الجهاد - باب دعوة اليهود والنصارى على ما يقاتلون. وroman كتاب الجهاد والسير باب: كتب النبي ﷺ.

(3)
وكذلك في رسالة النبي صلى الله عليه وسلم إلى المرقس عظيم القلب ونصها يشبه النص السابق.

وهكذا نستطيع أن نقول أن الدعاء بمعناه الأصيل وهو الدعوة إلى أمر ما، كان الإسلام سابق فيها، وأنا أعجب كيف لم يقع رجال الإعلام المسلمون عندما ي厥ون للدعوة لهذه الحقيقة.

ومفهوم الدعاء بمعنى الدعوة لا يختلف عن المفهوم الحديث للدعاء أو Propagate (البروباجندة) وهي كلمة إنجليزية مشتقة من الفعل ومعناه التنشئة والتنمية، ومفهومه نشر الآراء والعادات ونقلها من شخص إلى آخر ومن جيل إلى جيل. إلا أنه المعاصرين حدّدوا هذا المصطلح (الدعابة) ووضعوا له الأسس والأهداف والوسائل. واصطبغت بعد ذلك بصبغ الأكاذيب لتلميع الأفكار والآراء الخبيثة. ومن هنا اختر مفهوم الدعابة: من مفهوم الدعابة القائمة على الإقناع والوضوعة مادتها إلى مفهوم السيطرة على السلوك، والنظر بتأيد الجمهور بأي ثمن وبأي وسيلة، والغش وسبيل والإجهاض، وهكذا تقلبت صورة الدعابة من صورة جبلية قائمة على الخير والصدق إلى صورة قبيحة قائمة على الشر والخداع وعدم الأمانة. ولعل هذه الصورة اكتملت أثناء الحرب العالميتين الأولى والثانية.

الأرسيون أو البروسيون – على اختلاف الروايات – اختلاف علماء الحديث واللغة في مدلول هذه الكلمة. والقول المشهور أن الأرسيين: ج أريس لهم الخول والخدم والأكروان، ووجه في لسان العرب (الأرسي) الأصل و(الأرسي) الأكرا نقله عن فضل (راجع شرح النوري لصحيح مسلم).

المواهب اللدنيّة ج 3 ص 247 - 248

(1) الرأي العام وتأثيره بالذات والاعلام - عبد القادر حاتم ص 135.

(2) الرأي العام وتأثيره بالذات والاعلام - عبد القادر حاتم ص 135.
ويختلف مفهوم الدعاء أيضاً من بلد إلى بلد، إذ تختلف مفهوم التعليم... في الاتحاد السوفيتي (قبل سقوطه) يرى الشيوعيون أن التعليم والدعوة شيء واحد، ولا يستخدم الدعاء إلا لتشديد عميق لكتابات ماركس وأنجيلز ولينين(1). وسنرى، إذن الله، فيما بعد الأسلوب الذي استخدمت به الدعاء في كل من الشرق والغرب وما كان منه من عواقب وخيمة على الإنسانية ومبادئ الخير والصلاح.

(2) تعريف الدعاء: عرف العلماء الدعاء تعريفات كثيرة، فعلماء الاجتماع والنفس والعلوم السياسية ورجال الإعلام كل قد أبدل بدلوه في هذا المجال؛ فمن هذه التعريفات: "الدعاء هي نشر معلومات (حقائق، أو مبادئ أو مجادلات أو شائعات أو أنصاف حقائق أو أكاذيب) وفق اتجاه معين من جانب فرد أو جماعة في محاولة منظمة للتآثر في الرأي العام، وتغيير اتجاه الأفراد والجماعات باستخدام وسائل الإعلام والاتصال بالجماعات"(2).

وهذا التعريف يشمل إذا حللناه على:

- معنى الدعاء: وهو نشر للمعلومات.
- ماده الدعاء: الحقائق أو المبادئ أو الأكاذيب.
- هدف الدعاء: تغيير اتجاه الأفراد والجماعات.
- وسائل الدعاء: وسائل الإعلام والاتصال بالجماعات من صحة وإذاعة وрадيو (تلفزيون) وغيرها.

---

(1) الإعلام والاتصال بالجماعات - إبراهيم إمام ص 21.
(2) علم النفس الاجتماعي - د. زهراى ص 221.
وهناك تعريفات تظهر الدعاء بأنها "فن" بالإضافة إلى أنها علم، قال بعضهم: "الدعوّة هي فن التأثير والحماسة والسيطرة والإلحاح والتغيير والرغبة لقبول وجهات النظر والآراء أو الأعمال أو السلوكيّات" (1).

وقال آخر: "يمكن تعريف الدعاء بأنها النشاط أو الفن الذي يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط" (2). وما دفع هؤلاء إلى القول بأن الدعاء فن هو من القضية ليست قضية نشر معلومات فقط، وعرضوا بدون اهتمام بالأسلوب الذي يجب أن تتب به الدعاء، وإلا كان نجاحها مشكوكاً فيه.. وإدخال عنصر الفن على الدعاء يتضح أمامنا لما إذا نجح بعض الزعماء في استمالة الجماعات إليهم ولم ينجح البعض الآخر؟

(3) أنواع الدعاء: قسمت الدعاء "اصطلاحاً" من ناحية المصدر والهدف منها، أقسامًا ثلاثة وهي:

١- الدعاء البيضاء: وهي دعاء معروفة المصدر، محدودة الهدف تسعى دائماً إلى خدمة أهداف نبيلة، وهي تعبر عن الدعاء الموجهة للتنوير والإعلام الصادق (3).

٢- الدعاء السوداء: وهي غير معروفة المصدر، بل تدعى أحياناً أنها تصدر من مكان معين غير الذي تصدر فيه حقائق كالإذاعات السرية مثل، التي تدار من أرض بعيدة أو على مقربة منها (4)، وتكون مقنعة ومستقرة خفية، خفية الغور، وتقوم على رفع الشعارات البراقة والكلمات الرنانة مثل (الديمقراطية والحرية والشوروية والعدالة) وتطلق الألغاز والقوالب الجامدة (مثل الدكتوراه والخائن والمستعمرين والصهاينة والشيوعيين) وتسعى التهويل والمالحة وتتعمد اختيار جانب من...

(1) الرأي العام وتاثره بالدعوّة والإعلام - عبد القادير حاتم - ص 139.
(2) الدعاء السياسية وأثرها على مستقبل العالم - لندي فريزر - ص 9.
(3) الإعلام والإتصال بالجماعات - د. إبراهيم إمام ص 299-300.
(4) المصدر نفسه ص 300.
الحقائق يُقدم غرضها دون ذكر باقي الحقائق، وتلجأ إلى الاختلاط والتشويه وتعيد الحقائق والأرقام، وتستخدم الصور (الكارتونارية) - التهكم - والسخرية وتعمد على التكرار حتى يؤمن الناس بالفكرة وإن كانت كاذبة(1).

3- الدعاية الرمادية (أو السمراء): وهذا النوع من الدعاية وإن كان معروف المصدر، لكنها ترمي إلى غايات ملتوية ويبدوا أن الأمريكيين قد نبغوا في هذا النوع من الدعاية الرمادية منذ الحرب العالمية الثانية(2).

وهناك تعريف آخر للدعاية السمراء قاله «مايلز كولمان» أحد رجال المخابرات الأمريكية والمذيب كتاب «لعبة الأمم» إذ يرى هذه الدعاية عن الدعاية السوداء والتي غالبها التشهير بالخصوم والهجاتهم بشكل مباشر، أما الدعاية السمراء فهي «التشهير بالخصوم عن طريق مدحهم والثناء عليهم»(3). وقد كان بول لا ينبرجر أكبر خبير أمريكي فيها وكان يعمل أثناء الحرب العالمية الثانية بأجهزة الإعلام الأمريكية، وكان يذيع باللغة الألمانية ما يظهر الألمان عاديين في مصلحة ألمانيا ولكن كان هدفه الحقيقي تحطيم الروح المعنوية للشعب الألماني(4)

ولا ينبرجر هذا استعارته الحكومة المصرية بعد عام 1954م لمعاونتها في تحطيم خصومها من الإخوان المسلميين عن طريق الدعاية السمراء بعد أن عجزت الدعاية السوداء في التشهير بهم لما كانت تتمتع به حركة الإخوان المسلمين في ذلك الوقت من هالة البطولة بسبب أعمالها الفدائية ضد القوات الإنجليزية في القتال (أي قناة السويس) ضد الإسرائيليين في فلسطين قبل ذلك، فضلاً عن مقاومتهم للشيوعية(5).

(1) علم النفس الاجتماعي - زهران - ص 322.
(2) الإعلام والاتصال بالجماهير - إمام - ص 300.
(3) لعبة الأمم - مايلز كولمان - ص 313.
(4) نفس المصدر - ص 84.
(5) لعبة الأمم - مايلز كولمان - ص 84.
وستنبث هذا الموضوع، إن شاء الله، عندما نتحدث عن الحرب النفسية والدعوة الإسلامية و𝑆𝑆𝑆.S.S. إذن الله الأساليب التي ابتعت في محاولة هدم الإسلام والحركة الإسلامية في مصر الأوسط عن طريق الدعوة السوداء والرمادية في عهد الثورة (بعد عام 1954).

ولعل تطبيق الحكومة المصرية بعد عام 1954م الواضع للدعوة الرمادية - بالتعاون مع أجهزة الإعلام اليهودية كما يقول كولناد(1) - أقول لهذا السبب لم يتطرق صلاح نصر رجل المخابرات المصرية الأول في كتابه (الحرب النفسية) ذي الجزيئ الكبيرين هذا النوع من الدعاية سوى جملة قصيرة وهي: (دعابة رمادية: لا توضح أي مصدر) فقط. بينما ملايين 5 خمساً وعشرين صفحة من أنواع الدعاية الأخرى.

وقسمت الدعاية أيضاً من حيث التوقيت إلى نوعين:

أ- دعابة إستراتيجية.
ب- دعابة تكتيكية.

أ- الدعاية الإستراتيجية: توجه ضد قوات العدو، وضد شعوب العدو، وضد المناطق التي يجتلها العدو متناسقاً مع تخطيط إستراتيجي، وتوضع بقصد تكملة نتائج خطة ينشئ تحقيقها على مدى أسابيع أو شهور أو سنوات. وتدار هذه الدعاية دون أن يكون لها تأثير مباشر ووضعي مرتبي، وغرضها إجهاد العدو بتغييرات نفسية (سيكولوجية) يمكن أن تمتد على مدى شهر.(2)

ب- دعابة تكتيكية: وهي توجه مستعمين معيينين يذكر أسماهم في الغالبية وتعد وتفقد لتعقيد عمليات القتال المحلية. وهي هذا هدفها قصير الأجل وخلال فترة زمنية محدودة، على عكس الدعابة الإستراتيجية.(3)

---

(1) لعبة الأمم - ميلانز كولناد ص 156 - وناظر الفصل الرابع: الحرب النفسية والدعوة الإسلامية.
(2) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج 1 ص 440.
(3) الحرب النفسية - صلاح نصر - ج 1 ص 440.
وسائل الدعامة هي وسائل الاتصال الجماهيري المختلفة من إذاعة ورائي (تلفزيون) وصحيفة وكتاب وغيرها. إلا أن الوسيلة المهمة في هذا المجال هي الإذاعة، حتى إنه أطلق على الحرب الدعائية: حرب الإذاعة. ورأينا دورها في الحرب العالمية الثانية من قبل الخلفاء ودول المحور.

مع انتشار وسائل الإعلام سهلت العملية الدعائية ويمكن تحديد وسائل الدعامة بما يلي:

1- الوسائل الصوتية أو السمعية: وهي الإذاعة، والخطابة، والشائعات، والأنشيد.. إلخ.

2- الوسائل المرئية أو البصرية وتشمل الفنون: مثل اللوحات، والنحت، والشارات، والألوان، والعلامات التجارية، والأزياء، والأوسمة، والشعارات..

3- الوسائل الصوتية المرئية وتشمل الرائي (التلفزيون) والأفلام السينمائية والمسرح..

4- الوسائل المكتوبة أو المطبوعة - وتشمل الصفح والمجلات والكتب والكتبات والنشرات واللافتات والملصقات..

5- المؤسسات والبعثات: وتشمل المؤسسات الثقافية والرياضية والمستشفى وغيرها وتشمل كذلك البعثات في الخارج.

6- المجتمعات: وتعقد في مناسبات معينة كما في حملات الدعامة الانتخابية.

7- المؤتمرات الصحفية: وتعقد بصفة خاصة في الدعوة السياسية.

(5) نفسية (سيكلوجيا) الدعابة: عرفا أن الدعابة نشاط أو فن يحمل الآخرين على سلوك مسلك معين ما كانوا يتخذونه لولا ذلك النشاط.

ارجع إلى:

1- علم النفس الاجتماعي (زهراين) ص 324.

2- الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام - حاتم - ص 91.
ولكن كيف تعمل الدعاية عملها المؤثر هذا؟ وما هو أسلوبها في هذا المجال؟

وهل الدعاية ناجحة دائماً؟ وما هي أسس الدعاية الناجحة؟

وعلي الإجابة عن هذه الأسئلة بإيجاز يمكننا القول: إن من أهم الأساليب التي تستخدمها الدعاية: الإيحاء والاستهواء والإقناع (1) وبرجعنا إلى معاني هذه الكلمات في علم النفس نجد أن: الإيحاء والاستهواء والتلقين هو قيادة المرأة لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها فحسباً دقيقاً. والفكرة الموحي بها إلى تكون في الغالب كافية كأساس للعمل، فإن يقبل الفكرة ويعمل بمقتضاها دون التفكير بالمشروع، فالإيحاء (هو المنه) يدفع حركة سلوك الإنسان على أساس تحضير سابق (2) وهو أيضًا "محاولة التأثير في تفكير الشخص واتجاهاته الوجدانية وسلوكه الحركي دون استخدام أساليب الإقناع المنطقية أو أساليب الأمر والفحص.

وكل إنسان، إن كان كثيراً أو قليلاً، قابلً للايحاء. وتزداد القابلية للإيحاء في حالات ضعف الذكاء والنقص العقلي عادة، وضعف القدرة على التمييز والتفاوت والتكامل كما تزداد في حالات النوم الصناعي (3).

إذاً - فإن الدعاية لا تعتمد على المنطق، أو الإقناع العقلي، للتأثير في سلوك الآخرين. وللذل晶 فإن الدعاية على العاطفة وليس على العقل وأن الغاية النهائية للدعاية هي غاية عاطفية بالرغم من محاولتها أرتداء ثوب العقل.

ولكن ما هي العواطف التي تحاول الدعاية أن تستهيدها؟ إنها تحاول استعمال جميع العواطف الإنسانية: كالخوف واحتراز الذات والتفاخر والطموح وحب العائلة. وتستغل هذه العواطف حسب الحاجة والظروف... وكذلك تستغل.

(1) علم النفس الاجتماعي (زهران) ص 324.
(2) معجم مصطلحات علم النفس - منير وهبة الخازن، مادة: الإيحاء. الاستهواء. التلقين.
(3) المصدر السابق نفس المادة.
الدعوة أحيانا حُب الجماعة لمصالحهم الدنيوية وخاصة إذا كانت الجماعة ليست على قدر كبير من الوعي وعندها قابلية للإيحاء الوجداني والانفعال، وقابلية سرعة التصديق فثير هذه الجماعة ضد خصومها ..

وفي الحقيقة أنه ليس كل شخص قابلاً للإيحاة والاستهواء والتلقين، فبعض الناس يتقبل كل ما يسمع أو يقرأ، في حين نرى البعض لا يكاد يصدق شيئاً، بل يجادل ويناقش ويشكل .. كما أن قابلية الاستهواء تختلف في الفرد الواحد في أحواله المختلفة. ودرجة الوعي هي الميزان في هذا، وكذلك الإنسان بالله، فالإنسان المؤمن الوعي لا يحكم حتى يبين وهذا ما علمنا إياه القرآن بقوله تعالى: ﴿فَيُبَيِّنُ اللهُ لِكُلِّ قَوْمٍ فَرْعَوْنَ ﴾[الحجرات] 1.

ولكن ما دور الإقناع العقلي في الدعابة؟

والواقع قد لا يقتني الفرد أو الجماعة التي توجه إليها الدعابة بما يقول رجل الدعابة بالأساليب السابقة.. هنا يلتجا رجل الدعابة إلى بعض العمليات العقلية مثل التسويغ في حالة الظروف القاسية التي لا يمكن تجاوزها، وحين يتوقع معارضة الجمهور الذي يوجه إليه دعاعته، فيلتجا إلى إقناعه بالعقل أولًا.

ويجب أن لا نهمل دور التكرار في الدعابة للفت الانتباه وجذب الاهتمام إلى أن تصبح الأكذوبة حقيقة، حتى عند رجل الدعابة نفسه، تطبيقاً للمثل القائل: ﴿إِذَا قُبِضْتُ فَأَذْهَبْتُ حَتَّى تُصِيبَنَّا وَقَبِلْتُمُ الْمَثَلَ.﴾

وفي مجال الدعابة البيضاء، نجد أنها تعتمد على العاطفة والعقل أيضاً وهذه الدعابة تسعى إلى تغيير سلوك الإنسان كلياً، وعاطفته العميق الجذور.

ثالثاً: الشائعة:

لقد لاحظ علماء النفس المهتمون بالحرب النفسية أن الشائعة وسيلة مهمة من وسائل الحرب النفسية، بل هي سلاح من أنفى أسلحتها، لما لها من خاصية سرعة
الانتشار؛ فهي تضعف الصف، وتتقسم الكلمة، وتتبلئ نفسية الجماهير، وتتفقدها
تقتبها محكومتها إن كانت موجهة من العدو، وكذلك تشككها بقدرة جيشها.
وسنحاول في هذه الدراسة إعطاء فكرة تساعد على فهم الشائعة أولاً، ومن ثم
مقاومتها، والإطلاع على وسائل العدو في استخدامها.
(1) تعريف الشائعة: يعرف "أبوت وبوستمان" الشائعة في كتابهما
"سيكولوجية الشائعة" بأنها: "اصطلاح يطلق على رأي أو موضوع معين
مطروح كي يؤمن به من يسمعه، وهي تنتقل عادة من شخص إلى آخر عن طريق
الكلمة الشفهية دون أن يتطلب ذلك مستوى من البرهان أو الدليل" (1).
ومن هذا التعريف نجد أن الشائعة تتألف من ثلاثة عناصر هي:
- أنها موضوع معين مطروح بشكل مقصود.
- هذا الموضوع يتناقله الأفراد.
- سريان الشائعة لا يحتاج إلى بررهان لتصديقها.
ومن خلال دراستنا للشائعة سنعرف مقدار دور كل من هذه العناصر الثلاثة في
تحقيق أهداف الشائعة.
(2) أهداف الشائعة: يمكن إيجاز أهداف الشائعة بما يلي:
1- تدمير القوى المعنية للخصم وتفتيتها - وذلك ببث الشقاق والعداء وعدم
الثقة بين أفراده أو بين قادته مهذبة بشد "فرق تسد".
2- الإرهاب وبث الرعب في النفس وذلك بتضخيم قوى الخصم التي لا
تغلب.
3- استخدام الشائعة على أنها ستار من الدخان لإخفاء حقيقة ما. وهذا
الأسلوب يعتمد على النظرية القائلة: "إن الشائعة يمكن أن تخفى الحقيقة" فيقدمُ

---
(1) الحرب النفسية - صلاح نصرج 1 ص 204.
أحد الجانين المتضاربين على تسريب معلومات، وبذلك يصعب على الجانب الآخر
اكتشاف الأخبار الحقيقية من الأخبار الكاذبة.
4- تستخدم الشائعة أيضاً على أنها تطع بقصد إظهار الحقيقة من الجانب
الآخر.
5- وتستخدم أيضاً للحتم من شأن مصادر الأخبار المعاذية.
(3) تصنيف الشائعات: حاول بعض علماء النفس استخدام معيار الوقت في
تصنيف الشائعات وتقسيمها إلى ثلاثة أنواع:
1- الشائعات الزاحفة: وهي التي تروج ببطء ويتناولها الناس همساً وبطريقة
سرية تنتهي في آخر الأمر إلى أن يعرفها الناس جميعاً.
2- شائعات العنف: وهي التي تنصف بالعنف، وتنتشر بسرعة انتشار النار في
الهشيم، وهذا النوع من الشائعات، تصل إلى جامعات كبيرة من الناس في وقت
قصير، ومن نظر هذا النوع من الشائعات تلك التي تروج عن الكوارث أو
الانتصارات أو الهزائم الحربية.
3- الشائعات الغائصة: وهي التي تروج أولاً ثم تغوص تحت السطح ثم تظهر
ثانية عندما تتهيأ لها الظروف بالظهور، وهذا النوع من الشائعات غالباً ما يروج ضد
رجال الحكم في شكل حلات هامة للنيل من سمعتهم أو التشكيك في نزاهتهم
وغالباً ما تأخذ شكل الفكاهة أو النكت.
وحاول البعض الآخر تصنيف الشائعات حسب موضوعها ومن هذه
الشائعات:

علم النفس الاجتماعي - حامد زهران . ص 360.
ارجع إلى: علم النفس الاجتماعي - د. حامد زهران ص 361 و مجلة العربي العدد 94 مقال:
سجولوجية الإشاعة.
1- شائعات الأحلام والأماني: وتستخدم للتنفس عن الأماني والاحتاجات التي
عند الناس.
2- شائعات الخوف: وتنشر أثناء الأزمات والحروب.
3- شائعات الكراهية: وهي تعبر عن شعور الكراهية ودوافع العدوان عند
الناس (1). وهذا النوع من الشائعات هو الذي أطلق عليه بعض العلماء شائعات
الدوافع النفسية (2).
ومن الدراسة الميدانية للشائعات وأنواعها ونسبة وجودها في المجتمعات، ذلك
الإحصاء الذي أجري في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1942م حيث درست
الف شائعة فوجد أنها توزع كالأتي:
1- 66% من الشائعات كانت شائعات العداء.
2- 25% منها كانت شائعات الخوف.
3- 22% منها كانت شائعات التمنّي.
4- 7% منها كانت شائعات من أنواع مختلفة.
وقد وُجد أن شائعات الخوف والتمنّي ما ليست أن تغيرت طبيعتها باقترب
انصار الحلفاء على دول المحور في الحرب العالمية الثانية، وكذلك لوحظ أن غالبية
الشائعات كانت من طبيعة شريرة وتعبر عن عداء ضد هذه الجماعة أو تلك
(3). نفسية (سيكولوجية) الشائعة: إن الشائعة ظاهرة نفسية لها دلالة ولها معنى،
وذلك لها دوافع خاصة دفعت إلى ظهورها وسببت سرعة انتشارها بين الناس،

(1) مجلة العربي العدد 94 جمادى الأول 1386 (أيلول 1966) مقال: سيكولوجية الإشاعة - د.
فاخر عاقل.
(2) المصدر السابق.
(3) مجلة العربي - العدد 94 مقال سيكولوجية الإشاعة - د. فاخر عاقل 1386/1966.
وقد كله اندفاع علماء النفس الاجتماعي إلى دراستها وبيان العمليات النفسية التي تستند عليها.

فمن حيث الأساس النفسي للشيئية، أثبت علماء النفس من اتباع مدرسة الجشتنل (gestalt) أن العمليات النفسية تأخذ بصياغة أشكال متكاملة ويكَّره العقل أن يجد فراغات فهو يعمل دائماً على تكميل الصورة وتماسكها، غير أن هذا التكميل أو ملء الفراغات يتأثر بميولنا واتجاهاتنا وخبراتنا السابقة، فإذا كانت هذه الاتجاهات طبيعية نحو القضية أو الشخص الذي تكون عنه الصورة فإن عملية التكميل تكون مهددة ومؤيدة، أما إذا كانت هذه الاتجاهات سلبية فإن عملية التكميل تتزوي على الكراهية والانفصال والتشتيت، وتأخذ مثلاً على ذلك؛ تصور الإنسان للحرب: "لما كانت الحرب بطيعتها تكريسًا إلى السلوكي البديهي فإن الشائعات التمشيكة مع هذا السلوكي لابد وأن تتسم هي الأخرى بالأخيلية الفظة".

وأما لاشك فيه أن الشائعات تتأثر بخلفياتنا الفكرية والعقدية وأهوائنا ومن الممكن أن تم الشائعة بها، وأيضاً فإن جو الحرب يساعد على سريان الشائعة واتساعها.

أما عن ظهور الشائعة وسريانها في الناس فقد أوضحها العالم "بيساو" «مبدأ أن هذه العمليات تتم في ثلاث مراحل: أولاً: إدراك الحادث من جانب شخص أو

(*) مدرسة "الجشتنل" أو مدرسة "علم النفس الشكلي". ولفظ "جشتنل" أو الشكلي كلمة ألمانية أصبحت الآن كلمة دولية تفيد معنى الصيغة أو الشكل، ومن أهم القضايا التي تقررها هذه المدرسة:

1- أن الإدراك يكون موجهًا في بادئ الأمر نحو الشكل الكلي لا نحو الأجزاء.

2- خصائص الصيغة هي غير مجموعة خصائص أجزاءها التي تكونها.

(1) الإعلام والاتصال بجماعهير - د. إبراهيم إمام ص 255.
الإرتباطات والشائعات في المجتمع

عدد أشخاص، ويرجع اهتمامهم بالحادث إلى المغزى الاجتماعي لهذا الحادث، وصداه في نفوسهم، ثم تجري عمليات التنقيح بالحذف والإضافة حتى تنتمى العناصر المكونة للشائعة بعضها مع بعض من جهة ومع ثقافة المجتمع من جهة أخرى، وعندما يتم التنقيح والتعديل بصورة تجعل الشائعة مستساغة متقبلة سهلة الاستيعاب، فإنها تنطلق وتتسري بين الجمهور، فكان المراحل الأساسية لظهور الشائعة وسريانها هي الإدراك الانتقائي والتنقيح بالحذف والإضافة والاستيعاب النهائي تمشياً مع المعتقدات والأنفكار والقيم السائدة في المجتمع.

ويذهب البورت وبوستمان إلى أن سريان الشائعة يضع لشروط أساسين:
أما الشرط الأول فينطوي على أهمية الحادث بالنسبة للمتحدث والمستمع، وأما الشرط الثاني فهو الغموض الذي يطوي الحادث ويغلهه.والحق أن الشائعة مزيج عجيب من الوقائع والتحقيقات ولا يمكن بسهولة تحديد العناصر الواقعية وفصلهما عن الجوانب الخيالية، يؤكد الباحثان أن الشروط الأساسين للشائعة وهما الأهمية والغموض يرتبطان ارتباطاً كمياً على وجه التكبير فيما يبدو من سريان الشائعة، والمعادلة التي تعتبر عن ذلك تصبح هكذا:

سريان الشائعة = الأهمية × الغموض.

ونلاحظ أن العلاقة بين الأهمية والغموض هي علاقة ضرب، وهذا يعني أن انعدام أحدهما يعني انعدام الآخر أي يجب وجودهما معاً. والغموض الذي هو أحد عناصر سريان الشائعة ينتج عن انعدام وسائل الاتصال، أو فقدان الأخبار الموثوقة، أو أمثال ذلك من الأسباب التي تكثر أثناء الحروب، أو في البلاد التي

(1) الإعلام والاتصال بالجماهير - إبراهيم إمام ص 346 وكذلك ارجع إلى مقال الدكتور فاهر عاقل في مجلة العربي "سociological الدراسة" العدد 96-1386/1366.
(2) المصدر السابق ص 247.
مزقتها الحروب، أو بين الجماعات المعزولة كبعض الفرق الحربية، أو بعض الجماعات النائمة. كما قد يتأي الغموض على الأخبار وسواها. وهذا السبب الآخر نجد الشائعات تكثر في الدول التي تحكمها النظام الاستبدادي، والتي لا تدفع من الأخبار إلا بما فيه مصلحتها. وحتى إن الشائعات لتدور في هذه الدول حول المواد الغذائية والتي تأتي أهميتها في الدورة الأولى للإنسان العادي، وقد يكون مصدر الشائعات، وهذه الدولة ذاتها لتربط الناس جميعًا بلقمة العيش والجري الدائم لتأمينها، ويتهم لها بذلك إبعادهم عن الاهتمام بحريتهم وكرامتهم.

وتتساءل بعد ذلك، لا تنتج الشائعة عن الحروف وعدم الأمان في هذه الحياة؟ بما لا شك فيه أن الحروف والقلق الدائم وعدم الأمان، كل هذه من أسباب سrieben كثير من الشائعات وخاصة أثناء الحروب. لذا فالإنسان في هذه الأجزاء يفتح ذنيه لالتقاط أي شائعة يسمعها، وحتى إن كان قد أطلقها إنسان برئ أو جامع من العملاء والجوايس، وعدم الأمان يدفع الإنسان إلى نشر الشائعة والتفتيش على يشاركه فيها ويفق معه تجاه الخطر المرتقب.

وتتساءل أيضاً: لا يزال القلق والحروف بوحود الأخبار المتوافرة، وبذلك تنعد الشائعة لانعدام أحد أسسها وهو الغموض؟ قبل أن أجيب عن هذا السؤال أقول: إنه ما لا شك فيه أننا نعيش اليوم عصر وسائل الاتصال المختلفة من إذاعة وروائي وصحيفة وكتاب... إلخ. ولكن ومع ذلك ما زالت الشائعة تعمل في الرأي العام. بل إن وسائل الاتصال هذه قد تسهم في الأخرى في نشر الشائعات وتحرف الأخبار وتزديدها بصورة مشوهة تُبعد كثيرًا عن حقيقة التقليدية (1).

---

(1) ارجع إلى الإعلام والاتصال بالجماعات. إبراهيم إمام ص. 214.
وعلة وجود الشائعات وانتشارها حتى لو كانت هناك أخبار متوافرة، هي أن للشائعات دلالة تعبيرية أو معاني مجازية كامنة وراء الألفاظ، وهذه المعاني ليست معلومات معرفية كالأخبار مثلاً، ولا حاجة هنا إلى أن نقارن بين مضمون الشاعة مع الحقائق الموضوعية ونقيس مدى الصدق بدرجة قربها من الواقع أو بعدها عنه، وإن هذه المعاني المجازية الكاملة وراء الألفاظ تنطوي عادةً على أحكام تصدر على موقف أو شخص أو حدث وهذه الدلالة التعبيرية من أهم الخصائص التقويمية للشاعية. و«ناقل الشاعية لا يعبر عن الواقع بقدر ما يعبر عن حالة نفسية أو قلق انفعالي. وهنا تختلط الوقائع بالأخيلة والدلالات الموضوعية بالثيرات العاطفية ولعل هذا التفسير للشاعية هو الذي يجعل سبب انتشار الشائعات حتى عندما تكون الأخبار متوافرة تماماً».

ويؤكد هذا المعنى الدراسة التي أجريت في الولايات المتحدة الأمريكية أثناء الحرب العالمية الثانية وقد مر ذكرها آنفاً. إذ قد تبين من الدراسة أن الأسباب الرئيسية لانتشار الشائعات هي أنها تقوم بوظيفة مزدوجة فهي تفسر التوترات الانفعالية التي يشتهرها الأفراد وتتنفس عنها، فهي حادثة بيرل هاربور (1) مثلاً ساعدت الشائعات على تفسير القلق الذي شعر به الناس، ومن ذا الذي لا يقلق إذا مُبح أسطول بلاده مسحاً كما قبل آنذاك، ثم إن العائلات التي فقدت أبناءها أو معيشتها تريد أشخاصاً نصب عليهم تلميتها، ولذلك كان لُوم الأقليات متنفساً للناس، وهكذا انصبت الشائعات على خيانة بعض الأقليات القومية في الولايات...

---
(1) نفس المصدر ص 253.
(2) بيرل هاربور - ميناء ضرب فيه الأسطول الأمريكي من قبل اليابان أثناء الحرب العالمية الثانية وكان ضربة من أسباب دخول الولايات المتحدة الحرب إلى جانب الحلفاء.
الفصل الثالث.. أسلوب العبر النفسية
المتحدة (مثل الأقلية الألمانية) وأشير إلى جشع اليهود وعلاقتهم بالسوق السوداء، وغير ذلك (1).

(5) الرأي العام والشائعة: ونستناد الآن: هل للشائعة هذا الأثر الكبير في الرأي العام، وهل يمكن أن تكون رأياً عالياً في مجتمع من المجتمعات؟

لقد تأكد من بحوث العلماء أن الشائعات الكاذبة لا تنتشر إلا في المجتمعات الانفعالية التي تلقى الأمور بالانفعال، والتي لم تبلغ من الوعي درجة كافية بحيث تغلق الشائعة وتثبيت صداقتها من كذبها. وبخاصية إذا استولى على هذه المجتمعات حكام مستبدون، هم أنفسهم يستخدمون وسائل الإعلام في نشر الشائعات، وتطرف الأفكار وترددها بصورة مشوهة تباعها كثيراً عن حقيقيتها، ولكي يجدوا هؤلاء شعوبهم بعضاً للشائعة صورة معقولة بإرجاعها إلى مصدر مؤثّر (على حد زعمهم)، والشعوب المغلبة على أمرها تصدقهم وتسيّر وراءهم مغرة الأعين (بغزيرة القطيع) (2).

ويبرى البعض الآخر "أن جميع الناس في أي مجتمع وفي أي زمان متهيأون لتلقى الشائعة وتصديقها. لأن الناس ليس لديهم الوقت الكافي الذي يسمح بمراجعة ما يسمعونه وطرحه على معايير الصدق، فضلاً عن أنه يصعب عليهم إثبات تكذيب الشائعة." (3).

ويظهر أن المؤلف اعتمد على هذه المقوله في ترويج الشائعات والدعایات الكاذبة ضد الحركة الإسلامية في بلده، خلال ربع قرن من الزمان (1954 -

173

1) مجلة العربي العدد 96/1386/1966 - مقال: سيكولوجيا الإشاعة.
2) الحرب النفسية - صلاح نصر 1 ص 349.
3) (غزيرة القطيع) تعبر عن الأفكار داخل الجماعة بدون وعي، كقطع الغنم الذي يسير وراء كيروهم. وتعبر أيضاً عن تعطل ملكة المحاكمة الشخصية، وغياب حسن النقد والتمييز، ويبدو الفرد كأنه من ثم مغناطيسياً سهل التقلد.
وينبض المؤلف ثوب الأخلاقيات الفاضلة عندما يقول: "إن الشائعات المختلفة سواء كانت قصيرة العمر أو طويلة، معايدة أم مدمرة تعتبر من أخطر الأسلحة الفتاكة للمجتمعات البشرية ويمكن أن تصبحها بسم الحنجر المسموم الذي يطعن الأبرياء من الخلف مستغلًا أحد صفات الإنسان من جين ونذاله، وغالبًا ما يوصف هذا السلاح بكيان مجتمع أو بأصول حضارة".

وتمة جانب آخر من تأثير الشائعة في المجتمعات البشرية، ذلك عندما تتحول الشائعة إلى أسطورة خالدة في أذهان الناس لا تموت على مر الأزمان. ويضرب لنا الدكتور إبراهيم إمام مثالًا على ذلك: "أسطورة جوليات وداود" وهي من أمثلة استخدام الشائعات في الحرب النفسية يقول: "أن الأسطورة في حقيقة أنها ليست سوى شائعة خالدة استطاعت أن تحيا على مر العصور لتصبح جزءًا لا يتجزأ من تراث الأمة" والمعروف أن إسرائيل تستخدم هذه القصة (أسطورة جوليات وداود) في حربها النفسية وتلقينها للصغار منذ نشأتهم أظهرهم وترويها للعالم موعزة إلى أن داود يمثل إسرائيل والعلاق (جوليات) يمثل العرب. وتبن هذة الأسطورة أيضاً أهمية العزلة الصعبة والثقة في النفس والذكاء إلى جانب الاعتقاد الراشخ والإيمان العميق.

ويلاحظ أن الدكتور لم يوفق في اختيار المثال، ونحن نسأله - بصفة أن الأسطورة في حقيقتها ليست إلا شائعة هل قصة داود وجوليات أسطورة؟ أم أنها قصة حقيقية ذكرت في القرآن الكريم؟ بصرف النظر عن استخدام إسرائيل لها في حربها النفسية في مجال التربية والتاريخ".

الحرب النفسية - صلاح نصر ج1 ص 87.

الإعلام والاتصال بالجماهير - إبراهيم إمام - ص 257-258.

قال تعالى: وإنما برزوا إجاثات وجُنُودًا. قالوا: زِينًا أُفرِجُ عليه ضارٍ وَزَينَتْ أبَناتها وتَبَارَكَ عَلَى الْفَيْضِ.

الخليفة فَهُمُوهُم بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتلُوا دَاوُدَ جَالِسًا وَقَبَضَوْا حَيَالَهُم. ... وإسرائيل تدعي أن داود =
إنما هو قريب من الأسطورة، خلص صفات البطولة الخارجة وعظمة على
الأصدقاء والقادة بشكل يفوق الحقيقة، وتضخيم أعمالهم إلى حد القوة التي لا
توصف، وبالعكس لذلك خلص صفات الشياطين على الأعداء ووصفهم بالصفات
التي تُحَظَّ من شأنهم. وفي النهاية لا يُعرف الناس شيئاً إلا من خلال التصور الذي
يرسم لهم، وإن في التاريخ كثيراً من القصص الخرافية عن الحكام وقادة الحروب
وغيرهم من الذين يُنسبون إليهم خوارق العادات. وفي الحقيقة ما أخبرهم إلا
شاومة تحولت إلى أسطورة في نهاية الأمر.

(1) مقاومة الشائعات: تكلم كثير من علماء النفس وأساتذة الإعلام ورجاله عن
الشائعات وسبيل مقاومتها، ولا بد من عرضاً أولاً. ومن ثم أعرض التصور
الإسلامي لمقاومة الشائعة والقضاء عليها في مهدها قبل أن يستفحش شرها.
فأرى بعضهم أن مسؤولية مقاومة الشائعات والسيطرة عليها تقع على القيادة
والأفراد ومكتب الأمن، ومن أهم أساليب مقاومة الشائعات ما يلي:

1- التعاون الجمهور في الإبلاغ عن الشائعات وتكييفها وعدم ترديتها.
2- تكافئ وسائل الإعلام المختلفة من أجل عرض الحقائق في وقتها وإشاعة
الثقة بين المواطنين وتنمية الوعي العام وتحسينه ضد الحساسية النفسية بصفة عامة
ضد الشائعات بصفة خاصة.

يشملن في القصة القرآنية. مع العلم أن داود عليه السلام لعنهم كمس ئدع علي عليه السلام
فأبرأ الذين سمعوا من نبأ، إستغبر على لسان داود وعيسى نحن من بني داود بما عصوا و Geschäfts
هذهم. ومن هذه الآية يثين أن أصل القصة كما وردت في القرآن واقعية - ليست
اسطورة كما سماها الدكتور إبراهيم إمام لأن القرآن ليس فيه أساطير. قال تعالى في سورة
يوسف (فاذكروا في قصصهم عن أولي الأئبة) ما كان عليه مثَّل، مثًّل، أما إذ كانت عند
اليهود عرفة يغلب عليها الكذب فيمكن تسميتها أسطورة مع النبي إلى أن أصلها حقيقي.

(1) علم النفس الاجتماعي - زهيران - ص 370.
3- التوعية المستمرة لتشتيت الإيمان والثقة بالبلاغات الرسمية عن طريق الندوات والمحاضرات والمناقشات.

4- اقتضاء خطأ سير الشائعات والوصول إلى جذورها، وإصدار البيانات الصحيحة الصريحة بشأنها والتخطيط الشامل وتكافف الجمهور.

5- الثقة بالقادة والرؤساء، والثقة بأن الأمور العسكرية تحاط دائماً بالسرية والكتمان وأن العدو يحاول خلق الشائعات عندما لا تتيصر لديه الحقائق.

6- تولية الأمر والقيادة لأهل العلم والخبرة والخلق والدين.

ويستعرض لنا الدكتور إيراهيم إمام محاولات الأمريكيين في مقاومة الشائعات خلال الحرب العالمية الثانية قائلاً: "حاول الأمريكيون إنشاء ما أسموه "عيادات الشائعات" وبها تقوم الصحافة بتقنين كل شائعة والرد عليها وشعاراتها: (اذكر الشائعة واضربها بكل قوة) وأخطر ما تعرضت له عيادات الشائعات، إذاعة الأقاصيص الكاذبة والمساهمة في نشر الشائعات على نطاق واسع مما كان مقدراً لها.

ومن ناحية أخرى اقترح مناهج مكتب الإعلام الحربي الأمريكي (1-7-5) برئاسة ليوستين إلى محاربة الشائعات بالأخبار الصحيحة على أسس أن الشائعات تسري في جو من الدموع الناجم عن ندرة الأخبار.

ولكن يبدو أن خير وسيلة لمقاومة الشائعات ومواجهة الحرب النفسية هي تحصين الشعب عن طريق دعم إيمانه بوطنه وأهدافه، وتوعية الجماهير وإيقاظ الضمائر؛ وهي مهمة لا بد وأن تنطلق على أدائها هيئات التعليم والثقافة والإعلام والتنظيمات السياسية، ذلك أن التعبئة النفسية للجماهير وتمسكها بأيديولوجيتها عن إيمان واقتنا من أهم الدعائم الضرورية لمواجهة الشائعات والحرب النفسية".

(1) الإعلام والاتصال بالجماهير – إمام ص 305-306.
ونحن نرى أن الشائعات يقضي عليها بمساعدة عنصرين مهمين في الدولة وهما الفرد المؤمن والحكومة الصالحة.

فإن إيجاد الفرد المؤمن بالله حق الإمام، المتخلق بأخلاق القرآن، نكون قد أوجدنا الإنسان المتميز الذي يزن الأمور بميزان الإسلام. والذي لا يتلقى أي أمر أو قول إلا بعد تدقيق وتمحيص، تبعًا لقول الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إنَّ جَاهِدَكُمْ فَآيَاتُهُ بَيَاءٌ فَصَبْحُوهُوا عَلَى مَا فَعَلُّتمُ نَيْمًا» (المؤمنون، 1).

هكذا ورأيناه آنفاً في الدرس الذي أعطاه الله للجماعة المسلمة في المدينة، في حادثة الإفك، إذ علمها أن لا تترك بالبلدتها شائعات دون إنعام نظر وتبنين: «لا إِذْ سَمِعْتُمْ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَيْنَهُمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِبْكَ مُهْيِنٌ» (النور، 10).

وقال تعالى: «وَلَا إِذْ سَمِعْتُمْ أَنَّ مَعْلُومًا عَظِيمًا يُعطِكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعْفَوَا لِمَثَالِهِ» (النور، 11). ولقد انطأت شائعة الإفك بمجرد نزول الآيات في ترجمة السيدة عائشة رضي الله عنها.

فالطريق الأول إذا لمقاومة الشائعات هو الإمام الصادق الذي يرى المؤمن على منهج فكري يحميه من الشائعات، وهذا يتطلب أيضاً أن يكون المسلم لديه وعي كامل بمبادئ الإسلام والأمور التي تجري من حوله في جميع مجالات الحياة.

ومن هنا يأتي واجب رجال التربية والدعوة في تربية وعي المسلمين بهدفهم أولاً وما يجري حولهم - أي زيادة وعيهم السياسي الذي يقتديه مسلم اليوم. حتى لا تتناثه وسائل الإعلام الغربية والشرقية وهم حائرون وافقون على مفترق طرق لا يعرفون إلى أين يتجهون.

(1) في الفصل الثاني.
والإيمان أيضاً نقضي على شائعات الخوف والتي تكثر في الحروب خاصة، ومن عاش في جو الحروب يرى بعينيه اللمع والخوف الذي يصيب الناس عامة، إلا الذين آمنوا، فقد ضربوا مثلًا عظيماً في الشجاعة والتضحية، وصدق الله العليم فلذين قال لهما الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاحترموه فرادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
(98 سورة 23) - وأما الطريق الثاني للقضاء على الشائعات فهو إيجاد الحكومة الصالحة، التي تعمل لصالح الأفراد بإخلاص وصدق وعدالة، وبذلك تنال ثقة الإنسان في هذه الدولة لأنها تعطيه حقه فيعطيها واجبه، ويوجد هذه الحكومة الصالحة تُنشر الأخبار من وسائل الإعلام المختلفة بصدق وفي وقتها، بحيث لا يبقى مجال لانتشار الشائعات المختلفة المغرضة، صحيح أنها لا تنعدم بشكل نهائي - وذلك لوجود الأوشاب في كل مجتمع - ولكنها نادرة، ولا حكم للنادر. ولاشك أن الشعب يحتاج إلى التوعية الدائمة ودعم إيمانه بالله وبيان أهداف أعدائه، وأساليبهم في الدعاية والشائعة حتى لا يتأثر بها.
أما في أوقات الحروب، عند إعلان الجهاد على أعداء الله وأعداء المسلمين، فإن تكون هناك أوجه لقبول الشائعات، كما في المجتمعات غير الإسلامية، لأن الجهاد في الدولة الإسلامية يختلف عن الحروب التي تشنها الدول الأخرى من حيث المضمون والمنهر والأداء، ف فمن الجهاد هو زمن الاستنكار والسرور، لأن المسلم يتجاهد وهو يتظر إحدى الحسناء، إما النصر وإما الشهادة.
وفي هذه الأوقات بالذات، يكون الجيش المسلم، هو ذاته، حريًا نفسية على الأعداء، ويستعي بأسه وشجاعته، ويرهب جانبه.
ثالثاً: غسيل الدماغ:
(1) مفهوم غسيل الدماغ وتعريفه: غسيل الدماغ سلاح من أسلحة الحرب النفسية، يرمي إلى السيطرة على العقل البشري وتوجيهه بغايات مرسومة بعد أن يجرد من مبادئه السابقة.
وكان أول من ابتكر اصطلاح غسيل الدماغ صحفى أمريكى يدعى «إدوارد هنتر» ألّف كتاباً عن الموضوع على أثر الحرب الكورية، إذ لاحظ هذا الصحفي أن ثلث أسرى الولايات المتحدة الأمريكية قد اتخذوا اتجاهاً جديداً ضد وطنهم، وكانت هذه الظاهرة هي الأولى من نوعها في تاريخ الحرب البشرية، وقد عني الصحفي بهذا الاصطلاح «المحاولات المختلطة أو الأساليب السياسية المتعبة من قبل الشيوطين لإقناع غير الشيوطين بالإيمان والتسليم بمبادئه وتعاليمهم»(1).
وقد أطلق بعضهم على هذه العملية في السيطرة على العقل البشري وتوجيهه، أسماء أخرى، أهم وأشمل من اصطلاح غسيل الدماغ، من مثل: إعادة تقويم الأفكار، أو التحوير الفكري، أو المذهب، أو الإقناع الحفقي(3).

(2) المصدر السابق ص 13.
(3) د. زهران – علم النفس الاجتماعي ص 362.
ونصل أخيراً إلى تعريف لاصطلاح غسيل الدماغ "بأنه عملية تطوير الدماغ وإعادة تشكيل التفكير، وهو عملية تغيير الاتجاهات النفسية بحيث يتم هذا التغيير بطريقة التفجير، وهو محاولة توجيه الفكر الإنساني أو العمل الإنساني ضد رغبة الفرد أو ضد إرادته أو ضد ما يتفق مع أفكاره ومعتقداته وقيمته، إنه عملية إعادة تعليم (RE) وهو عملية تحويل الإيمان أو العقيدة إلى كفر بها ثم إلى الإيمان بمقتضىها".

(1) الأساسي النفسي لغسيل الدماغ: لقد استغل المشتغلون بالحرب النفسية دراسات علماء النفس لعلم وظائف الأعضاء والجهاز العصبي، والعلاقة بين علم وظائف الأعضاء وسيطرتها على الدماغ. يذكر في هذا المجال تجارب بافلوف على الحيوانات، ويستحسن تلخيص اكتشافاته في النقطة الرئيسي الآتية حتى يمكن الربط بينها وبين عمليات غسيل الدماغ التي سئذكرها بعد ذلك، والتي طبقها الشيوبيون على الأسرى والسجناء، وهكذا خلاصة نظرية بافلوف التي استخلصها من تجربته على الكلاب:

1) عند حدوث توترات معينة أو صدمات فإن الكلاب تستجيب تمامًا مثل الإنسان بعًا لاختلاف أمزجتها المختلفة المروثة.

2) لا توقف ردود فعل الإنسان والكلب للتوترات العادية على كيانه المروث فقط بل كذلك على المؤثرات البيئية التي يتعرض لها، وهذه المؤثرات تغير تفاصيل سلوكيه فقط، ولكن لا تغير النمط السلوكي الأساسي.

3) تنهار الكلاب كالآدميين وذلك حينما تصبح التوترات أو الصدمات أكثر مما ينبغي أو بدرجة لا تستطيع أجهزتها العصبية السيطرة عليها.

المصدر السابق نفسه.

(*) بافلوف: هو عالم فسيولوجي روسي كان غرضه دراسة وظيفة المراكز العصبية في الدماغ.
4) يختلف مقدار التوتر الذي يستطيع الإنسان أو الحيوان السيطرة عليه دون أن يصاب بالانهيار باختلاف حالته البدنية، كما يمكن تقليل المقاومة ووسائل أخرى مثل الإجهاد - الحمي - المخدرات والتغير في وظائف الغدد.

5) عندما يستنفر الجهاز العصبي استثارة شاملة، ويدفع له موقف كامل فإنا نستطيع أن نميز ثلاث مراحل مختلفة من التغييرات في السلوك، وهذه المراحل هي:

أ- المرحلة "المتعاقدة" حيث يعطي فيها المخ الاستجابات نفسها لكل من المثيرات القوية والضعيفة.

ب- مرحلة التنافض وهي التي يستجيب فيها المثير للضغيف بشكل أكثر إيجابية من المثير القوي.

ج- مرحلة التنافض الشديد وهي التي تتحول فيها ردود الفعل الشرطية والأعماق السلوكية من الوظيفة إلى السالب أو العكس.

وقد توصل "بايفولف" إلى هذه الاكتشافات عن طريق مراقبة ما يحدث للأعماق السلوكية الشرطية في الكلاب حينما يستنفر مخ كلب بواسطة توترات أو صدمات تفوق قدرته على الاستجابة العادية.

يقول "ويليام سار جنت"، وهو أحد أطباء النفس، في اكتشافات بايفولف في هذا المجال "إن تطبيق اكتشافات بايفولف في الكلاب على آلية أنواع عديدة من التحول الدينية أو السياسية في الكائنات البشرية توحى بأنه لكي يكون التحول مؤتراً يجب أن تستمر انفعالات الشخص حتى يصل إلى درجة شاذة من درجات الغضب أو الخوف أو الشوذة، فإذا أمكن الاحتفاظ بهذه الحالة أو أمكن زيادة حدتها بوسيلة أو بآخر فقد ينتهي الأمر بالشخص إلى حالة من حالات الهستريا، وحينئذ يصبح الإنسان أكثر استعداداً لتلقي الإيجابات التي قد لا تقبلها في الظروف العادية وقد يجدون بديلاً عن ذلك مرحلة من المراحل: "المتعاقدة" أو "المنافضة" أو "شديدة
التناقض» أو قد يحدث «انهيار امتناعي كامل» يقضي على كل المعتقدات السابقة.

هذه الأحداث يمكن أن تكون عاملًا مساعدًا في غرس معتقدات وأفكار سلوك جديدة، وسوف نلاحظ هذه الظاهرة نفسها في كثير من العلاجات الحديثة في مرض الطب النفسي. على أنه يمكن إحداث جمع مراحل النشاط الذهنى من زيادة الإثارة إلى حد الانهيار الانفعالي والانهيار إلى الاستسلام الهاضم الصامت: إما بوسائل سيكولوجية (نفسية) أو باستخدام العقاقير أو بالعلاج بالصدامات الكهربائية أو بتخفيف كمية السكر في دم المريض بحقته بالأنسولين، كما تأتي بعض النتائج الأفضل في علاج حالات من أمراض الطب النفسي مثل: العصاب (1) أو الذهان (2) بأحداث حالات من حالات «الانتعاش الوقائي» (3). وهذا يحدث دائماً بالاستمرار.

العصاب: مجموعة من الأمراض النفسية وتسمى: القلق النفسي، والهستريا، والوسواس القهري، والإجهاد، والأكتئاب النفسي.

وكان المظنون قديماً أن العصاب مرض يصيب الأعصاب، إلا أن علماء النفس اكتشفوا أنه اضطراب نفسي بسبب صراع داخلي وتصدع في الشخصية وهو اضطراب في الشخصية وليس اضطراباً في الأعصاب. (انظر موسوعة علم النفس والتحليل النفسي الدكتور عبد المنعم الحفني ج 2 ص 42 - مكتبة مدبولي – القاهرة 1987م).

الذهان: من الأمراض العقلية، يجعل المصاب به معتوهاً أو مغلق العقل والمريض بالذهان لا يعرف أنه مريض، وعادة ما يكون المريض بعيداً عن الواقع مضطرب الشخصية تحت تأثير اعتقادات خاطئة مع تغير في المزاج والوجدان.

وهناك أنواع كثيرة من الذهان: (المراجع السابق ص 183 ج 2).

الانتعاش الوقائي: هي الحالة التي إذا تعرض فيها الحيوان لاستناره شديدة فإنه يصل إلى حالة التوقف الكامل للمجهاز العصبي فتصبح المغيب حينئذ جاغراً مؤقتاً عن تأديته وظائفه السائدة وهذه الحالة التي لا تلاحظها بالغولف على كلاه ظهرت في جرحى الحرب، وكانت تمثلهم حالة من الاستسلام الهاضم أو يصابون بفقدان الذارة أو يعجز يقعنهم عن استعمال أطرافهم أو بنوته من الغيوبية.
في فرض التمورات الصناعية على المخ حتى يصل إلى مرحلة نهائية من مراحل الانهيار الانفعالي المؤقت والاستسلام المؤقت، ويبدو أنه من الممكن أن تتبدد بعدها بعض الأنماط الشاذة الجديدة كما يجعله عودة الأصح والأسلم منها أو غرسها في المخ من جديدٍ(١).

إلا أن ادعاءات بافلوف بأن في الإنسان غسل الدماغ وجعله نظيفًا خليالًا من كل الانطباعات والعلاقات القديمة فيها كثير من المغالاة، فالعقل البشري هو غير العقل الحيوي، كما أن الشهداء التي سلطها على الكلاب لم تؤد بجميعها إلى عين النتائج المتوقعة، ولعل الأكثر صحة اعتبار العلاقات والأفكار القديمة مطموسة أرثابتها وأنها يمكن أن تعود إلى قوتها وفعاليتها في ظروف مناسبة أخرى(٢).

وأيضاً ما زال كثير من علماء النفس الغربيين ينظرون إلى إنجاع بافلوف نظرًا مقت، ويرهن أن المعتقدات الثقافية تمنح الإنسان بالإضافة إلى معه وجهازه العصبي روحًا عقلية مستقلة تساعد على التحكم في سلوكه الأخلاقي وتسهله قيمته الروحية(٣).

والملاحظ الكبير الذي يقع فيه بافلوف وغيره من علماء النفس المدينين خاصة هو قياس الإنسان على الحيوان، مع العلم أن الإنسان متميز عن الحيوان بقوى العقلية التي وهبها الله إياه، والله عز وجل خاطب الإنسان بهذه القوى وطلب منه استخدامها بالوصول إلى الإيمان(٤) في ذلك لا يثبت لقومٍ يعقولون(٥) [القرآن ٢٠، ٢١].

ويوم لا يستخدم الإنسان هذه القوى العقلية يهبط إلى مستوى الحيوان، قال تعالى وأصفاَ الكافرين ﴿٥٢٠﴾ ﴿٢٠﴾ ﴿١٣٢﴾ ﴿٢﴾ ﴿٥٨﴾ ﴿٢﴾ ﴿٥٩﴾ ﴿٢﴾

(١) ارجع إلى «الحرب النفسية» صلاح شجر ٢ ص ٥٩.
(٢) فخر الدين - غسل الدماغ - ص ١٣٢.
(٣) صلاح نصر - الحرب النفسية ج ٢ ص ٥٨.
لا يَكُونَ القُرْآنُ مِنْ أَصْلِ سَبِيلٍ،} {هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامُ بِلَهْمُ أَصْلُ سَبِيلٍ} {مُٰنَٰفَةٌ،} {فَإِنَّ شَرْكَ الْدُّنْيَا عِنْدَ الَّذِينَ} {ذُكِّيْرُ وَلَا يُقْطِعُونَ} {خَلَقَ الَّذِينَ يُعْقِلُونَ} {سُمُوعٌ} {فَهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامُ بِلَهْمُ أَصْلُ سَبِيلٍ} {مُٰنَٰفَةٌ،} {فَإِنَّ شَرْكَ الْدُّنْيَا عِنْدَ الَّذِينَ} {ذُكِّيْرُ وَلَا يُقْطِعُونَ} {خَلَقَ الَّذِينَ يُعْقِلُونَ} {سُمُوعٌ} {فَهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامُ بِلَهْمُ أَصْلُ سَبِيلٍ} {مُٰنَٰفَةٌ،} {فَإِنَّ شَرْكَ الْدُّنْيَا عِنْدَ الَّذِينَ} {ذُكِّيْرُ وَلَا يُقْطِعُونَ} {خَلَقَ الَّذِينَ يُعْقِلُونَ} {سُمُوعٌ}

هذا بالإضافة إلى القوى الروحية التي هي أساس السلوك الأخلاقي عند الإنسان وتتحكم بهذا السلوك، لذا ليس من السهل غسل عقل الإنسان، لأنه ليس دماغًا أو جهازاً عصبيًا فقط، والتأثير ممكن عن طريق الاستهواء على أناس يفقدون من القوى الروحية الإيمانية التي تثبت الإنسان، في أوقات الشدائد، والدليل على ذلك أن التأثير الشيوعي بعد الحرب الكورية، كان فاعلاً في جنود الولايات المتحدة الأمريكية وجنود بريطانيا، فقد انهارت نسبة كبيرة منهم، بينما لم يراجع أي جندي تركي مسلم آنذاك.

وإن مؤلف كتاب "غسيل الدماغ" أرجع ثبات الأتراك المسلمين إلى التفاهم حول بعضهم مع وجود قيادة مسلسلة من بين الأسرى استطاعت إدارة وتوجيه الجموع نحو تحمل البعد والوحدة والعذاب النفسي.

ولنا نتمنى من جاء بهذا التفسير لثبات الجنود الأتراك ولماذا لا يكون الإسلام هو سبب الثبات، وإذا كانت القيادة هي السبب، لم تكن للجنود الأمريكيين والإنكليز قيادة؟

(3) طريقة غسيل الدماغ:

تتم عملية غسيل المخ على طريقتين:

ا) الطريقة العميقة.

ب) فخري الدباغ - غسيل الدماغ ص 322.

لقد استمر الجنود الأتراك في الحرب الكورية مع الجيش الأمريكي، وعن طريق الجنود الأتراك دخل الإسلام إلى كوريا في الخمسينات.

ال مصدر السابق ص 329.
(ب) الطريقة التربوية الهادئة، وهذه يمكن أن نسميها التحوير الفكري أو الإقاعة الحفظ.

- الطريقة العنيفة، وهي التي ركز عليها العلماء وشرحتها وبيانها لأنها أصل بالأصل، وهي الأساس الذي اعتُمد أولاً في عمليات غسيل المخ في البلاد الشعوية، وهي التي من ابتكارهم، ومعبرة عن وحشيتهم تجاه الإنسان الكريم عند الله، وعندما يطغى المرء على أسلوبهم هذا وأسلوب تلامذتهم في البلاد الإسلامية بعد أن حكموا البلاد والعباد بالحديد والنار، سبق قدر مقدار عظمة الإسلام في رفعه لشأن الفرد وعدم إكرهه على أمرهم لأكره يائدين الدين كثيرين أرشي من الأنبياء. (الفترة 8) 2  وفقد كرمتا بني عادم (الإثراء 3) وتشمل طريقة غسيل المخ بهذا الأسلوب نقطتين:

- الاعتراف بالكشف عن الأخطاء.
- إعادة التعليم والتنقيف، أي إعادة تشكيل الفرد في الشكل المطلوب.

وإيصال الفرد إلى الاعتراف بالخطأ، والوقوف موقف العداء من أفكاره السابقة كلها، لابد من تعرض الفرد لتوترات شديدة. وتشمل المراحل الآتية:

1- عزل الفرد اجتماعياً عزلًا كاملاً وحرمانه من أي مثيرات خاصة بالمنشوعات المطلوب غسيلاها (في مستشفى أو معتقل أو سجن). وبعد فترة من القلق المستمر، وتتبيّن بعض الأساليب الأخرى التي سنذكرها بعد ذلك يبدأ الاستجواب، ومن المحتمل أن يتحطم الإنسان تلقائياً وبدرجة ملحوظة نتيجة القلق والتفكير الطويل فيما يعرف به ويصبح في يأس وتعاسة «وهناك وسيلة معروفة استخدمت في السجون السياسية وهي أن يوحي إلى السجين بأن بلاده لم تعد ترفع

---

(1) محمد عبد القدار حام - الراه العام ونائره بالدعاية والإعلام (ج 2 ص 110).
(2) د. حامد عبد السلام زهران - علم النفس الاجتماعي - ص 372.
العربية النفسية

صوتاً واحداً من أجله وأن عينيه وأصدقائه تعلموا عنه مما يجعله يشعر بأنه أصبح وحيداً تماماً فيقاد إلى المحاكمة المحززة مسلوب الإرادة تحت أشد الظروف وطاعته وعفافاته.

2- الضغط الجسمني: يشمل تعرض الفرد لシアوات الجوع، الجروح، وتعب الألم، والأساليب الأخرى مثل الصدمات الكهربائية واستخدام العقاقير المخدمة والعذاب الشديد. وهذه تضعف قدرة الفرد على التحكم في إرادته. هذه الأمور كلها الهدف منها الوصول بالفرد إلى درجة الإعياء والانهيار حتى يكون عقله قابلاً لتقبل أي توجيه من المستجيب ويشمل الضغط الجسمني إضعاف الفرد عن طريق تقليل ساعات نومه أو الحرس منه، ونقص الغذاء أو الحرس منه وحرمانه من الملابس الكافية المناسبة. واستخدام كل ما من شأنه أن يجعل الفرد في حالة اكتئاب شديد غير قادر على القيام بأي نشاط، والعمل على اضطراب التوجيه لديه بالنسبة لنفسه وذاته، وبالنسبة للزمان والمكان. وإشعاره أنه تحت ضغط تام، وتعريه للمريض الجسيمي والمرض العقلي وحتى الإشراف على الموت. (3) وجعل الفرد في حالة "يكلم فيها نفسه" أو تظهر لديه أعراض مثل

صلاح نصر - الحرب النفسية ج 2 ص 32.
حمد زهران - علم النفس الاجتماعي ص 262.

يقول المستشار على جريدة في كتابه - في الزنزانة - يصف آلية التعذيب التي رآها بنفسه، ومر بها في جريدة لصحيح من صنع البشر، آلية لا تظهر على بال، بحيث لمحة من أرجلها، مسلوكة من جلدها، طعاما كالذّلال، تصاعد منها مرات ثم انتهى إلى أثاث، ثم انتهى الآلات إلى أنفس تحرك، حتى توقف الإنسان، طبعا السلاسل يتم بطريقة مؤلمة. في الضرب السري بالسيارات الثلاثة أو أربعة على واحد حتى ينسلخ جلدته ويتركه بين الحياة والموت. كلاب متوحشة تشرير وتهاجم وتقطع أجزاء حية من الأجسام... أسلاك الكهرباء تسري في الأجسام وتوريدها ببردة شديدة وتتركها كذلك بين الموت والحياة. نزع الشعر واقطاع الأظافر... الحرس من الطعام ومن الشراب في عز الحر. زنزانة لها عتبة عالية تلما يمارسها. ويقصف فيها المذبوب يومين أو ثلاثة، بلا نوم، بلا راحة، بلا جلوس... البيت مع الكلاب... " ص 15 ط .

1977
الفصل الثالث: اسلحة الحرب النفسية

الهلوسات والأوهام. وحسب شخصية الفرد وفجط افتراضاته ومعتقداته ونقاط قوته وضعته، فقد يظهر البعض مضطربين وقد يتغير البعض بشكل ظاهر، وقد يقاوم البعض (1).

3- التهديدات وأعمال العنف: "يستقبل هذا الأسلوب شكلين متناقضين، فإما أن يكون مباشرًا كاستخدام العنف والضرب والركل حتى الموت، وربط السجين إلى أسفل بحيث لا يستطيع حركاً ثم يوضع حجر ثقيل فوقه ويترك هكذا لمدة طويلة .. إلى غير ذلك من الوسائل غير الإنسانية (2).

وإما أن يكون التهديد والعنف بشكل غير مباشر، فمثلاً قد يعامل الفرد معاملة ودية طيبة، ويتكرر المستجيب فيعطيه لفافة تبغ، وفي أثناء الحديث يسمع هذا الفرد زميله في الغرفة المجاورة يصرخ من الألم لرفضه الإجابة عن الأسئلة الموجهة إليه نفسها، أو أن يوضع عدد من السجناء في زنزانة واحدة وعندما يعود أحد الزملاء مخلبًا بدمائه كقطعة من اللحم أو تعاد ملاسه في لفافة صغيرة .. يكون هذا كافيًا للآخرين كصورة من التهديد غير المباشر (3).

4- الإلزام والضغوط: تعتمد هذه الوسيلة على اتباع كل نظم السجن التي تتطلب الخضوع التام مع الإلزام في أسلوب: تناول الطعام والشرب والاغتسال وما إلى هذا طبقاً لنظام محدد، مع العلم عدم القيام إلا بإذن من الحراس، وإحراز الرأس وإبقاء الأعين موجهة إلى الأرض أثناء التحدث إلى الحراس، بالإضافة إلى السب والشتم بأذى الألفاظ (4).

---

(1) حامد زهران - علم النفس الاجتماعي ص363.
(2) صالح نصر - الحرب النفسية ج2 ص36.
(3) صالح نصر - الحرب النفسية ص36 ج2.
(4) هذا الأسلوب يتبع في كل السجون السياسية، إذ أول ما يبدأ بالسجن هو إهانته وإذلاله.
الدروس الجماعية: واستخدمت الدروس الجماعية اليومية في الصين حيث كانت تدرس العقيدة الجديدة بواسطة قراءات ومحاضرات تتبعها أسئلة ليست كلها هدف دراساتها التي يتلقاها، على أن تتبع هذا بمناقشات يطلب فيها من فرد أن يوضح كيف يستبدل الأهداف من مقدمات الدراسات الشيعية، وكيف يمكن تطبيقها هو بالنسبة لنفسه. ويعتبر النقد المتبادل ونقد النفس جزءًا مهمًا من المناقشات التي تجري بين أفراد الجماعة.

وفي هذه الجلسات يمارس موظفو السجن والزملاء في زنزانات السجن ضغطًا مستمرًا على السجين لجعله يعيد تقييم ماضيه من وجهة النظر الشيعية ليتحقق من إمه ويعترف بجريمة، ولامتراح بأنه همهم بتهيمه خطيرة لكنها غامضة ولابد أن يعترف بها ويقرر أنه خطأ ومذنب، وتندم الإحساس بالنذب لديه، وأن ما يلقيه من معاملة إما هو نتيجة لأنه مذنب وليس ظلماً واقعًا عليه. ولتشكيكه في أصدقائه وفي الجماعات والمؤسسات التي ينتمي إليها ومعاييره السلوكية السابقة حتى يتبرأ منها، ولفضاء على أي وراء لماضيه، مع دفعه إلى الاعتراف حتى يتم شفاؤه.

المعاملة اللينة: ثم تبدأ مرحلة اللين والhoaادة والتساهل والرفق والاعتذار عن المعاملة السابقة وإظهار الصداقة، وذات الفرصة أمام الفرد ليلمس ذلك فسجين الزنزانة يخرج إلى الشمس والهواء تحت حراسة مخفية أو دون حراسة، والمتصور جوعًا يأكل ويشرب الشاي والقهوة، وتنحو التحقيقات والاستجابات إلى المناقشات، ويتغير إهمال شأنه إلى عناية.

(1) صلاح نصر - الحرب النفسية - ج 2 ص 328.
(2) حامد زهراي - عالم النفس الاجتماعي - ص 262.
7- الإفتاح والتعليم: إذا بدأ دراسة من خلال طرق القواعد الشخصية، بوجهة النظر والأفكار المراد غرسها. وهذه عملية إعادة تعليم تستخدم فيها كل الأساليب الممكنة حيث يتعمق الفرد أن ينتقد نفسه ويلعب كل ما كان منه. يلي ذلك مرحلة اعتراف نهائي. وتحدث تغيير مفهوم الذات لدى الفرد ويستخدم أساليب مثل: التلوين الإيجابي (1) أو الإحياء النفسي (2) حيث يكون الفرد مثالياً تماماً للإحياء.

الإحياء النفسي: هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها دقيقاً، والفكر الموحي بها إليها تكون في الغالب كافية كأساس للعمل فإن المرء يقبل الفكرة ويتعامل مقتضاها دون التفكير بالضرورة.

(1) التلوين الإيجابي أو الاستهواء المتناخي وهو نمو اصطناعي يحدث بواسطة الإحياء والسع.

(2) الإحياء النفسي: هو قيادة المرء لقبول وجهة نظر معينة دون أن يسبق له فحصها دقيقاً، والفكر الموحي بها إليها تكون في الغالب كافية كأساس للعمل فإن المرء يقبل الفكرة ويتعامل مقتضاها دون التفكير بالضرورة.
ثم يتم نحو الأفكار المراد محوها تمامًا. وتقدم بعد ذلك الأفكار الجديدة ويحمل الفرد على تعلم معايير سلوكية جديدة وأدوار اجتماعية جديدة ومن ثم يتم تحويل الفرد إلى فرد جديد (1).

ب - الطريقة التربوية الهادئة: هذه الطريقة من غسيل الدماغ تتم بأسلوب هادئ، لطيف، وتلبس ثوباً جيلاً براقًا، يستهوي الألباب، ولكن غايتها نفس الغايات من الأسلوب الأول: إخلاء العقل الإنساني من كل الأفكار والمعتقدات السابقة وتهيئته لتعلم عقائد وأفكار جديدة.. وهذه الطريقة صور مختلفة تعرض منها ما يلي:

1- الأسلوب البشري (أو التنصرجي): أورد مثلاً بين الأسلوب البشري في غسيل الدماغ.. وهنا العملية لا تحتاج إلى جهد كبير، لأنها تتعامل مع أطفال، قلوبهم صفحة بيضاء أو كما يقول الغزالي رحمه الله «جوهرة خالصة قابلة لكل نقش» فهم مهيبان لتقليل أي أفكار، أو عقائد .. من قبل البشرين، والتوتر النفسي الذي يوضع فيه الإنسان لغسل دماغه.. يستبدل بتوتر اجتماعي نفسي يوضع فيه أهالي الأطفال، مما يجعلهم لقبة سايرة للاستجابة إلى ما يطلب منهم بكل راحة.. ولهذا...

يقول الدكتور محمد الهواري (2): في أوائل عام 1961م كنت أودع أحد الأخوة في محطة القطار بمدينة بروكسل في بلجيكا، وبينما نحن في انتظار موعد القطار إذا نانا نشاهد على الرصيف المقابل قطارًا احتشد فيه عدد كبير من الأطفال، وعلى الرصيف جمع وفير من الأشخاص يُذيعونهم وبينهم عدد لا بأس به من الرهبان

(1) على النفس الاجتماعي - زهران - ص 363- 364.
(2) في خلاصة ألقاهما في اللقاء الثالث لمنظمة الندوة العالمية للشباب الإسلامي، المنعقد في الرياض بتاريخ 23 شوال 1396 / 16 أكتوبر 1976 طبطط المحاضرات في مجلد بعنوان: الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية 1399هـ/ 1979م.
الفصل الثالث... أساليب الحرب النفسية

والراهبات. لقد لفت نظرنا هذا المشهد العجيب وأردا استطلاع الأمر، فذهنا إلى الرصيد، وتبنينا هناك أن الأطفال هم أبناء عائلات إسلامية تعمل في شمال فرنسا في عدد من المعامل والمنتجين ضمن شروط معيشة سيئة ووضيعة، ويعاني أبناؤها نقصاً كبيراً في التغذية والرعاية الصحية، وتحت هذا الأمر جمعيات تنصرية تعمل في فرنسا وبلجيكا، فارسلت أفراداً منها للاتصال بهذه العائلات وإقناعها بضرورة إرسال أولادها إلى بيوت نصرانية تستقبلهم وتعني بتغذيتهم وتقدم لهم الرعاية والعناية، وكل وسائل التسيلة والترفيه خلال فترة الصيف إلى ما هنالك من الأمور التي تترك أكبر الأثر في نفوسهم. وكان الأمر كذلك.

لقد شاهدت بعيدة هؤلاء الأطفال في أحسن حلة في اللباس وأجمل منظر من الطلعة وفي أيدهم الهدايا والحلوى ولذائذ الطعام، واغرقت الدموع في عيون كثير منهم أسفاً على الفراق، فقد كانت الإقامة مؤثرة في حياتهم وعملت فيهم فعلتها ووصلت إلى غايتها المشودة، حتى إن هذا المنظر (الإنساني الأليم) أثر في نفس بعض المودعين فلفوها بأيديهم وأعينهم تفيض من الدموع.

لم تكن هذه الحادثة الوحيدة من نوعها، فقد صادفنا مثيلات لها يوم أن هاجر عدد كبير من العائلات الألبانية المسلمة، هربًا بذينهم من الشيوعية إلى ديارغرب، فتقفون في بلجيكا الجمعيات التبشيرية لتامين سكنهم ومعاشهم وتدبير شؤونهم والعناية بأطفالهم.

وذلك اليوم حلت الهزة الأرضية بمدينة أغادير في المغرب، جيء بعدد من الأطفال اليتيم في أوروبا وأقاموا آحماً طوالاً بين العائلات النصرانية باسم الإنسان، وتحت الإشراف المباشر للجمعيات التبشيرية النصرانية. واتبعت المدارس التبشيرية من روضة الأطفال وحتى الجامعة هذا الأسلوب من غسيل الدماغ لسلخ الإنسان المسلم من عقيدة أولاً ثم توجيهه نحو الغرب، وحب الغرب وتراث الغرب، وعلم الغرب... حتى ولدت عنده عقيدة "الخواجا" المعروفة في بلادنا الإسلامية.
2- الأسلوب الإعلامي: يقوم الإعلام المعادي في الغرب والشرق، وإعلام تلاميذه بهذه المهمة أيضاً من عملية غسيل الدماغ للفرد المسلم ولتحقيق هدفه يسير الإعلام المعادي في خطين متوازيين:
- التعبير تعنيماً رهيباً على ما يضر مصالحه وينفع غيره.
- إلقاء الأضواء على ما يقدم مصالحه فقط. مع التلميع الشديد لأهوائه ومآربه البعيدة.

وهذا الأساليب في التعبير على كل خير وصلاح في الدعوة الإسلامية ودورها في المجتمع، ومعارضتها الشديدة للشر أينما كان.

ونالفقابل تقوم وسائل الإعلام كلها من إذاعة ورائي وصحيفة وكتاب وسينما و(فيديو) .. تقوم بإلقاء الأضواء يومياً، ويشكل دائم، على تغريب المجتمع المسلم وسلخه من عقيدته بالميوعة والتحلل، والالتصاق بالدنيا وحب المادة والتكدب على المال، وعبارة الدربة والدنية والمرأة، وكيفي المرء نظرة واحدة على وسائل إعلام الكثير من الدول الإسلامية، والتي هي ظل لوسائل الإعلام الأخرى الشرقية والغربية ليرى نفسه برها أن ذلك.

3- الأسلوب التربوي التعليمي: وتفقوم بهذا الدور الجامعات الغربية والشيوعية في بلادها، فهي تغسل دماغ طالبها - إلا من رحم الله - من كل عقيدة سابقة ومن كل سلوكي أخلاقي، وكل فكر صادق، لتجعله إنساناً آخر، بعيداً كل البعد من أخلاقه ومبادئه ودينه.

إن صفو واعدة وخبرة الشباب من أبناء المسلمين يدرسون الثقافة العصرية في أوروبا وأمريكا - خاصة - ويفوضون خلال ذلك في لجنة الحضارة الغربية ويعيشون الانطلاق الأخلاقي والتحليل السلوكي والنظرية المادية المرضة والاتجاهات الإخلاقية والسياسية من قومية وإشتراكية وفيرعتهم دعاء متحمسين إلى تقليد الحضارة الغربية ونشر قيمها ومفاهيمها وتصوراتها.
الفصل الثالث: إسالة العرب النفسية

بل رجع كثير منهم متشبعين بروح الغرب، يتنفسون بروة الغرب ويفكرون بعقل الغرب ويرددون في بلادهم صدى أساناتهم المستشرقيين وينشرون أفكارهم ونظرياتهم بإيمان عميق وحاسة زائدة ولياقة وبلاغة وبيان، ومن هنا يكون خطر هؤلاء أعظم من خطر أسائاتهم.

والخطورة البالغة تكمن في أن يتسلم هؤلاء المبتعثون بعد عودتهم مسؤوليات التوجيه والتربيه والإعلام... إنهم عندئذ يسلكون أمتهم عن دينها، ويقومون بعملية مسح لواقعها وقيمها وملتها (1).

والأمثلة على ذلك كثيرة .. فهذا طه حسين عندما رجع إلى مصر بعد أن غسل دماغه من كل قيمة إسلامية تلقاه قبل ذهابه إلى فرنسا لإتمام دراسته العالية. نادى في كتابه "مستقبل الثقافة في مصر" بالأمور الآتية:

- الدعوة إلى إتباع مصر للحضارة الغربية خيرها وشرها وقطع ما يربطها بقديها وإسلامها.

2- إقامة شؤون الحكم على أساس مدني لا دخل فيه للدين.

3- إخصاع اللغة العربية لسنه التطور.

هذا نموذج فقط لعمليه غسيل المخ في الجامعات الغربية .. ولا حاجة للإطالة في هذا الموضوع فقد قيل جماً من قبل رجال الفكر الإسلامي (2).

الدكتور محمد بن لطفي الصباغ - الانتابات ومخاطرها - مجلة أضواء الشريعة - وهي مجلة تصدرها كلية الشريعة في الرياض - العدد الثامن - جمدي الآخر 1397 هـ ص 528.

ارجع إلى;

- المراجع السابق.

- أعلام من الشرق والغرب - محمد عبد الغني حسن - ص 8.

- الإسلام والحضارة الغربية - محمد حسن.

- أبايل وأسامر - محمود محمد شاكر.

- الاتجاهات الوطنية - محمد حسن ج/ 1421 هـ.
ومن لا شك فيه أن عملية غسيل الدماغ هذه لم تؤثر في كثير من الشباب المسلم المتمسك بعقيده ودينه، بل استطاع هذا الشباب أن يوسم المراكيز الإسلامية في أوروبا وأمريكا، واستطاعوا أن يقوموا بدور التبليغ للغرب، وذلك بإقناعه بأن قلعة الإسلام صامدة، وأنه غزاه بعضهم، بالإضافة إلى دوره في حفظ شباب الإسلام في الغرب من الأفكار الهدامة والتحلل الخُلقي وغير ذلك من المغريات.

4) مقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه: كتب كثير من الباحثين عن الوسائل المختلفة لمقاومة غسيل الدماغ بنوعيه العنيف واللين، وإن كانت نرى أنها وسائل فرعية أثبتت عدم جدواها في عالم الواقع، واعتراف الباحثين أنفسهم، أما الأصل فلم يطرق إليه الباحثون إلا القليل، ولم يعطوه اهتمامهم مع العلم أنه وسيلة مهمة لمقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه في أي طرف من الظروف.

هذا الأصل في مقاومة غسيل الدماغ هو: العقيدة الصلبة والثبات على الحق.
وقد أثبتت الوقائع ذلك قديماً وحديثاً، فالمؤمنون الصادقون هم الذين عند الفتنة ولو تعرضوا للقتل والتعذيب والتحريض من قبل الكافرين، ونرى معًا بعض النماذج للعقيدة الصلبة وهي تمشى على الأرض:

ا- أصحاب الأخدود، ذكرهم القرآن الكريم، مثلًا للصلاة والثبات على الحق، والسماع، ذات النور، والثواب، وتشهد، وتشهد، فقيل: أصحاب الأخدود، آثار ذات النور، إذ هم على فروع، ويقول الرسول ﷺ قصة أصحاب الأخدود، ضارعًا مثل أصحابه في صبر المؤمنين، نقطع هذا المقطع من آخر القصة التي رواها مسلم في صحيحه: فأنتم بالأخدود (أي الملك الكافر) بفواة السكك فحدث وأضرب فيها النيران وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أو قيل له اقتتحم ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي، فتفقعت أن تقع فيها فقال لها الغلام (يا أمه أصبري فإنك على الحق).

(1) صحيح مسلم بشرح النوري ج 18 ص 126 ورواية البخاري (فتح الباري ج 6 ص 128).
الفصل الثالث: إسهامة العرب النفسية

ب- وقاعد آخر يذكره الرسول ﷺ للمؤمنين الثابتين على الحق: "عن أبي عبد الله حجاج بن الأرت رضي الله عنه قال: شكَّرنا إلى رسول الله ﷺ وهو متوسّد بركة له في ظل الكعبة فقلنا: لا تستنصر لنا إلا تدعو لنا! فقال: قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل يحل له في الأرض فيجعل فيها، ثم يوَّى بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويُمْشِط باِمْشَاطِ الحديّد ما دون حمه وعظمه ما يصده ذلك عن دينه، وله ليَفْنَه الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخف إن الله والذيب على غنه، ولكنكم تستعدلون"(1).

ولقد ضرب الرسول ﷺ وأصحابه مثالًا عظيماً للصبر على الأذى في سبيل الله، رغم ما لاقوه من أساليب الإغراء والتخويف والعذاب حتى الموت، ويصور لنا القرآن الكريم صلابة المؤمنين وثباتهم على الحق في قوله تعالى: "أن الذين قال لهُم آلِسنَس إن آمنتم قد جمعوا لكم فأحسّوا فرَآءَهم إيمانًا وقالوا حسبنا الله ونعمَالْوَسْكِمْنَ ١٣٣٦ فأنقلبوا بِيعْمَةٍ مِن الله وفَضْرُ لم يمسَّهم سوءٌ وأتَبْعَوا رضوان الله وَاللَّهُ دُو فَضْرٌ عَظِيمٌ ١٣٣٧ إِلَى حِضَارٍ ١٣٣٨" وقال تعالى: "فَمَنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدِقَوا ما عَهْدُوا الله عِلْيَهُ فِي هُمْ مِن فَضْعٌ خَبِيهِ وَبِنِي هُمْ مَن يَبْتَغُوهُ "(الإرصد ١٣٩).

وهناك نقاط أخرى لمقاومة غسيل الدماغ بالإضافة إلى ما تقدم، وهي:

1- التماسك الذهني الأصيل، والانعزال العقلي عن كل المؤثرات الجسمية الواقعة عليه... وهنا يظهر الإيمان كدراخ واق من التحور الفكري.

2- عدم الاختلاط بالدعابة الحادة... لأن المؤمن لابد له من أن يثبت من أي خبر يسمعه "يأتيهم أَلَّذِينَ ءامَنُوا إِن جَاءَ كَمْ فَأَسِيقُ بِنَبِيْنَ فَكِتَبُوا "(المهر ١).

(1) رواه البخاري (فتح الباري ٧/١٦٤) في فضائل أصحاب النبي ﷺ، وفي الأنبياء، وفي الأكراه - وأبو داود رقم ٢١٤٩ في الجهاد والنسائي ٢٠٤/٨ في الزينة.
1. عدم التعاون مع القرى التي تريد غسل دماغهم، وتقله وتفتاده إلى آرائها، لأن المؤمن يحتفظ بكيانه وتفكيره الأصيل، لذلك فإن عدم الاهتمام واللامبالاة وعدم الإصابة الجديّة للعدو خير سلاح ضد غسل الدماغ.

2. شغل النفس بآمور أخرى حتى لا يقع تحت تأثير الإجهاض.. مثل قراءة القرآن وقراءة الأدعية المأثوره، وتخل صور مختلفة للمجاهدين والشهداء في سبيل الله، وكذلك بذكر الله "آلا بذكر الله تطمئن القلوب".

3. اختلاط الجو المرحب: الجو المرح درع واق أمام الهجوم الفكري الرامي إلى تفكيك الوحدة الفكرية والانقسام الداخلي للفرد. وعنصر الإيمان يعزل المرء عن المؤثرات والمشبات والتهديدات الخارجية.

4. الاستقلال على القرى المعادية: قال تعالى: "والله którego أخذه بعدك ومن سلم" (الأسد 31) فالمؤمن يشعر أنه هو الأعلى دائما في قيمه وتصوراته وعقيدته.. وأن هؤلاء الأعداء ما هم إلا عبادة الأوثان والهراء والشيطان.. فكيف يفجع هم؟ وكيف يستجب لما يريدون؟ هذا الشعور يرفع من الروح المعنية للمرء ويجلبه يتفادي الاستسلام ومحاولات غسل الدماغ.

5. القيادة الجديدة التي تقود الجماعات، وتسوسهم، وترعاهم بشكل دائم، هي التي تبعث الاطمئنان للأفراد في أوقات الأزمات والحنين، والمعارك، وهي التي تعزز مقاومة التحور الفكر الوارد والأفراد وتطرد عنهم أي تخاذل أو تكوين.

6. اكتساب الراحة الجسمية: من وسائل احتواء الأفكار وغسل الدماغ التجويع والإرهاق واضطراب النوم وتقليل التدهن واستبعاد كل راحة.. والفرد العرض لغسيل دماغه وتحور فكره يستطيع أن يتزلف الراحة الجسمية إذا عرف كيف؟ ومنى؟ ولو فترات قصيرة وعلى الابتعاد عن الهموم والفنون لأنها لوحدها تفقد
الفصل الثالث: إسلحة الحرب النفسية

الإنسان من وزنه وتضعيفه وكذلك الابتعاد عن الانفعال لأنه يرهق الجسم بالإضافة إلى النفس (1).

هذه بعض الوسائل للوقاية ولمقاومة غسل الدماغ... الذي هو منهج من مناهج الجاهلية المعاصرة، وسلاح من أسلحتها في الحرب النفسية، والتي تشنها على من يخالفها في فكرها وعقيدتها... ونعود للسؤال من جديد... هل نجحت هذه المناهج في حمل الآخرين على اعتناق مذاهبهم الباطلة... المخالفة للفطرة والمعاداة للإنسانية؟

نقول: قد تكون قد نجحت بشكل جزئي، ولكنها لا بد أن تفشل وتنتصر الخيرة التي تسعى لخير الإنسان والبشرية جمعاء... فقَامَ أَلْزَمَ الَّذِيْنَ فِي أَرْضِكَ مَا يَنفِعُ أَلَّا تَعْفِينَ فِيمَكَتْ في الأَرْضِ [الزمر 17].

(1) د. فخري الدباغ - غسيل الدماغ ص 31.
المبحث الثاني

نخاذج من الدعایات المعادية

تتناول الآن ثلاثة نخاذج من الدعایات المعادية للإسلام والمجتمع الإسلامي، وهي:

أولاً: الدعایة اليهودية الصهيونية.

ثانياً: الدعایة الشيوعية المحددة.

ثالثًا: الدعایة الغربية الصليبية.

ونظراً لخطر هذه الدعایات الثلاث اقتصرنا عليها، وسنبسط فيها البحث، حتى يطلع المسلم على مكاسب الخطر فيذره، ويعرف مصدر الشر فلا يقع فيه.

والحق أن الدعایات الثلاث هذه تمثل الثالوث المعادي للإسلام وتفت بتحالف شرس على الرغم من تباين أهدافها ضد الإسلام والمسلمين، وتعتبر عدوها الأكبر، الذي يجب أن تقضي عليه، حتى تحقق أهدافها في التزوير والمسلمين أولاً.

وإبلاغ دار الإسلام ثانياً.

بُرى هل وعى المسلمون هذه الدعایات حق الوعي، واتخذوا التدابير الكافية للوقاية من شرورها؟ هذا السؤال جوابه عند المسلمين، الوعى منهم بشكل خاص، الذين يدركون جيداً مدى خطر هذا الثالوث. في هجمته الشرسة على الإسلام والمسلمين، وما زاد البلاء بلاءً "والحشف سوء كيلة" ان وسائل الإعلام في أكثر البلاد الإسلامية ذاتها تستخدم ضد عقيدة أمها وبلادها، وكيف لا ومازالت وسائل الإعلام في أكثر العربية والإسلامية عبيدة للإعلام الغربي خاصة ولوكلات أبنائه، تنقل عنهم حرفيًا الأخبار وتفسيرات الأخبار من وجهة نظرهم المنطلقة من مصالحهم الخاصة.
الفصل الثالث: اسلوب الحرب النفسية

أولاً: الدعاية اليهودية الصهيونية:

(1) مراحل الدعاية اليهودية: لا ينوي في هذا البحث أن نذهب بعيداً في تحليل الدعاية اليهودية وتكوينها، أو تبيان تاريخها القديم مع الإسلام خاصة، وإنما همًا الأول أن نشير إشارات سريعة إلى الدعاية اليهودية ومراحلها التي مرت بها بعد الثورة الفرنسية عام 1787 ومثلى الوقت الحاضر، وكيف أنها كانت تسير في خطوة دقيقة، لكل مرحلة من المراحل. فضلاً عن بناء هذه الدعاية على أسس مدروسة، مستندة على نظريات علم النفس الاجتماعي وتطبيقاته العملية في الأفراد والمجتمعات.

في الوقت الذي كان فيه المسلمون يغطون في نوم عميق، لم يستيقظوا فيه إلا بإعلان "الدولة اليهودية" المزعومة في فلسطين واعتراف الدول بها وعلى رأس هذه الدول روسيا وأمريكا.

إن في إطلاع المسلم اليوم على ماهية الدعاية اليهودية وتطبيقاتها والمركزات التي تستند عليها والمذاهب التي تسخرها خدمتها. يزيد في وعيه حاضره ومستقبله ليدراً عن نفسه الخطر، ويعد للأمر عدته لتحرير أرضه ومقدساته، وردع اليهودية العالمية التي تعيش في ظل الدول الكبرى.

وقد مرت الدعاية اليهودية في خمس مراحل نوضحها فيما يلي:

المرحلة الأولى: هذه المرحلة أطلق عليها مرحلة "الدفاع اليهودي" وبدأ إجمالًا منذ الثورة الفرنسية 1787 م وتنتهي في نهاية القرن التاسع عشر، وكانت مرحلة أعدت لتكون الأرضية المهيئة للدعوة الصهيونية على أنها حركة سياسية قامت على أساس استخدام الأدب، وإعادة كتابة التاريخ ليكونا وسيلة من وسائل الدفاع عن الطابع اليهودي، وذلك لإحياء الشعور بأن اليهودي لا يختلف عن غيره، وأن عليه أن ينظر إلى الآخرين نظرة المساواة لا نظرة التبعية، ونعرف قيمة هذه المرحلة إذا
عرفنا وضع اليهودي في المجتمعات التي كان يعيش فيها، وأنه كان منبوذاً، يشعر بالذل والضعف والاحتقار من قبل الآخرين. 

المرحلة الثانية: وتبدأ بالقرن العشرين وحتى بداية الحرب العالمية الثانية، وفيها يضع "هرتزل" كتابه "الدولة اليهودية"، وفيها تصبح الدعاية الوجه الآخر للحركة السياسية، إذ تتجه إلى الرأي العام الدولي، وعلى وجه التحديد ذلك الرأي العام الذي يستطيع أن يؤثر في القوى المحتملة في السياسة الدولية بقصد اكتساب تلك الشرعية التي هي في أشد الحاجة إليها، مع القيام بعملية تخطير وتعنيم كاملة لحقيقة أهداف الحركة الصهيونية.

وفي هذه المرحلة تبلور الفكر اليهودي بإيجاد الحركة الصهيونية، وهي الحركة السياسية التي تزعمها "هرتزل" ووقعت نفسها على إيجاد وطن لليهود، يجتمعون فيه، وإن كانت الأفكار الصهيونية، والمؤسسة للمنظمة الصهيونية العالمية، وجدت قبل نهاية القرن التاسع عشر عند كل من الحاخام "يهودا القاعلي" والحاخام "زفي هيرش كاليشر".

الحرب النفسية في المنطقة العربية - الدكتور حامد ربيع - ص 60.

(1) هوريدور هرتزل (1860-1904 م) أول رئيس للمنظمة الصهيونية.
(2) ترجع إلى الحرب النفسية في المنطقة العربية - حامد ربيع ص 61.
(3) الحاخام يهودا القاعلي (1788-1878 م) ولد في ستراسبورغ عاصمة إقليم الصرب البولندي، أصبح حاخاماً تشيدها بولندا ونشر في 1834 كتب تحت عنوان "اسماء يا إسرائيل" عبر فيه عن ضرورة القيام بجهود ذاتية للمخلص الذاتي ودعوا فيه إلى المجرة الجماعية واتحاد اليهود، واختيار قادتهم وإلى تكوين ما أسمه (بالجسم اليهودي العالمي)، وهو ما تمضح بعد ذلك عن المنظمة الصهيونية.
(4) الحاخام زفي هيرش كاليشر: بولندي، ظل يعمل حاخاماً لمدة 40 سنة وبعد من أوائل الدعاة الصهيونيين (1795-1874 م) ولم تختر دعوة كاليشر عن عملية إضفاء الشرعية الدينية.
وكانت دعوة القالعي واضحة، إلى الدولة اليهودية، والعودة إلى الأرض المقدسة
فكما يقول في رسالته المعروفة باسم «الخلاص الثالث» 1843م ونصه: «مكتوب
في التوراة: (ارجع يا رب إلى روابي آلهوت إسرائيل) وقد علق الحاخامون على
هذا القول في التلمود بما يلي: إنها برهان على أن الحضور الإلهي يتم في وجود
اثنين وعشرين ألفاً من اليهود معاً. ثم يستطرد الحاخامون ومع هذا نصلي كل
يوم: دع عيوننا تشاهد عودتك برحمة إلى صهيون (وتقال ثلاث مرات يومياً في
صلاة الصافدة) ثم يسأل القالعي: على من سيقع الحضور الإلهي؟ على الأرض
والحجارة؟ إذا كخطوة أولى لخلاص نفومنا يجب أن تعمل على إعادة اثنين
وعشرين ألفاً إلى الأرض المقدسة. وحرّم القالعي اسم إسرائيل على اليهود إلا في
الأرض المقدسة يقول: (نحن شعب يليق بنا أن ندعو إسرائيل في أرض إسرائيل
فقط»(1).

لذلك يحق لكثير من الباحثين أن يعزوا إليه وإلى معاصره إبراز الفكرة
الصهيونية السياسية والرواية التفسيرية لها، في ضرورة الاعتماد على الجهود الذاتية
لليهود، وفي هذه المرحلة وجدت الصهيونية في اللاسامية مجاولاً خصباً لكي تؤدي
دورها في مجالين مختلفين في مدلولها:

أ-المجال اليهودي:

1- حاولت أن تؤكد على انفصال اليهود عن بقية الشعوب التي يعيشون بين
ظهاراً، وحاولت دائمًا - مستغلة في ذلك الخليفة الدينية والتاريخية- تأكيد نزعة
الخوف وعدم الثقة في نفوس اليهود، حتى إن كثيرًا من المؤرخين يذهبون إلى القول

________________________
1 على الحركة الصهيونية. (ارجع إلى الصهيونية وسياسة العنف- محمود عبد الله الظاهر
القاهرة 1979 ص 20 - 21).
2 الصهيونية وسياسة العنف- ص 21.
(1)
أن القادة الصهيونيين تورطوا مع مديري الحوادث التي تعرض لها اليهود في عام 1881 م وحوادث كيشينيف عام 1903 م (1) وأنهم أدوا دوراً كبيراً في تأجيج أوار الدعوة الاضطهادية المظللة إلى حد تعاونهم الكامل مع مديرى الحوادث التي راح ضحيتها العديد من أبناء دينهم (2).

2- عملت على إيقاظ الإحساس النفسيين: مرتكب العظمة بسبب الشعور بالانتماء إلى الشعب المختار، ومراقب النفس الناجم عن النظرة العامة لليهود. لتعمل على تدعيم الجزء الانطباعي لليهود.

3- زيفت التاريخ وأوردت الحكايات والأساطير وأخذت تؤكد على تميز الجنس اليهودي، وجعلوا من طبيعة انتماء الأفراد إلى دينهم طبيعة جنسية، وأصبحوا على اليهود في كل زمان ومكان صبغة الأمة (3).

حوادث 1881 م: قامت موجة من الإرهاب في روسيا بعد اغتيال القيصر الروسي القسطنطين الثاني، والذي حكم روسيا من 1881-1895 م وكان ممن اغتاله ثلاثة من اليهود، فقامت ضد اليهود المذابح والاضطهادات المختلفة.

أما («كيشينيف») فمدينة روسية وصلت نسبة اليهود فيها عام 1867 م إلى أكثر من خمس سكانها، وفي عام 1903 م قامت مظاهرات وعلاقات ضد اليهود تقتل فيها سبعين وأربعين وجرح اثنين وتسنين ولم تتغطرش الشرطة القسرية إلى جانب اليهود (المراجع السابق ص 23 و 24).


المراجع السابق ص (من 23 وحتى 26).
الفصل الثالث... أسامة العرب النفسية

ب - المجلع العالمي:

1- قامَت الصهيونية بتاكيذ الذات الصهيونية التي استمدت خصائصها من اليهودية، وحاولت حصر اليهود في النطاق الصهيوني، وربطت مصالح اليهود بمصالحها وأخذت تنبهع عند حكوماتهم.

2- قام «هرترزل» المنظوم الأول للصهيونية الحديثة يتكلم باسم يهود العالم كله خلال محادثاته مع حكوماته الدول الأخرى.

3- أعادت الصهيونية كتابة التاريخ اليهودي وصياغته بشكل يتوافق مع المدلولات التي تزكر عليها، وأوضحت في كثير من كتاباتها أن المساندة في إنشاء دولة ليهود وما يلي ذلك هو مرحلة البعث القومي ليهود أو كما سماها القاعي «الخلاص الثالث» وأن اليهود عندما يغتصبون فلسطين فإنهم يعودون إلى أرض الأجداد، حتى إنهم أطلقوا على حرب 1948م تسمية حرب الاستقلال.

كما فعل مع «فون باكسلاف» وزير الداخلية القيصري وذلك للسماح بالهجرة اليهودية في مطلع القرن العشرين. وكما فعل مع السلطان عبد الحميد الثاني في عام 1898م الذي قال له بخصوص السفارة الألمانية وطلب منه السماح بالهجرة اليهودية إلى فلسطين وقدم له «هذية» تغطي خمسة ملايين ليرة ذهبية... وبعد أن استمع السلطان إلى هذا العرض بكل هدوء أمر مراقبه أن يطردهم من القصر وأصدر على الفور أمرًا بمنع هجرة اليهود إلى فلسطين (ارجع إلى «أسرار الانقلاب العثماني» مصطفى طوران ترجمة كمال خوجة ص 12، 17 - ط بيروت 1398هـ / 1978م).

وهكذا يكون السلطان عبد الحميد هو السد الأخير ضد تسرب اليهود إلى فلسطين؛ يسجل له موافقته «هرترزل» في يومياته؛ أوجوه له على عروضه المالية: «إنني ليست مستعدًا أن أتقلى عن شيء واحد من هذه البلاد لتنزه إلى الغير فالبلد ليست ملكي بل هي ملك شعبي، وشعي زوى ترتيبها بدمانه، فليحتفظ اليهود بلديهم من الذهب» أيضاً، إن عمل المضع في بدء لآهون على من أن أرى فلسطين قد بترت من إمبراطوري» (ارجع إلى «في قضية فلسطين - الحق والباطل» نبيل شبيب ص 32 - ط المركز الإسلامي في آخن - ألمانيا الاتحادية 1398/1978م.)
ووعودت أن اليهود يعودون إلى أرض الأجداد دعوى هزيلة تتعارض مع التاريخ نفسه، إذ يذهب كثير من العلماء المختصين بتاريخ الشعوب إلى الاعتقاد بأن يهود اليوم ليسوا أصلاً من أنفس بنى إسرائيل الذين بعث إليهم موسى عليه السلام، وليسوا من سلالة إبراهيم عليه السلام. (1)

وفي هذه المرحلة تركزت الصهيونية في "جنيف"، وآشأت فيها (أي في هذه المرحلة) "لجنة الإعلام العام" عام 1929 م في أمريكا، حيث استطاعت هذه اللجنة أن تدفع برسائل نصف مليون برقة إلى البيت الأبيض، وأن تحقق تجعضاً ضم ربع مليون يهودي يصبح بالأغنية اليهودية التقليدية: "إذا نسيتك أنت يا بيت المقدس فلتتصب ذراعي اليمنى بالشلل". (2)

المرحلة الثالثة: وتمتد هذه المرحلة من بداية الحرب العالمية الثانية وحتى الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي، وإنشاء ما يسمى بدولة "إسرائيل". وتمتد هذه المرحلة من أهم المراحل في تاريخ الحركة الصهيونية، لأن الحركة السياسية انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث جعلت هدفها إيجاد تيار قوي من الرأي العام الأمريكي يقوده مجلس الطوارئ الصهيوني من خلال مسالك معينة؛ بحيث تتبنى السياسة الأمريكية مهمة الدفاع عن شرعية إقامة دولة يهودية، وفي هذه المرحلة تتصف الدعاية اليهودية بأنها داخلية، وتبعد من مواقف داخلية بقصد

---

(1) لزيادة الإطلاع على التاريخ اليهودي يرجع إلى ما يلي:
1- "الصهيونية وسياسة العنف" ص 26/27.
2- "في قضية فلسطين - الحق والباطل" (مرجع سابق)، ومن الذين ذكروا على أن يهود اليوم ليسوا من بنى إسرائيل - على سبيل المثال لا الحصر - اليهودي "فريد ريك هرتس"، في كتابه (الجنس والحضارة)، و"ريلي" في كتاب الإنجازات العربية و"أوجين باتاغ" في كتابه (الأجناس والتاريخ) وغيرهم.

(2) الحرب النفسية في المنطقة العربية - حامد ربيع (ص 11-12).
التحكم في القوى السياسية الأمريكية. وهنا نلاحظ مدى عمق التخطيط الدعائي الصهيوني، فلو أن الحركة الصهيونية جعلت منطقتها الدعائية لندن أو جنيف لما كانت استطاعته أن تغزو الرأي العام الأمريكي، السبب في ذلك يعود أساساً إلى ذلك التغيير والذي كثيراً ما ينفى على المسؤولين في الإعلام العربي، وهو أن الدعابة الداخلية تختلف اختلافاً جذرياً عن الدعابة الخارجية، فانتقل الحركة الصهيونية إلى الولايات المتحدة الأمريكية سمح لها أن تجعل منطقتها الاتصالية هو نظرية الدعابة الداخلية على عكس ما كان يمكن أن يحدث لو قدر لها أن تترك فرصاً في جنيف أو لندن، إذ إن دعايتها في تلك اللحظة تنسى دعاية خارجية، والواقع أن الحركة الصهيونية منذ بدايتها فهمت هذه الحقيقة، وهي لذلك عندما أرادت أن تقوم بدعاية في تركيا ومنذ بداية القرن الحالي أرسلت اثنتين من قادتها ومفكريها وهم أولاً «جاكوبسون» يساعده الزعيم المشهور «جابونتسيكي» (1) للإشراف على أجهزة الدعاية الصهيونية ابتداء من (إسطنبول) واستناداً إلى الأقليات اليهودية الضخمة التي كانت ولا تزال منتشرة في تلك المنطقة (2).

(1) جابونتسيكي، روسي الأصل من مدينة أوديسا على البحر الأسود - ولد عام 1880م وتوفي عام 1940م. وهو من رواد الصهيونية الأوائل، ونادي بالعنف وبالقتال المسلح حتى تكون لليهود دولة في فلسطين. ومن تلامذته في سياسته «مناحيم بيجين» (ارجع إلى «الصهيونية وسياسة العنف» زيف جابونتسيكي وتلامذته في السياسة الإسرائيلية - إذ إن الكتاب يدور حوله).

(2) اقنع «فيكتور جاكورسون» وهو مندوب المنظمة الصهيونية في العاصمة التركية (دافيد ولسول) زعيم المنظمة بتركيا، وعُلن وصل جابونتسيكي إلى إسطنبول عام 1909 وتشكلت اللجنة الصحفية في تركيا من كل من (جاكورسون وهو شيرغ وجابونتسيكي) وأصبح الأخير مشرفاً على الوكالة الصحفية الصهيونية التي تصدر في الأستانة والتي تضم الصحف الآتية :

1- صحيفة «الشباب التركي» وتصدر باللغة الفرنسية.
2- «الفجر» مجلة أسبوعية وتصدر باللغة الفرنسية أيضاً.
3- مجلة أسبوعية باللاذنيو (اللغة اليهودية الأسبانية).
وفي أمريكا تحدثت أهداف العمل الدعائي بالنسبة للصهيونية السياسية في أربعة أبعاد:

أ- اكتساب الرأي العام المحلي الأمريكي بحيث يصير قوة مساندة للحركة الصهيونية في الإطار الدولي.

ب- القضاء على أي فرقة داخلية من حيث التعبيرات الدعائية، أن خلافات الأسرة لا يجوز أن تخرج عن نطاق منزل العائلة أمام المجتمع الخارجي بحيث تظهر الحركة الصهيونية قوة واحدة متماسكة لا تنقسم.

ج- الحركة الدعائية وقد أضحت مركزية، مركزة ومتناسقة فمن الطبيعي أن يسهل عليها أن تصور عدوانية مهاجمة استفزازية ولا تكتفي باتخاذ موقف الدفاع عن القضية.

د- وذلك إلى جانب خلق درجة معينة من درجات التضامن مع المجتمع اليهودي الأمريكي وحركة الصهيونية أساسها لا فقط الإيمان بتلك الدعوة بل والتصدي في الدفاع عن المبادئ التي تتضمنها العقيدة الجديدة.(1)

(1) الحرب النفسية في المنطقة العربية - حامد ربيع ص 66.
الفصل الثالث: أسباب النجاح الذي حققه الدعاية الصهيونية خلال الفترة السابقة على الاعتراف الدولي.

أي بعد النجاح إلى التخطيط الدعائي للصهيونية؟ أم إلى القادة والذين قادوا هذا التخطيط؟ أم لكليهما معاً؟

والواقع أن التخطيط يحتاج إلى قائد ينفذ بأحكام ودقة، وإلا كان حبراً على ورق. لقد كانت البداية للعمل الدعائي الصهيوني في أمريكا دراسة الخلفية الاجتماعية له. ما هي شرائح المجتمع التي تتوجه الدعاية له؟ فهناك:

أولاً: اليهودي الأمريكي: الهدف بخصوصه واحد لا يتعدد، هو خلق المؤمن المتخصص الذي هو على استعداد لأن يتخلى عن كل شيء، ثروته وأسرته بل وحياته في سبيل الأرض الموعودة. وإذا كان هذا الهدف هو الحد الأقصى فهناك حد أدنى في مواجهة اليهودي الأمريكي: التأييد المادي والمعنوي الإيجابي والمنظم، والمستمر الذي لا يتوقف ولا يتوقف.

ثانياً: ثم هناك الأمريكي غير اليهودي: وهنا الهدف مختلف، فالدعاية الصهيونية تسعى لأن تخلق من أبناء المجتمع الأمريكي غير اليهودي موجات كاملة لتأييد القضية أو على الأقل العطف عليها.

ثالثاً: ولا تنسى الدعاية الصهيونية من هو خارج المجتمع الأمريكي وبصفة خاصة من آمن بالصهيونية وأضحى بالنسبة للقضية يمثل الطابور الخامس في المجتمعات الأوروبية، حيث لا يزال لتلك المجتمعات أهميتها وقدرتها في نطاق التوازن الدولي ومن ثم في صنع القرار السياسي.

وهكذا نجد الشرائح الاجتماعية التي تتجه إليها الدعاية الصهيونية تداخل:

فاليهودي منه الصهيوني وغير الصهيوني، والصهيوني منه اليهودي وغير اليهودي.

وكل هذا لا بد أن يفرض تخطيطاً متكاملاً.
لقد كان هناك ثلاثة مفكرين قادوا العمل الدعائي الصهيوني في المجتمع الأمريكي وهم: نويمن وسيلفر ولين. ونجوز عمل كل واحد منهم، لنطلع على حقيقة الدعاية اليهودية ومسارها الخبيث في كسب الأنصار والمؤيدين.

1- نويمن: قام بتنظيم لجنة أمريكية للفلسطينيّن كانت تتكون من بعض أعضاء مجلس الشيوخ ومن بعض كبار المسؤولين في الحياة السياسية الأمريكية، وهذا يفسح عن حقيقة تصوره للحركة الصهيونية؛ وهو خلق مسالة واضحة وعديدة للوصول إلى مراكز القوى. بهذا المعنى استطاع أن يتمتلغل في أوساط قادة الراي في المجتمع الأمريكي.

وفي عام 1954م أنشأ معهد هرتزل ثم مطابع هرتزل وأخيراً مؤسسة هرتزل التي تنشر المجلة الشهرية «میدستريم» والتي تعد محرر الدعاية والدعوة الصهيونية في الولايات المتحدة.

2- سيلفر: هو الرجل الثاني الذي تدين له الدعوة الصهيونية بوضع قواعد وأصول التخطيط للعمل الدعائي وما قدمه حقيقة هو قيادته الواضحة التي برزت قائد صهيوني وصل إلى الولايات المتحدة الأمريكية وهو طفل، تعلم العربية ولا يتكلم في بيئة إلا بها، ولد عام 1893م ومنذ شبابه الأول اشتهرت عنه الحركة حتى إنه في عام 1910م وهو في السابعة عشرة من عمره أسس ما يسمى جمعية الشباب اليهودي، اشترك في المؤتمر الصهيوني عام 1920م، مثل القوم اليهودية الأمريكية في المؤتمر الصهيوني بل وانتخب عام 1931م عضواً في الهيئة التنفيذية الصهيونية العالمية، عقب ذلك انتقل إلى القدس حيث رأس ما أسماه "الوكالة اليهودية للإدارة الاقتصادية" (انظر المرجع السابق ص 68).

المرجع السابق ص 29.

3- سيلفر: ولد عام 1893م في إلينوي وتوفي في أمريكا عام 1963م، حصل على عدة درجات للدكتوراه من أكثر من جامعة غربية. خطيب مفهو، استطاع أن يكتل الرأي العام الأمريكي واليهودي للدفاع عن القضية الصهيونية.
الفصل الثالث: إسلامة العرب النفسية

منذ أن قاد الصراع في أمريكا وخارجها في سبيل الاعتراف بالدولة اليهودية خلال الحرب العالمية الثانية وعده.

ج - لوين (1) استطاع من خلال نظرياته - وهو عالم النفس - أن يقيم البنية الكلي المتكممل للنوعية الصهيونية - وأن يواجه اليهود غير الصهيونيين ومعادلة ويوافقه دراسة نفسية واجتماعية (1) واستطاع بعد ذلك أن يواصل ما أسماه بفكرة الكراهية الذاتية، وأن يستعجل منها مناطقًا دعائيةً كان أساسًا للحملة المخفية التي تولى مجلس الطوارئ الصهيوني نشأها على خصومه من اليهود.

المرحلة الرابعة: وعندن قرابة عشرين عامًا، وذلك من الاعتراف الدولي الصريح بشرعية الوجود اليهودي وعلى رأس هذه الدول «روسيا وأمريكا»، وحتى نهاية عام 1967م في الخامس من حزيران. وفي هذه المرحلة صبخت الدعاية الصهيونية بطابع متميز، هذا الطابع هو أنها دعاية سياسية داخلية وخارجية بان واحد، وقامت هذه الدعاية بصورة ملمعة حيث اعتبرت على إعجاب الرأي العام الدولي، وهي بالوقت نفسه خرقت الرأي العام الأمريكي وأقنعته بدعمات باطلة ومن أشهرها تناقضًا مع التاريخ، دعاهم التي أطلقوها في العالم أنهم جاؤوا إلى أرض قاحلة خالية من السكان، أو أن سكانها أهملوها، وعجزوا عن النهوض

(1) لوين: عالم الفهم النفس والاجتماع - أصله الألماني ولد عام 1890م وترقي في مناصب العمل الجامعي حتى وصل إلى كرسي الأستاذية بجامعة برلين عام 1932م. في ذلك العام هاجر إلى الولايات المتحدة وبدأ حياته في جامعة «كورنيل» ومنها انتقل إلى معهد «ماساشوستس للتكنولوجيا» حيث أنشأ مركزًا لأبحاث ديناميات الجماعة، ابتداء من عام 1938م بدأ لوين يهتم

(2) ارجع إلى المرجع السابق ص (71، 72، 73، 74) للإطلاع على هذه الدراسة.
بها... وأن الصهيونيين جاؤوها رسلًا للحضارة... ليعمروها بعد الخراب ويزرعوها بعد البوار ويصعوها بعد التأخر
وأنهم عادوا إلى بلدهم الأول، فلسطين، البلد الذي ظهر فيه أنياؤهم ووعدهم به توراتهم، وقام به «هيكلهم» المدثر.
وقد أدركت اليهودية أنها، بعد الحرب العالمية الثانية، تعامل مع إنسان يقترب الحروب والاحتلال والعدوان، يبحث عن العمران والسلام، فرعت شعارات «إسرائيل المعجزة» و«إسرائيل المسالمة» و«إسرائيل التي تحول الصحرا الي جنة» و«إسرائيل الساعية لوقاية نفسها دعماً للسلام».
ثم وضعها «كتيبنا» صاحبًا لإخفاء «إستراتيجيتها» التدريبية. مهدت به الطريق، للتتأكد من دعم العرب لها في أي معركة فاصلة على أساس أن دور إسرائيل سيكون فقط وقافة نفسها لا الرد على القوة بالقوة، وما زالت تتجاوز الحرب الوقائية التي سادت زمن حرب السويس (1956م) تزن في آذاننا، ونازلنا نذكرا كيف استطعت إسرائيل جانًا لا يستهان به من الرؤى العالم في العالم.

(1) يقول عمار العفار في كتابه «الفصل في تاريخ القدس»: فالقدس كما رأيتها عام 1947 م: لقد كان في القدس وحدها يوم الاحتلال الجزء منها: 200 مدرسة وأكثر من 40 مكتبة ودارا للكتب، وأكثر من 2000 جمعية ورابطة أدبية وثقافية ورياضية وخبرية وعشرات المستشفيات، وكان فيها العديد من مصانع النسيج والفيتنالي، والحلي والخزف، والأطباء والشمع والأخشاب، وكانت مركزًا تجاريًا زاهراً فيه أكثر من ثلاثين سوقًا تجارية. أما الزراعة في فلسطين فإن أشجار الزيتون التي غرسها قبل خمسة آلاف عام أو أكثر لم يقطع شمرها إلا بعد احتلال اليهود الحديث لفلسطين.
(2) ارجع إلى «قضية فلسطين - الحق والباطل» نبيل شبيب ص 15;
(3) تخطيط الإعلام العربي - عقيل حاشم ص 71.
بعد حرب السويس عام 1956م وضعت اليهودية خطة جديدة في الدعاية تتماشى مع خططها التوسعية القديمة، والتي تتغير الفرصة الملائمة لوضعها موضع التنفيذ، فأخذت الدعاية اليهودية ترفع شعارات نحوها أن العرب مصممون على إفراها، وكررت هذه الشعارات حتى أصبحت في أذهان الناس حقيقة لا تقبل المناقشة، ومن ثم راحت تلوك عبارة «الحرب الدفاعية» مبتهجة ذلك حالات استدراك الدموج لم يسبق لها مثيل في التاريخ، وذلك بوساطة أفلام «سينمائية» غزت بها دور السينما، والراديو (التلفزيون) في العالم، على مدى عشرين سنة ولا تزال سائرة على هذا المنوال. هذه الأفلام تصور آلام اليهود واضطهادهم على يد الألمان النازيين مثل فيلم «آن فرانك» الذي يدور حول طفلة تكبت مذكراتها عن تعذيب النازيين لأسرتها، وكذلك أفلام تصور العودة إلى أرض الأجداد «فلسطين» مثل فيلم «الخروج» الذي يدور حول قيمتهم «إسرائيل» الدولة المزعومة. وأفلام تلمع وجه اليهود الكالح في نظر التصاريح، وتس تعد إبعاد تهامة قتل المسيح عن اليهود وتحيلها للروماني مثل فيلم «بن حور».

وهكذا أخذت الدعاية اليهودية منذ الخمسينات وعن طريق «استدويهات هوليوود»، تنشر العديد من الأفلام لشحذ ذكرى الراي العام في الغرب حتى لا ينسى اليهود ما أصابهم على يد النازيين وغيرهم.

1. جريدة الرياض - العدد 4169 - مقال (هولوكوست بين شحذ الذكرة واختصار التاريخ) مصطفى البحاوي.
2. مدينة السينما في الولايات المتحدة الأمريكية.
3. إن اليهودية العالمية استخفت الاضطهاد النازي لليهود ولعدة قويمات أخرى لتمارس على الراي العام الدولي والشعور الإنساني ضغوطاً لا تطاق، تائفه من أنواع الجرائم واللوم على مدى ثلاثين سنة، مما جعل الرأي العام الغربي يصبح: نعم أذنبنا وقصرنا، نحن مستعدين للتكرار عن ذنوبنا فأمرناك بما تريدون ولكن ما تطلوبون، وهذا بالضبط ما تريده الصهيونية، وكانت السينما.
وكذلك أخذت الصهيونية تربط بين الاضطهاد النازي لليهود، والاضطهاد المزعوم التي تتعرض له الآن، مستغلاً أقوال بعض الزعماء العرب، في إلقائها في البحر، ثم راحت تسمح بحقوق الإنسان وتتفق بالمبادئ المثلية وكل ذلك تخليداً للرأي العام وتفسيرًا للعدوان الغاشم الذي أسقط القناع عن وجه اليهودية الحقيقي وسياستها التوسعية(1).


فسعى اليهود إلى تبديل العرب من الحصول على أي نصر على اليهود، وعلى الجيش اليهودي الذي لا يقره، وهذا ما يُثير من خطب الدوائر الحاكمة في «إسرائيل»(2) وخاصة خطب «أبا أبيان» وزير الخارجية - في ذلك العهد وأن أداتهم في التعامل النفسى مع الرأي العام الغربي، ومن أهم الأفلام التي استخدمت لشذة ذكراء الغرب حتى لا ينسى اليهود هو فيلم «هولوكوست» الذي يستغرق عرضه سبع ساعات، قد نَشَكَلَ مسلسل. أخرج هذا الفيلم في نيسان عام 1978م وعرض في أمريكا، ثم في ألمانيا، وأخيرًا في فرنسا (1980م) ويجعله الفيلم قصة عائلة ألمانية يهودية تعيش في بولندا ثم يقع تشتيت أفرادها وترجعها إلى «فروسيا» عاصمة بولندا» حيث قامت السلطات النازية الألمانية بجمع الجاليات اليهودية في معقلات بتبها لهم، ويتعرض الفيلم في أثناء ذلك إلى أنواع التعامل السري الذي قُصِبَ اليهود على أيدي النازيين.. والغاية من الفيلم وعرضه الآن بعد مضي أربعين عاماً على الحرب العالمية الثانية شهد ذاكرة الرأي العام في الغرب، وعلي ألمانيا بشكل خاص، ولكن تعيد في أذهان الجيل الألماني الجديد ذكرى ما فعله آباؤهم، وحتى لا يعم شعور البقاء من اضطهاد اليهود، تقاوم هذا الجيل (ارجع إلى المرجع السابق).

1. د. إبراهيم أمام في (الإعلام والاتصال بالجماهير) ص 123.
2. كنت فضول أن يستطيع المؤلف تعبي «فلسطين المحتلة» بدلاً من «إسرائيل» إذ إن تعبيره اعتراف ضمغية بإعداء الله أنهم (دولة).
الفصل الثالث: أسلحة الحرب النفسية

التكتيك اليهودي يقوم على إشعال اليأس والأمل في نفوس العرب، فهو يقول: "إن واجب إسرائيل أن تجعل العرب ياتسین تماماً من مقدرتهم على التصدي للجيش الإسرائيلي".

وفي الوقت نفسه تسعى الدعاية اليهودية إلى إشعال روح الأمل في نفوس العرب حول الوصول إلى سلام مع اليهود، وهكذا يكون التلاعب بالأخلاق واستخدام التكتيك المتناقض في وقت واحد. (1) وإن احتلال اليهود لأراضي واسعة (سيناء، الضفة الغربية، وهضبة الجولان) أبرز منطقتا جديداً في الدعاية وهو منطق العلاقات الدولية ولم تتبناه تطور المطالب للعدو اليهودي لبرزت هذه الحقيقة لا مجال للشك في دلالتها، وهي تنظري على المراحل الآتية:

1- هي تبدأ بالحديث عن المفاوضات المباشرة، وهذا مفهوم منطقي ومتباح في نطاق العلاقات الدولية حيث إن كل قتال لا بد وأن ينتهي بالجلوس على مائدة المفاوضات.

2- وعقب عام (1970م) تبدأ تركز فكرة الحدود الآمنة فتضعه في هذا موقف العرب من رفض فكرة المفاوضات، وفكرة الحدود الآمنة ليست جديدة في تاريخ العلاقات الدولية.

3- وعقب أن أضحت هذه النغمة مستقرة في الأذهان بدأت تظهر "استروانة" جديدة حول مفهوم السلام ورفض ما تسميه بالسلام العبري، ورغم أن هذا المفهوم، أي مفهوم السلام، هو منطلق بطيعته لسياسة القوة، لا تتحدث عنه إلا الدول المسيطرة، إلا أن جعل هذا المفهوم يتدرج في مطلقات متتابعة إبتداء من

---

(1) د. إبراهيم إمام في "الإعلام والانصار بالجماعات" ص 322.
فكرة المفاوضات المباشرة ومروراً بفهم الحدود الآمنة، لا بد وأن يعطى فكرة السلام دلالة تختلف عن حقيقةها(1).

وعلى المستوى الداخلي، في الأراضي المحتلة (عام 1967م وعام 1948م) بدأت الدعاية اليهودية تتحدث «بلغات متعددة» نظراً للكثافة السكانية العربية، والتي باتت تحت سيطرتها، بحيث تتخطب سكان كل منطقة على حدة، إن المنطق واللغة التي تحدث بها الضفة الغربية تختلفان عن منطق ولغة أهالي غزة. ورغم أنها تجعل من هذا الحديث وسيلة وقناة لمخاطبة الرأي العام العربي إلا أنها تركز على إبعاد مختلفة تبعاً لكل منطقة: فقد المسواة بين الفلسطينيين وأهالي الأردن، ووضوح الفقر والتخلف بالنسبة لأهالي الضفة الغربية لو قورنا ببناء الأردن، تصر منطقاً لحديث تختلف نبراته عندما ننتقل إلى أهالي غزة حيث تجد العزف على وتر آخر وهو الإرهاب المصري والعengeance الفرعونية(2).

أما على المستوى الخارجي فإن الدعاية اليهودية أخذت مساراً آخر، فهي أولى:

نطرح الوجود اليهودي كرائد في الشرق الأوسط، وأنه يعمل على تحقيق الرسالة التاريخية الحضارية، وقيادة الإنسانية المزعجة المركزية في منطقة شرق البحر الأبيض المتوسط.

---


(2) حامد ربيع - المراجع السابق ص 91.
وهي ثانيةً: تحتاج إلى طاقة بشرية من اليهود، مملا بها الأماكن الشاسعة التي احتلتها، وخاصة من يهود "الإمبراطورية الروسية" والذين أخذوا يهجرون في موجات متتابعة إلى الأرض المحتلة".

وهكذا تتضح الأهداف التي يسعى إليها العدو اليهودي من خلال دعائه الخارجية كما يلي:

1- تثبيت الأقدام حيث وصلت، وإنقاذ العالم بأن ما وصلت إليه يمثل الوضع القائم الذي يجب حمايته.

2- تأكيد أن «إسرائيل» تمثل حلقة الوصل بين العالم العربي والعالم الغربي، وأنها الوحيدة التي تسعي إلى تحقيق مصالح الغرب في الشرق، وعلى الغرب أن يتخلل عن فكرة اتصاله المباشر بالعرب لأنها لا يفهمهم، وهي الوحيدة التي فهمتهم. وهذه النتائج (انصارها في الحرب) خير دليل على صحة هذه الدعوى.

3- إبراز «إسرائيل» على أنها وحدها تستطيع حماية الشرعية في المنطقة إذ إنها أضحت الإدارة المتحكمة والمسيطرة فيها، فهي التي تستطيع وضع حد للاضطرابات وخلق حالة سلام في المنطقة. وتأذب الإرهابيين أينما كانوا (في لبنان وغيره).

وعلن أن هدفها هو تعقيب الثوار ضد النظام العملي للغرب.

4- تقديم «إسرائيل» على أنها حرة متقدمة لحماية المصالح الأمريكية، والمصالح الأمريكية كثيرة جدا في المنطقة، فالصادرات البترولية، والتحكم في البحر الأحمر ليس فقط برواناه بل وبحرياته ومواصلاته. من أولى هذه المصالح. وهذا يتضح بارتباطاتها العسكرية والاقتصادية والعسكرية بآثيوبيا".

(1) وصل تعداد اليهود الذين هاجروا من "الاتحاد السوفيتي" إلى فلسطين المحتلة إلى (231,000).

المراجع السابق ص 98.
الجوانب الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي: تتضمن المرتكزات المنطقة الرئيسية للتخطيط الدعائي اليهودي ما يلي:

1- أن "إسرائيل" حقيقة تاريخية: إذ إنها كانت قائمة في أرض فلسطين ثم فقدت استقلالها، وأن قيامها عام 1948م كان بمثابة إعادة قيام الدولة، وعلى هذا الأساس يؤكّد أن حرب "1948م" هي حرب الاستقلال بالنسبة "لإسرائيل".

2- في قيام "إسرائيل" تحقيق لنوءة دينية: يذهب المنطق الدعائي اليهودي إلى أن هناك وعدًا إلهيًا خاصًا بإعطاء فلسطين لليهود وأن في قيامها تحقيق لنوءة دينية.

3- هناك ما يسمى بالعنصر اليهودي، وأن هناك أمة يهودية تجمعها صفة القومية اليهودية على حد زعم المنطق اليهودي، وعلى أساس هذا الزعم يقتضي الأمر أن يهاجر اليهود من مختلف أنحاء العالم إلى "إسرائيل".

4- "إسرائيل" حقيقة حضارية مرتبطة بالغرب: عاش كثير من اليهود الغربيين في أوروبا، وقد تأثر بتفكيرهم بالعقلية الغربية، وأسسوا في التطور الحضاري الأوروبي لذا يزعم المنطق "الإسرائيلي" أن اليهود هم رواد الحضارة الغربية في الشرق الأوسط.

5- "إسرائيل" تعبر عن العقائد السياسية المعاصرة: يأخذ المنطق الدعائي "الإسرائيلي" في اعتباره "مستقبل الرسالة الإعلامية" فعندما يتعلق إلى الديمقراطي الليبرالي يركز على النظام الحزبي والرقابة الشعبية والحريات الفردية وحمايتها إلخ.

وعندما يتعلق إلى الاشتراكي يركز على المفكرين اليهود في المجال الاشتراكي ونظام المستوطنات الزراعية باعتبارها فوّذ للتطبيق الاشتراكي.

---

(1) د. حامد ربيع - فلسفة الدعاء الإسرائيلية ص 74، 80 - بيروت - مركز الأبحاث منظمة التحرير الفلسطينية 1970.
6- «إسرائيل» تؤمن بالعالمية: صبغت الصهيونية دعوتها باسم الصهيونية العالمية وهي تزعم أن قيام «إسرائيل» تأكيداً للبدأ العالمية والقومية اليهودية تطور في تخفيف المفهوم العالمي الذي لم يصل إليه أي مجتمع من المجتمعات المعاصرة؟

7- «إسرائيل» تدافع عن المسؤولية التاريخية: اتجه الفكر السياسي الغربي إلى رفض تفسير التخلف على أنه نتيجة لللاستعمار، إذ يقدم تفسيره على أساس الواقع التاريخي، لتحقيق مسؤولية كل مجتمع طبقاً لما وصل إليه. وقد استغلت «إسرائيل» هذا المنطق في تصوير الوضع السائد في المجتمع العربي كمسؤولة تقع عليه لأنه تحدد طبيعاً لإرادته، وطبقته ايضاً في تحديد مسؤولية المجتمع الأوربي عامة والمجتمع الألماني خاصة بالنسبة للمشكلة اليهودية كمسؤولية جماعية لا يمكن بربطها بالنظام النازي المعادي للسامية.

8- «إسرائيل» متقدمة «تكنولوجيا»: تصور «إسرائيل» نفسها على أنها دولة عصرية تكنولوجية وترتكز على هذا المنطق تجاه الدول المتخلفة على وجه الخصوص.

9- العالم العربي يمثل مظاهر التخلف الحضاري والỞساني والثقافي: تصور «إسرايل» الدول العربية أنها متخلفة وأن نظام الحكم فيها دكتاتوري يتخذه من وجود إسرائيل ذريعة لبناء نظام عسكري عنصرية رجعية مستغالة، كما تدعي أن النظام العربي تعاني فساداً في جهازها المالي والإداري، بالإضافة إلى انتشار الوساطة والخسوسية والطائفية في تولي الوظائف.

10- «إسرايل» جزء لا يتجزأ من الشرق الأوسط: تركز «إسرايل» على أنها تنتمي إلى منطقة الشرق الأوسط، وتصور أن وجودها مستقر في المنطقة وأنها ليست دخيلة عليها، وأنها دولة أسيوية لها رسالة بين دول الشرق الأوسط والدول النامية.
11- «إسرائيل» تمثل فكرة النموذج: تذهب إسرائيل أنها تعد نموذجاً للدول النامية بما يعمق على هذه الدول أن تستفيد من التجربة الإسرائيلية التي تحقق التقدم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي.

وخلاصة القول أن المطلق الدعائي «الإسرائيلي» يقوم على التشويه والبالغة والكذب والغموض، ورغم ذلك استطاعت أن تؤثر على الرأي العام بفضل ما تملكه من الوسائل الدعائية وأساليب تخطيطها وإدارتها، مما يقتضي دراستها دراسة فاحصة.

(3) الدعاءة اليهودية والإسلام: حاولت الدعاءة الصهيونية تصوير الإسلام على أنه دين بشري مقتبس من اليهودية، عقيدة وأخلاقاً، وهي بهذا تسير على منهج المستشرقين المعادية للإسلام نفسه في القديم والحديث، والذين حاولوا دائماً أن يؤمنوا الإسلام على اليهودية والنصارية (1) وهذا هو أحد دعاءة الصهيونية وهو المؤرخ «توري» أصدر كتاباً قبل الحرب العالمية الثانية بعنوان «التأسيس اليهودي للإسلام» يحاول من خلاله أن يثبت الأصول اليهودية ليس فقط للحضارة الإسلامية بل والتشريعات المحمدية ذاتها، وقد عبر عن المفهوم نفسه «وزنتال» في كتابه الأشهر عن الفكر السياسي الإسلامي في خلال العصور الوسطى. وكلاهما يصل به الأمر إلى أن يقرر بأن القواعد اليهودية كانت مصدراً تنظيمياً للحضارة الإسلامية، وأنه في بعض الأحيان فإن التقاليد اليهودية هي وحدها التي تسبعت بها التقاليد الإسلامية الأصلية (2).

1) الدكتور محمد علي المقرني- الإعلام العربي- ص 210 القاهرة- عام الكتب 1979
2) ارتج إلى ما يتعلق (بالاستشراق) في الدعاءة العربية من الفصل الثالث من هذا البحث
3) الدكتور حامد ربيع الحرب النفسية في المنطقة العربية ص 77 وإن كان المؤلف قد اخترع هذهن المؤلفين - وما فيهما من أشكال خطيرة، نوع من التقارب بين اليهودية والإسلام وأن العلاقة بين الدين الإسلامي والدين اليهودي (الحالي) علاقة إنسانية ترتبط عن مستوى النزاع أو الصراع بين الأجناس. وذلك ما قبل (1967 م). وغبن لا نواقظه على ذلك. لأن نظره واحدة لعنوان الكتبان، وإيجاز المؤلف لموضوعهما، تعلمنا مقاصد الكتابين دون تفسير للمضمون.
هذا على المستوى الفكري، حيث مازالت هذه الأفكار المشبوهة عن الإسلام هي التي يتردد بها الطلاب في جامعات أوروبا وأمريكا.

أما على المستوى الداخلي في إسرائيل، فإن الدعاية اليهودية، تجاه أن تحور الشريعة الإسلامية في عقل المسلم، والذي يعيش في الأرض المحتلة (عام 1967 - 1967م) بعملية "غسيل دماغ" للأطفال المسلمين في كتب التعليم خاصة، وتغرس في فكرهم مفاهيم خطيرة، تضلهم بها وتبعد عن الإسلام شيئاً فشيئاً، ومن ثم تربطهم بيهود "دولتهم المسخ" لينسخوا عن دينهم وعقيدتهم وأخلاقهم.

ومن كتب التعليم هذه كتاب "أنا مواطن إسرائيلي" تأليف "مصطفى مراد" وهو من مبادئ القراءة العربية (الجزء الثالث) للصف الثالث الابتدائي. وفي أسفل غلاف الكتاب عبارة "إسرائيل شعب عامل"(1) ويتضمن الكتاب سموها يهودية لإفساد عقول الأطفال، وفيه تطالب على الدين الإسلامي، فالدرس الرابع مثلًا بعنوان: "بسم الله الرحمن الرحيم" وتقول كلماته: متي يقول المسلم بسم الله الرحمن الرحيم؟ إنه يقوله متي بدأ يتناول الطعام حتى تفتح شهيته للطعام (كذا).

وكتاب "علوم الطبيعة للطلاب العرب" تأليف "بشير هشومي" الذي يبدأ بدرس عن الخمر، الذي يحتلها ويتطلب في وصف مزاياه، وتدخل في روع الطلاب أن الخمر خلال وأن الكحول يضفي على المشروب رائحة خاصة وطعما طباً ونكهة مميزة .. وفي ص (126) من الكتاب يتحدث المؤلف عن "معامل عصير العنب في البلاد" وخاصة القديمة منها التي أقامها "الحسن اللورد روتشيلد".

وحتى أسلطة الدرس "النموذجية" تحاول أن تلقن الطلاب كل المعلومات عن الخمور ومذاقاتها. والكتاب يلزم في عرضه لأشهر السنة بالإشاعات العبرية. كما

(1) انظر جريدة "القبس" الكويتية العدد 2539 تاريخ 11/7/1979.
أنه يزور التاريخ حينما يتكلم عن شجرة «البسط» إذ يقول: «هذه الشجرة قدسها الكنعانيون الذين "استعراها بلادنا" وأقاموا فيها المذابح لأصنامهم بالقرب من أشجار البسط المقدسة وأسمها العربي "إيلاه" أي الآلهة".

هذا في داخل "فلسطين المحتلة" والغزّة والضفة الغربية وغزة...

أما في الخارج .. حيث تسيطر الصهيونية على وسائل الإعلام الغربية .. وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، فلا تخفي اليهودية وجهها القبيح وراء الأقنعة الزائفة. بل إن دعاية صريحة في مهاجمة الإسلام والمسلمين، وإن المتبع للحملات الدعائية ضد الإسلام والمسلمين في وسائل الإعلام الأمريكية يجد أنها تصور العرب والمسلمين شعوباً متوحشة متعطشة لسفك الدماء، وأن الإسلام مجموعة من القوانين التسلطية في أحكامها وأنها تدفع معتقديها إلى التطلع لبسط السيطرة السياسية على شؤون الحكم والإدارة وعلى الشعوب الأخرى.

هناك مثال واضح على هذا القول وهو المقال الذي نشره كاتب أمريكي معروف بميله وخصوصه للصهيونية يدعى "جوزيف كرافت" في عدة صحف وجلالات رئيسة أمريكية منها جريدة "واشنطن بوست" و"نيويورك تايمز" و"ستار ليدجر" تحت عنوان: "كيف عجز الإسلام عن الإصلاح والتطور وجعل دورة قاصرًا على شؤون السياسة والحكم" .ومقال آخر للكاتب نفسه "الإسلام دين تأخر وجود جماع المجتمع الإسلامي عاجزاً عن اللحاق بركب المجتمع الغربي الحضاري.

(1) المرجع السابق - وتنقل الصحيفة صورتين (بالزبنكريف) لغلاف كتاب القراءة ص 122 من كتاب "علوم الطبيعة" وقد حصل كاتب المقال على الكتاب من بعض يهود الدفوك والذين كانوا في رحلة سياحية إلى "فلسطين المحتلة".

وإن هذه الكتبان يدرسان للطلاب العرب. إذ كتب على الغلاف الأول لكتاب القراءة "قررت إدارة المعارف العربية تدريس هذا الكتاب في مدارسها". 
وأما جريدة «سن تايز» فقد نشرت مقالًا لكاتب صليبي ملحد ومجوز خدمة الصهيونية يدعى «ويليام غريبي» وعنوان المقال: «الماركسية أفضل من الإسلام» يقول فيه: إن الإسلام منذ أن جاء والملسية تعاني من تعصب المسلمين وعذابهم للمسيحيين، وأورد في المقال أمثلة كثيرة عن مقاتلة المسلمين للمسيحيين منذ طردوا الروم من سوريا وإفريقيا وآسيا الصغرى وبلاد الأندلس وحتى نهاية الحروب الصليبية، واختم مقاله قائلاً: وهل يمكن للمسيحية في هذا العصر من التعامل مع المسلمين بأقل مما تعاملت به مع صلاح الدين الأيوبي؟ واختم من مقاله ذريعة لمزيد من الطعن بالمسلمين يقول: إن كل من شاهد رجال الدين الإيرانيين في ثورتهم هذه وما قاموا به لا بد وأن يحكم بأن الشيوخية أفضل من الإسلام! 

وأمثلة أخرى عديدة لمشاهد عرضها التلفزيون الأفريقي للتهمج على الرسول الكريم ومبادئ الإسلام وأحكام الإسلام الشرعية والقضائية. فقد عرضوا فيلمًا يمثل فيه كليب أطلق عليه اسم «محمد» وفلما فيلمًا آخر اسمه قراصة البحار أظهروا فيه أن العرب والمسلمين هم «قراصنة ووصوص البحار». 

وما لاشكر فيه أن هدف الصهيونية العالمية من حملاتها الدعائية والإعلامية هو إثارة شعوب العالم الغربي بوجه عام، والشعب الأمريكي بوجه خاص لمعاداة المسلمين والعرب، وذلك لخدمة المصالح الإسرائيلية وذلك لكي يستمر الصهيونية في تنفيذ مآربهم الخمسية ومؤامراتهم الحاقدة في إحكام سيطرتهم على عقول الشعب الأمريكي وغسل أدمغته، ومن ثم تسخير هذا الشعب وطاقاته لتأديب

---

(1) من بحث قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المنعقد بجاكرتا من قبل (أحمد سعد- نيويورك- الولايات المتحدة الأمريكية) ونشرته مجلة «الإرشاد» اليمنية في العدد الثاني والثالث/1401 هـ بعنوان: «الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق التصدي لها».
ومساعدة إسرائيل عسكرياً واقتصادياً وسياسياً. وهذا ما هو واضح للعيان اليوم إذ إن أمريكا بقيت الدولة الوحيدة المساندة لإسرائيل نتيجة سيطرة الصهيونية ونفوذها الإعلامي في أمريكا(1).

(4) الدعاء اليهودية وتسخير النصرانية لها: لقد تمكن الصهيونية المعروفة بأساليب الدعاء والذكرى من التغلغل داخل الكنيسة وفي أوساط رجال الدين النصارى خدمة أهدافها الدعائية. وقد تمكن من استخدام أكثر من (3000) ثلاث آلاف قسيس بروتستانتي أمريكي تدفع لهم الصهيونية مرتين شهرياً مقابل إقلاعهم الوعظ في الكنائس ضد الإسلام والمسلمين والعرب.

هذا بالإضافة إلى سيطرتها على الكنيسة الإنجليكانتية في الولايات المتحدة الأمريكية؛ إذ إن رؤساء هذه الكنيسة ورجال الدين فيها أعلنوا تأييدهم المطلق لإسرائيل، وجعل القدس عاصمة للدولة الصهيونية، ولا يخفى على جميع المسلمين مدى النشاط الديني والدعائي الباطلة التي يقوم بها القسيس «بيلي غراهام» رئيس هذه الكنيسة ضد الإسلام والمسلمين خدمة للصهيونية(2).

ولا إكتمال الصهيونية سيطرتها وإخصاصها للمؤسسات النصرانية الدينية، فقد أقامت هيئة مشتركة من رجال الدين في العقيدتين النصرانية واليهودية، وتدعى حركة «أنصار العقيدة المشتركة»، وأصبح لهذه الحركة أكثر من ٧٠٠٠ (سبعين) دائرة إقليمية وأكثر من مائتي مجموعة من الصليبية والصهيونية. وقد خصصت الصهيونية لهذه الحركة ميزانية سنوية مقدارها ستة ملايين ونصف مليون دولار أمريكي.

المراجع السابق، والواقع أن الولايات المتحدة الأمريكية ليست الوحيدة المساندة لليهود في فلسطين.. إلا أن الدول الأخرى تحظى وجهها بالقروض لا تحظى على المسلمين.

المراجع السابق.
وقد اتفقت عن هذه الحركة "الموتمر الوطني المسيحي اليهودي" من أجل إيجاد الجالات الدينية والسياسية والعاملية. وقد جنرت الحركة كل إمكاناتها البشرية والمادية لخدمة أهداف الصهيونية في توجيه العقل الأمريكي لساندها ما تدعى به إسرائيل وبكل السبل والوسائل الإعلامية في الداخل والخارج.

وللاسف العميق، فإن الصهيونية استطاعت أن تطمس على قلوب كثير من النصارى في أمريكا وأعمت بصيرتهم وجعلتهم مطية خدمة مآربها الخمسية، فتساوي النصارى أن اليهود ليسوا وحدهم ضحايا الحرب العالمية الثانية في أوروبا، وأن سكان أوروبا من غير اليهود كانوا هم الأخرين ضحايا هذه الحرب، ولكن الإعلام الأمريكي كان يصور أن اليهود هم ضحايا النازية فقط.

وهكذا استطاعت الصهيونية استدرار عطف الشعب الأمريكي وعطف العالم عن طريق استخدام النصارى في دعايتهم المضللة. وهذا العطف بالذات كان أهم الأسباب التي ساندت وأيدت الدولة الصهيونية لإنشائها على حساب الأرض الفلسطينية، وعلى جبهة المسلمين في فلسطين دون أن يعاب العالم لهذه الجريمة والعدوان من جانب الصهيونية.

وللاسف إن قلة الدعابة ووسائل الإعلام العربي والإسلامي ظلت عاجزة عن إيصال الحقائق والوقائع للشعب الأمريكي وغيره من الشعوب، وتعريفه بدلالية قضاياه وسماحة ديننا وأحكامه الشرعية القوية.

أما الكنيسة الكاثوليكية، ومقرها الفاتيكان، فقد بقيت تتعرض للضغوط اليهودية، ولأساليب الإرهاب حتى رضخت أخيرًا عام 1965 واصدرت بيانها في تبرئة اليهود من دم المسيح. وهذه الوثيقة التي أقرها الفاتيكان تطلب من الكاثوليك الاعتراف بالمغنى الذي لدولة إسرائيل بالنسبة إلى اليهود، وأن يفهموا
ويجترموا صلة اليهود بتلك الأرض (1). وأن صلة التبشير والاستعمار واليهودية في فلسطين قضية أخرى تتعرض لها في غير هذا الفصل، والذي يمكن إيجازه في كلمات: أن الصليبية هي العامل الأول والأحمر في إيجاد دولة الصهاينة في فلسطين المحتلة (2) ولولا الدعم الدعائي والإعلامي والاقتصادي لم ما استطاعت أن تستأسد على الشعوب العربية والإسلامية.

(5) مصادر الدعابة اليهودية ووسائلها: هناك عدد من المؤسسات "الإسرائيلية" المعنية بالدعاية وذلك بشكل مباشر أو بشكل غير مباشر، ومن هذه المؤسسات: وزارة الخارجية، ومكتب الإعلام المركزي، والمكتب الصحفي للحكومة التابع للكتاب رئيس الوزراء، والمحترد الرسمي باسم الجيش، واجتماع الإذاعة الإسرائيلية، ومنصب وزير الدولة للإعلام الذي ألغى، ومراكز الإعلام الإسرائيلي في الخارج والبعثات الدبلوماسية والقنصلية الإسرائيلية في الخارج، والمنظمات الصهيونية واليهودية في الخارج وجمعيات الصداقة... إلخ (3).

والأهمية هذه المصادر والوسائل في الدعابة اليهودية، تعطيها بعض التفصيل لكي يطلع المسلم على منافذ الدعاية اليهودية، إلى العالم كله. ويعكم خطة إعلاميه ودعائيه في سد هذه المنافذ.

ومن أهم مصادر الدعابة اليهودية ما يلي (4):

(1) الدكتور عمر فروخ ومصطفى الخالدي - التبشير والاستعمار (ص 266). ونشرت الوثيقة التاريخية أيضاً جريدة "النهار" اليهودية بتاريخ (12/12/1969) الصفحة الأولى وكذلك إذاعاتها وكالات الأنباء العالمية.

(2) ارجع إلى المراجع السابق (ص 259، 260، 261، 262، 263، 264، 265، 266).

(3) الدكتور عبد علي العريفي - الإعلام العربي ص 197.

(4) الدكتور عبد علي العريفي - الإعلام العربي - ص 201.
الفصل الثالث.. أسلوب الإعلام النفسية

أ- إدارة الإعلام: لا توجد في «إسرائيل» وزارة خاصة بالإعلام، ولكن هناك إدارة للإعلام تابعة لوزارة الخارجية، كما يوجد وزير بلا وزارة مسؤول عن الإعلام وتقوم هذه الإدارة بقاعدة الإعلام خليطاً بالدعاية في الدول ومنها الدول الإفريقية. ومن أعمال هذه الإدارة:

1- تقوم بدراسات خاصة عن «إسرائيل» تخدم السياسة الإعلامية.
2- تقوم بتوزيع الكتاب السنوي الذي يدعى المكتب الصحفي للحكومة بعنوان «حقائق عن إسرائيل» كما تنشر مجلة ملونة بلغات مختلفة تحت اسم «إسرائيل» وتوزع في إفريقيا على الهيئات والمؤسسات والأفراد المدرجة أسماهم في قوائم البعثات الإسرائيلية الدبلوماسية.
3- تشارك في المعارض الفنية والثقافية والتجارية في الخارج.
4- تقيم الإدارة علاقات وثيقة، مع شبكات التلفزيون الأجنبية وتزودها بالأفلام التسجيلية وغيرها، كما تتصل بمؤسسات السينما في العالم لتدمها بشكل دوري بشريط الأنباء الإسرائيلي.

ب- مكتب الإعلام المركزي والمكتب الصحفي للحكومة: ويشكل إدارة وحدة مرتبطه بمكتب رئيس الوزراء.

ويعني مكتب الإعلام بالدرجة الأولى بنشر المعلومات عن نشاط الحكومة ومشكلاتها ومنجزات «إسرائيل» وعلى وجه الخصوص كل ما يتعلق بالوحدة الثقافية والروحية بين سكان فلسطين المحتلة ولاسيما المهاجرين الجدد.

(1) ألغى منصب وزير الدولة للإعلام بسبب الخلافات بين وبين الأجهزة الأخرى التي تقوم بالعمل الإعلامي والدعوة الأول إلى إنشاء وزارة للإعلام نظرًا لأن هذا المنصب بلا وزارة. (راجع إلى المراجع السابق ص 197) - وانظر أيضاً تحليل عن إلغاء وزارة الإعلام الإسرائيلية – الإدارة العامة للإعلام – جامعة الدول العربية 2 آذار 1975م.
ويتفرع عن المكتب قسم الأفلام، والذي عمله كما في إدارة الإعلام، وكذلك يتفرع عنه وحدة مارء البحار التي تعمل على تقوية العلاقات بين «إسرائيل» والهيئة اليهودية في الخارج عن طريق تنظيم المؤتمرات والندوات والدراسات والرحلات وإرسال المحاضرين والأفلام إلى الخارج.

أما المكتب الصحفي للحكومة فهو المعبأ عن الحكومة للصحافة المحلية والأجنبية ويعد بتوسيع المراسلين بأبناء الأحداث الجارية، كما ينظم المؤتمرات والمقابلات الصحفية للمسؤولين اليهود.

وهناك علاقة وثيقة بين المكتب الصحفي ومكتب الإعلام المركزي وبين إدارة الإعلام بوزارة الخارجية من حيث الاستفادة المتبادلة.

ج - هيئة الإذاعة "الإسرائيلية" هي هيئة عامة وتبعد رئيس الوزراء الإسرائيلي. وتذيع بما يقدر 350 ساعة أسبوعياً بـ 11 لغة، وهناك إذاعات خاصة يومية بالعبرية الميسرة والفرنسية والإنجليزية والرومانية والعربية. وهناك برامج موجهة لما وراء البحار بعشر لغات بما فيها الروسية، وبرنامج أسبوعي موجه إلى شمال أمريكا ويكمل بالاشتراك مع الوكالة اليهودية، بالإضافة إلى إذاعة بعض شعائر إسلامية ومسيحية.

وهناك محطة تسمى "صوت صهيون إلى يهود المنفى" وتذيع بلغات متعددة ومنها الدروس الملقاة بالعبرية والأعظم بالعربية الميسرة، وتعمل هذه الإذاعة على ممارسة أهدافها من خلال العمل الإذاعي بأشكاله المختلفة.

---

(2) د. محمد علي العويني – الإعلام العربي ص 505.
وأما خارج ما يسمى بدولة «إسرائيل» فإن أهم نشاط دعائي تقوم به اليهودية هو في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ تفرض الصهيونية سيطرتها على وسائل الإعلام الأمريكي من محطات إذاعية ودور للصحف، وحتى الكتب المدرسية والكتب، وسخرت كثير من رجال الدين النصراني في تنفيذ مأربها، والحقيقة أن المحاولات الصهيونية للسيطرة على توجه الإعلام الأمريكي لم تكن مجرد ظاهرة عفوية أو طبيعية، وإنما كانت مبنية على خطة مدرجة بغية من الدعوة والفكر، إذ أدركت أن أفضل طريقة لنشر دعايتها الباطلة هي السيطرة على وسائل الإعلام ودور الصحف والنشر والتلفزيون، ووجدت في هذه الوسائل أفضل السبل للنفوذ إلى عقول الأمريكيين وغسل أدمغتهم، ومن ثم يُهدي الصهاينة توجيه الشؤون السياسية لخدمة مصالحهم وأهدافهم الرئية، وهي ضمان مساعدة الولايات المتحدة ومساندتها لـ«إسرائيل» سياسياً واقتصادياً وعسكرياً.

وهكذا تنتهج وسائط الإعلام الأمريكي حملة دعائية واسعة بتوجه الصهيونية لإثارة الشعب الأمريكي ضد العرب والمسلمين وقضاياهم، وخاصة القضية الفلسطينية عن طريق سيطرتها على وسائل الإعلام وغيرها من الوسائل، كما تبينها الحقائق الآتية:

1- محطات الإذاعة (المدرسية والمسموعة): تسيطر الصهيونية على أكبر وأشهر ثلاث محطات إذاعية رئيسة في أمريكا والمعروفة باسم محطة (سي بي اس) ومحطة (إن بي سي) ومحطة (آي بي سي) وهذه المحطات لها شبكات تغطي القارة الأمريكية (الولايات المتحدة وكندا) وها مرسلون في جميع أنحاء العالم بما فيه العالم العربي والإسلامي، بالإضافة إلى مرسالها في القارة الأمريكية نفسها.

من البحث الذي قدم إلى مؤتمر الإعلام الإسلامي الأول المنعقد بجاكوتا بعنوان «الحملات الإعلامية ضد الإسلام وطرق النضال لها» من قبل - (أحمد سعد - نيويورك - الولايات المتحدة) ونشرته مجلة «الإرشاد» اليمنية في العدد الثاني والثالث (1401هـ)
وللتقدير مدى سيطرة الصهيونية على هذه الخطط الثلاثة نجد أن إدارتها تتفق
لunanصر يهودية مباشرة.

فمحطة (سي. بي. إس) تحت إدارة اليهودي «ويليام بالي» ومحطة (إي. بي. سي) يديرها يهودي اسمه «لينوارد جونسون» وأما محطة «إن. بي. سي» يقوم على إدارتها اليهودي «الفرد سلفرمان» كما أن الصهيونية سيطرة على أكثر
من (200) محطة إذاعية أخرى محلية في الخمسين ولأمة الأمريكية.

2- دور الصحف (الجرائد والمجلات) الأمريكية: والصهيونية تسطر على أكبر
وأشهر الصحف الأمريكية وهم: نيويورك تايمز، واشنطن بوست، الديلي نيوز،
ونيويورك بوست، كما يسيطر الصحافة على أشهر مجلتين أسبوعيتين وهما مجلتا:
الأيم ونيوزويك. بالإضافة إلى أن هناك نفوذاً يهودياً على أكثر من (1000) ألف
صحيفة و مجلة في جميع الولايات المتحدة، وإن معظم المعلقين والكتاب والمحلرين
والمراسلين إما عناصر يهودية وإما أمريكية من ذوي الأقلام المجروحة في خدمة
الصهيونية. وقد أوجدت الصهيونية أكثر من ألف صحافي ومراسل أمريكيين لخدمة
أهدافها إما لأنهم يهود أو من ذوي الأقلام المجروحة، كما لها آلاف المراسلين في
جميع أنحاء العالم.

3- الكتب المدرسية: وقد أدت الصهيونية عن طريق استخدام المؤلفين ودور
الطباعة والنشر الأمريكية دوراً كبيراً في حشو الكتب المقررة للتدريس في مدارس
أمريكا الابتدائية والثانوية بعلومات خاطئة مسممة لأفكار الشعب والطلاب
الأمريكيين تعمد الضغطة والقلق والطمأنن في الإسلام وبمداده السمحاء وعن
شخصية الرسول ﷺ. وخاصة كتب التاريخ والجغرافية فهي تعطيه كبير ضد
تاريخ العرب والمسلمين وجغرافية العالم العربي الطبيعية، حيث تظهر أن إسرائيل
صاحب الحق في فلسطين التي يطلقون عليها في هذه الكتب المدرسية زوراً اسم أرض الميعاد.

4- الكنيس ورجال الدين «النصراني»: وقد مر ذكر كيف استخدمت الصهيونية الكنيس ورجال الدين خدمة أهدافها وتشويه العالم الإسلامي، والعقيدة الإسلامية.

5- السينما: سيطرة الصهيونية أيضاً على «ستديوهات هوليوود» الكبرى. وأنتجت مئات الأفلام التي تعرض اليهود بصورة جيدة أخاذة، وهي تمثيل في الوقت نفسه بالمواد الدسمة التي تناسب المخططات اليهودية والدعاية للهوليوود (إسرائيل). فشبكات الرائي (التلفاز) تعرض بين فترة وأخرى أفلاماً مثل (المجزرة) و(الخروج) و(الوصايا العشر) و(برج بابل) و(دإد وحويلات) و(شميشون ودليلة) وكلها أفلام قد صنعت خصيصاً للدعاية لليهود وما تمتعي «إسرائيل» وعندما حصل الخلاف بين اليهود والرئيس كارتر على إثر توقيعة للبيان الأمريكي السوفيتي، بدأت شبكات التلفزيون الأمريكية تكرر عرض فيلمي (اغتيال روزفلت) و(اغتيال كندى) وكان اليهود يقولون لكارتر بأن هذا هو مصير كل رئيس أمريكي لا يتبني الأهداف اليهودية.

بالإضافة إلى تركيز اليهودية على الأفلام الجنسية والبوليسية مثل المثل تهدم الأخلاقيات والنظم الأخرى، كما أنها زيفت الأفلام التاريخية بحيث تعظم التاريخ العربي وتحت من قدر تاريخ الأمم الأخرى.

كما أنهم يركزون بمستوى الإعلام على عظمة اليهودي كفرد وليهود كشعب غيتار فلنا يفرون فرصة دون تعداد اختراعاتهم وتكشفهم وأثرهم في

(1) مجلة الأمان - العدد 78 - 20 رمضان 1400 هـ (هل يثير الأمريكيين على التسلط الإعلامي اليهودي).
التاريخ العالمي، فينسبون لأنفسهم أنهم أول من اكتشف أمريكا، وأنهم أول من اكتشف الأدوية الحديثة للعلاج وطورها، وأن كلمة (فيتامين) وضعها يهودي اسمه (اسميرفانك) وأن لقاح الجدري طوره اليهودي (جونس سالك) ... إلخ هذا
غيض من فيض من الدعاية اليهودية في بلد واحد هو الولايات المتحدة الأمريكية،
وهذا التخلف اليهودي في وسائل الإعلام الأمريكية جمل وكالة (نوفوسي) الرسمية
روسية إلى القول: «الصهاينة يسيطرون على سبعين بالمئة من النشرات الدورية
في أمريكا، كما يسيطرون على ثمانين بالمئة من محطات التلفزيون الأمريكية» (17/6
1980).

ولم يكتف اليهود باستغلال وسائل الإعلام الخاصة للدعاة لأهدافهم
وتغريد خلطاتهم، ولكنهم حاولوا منذ القدم استغلال وسائل الدعاية الوطنية
والعسكرية في أمريكا، فوجد المدينين والمحاضرين اليهود يتغزون في معظم
المدارس والجامعات الأمريكية، ومهمتهم الأساسية الدعاية لليهود، كما يندس
اليهود بشكل منظم في كل ناد أو تجمع حزبي أو نسعري لكي يستغلوا وسائله
الإعلامية للدعاة لقضاياهم...

وهكذا استطاعت اليهودية بوسائل إعلامها المتشرة في أمريكا بشكل خاص
والدول الغربية بشكل عام، أن تضلل الشعوب الغربية، حتى أصبحت لا تستطيع
أن تحدد علاقتها مع غيرها من الأمم إلا بالشكل والكيف الذي يريده اليهود،
وحتى أصبحت لا تعرف الكثير عن أوضاعها إلا بما يعرضها به وسائل الإعلام
اليهودية، وحتى أصبحت وسائل الإعلام هذه سياقاً مُسْلَّطَةً على عقول الغربيين
وراقبهم، فلا يستطيع حر أن يعلن رأيه بصراحة أو أن يقول كلمة حق دفاعًا عن

(1) مجلة الأمان - العدد 1400 هـ (هل يثور الأمريكيون على السلط الإعلامي
اليهودي).
وطنه وامته إلا تعرض لخطة شرسة تشنها عليه أجهزة الإعلام اليهودية باسم معاداتها للسامية وكراهية اليهود (1)، حتى أثنا الكتابين أن حرية الرأي في العالم الحر - قد ذجها اليهود على مذبح أطماعهم وأهدافهم بسبب ما فرضوه من إرهاب فكري على شعوب الدول الغربية وحكوماتها بشكل عام وأمريكا بشكل خاص (2).

المثال على ذلك الحملة التي تعرض لها (سيبرواغينو) نائب الرئيس الأمريكي في عهد كارتر عندما صرح لصحيفة (واشنطن ستار): "أنا نصف عدد الذين يمكن أن يدرون وسائل الإعلام الوطنية الأمريكية هم من اليهود، وأنهم مع غيرهم من اليهود المتفائلين خلقوا سياسة توصف بأنها كارثة فيما يخص شؤون الشرق الأوسط "وقد سابق (الاغنيو) أن وقف عام 1969م في مدينة (دي موفيزة) وشد هجوماً عنيفاً على شبكات التلفزيون وعلى بعض المعلقين السياسيين مثلاً إياهم بإدارة الأخبار والأفكار على نحو عنصري ونتائج عملي على إخفاء الحقيقة عن الجمهور... وكان رئيس الجمعية الأمريكية لرؤساء وتحرير المصحفيات آنذاك (نورمان إيزيكس) وهو يهودي - فهاجم تصريحات (اغنيو) واتهمه بالعداء للسامية. (انظر مجلة الأمان - العدد 78-200 رمضان 1400هـ)."

(1) مجلة الأمان - مقال: هل يثور الأمريكيون على التسلط الإعلامي اليهودي - العدد 78 رمضان 1400هـ - بقلم نبهء عبد ربه.
ثانيًا: الدعاء الشيعية: كانت الدعاء الشيعية في الاتحاد السوفيتي، قبل تفككه والقضاء على الحكم الشيعي، تعتبر من وظائف الدولة المهمة. لأنها الأداة التي يذعن بواسطةها الجمهور لسلطة الدولة المتمثلة على الأفراد، بل على عقولهم أيضاً، لهذا كان مفهوم الدعاء في هذه البلاد يتماشى مع مفهوم التربية والتعليم، ومهمتهما واحدة، إذ بواسطةها تغرس تعاليم الشيعة في القلوب والعقول منذ الصغر، وعلى ذلك الكبار، ومنها يطلقون في فكرهم وأدبهم وفهمهم. ومن خلال هذا البحث ستيتضح لنا، إذن الله تعالى، الدور الخطر لهذه الدعاء وما قامت به من زرع للمبادئ الإخلاقية وخاصة في البلاد الإسلامية التي اغتصبتها واعتبرتها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي بعد الحرب العالمية الثانية. بالإضافة إلى البلاد الإسلامية التي اغتصبت في عهد القياصرة. وكذلك الدعاء الموجهة إلى الخارج إلى البلاد الإسلامية وغيرها وما نظري عليه من خداع وتشليل وكذب، الاستمالة القلبية من الإيمان، والعقول المتحرفة، لإسقاطها في مهاوي الهلاك، لتضيف لقمة سائدة للروس وأحلامهم القيصرية القديمة.

(1) نشأة الدعاء الشيعية: أوجد لينين(1) الأساس النظري للدعاء الشيعية قبل قيام الثورة في روسيا عام 1917م بعشرين عاماً، إذ إنه "طالب رجال الدعاء بالتسليح النظري الجيد والعرفة العميقة، لتلاد المادة التي كانوا يتوجهون بها إلى المستمعين، ولم يقتصر على ذلك، بل طالبهم أيضاً أن يدرسوا وياهم كبار المستمعين أنشؤهم، وأن يعرفوا مستوى تطورهم واتجاهاتهم اهتماماتهم وحاجاتهم ومطالبهم المحددة، وفي الوقت نفسه يجب على رجال الدعاء أن يهتموا بعرض المادة.

(1) لينين هو: فالديم بيليش أوليانوف (1870-1924م) قاد الثورة الشيوعية في روسيا عام 1917م.
 بصورة مبسطة خالية من التعقيد دون اللجوء إلى الابتذال، بل أن يطمروا إلى رفع مستوى وعي مستمتعهم\(^1\).

وهكذا عُرف "لينين" كيف يلعب بالشعب الروسي، ويستغل جميع الظروف لصالحه. وقد ساعدته في دعايته الفقر الشديد والبلد الذي كان خليماً على الشعب، كما أنه استفاد من سبطة الناس وجعلهم وقفتهم، فيما ساعدته على نجاح دعايته هو أنه لم يصطدم بعقيدته قوية كانت تحكم في عقلية الرجل الروسي وتفقد حاجزاً دون النظرية الجديدة، لأن جميع العقائد قد تزالتت وانهارت.

وأيضاً دعاية "لينين" وقادة الفئات الجامحة إذا استطاعت قيامها، خاصة إذا عرفنا أن الشعب الروسي قد من القتال في نهاية الحرب العالمية الأولى، وكان تواقياً لإنهاء حالة الحرب والتخلص من أوضاعها الاقتصادية، وكانت كلمة "سلم" أو "أرض" محبيين إلى نفسه، فأثار بها الملايين من الرجال، وقد وجد الشعب في قادة الثورة من منددين له، تبعهم متنازلًا بسهولة عن حرية الشخصية\(^2\).

وبعد الثورة الشيوعية عام 1917م وضعت جميع وسائل الإعلام تحت سيطرة الدولة، واحتركتها، فكانت أول وسيلة إعلام أميتها الدولة هي الصحافة، وأعدمت جميع الصحف المعارضة، ووضع للذ لك نصاً دستورياً هو المادة 14 من دستور 1907م، وترجمة النص ما يلي: «لضمان حرية التعبير عن الرأي، ألغيت الجمهورية الفيدرالية السوفيتية تبعية الصحافة لرأس المال. ووضع تحت تصرف الفلاحين والعمال الوطنيين جميع الوسائل الفنية والمادية اللازمة لتحرير...»

\(^1\) (علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية) في. كوبانوفسكي. ص 9 (ترجمة نزار عيون السود).

\(^2\) الدعابة السياسية والاستعلام. د. مصطفى الحضاري ص 172.
الصحف والنشرات والكتب وسائر المطبوعات الأخرى وضمان ذيوعها في سائر أنحاء البلاد" (1).

(2) أساليب الدعاية الشيوعية: وضع لينين أسلوباً علمياً - بزعمه - للدعاية الشيوعية، يصل في نهايته إلى غايتها الأولى والذي هي نشر الشيوعية بين الناس. وكان من الأساليب الأولى في هذا المجال استخدام الإضرابات في التحريض والدعاية للشيوعية، فبوساطة الإضراب يتعرف الناس على مبادئ الشيوعية. ومن المعروف أن الإضرابات يختلها هتافات، ورفع شعارات معينة، وخطب جامهرية… وقد قال لينين بهذا الخصوص: «لقد طُرِرت الثورة الروسية لأول مرة، ومقيس واسعة، هذه الطرق البروليتارية (3) في التحريض والدعاية وتحرك الجماهير ورص صفوفها وحجبها إلى النضال، وتستخدم البروليتارية الآن هذه الطريقة من جديد ويبد أكثر صلابة» (4).

وبين أحد علماء النفس الماركسيين دور الإضراب في الدعاية الشيوعية بقوله:

«وهكذا استخدم الإضراب كطريقة في التحريض والدعاية، إن قوة الدعاية البلشفية لم تكن في الكلمة المطبوعة والمقوولة المصادقة فحسب، بل وفي نشاط الجماهير المنظم (5).»

والإضراب يبدأ بالإثارة والتهييج، وهذا وضع لينين القاعدة التي تقول: «إن العامل الأساسي للدعاية هو الإثارة والتهييج بين طبقات الشعب» (6).

المراجع السابق ص 186.

(1) البروليتاريا: طبقة العمال أو طبقة الصعالين في التصور الشيوعي.

(2) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية، ص 11 و 12 (نقاً عن المؤلفات الكاملة لينين ج 21 ص 242).

(3) المرجع السابق ص 11 و 12.

(4) الإعلام والدعاية - عبد اللطيف حمزة ص 222.
وإتباع نظامًا للدعاية يقوم على طوائف ثلاث وهي: طائفة المنظمين، وطائفة الدعاء، وطائفة مثير القلق.

فالمثلي: يتطلب تنظيم الاجتماعات والاحتفالات المحلية وتنظيم الدعاية فيهما.

ومثير القلق: أو المعرض - هو الشخص الذي عند نشرة واحدة، أو عدد يسير من الأفكار يتبناها أمام عدد قليل من الناس لكي يثيرهم شيئاً فشيئاً. والداعي:

يتلقى الموضوع الذي يُراد الدعاية له، ويضيف إليه كثيراً من عينه ودبيعة على أكبر عدد من الناس، وهو في ذلك خلاف المعرض أو مثير القلق، في أن المعرض يأخذ فكرة معينة وينقلها إلى شخص معين أو قليل من الأشخاص بقصد الإثارة، كما يفعل مثلًا حلاق القرية أو الحي أو بقال الشارع أو الكوياه، أو كما يحدث من طالب واحد أو عدد قليل من الطلبة يهتفون بهتاف معين يقصد به إثارة البقاين من الطلاب.

وهكذا يتبين لنا من خلال أساليب الدعاية الشيعية، أن العقيدة الشيعية لا تقوم في دعوتها على الإقناع العقلي الموضوعي، وإنما تقوم على التهيج التشنجالي، أو الإثارة العاطفية، والتي يستغل فيها جهل الناس بالشيوعية وما تضمنها مبادئها من قضاء على حرية الإنسان وكرامته وفطرته، وقضاء على كل العلاقات الإنسانية من أسرة وعواطف وأخلاق والتي تعتبرها من رواسب "البروجوازية".

والدعاية الشيعية تردد هذا دون حياء بعد أن تلبسها أثوابًا براقة، مذكية ليبقى الأثاث في طبقات العمال والفلاحين، فتعيد العمال بدكتاتورية البروليتاريا وتعيد الفلاحين بالأرض، واستخلاص لنين من الماركسية نظامًا خلياً للمجتمع الجديد.

---

(1) الإعلام والدعاية - د. عبد اللطيف حزا - ص 222 - 223.
(2) البروجوازية: طبقة التجار وكبر الموظفين في المجتمع أو الطبقة الوسطى في المجتمع.
(3) دكتاتورية البروليتاريا: دكتاتورية طبقة العمال.
الذي تتلاشي فيه الطبقات... ونادت الشيوعية بالتخلص من الأديان، وعبادة المادة والفن بدلاً من عبادة الرحمن، بل جعلوا من لنين معبودًا في الدولة الشيوعية(1).

ولقد طور دعاء الشيوعية، بعد ذلك، السياسة الدعائية وموهها، وأصبح لها سمات خاصة، تعرف بها، في كل المجتمعات، ويتوارثها الشيوعيون، في كل الدول والأمم. وأهم هذه السمات:

1- التكرار الدؤوب لشعارات الشيوعية، تكرارًا يستهدف تكريس هذه الشعارات في الأذهان عن طريق كثرة التكرار والإلحاح والإعادة... ويتضح هذا من طوافان المطبوعات الشيوعية في جل لغات العالم، والتي تطبع بعشرات الملايين من النسخ، تحمل الأفكار نفسها وذات العبارات تحت عناوين متغيرة...

فكتابات لنين وخطب طبعت في كل لغات العالم، ونشرت فيها مئات الطباعات ووزعت منها عشرات الملايين من النسخ. بأسعار رمزية لا تصل إلى عشر ثمن تكلفتها من ورق ومداد فقط.

وهذا مثال واحد عن السمة الأولى من سمات الشيوعية، وهي سمة الإكتار على الآذان، ليلنهار، وبكل اللغات، وأقل الأساطير بشعارات ومفهوم الشيوعية، وعبارات لأبد وأن تردد من قبل البعض، بالمنطق البغائي من كثرة التكرار الذي لا يكل ولا يمل(2).

2- كذلك تتسم الدعابة الشيوعية باستعمال أكبر قدر من البيانات والأرقام غير الصحيحة سواء عن نفسها أو عن خصومها.

(1) راجع بتوسع «الدعوة والاستعلام»، مصطفي الخفناوي - القاهرة ص 172.
(2) الشيوعية والأديان - د. طارق حجي - مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية - ط 3 1980-1400 ص 81-82.
ولا تتوارث الشيوعية عن استعمال أي بيانات أو أرقام بغض النظر عن نسبها من الصحة، بهدف ترجيح المفاهيم الشيوعية وتزيين الواقع في البلدان التي تطبق المذهب الماركسي.

ويعتبر أن نظرة أعداد مجلات واحدة من المجلات الشيوعية والتي توزعها حكومة موسكو في معظم أرجاء العالم، مثل مجلة "الاتحاد السوفيتي" لزيادة كهف يتم خفض صفحتي المجلة بطرق فن الأرقام عن الحياة في "الاتحاد السوفيتي" وكيف أن الحكومة "السوفيتية" التي تسير على النهج الماركسي - توفر لشعوب البلدان السوفيتية أعلى مستوى غذائي وكسائي في العالم، وكيف ينعم فيها بأحسن رعاية صحية وتأمينات اجتماعية، وكيف يطب الأطفال في أحسن وأول مراقبة معينة، وكيف يتمتع المواطنين عندهم بأعلى درجات الراحة والاستقرار والاهانة في العالم المعاصر، وكيف تخلو حياته من الصراع والظلم والاستغلال!!

ويقدر نفسه أن البيانات تحاول أن توضح أن البشر في المجتمعات غير الشيوعية، وخاصة في المجتمعات الصناعية الرأسمالية المتقدمة، إنما يعيشون في جحيم لا يطبق أنهم يعانون في كل أمر وفي كل مجال من مجالات الحياة.

3- والدعاية الشيوعية على استعداد أي وسيلة تزين الشيوعية فكرًا أو تطبيقًا، كما أنها على استعداد في الوقت نفسه - لا استعداد أي وسيلة لتحقيق النظام غير الشيوعية، والهجوم على أشخاص المعارضين للشيوعية من أبرز وسائل الدعاية الشيوعية، فالشيوعية لا تلقي فقط للمهجوم على التيارات الأخرى وإنما تعمد في الوقت نفسه لتشويه صورة أقطاب هذه التيارات تطويرها ك亚马وة بتصويرهم كمجموعة من فاسدي الندم أصحاب الأخلاق المعروفة والليالي السليمة.)

(1) ارجع إلى المرجع السابق ص.84.
ولد ذي النبات في دراسة الشيوعية، هذه الملاحظة عليها
ومنهم الكاتب الإنجليزي «كاريوهنت» الذي قال في مقدمة كتابه ( النظرية
والتطبيق في الشيوعية): إنه بسبب الدعایة الشيوعية المتدفقة كالسیل، والتي هي
أقوى أسلحة الشيوعية، لا يكاد الباحث يعرف من أين يبدأ، وبالرغم على أن الزاعم
يستهلك تفنيده لطوفان الدعایة الشيوعية، فالدعاء الشيوعية تعمل بكل السبل
الشريفة وغير الشريفة، في كل مجال، وتقول كل شيء، وأي شيء يخدم الدعوة
للشيوعية أو الشيوعيين، وفي كل موضوع، حيث يجد الباحث نفسه في مواجهة
خپص من الأقواق والمؤسرين والبيانات، وفي مواجهة سبل جارف من الدعایة يحتاج
لمراكز متخصصة في البحث، لإثبات أن السواد الأعظم من هذه الأقواق والبيانات
والدعایات هو نسج خالص من التلفيق والكذب وابتداع ما ليس حقيقي ولا
بصدق في شيء، حتى لو أوجدت كل دولة جهازا للفحص أن تمشح بهذا العبء، فإن
ما سيخرج من دراسات مخصصة لبيانات الدعایة الشيوعية لن يقرأ من طرف
الذین وجهت إليهم تلك الدعایة، لأن أولئک ينذر بينهم من يقرأ شيئا يهت بصلة
للبحث العلمي العميق، فعقولهم – بالكاد – تتناسب مع تلك الكثبات المبسطة
المخلة بالمنطق والواقع في آن واحد...(1).
وجدير بالذكر، أن الدعایة الشيوعية إذا توجه أساساً للأجيال الناشئة من
الشباب، وخاصة للطلاب منهم - وأجهزة الدعایة الشيوعية تعلم جيداً أنها تتعامل
مع أشخاص يافعين تغلب عليهم العواطف المتاحة يجعلهم تكوينهم النفسی
والعضوي غير المستقر، لذا فإنها تجيد معاهم الإثارة إلى أبعد حد، مستغلة عدم
قدرتهم على تحديد كل قطعة من قطارات هذا الطوفان السیال من البيانات
والآرقام غير السليمة وغير الصادقة في آن واحد.

(1) المرجع السابق ص 84-85.
(3) وسائل الدعاية الشيوعية: تستخدم الشيوعية في دعايتها جميع وسائل الإعلام من صحفا وإذاعة مجانية ومروية وسبيلاً وحتى جهاز التربية والتعليم لم يسلم منها وأصبح جهاز دعاية فرض جرام عن كل وسيلة من هذه الادوات حتى تكتمل رؤيتها للدعاية الشيوعية.

1- الصحافة: قلنا آنفاً أن الشيوعية بعد الثورة في عام 1917م ألغت جميع الصحف إلا الصحف الناطقة باسمها جهازة أنها أُفردت من قبل «البرجوازية» ولم يسمح بعد ذلك لأي إنسان أن يكتب أي كلمة بحرية، «فان من يحاول زعزعة هذا النظام - أي النظام الشيوعي - يعد عدوا للشعب ولن يسمح له بأن يتناول ورقة، ولن تتأمره عتبة المتابعة التي ينشر فيها سمومه، ولن يجد قاعة واحدة أو ركنًا في قاعة أرفع صوته» على حد تعبير صحيفة الباريـدا.

وأعطت الشيوعية أهمية خاصة للصحافة، وجعلتها ركناً مهماً في بناء الدولة. وهذا الأمر تعددت الصحف وتنوعت في شكلها ولغاتها وموضوعاتها في المدن والأقاليم القريبة والبعيدة، ولكنها جميعاً بقيت أدوات دعائية تنتمي بموضوع واحد هو الفكر الماركسي الملد. أما عن نظام الصحافة، فإن صحف موسكو الثلاث الكبرى هي التي تقوم بدور الإخاء والتوجيه للصحافة الإقليمية التي تطبعها طاعة عمومية، والتي تصدر كل واحدة بلغة الإقليم الصادرة فيه.

المرجع السابق ص 187 (نقال عن الباريـدا 22 حزيران (يونيو) 1936م).

1- هذه الصحف هي:
1- الباريـدا (أو المحليـة): لسان حال اللجنة المركزية للحزب الشيوعي وتوزع 9 ملايين نسخة يومياً.
2- الأزفيستيا (أو الأخبار)، لسان حال الحكومة وتوزع 8,5 مليون نسخة يومياً.
2- عصبة الشباب الشيوعي وتوزع 7,5 مليون نسخة يومياً. (ارجع إلى كتاب النظام الإدراة في المجتمعات الاشتراكية - د. جهان رستم ص 10).

في عام 1971 أصدرت الصحف تظهر بـ 58 لغة مستخدمة داخل ما يسمى بالاتحاد السوفيتي و22 لغة أجنبية. (ارجع إلى كتاب: النظام الإدراة في المجتمعات الاشتراكية - جهان)
وحتى نأخذ صورة صحية لأهمية الصحافة في الدعاية الشيوعية، نطلع على آخرين الإحصائيات للصحافة في الإمبراطورية الروسية ومستمتراتها:

- في عام 1974م كان يوجد 239 جريدة يومية و8055 جريدة غير يومية يبلغ إجمالي توزيع الصحف اليومية (000, 139, 131, 81, 71) نسخة والصحف غير اليومية (000, 83, 85, 99) نسخة.

- وفي سنة 1976م كان يوجد (28) جريدة مركزية و (160) جريدة في الجمهوريات (296) جريدة إقليمية و (678) جريدة في المناطق و (116) جريدة في المدن وأكثر من ستة آلاف جريدة في الصناع والأشياء.

- وفي سنة 1980م كانت تظهر في ما يسمى بالاتحاد السوفيتي:

1. 4913 دورية باللغة الروسية.
2. 915 دورية باللغات الأخرى المستخدمة داخل البلاد.
3. و141 دورية تظهر بـ 23 لغة أجنبية.

مع العلم أن ما ينشر في هذه الصحف تحتكر وكالة "تاس" للأنباء، ومحرم على أي صحيفة أن تنشر خبراً محلياً إلا إذا استطع من المصادر الرسمية.

2) الإذاعة: إن الاهتمام بالإذاعة المسروقة بصفتها وسيلة من وسائل الدعاء الشيوعية كان في بداية الثورة في روسيا، وقد استغلت إلى أبعد حد، وعلى أوساط نطاق ويشير عليها لجنة خاصة تتبع بسلسلات كبيرة، وتعمل بإرشاد الحزب الشيوعي وتعاون هذه اللجنة/ 120 مائة وثلاثون لجنة إقليمية، ولدى روسيا في

المراجع السابق ص 10.
عام 1974 (3344) محطة إرسال، تستقبل من قبل (100,000,030,000) جهاز استقبال عند الجمهور (1).

وحتى مثلاً الإذاعة آذا أناة الفرد الروسي والمجتمعات التي تقع تحت سيطرة حكومة موسكو وضع الشيوبيون نظاماً يمكن للجميع الاستماع إلى الإذاعة وذلك بتزويد المصانع بالأجهزة ومكبرات الصوت الموضوعة في كل زاوية في المدن والريف. وبرامج الإذاعة هي الأخبار الرسمية، والخطب والتعليقات السياسية، والمحاضرات والأوامر الشيوعية، ويداع هذا كل بسبيعين لغة...

أما الأنباء الخارجية فإنها لا تذاع إلا إذا يخدم الفكر الشيوعي (2).

وقد بني الشيوعيون في روسيا الدعامة الإذاعية على أساس علمية مدروسة. وهذه الأسس تنطلق من علم النفس الاجتماعي ودراسته للسلوك الفردي والجماعي وكيفية التأثير فيه... وقد بين أحد علماء النفس الشيوعيين (3) مدى أهمية الإذاعة في الدعامة الشيوعية في مقال مطول بعنوان: "التأثير النفسي والاجتماعي للدعاية الإذاعية" مصنفاً التأثير العميق للبث الإذاعي في المجالات الآتية:

- في مجال السلوكيات الفردية والجماعية.
- في مجال الآراء والتصرفات.
- في مجال التعليم والمعرفة.
- في مجال العواطف والانفعالات (4).

بالإضافة إلى محطات الإرسال السلكية أو (راديو أو زيل) ووظيفتها نقل ما تلقاه من الحميات المركزية والإقليمية إلى مكبرات الصوت في المنازل أو أماكن التجمع كالصانع والمزارع وغيرها، ومن ميزة أجهازة الاستقبال لهذه المحطات أنها غير قادرة على استقبال الإذاعات الأجنبية (النظام الإذاعي ص 103).

الدعاية السياسية والاستعلام (ص 12).

وهوب غروفيش، المقال في كتاب: علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ص 134، 137.

المصدر السابق ص 137.
ولا يتأس من عرض بعض الفقرات من هذا المقال لعرفة مدى اهتمام الروس بالإذاعة والدعاية بواسطةها، فهي تستخدم أولاً لبناء الاشتراكية في الداخل: «إنا نستخدمها - أي الإذاعة - من أجل نشر ثقافتنا الاشتراكية في وساط الجماهير الواسعة، وهذا مثال متوضئ على استخدام منجزات القنون من أجل أهداف بناء الاشتراكية».(1)

وي是怎样 تستخدم ثانياً للدعاية للشيوعية وتحريض الشعوب الأخرى على الثورة ضد حكوماتها وارتباطها بالشيوعية الدولية: «ومن أمثلة تأثير البرامج الإذاعية على السلوك الجماعي في المجال السياسي يمكننا ذكر البرامج الإذاعية السوفيتية عن الصراع الطبقي في القرية والتحقيقات الإذاعية المفقولة من الساحة الحمراء(2) والبرامج السياسية والاجتماعية المكرسة لثورة أكتوبر، ومشاركة البث الإذاعي في نشر حركة أنصار السلام وكذلك البرامج المخصصة لتأييد الشعوب التي تناضل في سبيل استقلالها وحريتها».(3)

3- الإذاعة المرئية (التلفزيون) (السينما): وهي الوسيلة الثالثة من وسائل الدعاية في النظام الشيوعي، وهي الثالثة أيضاً من حيث التقويم النوعي والاستخدام الفعلي(4)، إلا أن «التلفزيون يحتل المركز الأول في مجال الدعاية للثقافة» أي الدعاية للعقيدة الشيوعية، وإن كانت هذه الدعاية وبهذه الواسطة - محدودة حالياً بحدود الإمبراطورية الروسية، إلا أن هذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرته،

المصدر السابق ص 141.

(1) "الساحة الحمراء" ميدان في موسكو العاصمة.

(2) المرجع السابق ص 141.

(3) بدأ الإرسال المنتظم في موسكو عام 1948م، حالياً (وقت نشر الكتاب) يوجد(132) استديو تلفزيوني - وعدة أجهزة الإرسال (120) جهازاً حتى عام 1973م، وعدد
عددًا حاليًا لم يتجاوز الإمبراطورية الروسية، إلا أن هذه الدعاية الداخلية أهميتها في الوقت الراهن، لأن الشعب الروسي والشعوب الأخرى الواقعة تحت سيطرته، لم تبق محصورة داخل السنار الحديدي، وأن وسائل الاتصال الأخرى أخذت تتخطى الحدود والقارات، لتصل إليه.. مثل الإذاعة.

وأن الرأي (التلفزيون) وسيلة اتصال مهمة، بل له أهمية خاصة إذا قورن مع وسائل الاتصال الأخرى «وترتب هذه الأهمية (نوعية) الاتصال التلفزيوني و»(بته المباشر) وصورة حيث يتم الاتصال المباشر بين المشاهد والحدث. وهذا عامل نفسي مهم، حيث ينشأ لدى المشاهد انتباع، بأنك يشارك مباشرة في الحدث.

ويمكنه تقديم أهميته دون تعلقات خارجية من المذيع»(1).

وهذه الأهمية للرأي استخدم أكثر من أي وسيلة أخرى في نشر الأفكار الشيوعية، وأن برامج الرأي كلها من أخبار وتمثيلات وأفلام سينمائية صيغت بحيث تقدم الفكر الشيوعية، والأخبار خاصة تعرض بطريقة دعائية بحيث تظهر التأييد للزعماء الشيوعيين، مثل التصنيف لهم في المخالب الدولية، وتتهم كل إشارة معادية لهم، إلا إذا جاءت من دولة غربية، فهذا هذا دليل على المؤامرات التي يجريها الرأسماليون لهم (ومهم يظهرون الغرب باقح صورة في حين يعنون بإبراز الدولة الشيوعية في أبهى صورة، واقتبس حيلة.(2))

- أجهزة الاستقبال 1000, 000, 499، حيثاً في العام نفسه، وقد استخدمت الأقمار الصناعية في نقل برامج التلفزيوني، وبه حوالي (300) محطة أرضية وقد بدأت العمل عام 1974م.

(ارجع إلى كتاب: النظام الإذاعي في المجتمعات الاشتراكية ص 88 و 92 و 113).

(1) علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية ص 172.

ويلحق بالراثي السينما .. التي كانت سابقة زمنياً عليه، إلا أنه أصبح وسيلة أفلامها للدخول إلى كل منزل، بالإضافة إلى نصبه في كل شارع وميدان ومصنع.

وقد أدت السينما في العهد الأول للنظام الشيوعي في روسيا دورأ مهماً بعد أن أمت صناعة السينما وفرضت الرقابة الشديدة عليها. وقد أنشئت وزارة خاصة لشؤون السينما، وهذه الوزارة تربى المشتغلين بالسينما وتغذيهم بالمبادئ الشيوعية، وأنشأت هذا الغرض معهداً للمثليين لتنظر الدعاية الحمراء بصورة أخاذة ومثيرة.

وقد غزت بها سائر البقاع وكانت لها سينما متقلة غزت فيها الأحياء النائية في سيبيريا ومجاهل الغابات.(1)

وقد وضعت روسيا بعد الحرب الثانية برنامج السنوات الخمس، ومن بين ما تضمنته إنشاء 47000 دار جديدة للسينما بالإضافة إلى ما أنشئ من قبل حتى عام 1940 م ما يزيد على 28000 دار للسينما.(2) وكانت موضوعات الأفلام تدور دائماً حول الصراع بين الماضي والحاضر فتشفه الماضي وتشوهه وتمجد الحاضر وتتميّز في المستقبل.

وأما استقرت الأمور للثورة الشيوعية، جنحت روسيا في أواخر أيام « ستالين »، وبناءً على تعليماته، لإبراز مُهد القيصرية وعُزها القديم لأن روسيا تأبى أن تكون إلا مُستعمرة وتحكم بوساها بطرس الأكبر.(3)

٤- التربية والتعليم: عرفنا أن الدعاية تخاطب العواطف لا العقل، وأنها تقوم على الإثارة العاطفية لا العقلية.. ولكن هل يمكننا حقاً الفصل بين مجال المشاعر وجال العقل في نطاق التعليم؟

(1) الدعاء السياسية والاستعلام - الخضاري - ص 191.
(2) الدعاء السياسية والاستعلام الخضاري - ص 192.
(3) حتى عام 1974 م يوجد (147) ألف دار للسينما ثابتة وأكثر من (300) استوديو لإنتاج الأفلام.
(4) ارجع إلى كتاب: النظام الإذاعي في المجتمعات الاشتراكية ص 11.)
فنحن لا نستطيع أن نقصر وسائل التعليم على العقل وحده دون العاطفة، وأن الغاية من التعليم لم تعد مقصورة على تلقي الحقائق، وإنما أصبح له مهمة تربوية تسعى إلى تشكيل شخصية الطالب وفق ما يريده المربي. بل إن التعليم الحقائق نفسها لا يخلو من التأثير على العواطف، كما هو الحال في تدريس التاريخ الذي يمكن أن يثير المشاعر أو التحمس للمذاهب التي تؤمن بها الدولة.

ومن هنا افترضت مفهوم الدعاية في الفكر الماركسي عن مفهومها الغربي، وأن الدعاية عند الماركسيين يمكن أن تقوم على الإثارة العقلية للعاطفة - كما هي عند علماء النفس الاجتماعي الغربي - وأن الأولى أتت بالآتي المقدمة من الثانية - على حد قول المفكرين الماركسيين - وهذا كان التعليم في النظام الشيوعي يوصف بأنه جهاز دعاية من وجهة نظر الغرب (1). واعتبار أن الصغار أكثر استعدادًا للتأثير بالدعاية وقبولها سواء في المدرسة أو في البيت، هذا كان التعليم في النظام الشيوعي مشبعًا بالعقيدة الشيوعية المحددة، ومن أول مراحله، أي من رياض الأطفال بتعليم الأطفال حكم ونظريات القادة الشيوعيين، وفي مادة التاريخ بشكل خاص، يلفظ الأطفال بالصور التي يريدها المربيون هناك من تلميع النثرة على حكم القيصر، وتاريخ ليين وما قام به من الانقلاب الشيوعي... وكلما انتقل الطفل إلى مرحلة أخرى كلما زادت حسبيته من تلك المعلومات بالإضافة إلى ما يلفظها في الشارع والنادي ومن وسائل الدعاية المختلفة إلى أن يصل إلى سن معينة فيصبح عضوًا في الحزب (2).

وقد يتساءل البعض: لماذا نطلق على هذا النوع من التعليم دعاية؟ وهل معنى هذا أن كل أنواع التعليم أنواع من الدعاية؟

(1) ارجع إلى كتاب الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم - ص 107.
(2) الدعاية السياسية والاستعلام - الخضاوي - ص 210.
وفي الحقيقة ليس كل أنواع التعليم دعاية.. ويمكن أن يكون التعليم لوناً من ألوان الدعاية مادم يستخدم طرق الدعاية، كالكلام المكتوب والمنشور، ويحاول استعمال المعاطف بالتكرار المستمر للشعارات البسيطة وغيرها.. ويكون القصد من التعليم ليس تعويذاً لتعليم البحث بأنفسهم، بل أن يكون القصد في إنشاء عقولاً متشابهة مطيعة لما تستمع إليه وما تتعلمه، وباختصار إيجاد أفراد في قوام واحد من الفكر والاتجاه، وهذا ما قصدته «ستالين» حين يقول: «إنا نريد عقولاً متشابهة، فيجب أن نصل إلى هذه العقول مخلد طراز جديد من النشاء، وطرزاً جديد أيضاً من الرأي العام، وذلك عن طريق نشر المبادئ الشيوعية لغاية واحدة هي جعل عقول الناس متشابهة إلى أكبر حد ممكن. ونحن الراهنون من وراء ذلك، ويتكون العقول المتشابهة يصبح أمر الدعاية سهلاً علينا للغاية، أو بعبارة أخرى يكفي أن نقنع عقولاً واحدة بمبادئنا لكي نقنع كل العقول الأخرى بنفس المبادئ».

(4) الدعاية الشيوعية والإسلام: مهما حاولت الدعاية الشيوعية تلميع وجه الشيوعية وتزيينه ب مختلف الأصباغ حتى يخلو للنااظرين. وحتى يخدع به المغفلون، فإن هذا الوهج زالت عنه الأصباغ، وظهر على حقيقة عدوا للآديات جميعاً ولإسلام بشكل خاص. وهذا الموقف ظهر جلياً منذ قيام الثورة الشيوعية عام 1917م، فإن كان بوسائل الدعابة بكل ما أوتيت من خبث وخداع، أو كان بالقضاء على شعائر العبادة ومراكز الثقافة الإسلامية وتحويلها إلى أماكن هو في البلاد الإسلامية التي بسطت نفوذها عليها في آسيا الوسطى، مما يشهد به القاصي والداني والقرب والبعيد ولا يحتاج إلى دليل.

اليوم كشفت الشيوعية عن وجهها الحقيقي أيضاً في عدائها للإسلام والمسلمين في دعمها للهولودية العالمية.. وتمكينها في فلسطين، ومدتها بالعنصر البشري الذي لا غنى عنه للهولود لتنفيذ خططهم في التوسع على حساب ديار الإسلام. حتى وصل
عداؤها للإسلام بالاحتلال العسكري لأفغانستان وما جرى فيه من تقتل وتشريد الآلاف من المسلمين.

وفي هذه الفترة من البحث أين الموقع الرسمي للشيوعية من الإسلام ومن ثم طرق الدعاء الشيوعية ومراحلها في حربها المستمرة ضد الإسلام، في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نفوذها وخارج هذه البلاد.

- الموقع الرسمي للشيوعية من الإسلام: لقد وقف الشيوعيون الروس، منذ البداية، موقعاً عقليًا معاديًا للإسلام، وهم لم يكتمو موقعهم الرسمي، وقد أوضحوا هذا الموقع في هذا المقطع الأخوز من الموسيوعة الرسمية الكبرى المطبوعة عام 1953م حيث تقول: "لقد لعب الإسلام دائماً كما لعب غيره من الأديان دوراً رجعيًا على اعتبار أنه سلاح في أيدي الطبقة المستغلة، وأداة للاضطهاد الروحي للعمال الذين يستعملهم المستعمرون الأجانب لإخصاع شعوب الشرق" (1).

ب- طرق الدعاء الشيوعية ضد الإسلام: استخدم الشيوعيون وسائل متعددة في محاية الإسلام، فقد أولم أعمال العنف والروحية التي ارتكبها السلطات الروسية ما بين عام 1919 و1921م في تركستان وغبها ما آثار المسلمين وقامت حروب طاحنة، وجدت حكومة موسكو أن تبذل سياساتها العدوانية للإسلام، فأصبحت متقلبة ومرونة حذرة بالوقت نفسه، إلا أن موسكو ظلت مصممة على القضاء على الدين الإسلامي، وبدأت باستخدام المسلمين أنفسهم من الذين والوا شيوعية وأصبحوا من مفكريها والداعين إليها، ومن هؤلاء الشيوعيين المسلمين الأوائل "سلطان غاليف" (2)، وقد كان له تأثير كبير على مصير المسلمين في روسيا، وقد سيطر بمساعدة جهاز من الرفاق، سيطرة مطلقة على الحياة السياسية والثقافية على المسلمين في الاتحاد السوفيتي (مرجع سابق) ص 221.

(1) اسمه الكامل: مير سيد سلطان غاليف من بلاد "فولغا الوسطى النثرية".
(2)
ما دعيت بالجمهورية النتية ما بين عام 1920 و1933م واستمر هكذا حتى عام 1928م حيث حلت عليه غضبة الحزب للمرة الأولى (1). ويمكننا تقسيم الدعاية الشيوعية ضد الإسلام وفقاً لطرقها المختلفة إلى مراحل زمنية كما يلي: 1- المرحلة الأولى ما بين عام 1921- 1928م.
2- المرحلة الثانية ما بين عام 1928- 1941م.
3- المرحلة الثالثة ما بين عام 1941 وحتى الوقت الحاضر.
1- المرحلة الأولى: نشر "سلطان غاليف" مقالاً مهماً في مجلة "جيزة" (2) بين فيه طرق الدعاية ضد الإسلام، وذلك باتباع سياسته النفس الطويل للقضاء على الإسلام، ويرسم في المقال الخطوط التوجيهية لهذه السياسة التي ترمي إلى إبعاد المسلمين عن دينهم بمراحل تدريجية لا تثير صداماو مقاومة قد تتخذ شكل حرب وطنية، ويرى سلطان غاليف "إن مكافحة الدين أمر لازم للشيوعيين لأن الإسلام، مثل غيره من الأديان، سيظل عقبة في طريق بناء الاشتراكية، غير أن هذا الكفاح يجب أن يسير برصانة وحكمة، لأن الإسلام وهو آخر الأديان الكبرى، أقرواها وأكثروا عدالة، حتى من "اليسوعية" وأن تعاليمه تدخل في عمق حياة المسلمين الاجتماعية وتحمل عناصر تقدمية من الصعب القضاء عليها" (3).

وقد أسهم بعض الرهبان النصارى، بعد أن ليسوا مسبب الشيوعية، في هذه الحرب الدعائية ضد الإسلام، ولبهم ثياب الشيوعية لابد منه إذا أرادوا أن يبقى هذا الحقد الصلبي ضد الإسلام، وهذا ما قرره زعماء الشيوعية أنفسهم من أن

(1) ارجه إلى كتاب "المسلمون في الاتحاد السوفيتي" ص 179 حيث تفصيل أكثر.
(2) مقال تحت عنوان: "طرق الدعاية ضد الدين في الأوساط الإسلامية" بتاريخ 12/14/1921.
(3) مقال تحت عنوان: "طرق الدعاية ضد الدين في الأوساط الإسلامية" بتاريخ 12/14/1921 (المراجع السابق ص 224).
(4) المراجع السابق ص 224.
فريق من المبشرين «النصارى خلعوا ثوب الكهنوت وانضموا إلى الشيوعية» لغاية
في أنفسهم - لمتابعة العمل الذي بدأوه في ظل الكنيسة الأرثوذكسية في القرن
الثامن عشر. وقد حاولت الدولة الشيوعية إبعاد ظن المسلمين عن نفسها - وهي
تشن حرباً على الإسلام من أنها تفعل ذلك استمراراً للحملة الصليبية هذه إلا أن
صرف المسلمين عن هذا التفكير كان مستحيلًا، وذلك لما لقوى سابقاً من الرهبان
أنفسهم من العداء والقدح، فكيف إذا أضافوا إلى حقهم الصليبي حقاً إلخاديًا
جديداً؟
ورأت بعد ذلك السلطات الشيوعية، بالاتفاق مع سلطان «غلالييف» أنه لابد
ها للقضاء على الإسلام، من اجتناب البدء بالدعاية للإلحاد لأن ذلك ينفر عامة
المسلمين، المسمكون بشدة بدينهم، من الإلحاد(1). وبالمقابل دعا «سلطان غلالييف»
هذا ورفاقه رجال السلطة إلى الحذر الشديد، وأن ي-condوا أعمالهم ضد الدين تقديرًا
دقيقًا يلائم وضع كل فريق من الناس، وقد صنف (غلالييف هذا) الشعوب
الإسلامية في روسيا، من حيث تقبلها للدعاية في كل منطقة، بحسب مستواها الثقافي
وقوته تنظيم علماء الدين فيها. حتى تكون خططهم محكمة في القضاء على الإسلام
فيها(2).
وفعلاً نفذت حكومة موسكو دعوة (غلالييف) في طريقة محايدة الإسلام بادئ
الأمر، ولكن ما إن مضت سنوات حتى هاجمته طريق غير مباشر وذلك بالقضاء
على المؤسسات الإسلامية الرئيسية الثلاث وهي:
1- الأوقاف: التي كانت تضمن القوة الاقتصادية للعلماء.

المراجع السابق ص 224.
المراجع السابق ص 225.
المراجع السابق ص 225.
２- المعايير الشرعية: التي تمنح الإسلام السيطرة على حياة المسلمين الخاصة.

３- التعليم الديني الإسلامي.

وقد شنت هذه الحملات الثلاثة في وقت واحد(1).

المرحلة الثانية: من الدعائية الشيعوية ضد الإسلام ما بين عام 1924 و1928م

بعد أن حققت حكومة موسكو هدفها في مكافحة الإسلام من غير أن تثير أي مقاومة شعبية أصلع في الإمكان تنفيذ المرحلة التالية، وهو إيجاد مجتمع شيعي بعيد كل البعد عن الإسلام، ولقد كان العنف هو وسيلة الشيعية في بداية هذه المرحلة لتنفيذ مآربها. ويبدو بتنفيذ مشروع السنوات الخمس، وحملة جذب الإمام في كل الوسائل التي تملكها الدولة، من وسائل اتصال مختلفة، إعلامية وتعليمية، وقد شنت الحملة في وقت واحد من قبل جميع مؤسسات الدولة. وبدأت الحملة الدعائية بحيث لا تمس جوهر الدين، وتتوجه للعادات والتقاليد فقط.

ومثال ذلك "إن الدعاء (للإتحاد) اختاروا في أذربيجان، أن يكون هدفهم مراسيم الموت، ومراسيم عاشوراء، التي يحتفل بها الشيعة بذكرى مقتل الإمام الحسن في كربلاء. فاختار الشيعة هذه الذكرى وسيلة لحملة شديدة استمرت من سنة 1924-1928 ولكنها لم تأت بشمرة"(2).

ثم شنت الحملة الدعائية على العلماء، واتهمهم الشيعة بإنشاء الاتهامات، وذلك حتى يخطوا من قدرهم في نظر المسلمين، وعندما سقط قدر العالم في نظر المسلم العادي، يكون هذا داعياً إلى عدم اتباعه في فكره وعقيده، وهذا هو هدف الشيعة البعيد، يقول مؤلف كتاب "المسلمون في الاتحاد السوفيتي": "وانتخذ.
الشيوعيون رجال الدين المسلمين (1) هدفًا لحملتهم أيضًا وتعتبرهم بطفيليات المجتمع، وكانت الدعابة الرسمية تسعى في بداية الأمر، إلى الخط من أفراد علماء الدين فقط في نطاق علمهم وتتهمهم بأنهم أثمة غير صالحين ثم تطورت حملة التحقيق، رويدًا رويدًا، وصار علماء الدين يتهمون بعد سنة 1926م بالرشوة والسرقة والإجرام، وآخرون بسوء السيرة وسوء الخلق (2).

المرحلة الثالثة: تمتد بين عام 1941 - 1948. في هذه المرحلة طورت السلطات الشيوعية الحاكمة حملتها الدعائية على الإسلام بعد عام 1948م وانتقلت إلى المواجهة المباشرة ومهاجمة الإسلام في جوهه وصميمه، وبدأت حملة مكثفة وعنيفة بلا موانية ولا هوادة، وكانت هذه الحملة تسير على وتيرة واحدة في جميع المناطق، سواء المخاطبون رقيقي الإسلام مثل البدو أو كانوا من حضر تركستان وجبل داغستان التمسيكين بشدة بعقائدهم، ولوجي علماء الدين والمؤمنون لا كطفليات في جسم المجتمع فقط بل وأعداء الثورة أيضًا، أو أنهم أنشط المثليين للثورة المضادة (3).

واعتبروا بعد سنة 1931م جواسيس لليلان أو الألمان. وفي الوقت نفسه منعت سلطات موسكو فرضين من فرض الإسلام الخمسة وهم الحج وأداء الزكاة، وهاجمت الفرض الثالث وهو الصيام في رمضان وأخيرًا شنت السلطات حملة لإغلاق المساجد، فأغلقت أكثرها وأصبحت بناء على طلب العمال (الشيوعيين) نوادي ودورًا للسينما وغير ذلك ...

(1) المرجع السابق ص 238
(2) المرجع السابق ص 238
(3) المرجع السابق ص 238
وكانت نتيجة هذه الحملة الملحة الحاصلة، أنه لم يبق سنة 1942 م من جميع المساجد والبالغ عددها 26279 مسجدا إلا 1212 مسجدا مفتوحا للعبادة كما قالت الصحفة السوفيتية (سويفيت نيوز) بتاريخ 6 أيار 1942 (1) مع العلم أن هذه المساجد المفتوحة، هي مفتوحة اسماً أي أنها لم تغلب بعد، ولكن لا يستطيع أحد أن يصلي فيها ولا تفتح إلا لزيارة الرجال الرسميين المسلمين الذين يأتون من الخارج ليتخذها الشيوعيون سباً إلى الدعاية (1).

المرحلة الرابعة: الدعاءة الشيوعية ضد الإسلام: بعد الحرب العالمية الثانية وحتى الوقت الحاضر: (2) وهنا تدخل مرحلة مكافحة الإسلام على الصعيد العقدي (الأيديولوجي) وليس على الصعيد الإداري أو العسكري كما في المراحل السابقة.
والدافع لهذا الأسلوب من الدعاءة هو أن الإسلام لم يهزم أبداً في البلاد الإسلامية الواقعة تحت نير الاستعمار الشيوعي، وإن كان ظاهر الأمر استباب الأمر للساحة الشيوعية، وهذا ما صرح به أحد أعضاء اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبكستاني إذ يقول: «إن انتصار الاشتراكية في بلادنا لا يعني قط زوال بقايا الماضي من غير كفاح» (3).
ولمكافحة الإسلام (عقائداً) تستعين السلطات الشيوعية بسلسلتين من الحجج، أولاهما تصلح لمكافحة كل الأديان على السواء، وهي حجج معروفة لا تحتاج إلى بسط وتلخيص بأن الإسلام مثل غيره من الأديان: «أفيون الشعوب» وينطوي على «أيديولوجياً» رجعية ومناهضة للعلم، ويعطي فكرة مضحكة وكاذبة عن

مرجع السابقة، ص 239.
مرجع السابق هامش الترجمة، حفي ص 239.
المقصود بالوقت الحاضر وقت إعداد الرسالة الجامعية عام 1402 هـ (1982 م).
من تقرير نزاروف إلى اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الأوزبيكي - المرجع السابق، ص 274
(نقلًا عن جريدة براند أوفوستكا - طشقند 1952/2/24).
المجتمع، ويطيع المرء بطابع الاستسلام والحنوون ويصرح عن العمل الثوري، وكذلك فإن الإسلام مثل غيره من الأديان سلاح بيد الطبقة المستغلة من الرأسماليين والبرجوازيين.

وتلك الحجج الواهبة والمشتركة في عديد من الكتب الشيوعية، لا تحتاج إلى رد لأنها خالفة لأبسط قواعد الحجج المنطقية، بل خالفة للواقع والتاريخ، وأن الإسلام لم يكن في يوم من الأيام أفعاً للشعوب، بل كان ولا يزال دافعاً للحياة والحركة، فليس أهل الذين اشتهروا بالله ورسوله إذا دعاكم لمَا تخجلتم (البنت، 24).

وأما الحجج الأخرى فهي موجهة خصيصاً للإسلام، وهي تكدر ما يقوله الصليبيون والمستشرقون اليهود. فهي تعرض الإسلام على اعتبار أنه دين بدائي مضحك وخلط عجب من العقائد المسيحية واليهودية والرومية.

وقد وضع أسسه ممثل الإقطاعية التجارية في مكة لكي يبرر دينياً خلاف النهب والسلب التي يقوم بها أرستقراطيو العرب.

والأسلام دين غريب عن فرض على شعب آسيا الوسطى وما وراء القفقاس بالحديد والنار، وظل الإسلام يعمل خلال قرون في خدمة الإمبراطورية العربية والأرمنية والإفغانية والتركية وهو اليوم في خدمة الإمبراطورية الإنجليزية والأمريكية. وكلام كثير غير هذا ما يدفع الإنسان المنتصف إلى التفرز، ويثير السخرية لقائليه، ومن ذلك تاريخ أجدب يوجد بوضوح بطلان هذه العروفة.

المسلمون في الاتحاد السوفيتي - ص 275.


بعنوان "عن الإسلام وحركاته الربيعية" المرجع السابق ص 275.
الاقتراعات الماركسية عن الدين، فالذين لم يكن أبدًا من إبداع الأقوياء الأثرياء لتسكن المظلومين وتخدير الضففاء، وإلهاء الفقراء، فما من بيب إلا وليقى اعتى صفوف المعارضين والعداء من الأغنياء والأقوياء، وما من بيب إلا دعا ما يُوزّح من هؤلاء الأغنياء، لا ما يستطيع ويزدهم، ولقد بنا ذلك في باب "نظرية تارخية"(1)
وتبين لنا موقف القبار، والمترفين من الشعوب المختلفة تجاه الأنبياء على مر التاريخ، وكيف كان موقف قبراء قرشي، وآثرياء مكة، وأغنياء العرب تجاه النبي محمد ﷺ، وما لفقه منهم من صنوف الآلام والمعارضة لأنه ﷺ ما أرسل ليؤديهم ويكرس سلطانهم وسلطان أمومهم - كما يدعو الماركسيون - وإنما أرسل ليعالج مفاسدهم ويجد من سلطانهم، وينصر المذابين والمظلومين في الأرض.
والقرآن الكريم يذكر - في مواضع عديدة - أنه ما من بيب أرسل إلا وكان المترفين والأغنياء والكبراء له أعداء ولدعوته من ألد الخصوم.
قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةَ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مَرْفُوعًا إِنَّمَا أَرْسَلْنَاهُ ﷺ لِيُحْكِمَ بِالْمَسْأَلَةِ وَبِمَا كَفَرُونَ﴾(العنق ۵۵) وقيل تعالى: ﴿وَإِذَا أَرْسَلْنَا نَذِيرًا لِيُسْتَغْلِبَهَا فَقَفَسُوا فِيهِ فَلَاحِقُ عَلَيْهِ الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا ذَٰلِكَ ﷺ﴾(الإسراء ۱۰۶). 
ولم ينس الماركسيون، القرآن الكريم، ولم يتج من حق الشيوعيين فجاجوا أيضاً بهذين، لم يقل به عاقل أو منصف.. والقرآن كلام الله الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وآياته تتعلق بالعدل والمساواة.. فقالوا: "إن القرآن يأمر بالظلم وعدم المساواة، وأنه يمدح خنوع المرأة، وأن التشريع الإسلامي عبارة عن مجموعة من القواعد هي أفعض ما عرف الإنسان من ظلم"(2)

(1) الفصل الثاني من هذا البحث.
(2) من تقرير "باغيروف" المذكور سابقاً - (ارجع إلى المسلمين في الاتحاد السوفيتي - ص ۲۷۵).
ومكافحة الإسلام ونشر الإلحاد عملياً، يقعان على عاتق منظمة تعرف باسم «جمعية نشر المعلومات السياسية» أنشئت بعد الحرب العالمية الثانية، وهي التي تقوم بحملات الدعاية ضد الإسلام، ومركزها الرئيس في «موسكو» وها فروع في سائر الجمهوريات، وتحت تصرف هذه المنظمة كل وسائل الإعلام المختلفة، وحتى يمكن إعطاء صورة واضحة لعمل هذه المنظمة لأبد من إلقاء نظرة على بعض أعمالها، فمثلًا: نجد الفرع القازافي لهذه المنظمة والذي يشرف على نشاط خمسة عشر فرعاً إقليمياً و 209 ماوي وتسعة فرعاً في المدن والقرى وعلى 815 ثمانية وخمس عشرة مكتباً للدعاية .. نظام خلال ثلاث سنوات (1946 - 1948)овалقت المنظمة في أوزبكستان سنة 1951م أكثر من 1,000,000 عشرة آلاف محاضرة ضد الإسلام. وفي سنة 1963م ألقت المنظمة ذاتها في (تركمانستان) أكثر من 5 خمسة آلاف محاضرة ضد الإسلام.

يضاف إلى الجهود العامة جهود خاصة إذ يقصد أفراد المنظمة المحدود منازل المسلمين ويجبون أهلها إلى الاستماع إلى أفواهم ضد الإسلام.

أما في مجال الكتب فقد طبعت المنظمة خلال 1955 - 1967 و 84 أربع وثمانين كتاباً ضد الإسلام في 800,000 نسخة وزعتها في المناطق الإسلامية.

وبعد موت (ستالين) اشتدت الخطة على الإسلام، فقد نشر خلال عام (1962 - 1964م) 219 كتاباً ونشرة ضد الإسلام أو موجهة إلى المسلمين(1) وإن الجهود مازالت كبيرة في مكافحة الإسلام، وما ذكرت هنا على سبيل المثال لا الحصر.

(1) المراجع السابق ص 276.
وعلى الرغم من هذا الإحصاء المذهل، فإن السلطات الشيوعية تعتبر أن الأعمال الجارية في مكافحة الإسلام غير كافية، فبالصحة تشتيت كل يوم من عدم مبالاة الطبقة المثقفة المسلمة بالأعمال المعادية للمسلمين، لا بل نفرتهم من هذه الأعمال، كما أن الصحافة تشتيت من احتقان نوعية الدعاية المتحدة وعدم جدواها، على الرغم من تطوير أسلوب دعائيهم، وانتقاها من مرحلة كفاح الإسلام بشكل عنيف ولاذع إلى ما تسميه السلطات الشيوعية بـ (الكفاح العلمي) و(الكفاح الأيديولوجي).

ويرجع بعض الكتاب عدم جدوى الدعاية الشيوعية إلى أن الكتب الحديثة مكتوبة بأيدي جامعة من (البيروقراطيين) المعرومين من التفكير السليم وهم ما اتفقوا منذ سنوات يعيدون على مسامع القارئ بعض الأفكار الماذفة، فشالاً جهودهم في إدعاء فارغ وإجهاد معاً، وتبث على ملل لا يطاق.

هذا عن الدعاية الشيوعية في البلدان الشيوعية، أما الدعاية الشيوعية في البلدان غير الشيوعية، فنجد أنها منذ قيام الدولة الشيوعية وحتى عام 1955م كان الشيوعيون في البلدان العربية خاصة يردون كالبيغوازات ما يقوله أسادهم في الكرملين «فأخذوا يرفعون نفس الأولوية وينهجون ذات النهج الذي تنهجه الشيوعية الحاكمة، فهاجموا الذين بضراوة ووصفوه بالرجعية والتخلف واتهموه بحbabة الظلم والظلمين والاستغلال والمستغلين، وبأنه محض أداة في يد أولئك وهؤلاء لتقنين الظلم وتبير الاستغلال».

المرجع السابق ص 278.

(1) الشيوعية والأديان - د. طارق حجي ص 36 - 36 جامع الأول 1400هـ - أبريل 1980م
(2) من مطبوعات الاتحاد الدولي للبنوك الإسلامية.)
أو قلنا بعد عام 1950م، فقد بدأ بمرحلة جديدة من الدعاية الشيوعية في البلدان العربية خاصة. وذلك أن الشيوعيين الروس بدأوا أول تعامل جدي مع البلاد العربية بعد صفقة السلاح المصرية «الشيكيولوفاكية» والتي كانت تشيكيولوفاكية واحة للمروس ليس إلا. لقد فتح حاكم مصر وقتذاك أمام الدب الروسي الشيوعي ثورة واسعة لم يحلم بها من قبل، وما أن ولج الدب منها حتى ألفي أمامه عوالم جديدة كانت أبوبها بالأمس القريب موصدة، وهي عوالم زاخرة بالثروات الطبيعية، وشوفت الأعداء من المنتجات العصر المصنعة، وما هي إلا شهر وسنوات معدودة حتى كانت القدمة الروسية قد وصلت لبعق عديدة في إفريقيا وآسيا وأمريكا الوسطى.

وأدرك الشيوعيون الروس أن الوجه الشيوعي القديم لن يقبل، وخاصة وأن هذه الشعوب مازالت تنسك بالدين، وهنا أدركوا أنه لا بد لهم من لباس قناع جديد، غير معاد للدين في ظاهره. وبدأت كتابات الشيوعيين تنشر بغير موقف الشيوعية والشيوعيين من الدين، فالشيوعية مذهب سياسي واقتصادي والدين عقيدة فقط، ولا مجال للمقارنة بينهما!! كما أن الشيوعية أو الاشتراكية لا فرق في الحقيقة، لا تعارض مع الدين الحقيقي! وأن جوفر الدين هو في حقيقة جوفر الاشتراكية! وأن هناك العديد من نقاط الالتفاء بين الدين الحقيقي و بين الاشتراكية.

وبذات الصحف اليسارية العربية تتحدث عن اشتراكية الإمام علي بن أبي طالب وأبي ذر الغفاري، وتُنظَرت إلى الحوادث التاريخية الإسلامية بمنظار ماركسي. والغاية الأخيرة للشيوعية هي تشوه الإسلام - عقيدة - تاريخا - ورجالاً.

المراجع السابق ص 27.
المراجع السابق ص 28.

1) 
2)
بالإضافة إلى الهجوم الشرس على دعاة الإسلام وحملته، واتهامهم جميعاً بالعمالة للغرب، وبالأخيارات للطبيعة المسيطرة، وبالعداوة للإصلاح الاجتماعي الذي تنادي به الاشتراكية - على حد زعمهم - إلغ من تلك العبارات المعروفة والتي دمج الشيوعيون - في كل مكان - على ترويجها .. وكما هي عادة الشيوعيين في تشويه الأفراد والجماعات .. ليخلو هم الجو فيضوا ويفرخوا ..(1).

وثقافة مهمة تفضح حقيقة النيات الشيوعية تجاه الدين(2): - لعلنا نتعرف على حقيقة الموقف الشيوعي - ظاهرة وباطنًا - من الدين - والإسلام بشكل خاص - بطالعة تلك الوثيقة الشيوعية المهمة التي تفضح سرهم وسريرتهم في هذا الصدد.

فمنذ حوالي خمس عشرة سنة أعدت الجهات المعنية في الاتحاد السوفيتي بحارة الدين وثيقة تضمنت توجيهات للشيوعيين في سائر أرجاء العالم التي مازال للدين بها قدميته ونموته وتأثيره على نفوس الشعوب، وبالذات في البقاع الإسلامية. وقد تسرت تلك الوثيقة إلى أيدي غير شيوعية، فتلقتها وترجتها ونشرتها، ومنها مجلة "كلمة الحق" في عددها الصادر في شهر محرم من سنة 1387 هـ "أبريل 1967 م" والوثيقة التي أحيطت بقدر هائل من السرية في الاتحاد السوفيتي، إلا أنها تسربت رغم ذلك، ولا تحتاج لأي تعليق أو شرح فهي تظهر - بنفسها وبوضوح تام - جوانب التكتيكي الشيوعي الراهن في التعامل مع الدين والمؤمنين به في وقتنا هذا، ولاسيما في البقاع الإسلامية والمسيحية (النصرانية) في العالم الثالث(3).

وتقول الوثيقة المهمة - إلى أبعد حدود الأهمية - في مستهلها: "برغم مرور خمسين سنة تقريباً على الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي وبرغم الضربات العنيفة التي

(1) المرجع السابق ص (39، 40، 42، 44)
(2) المرجع السابق ص 43
(3) المرجع السابق ص 49
وجهتها أضخم قوة اشتراكية في العالم إلى الإسلام، فإن الرفاق الذين يراقبون حركة الدين في الاتحاد السوفيتي، صرحوا كما تذكر مجلة «العلم والدين» الروسية في عددها الصادر في أول يناير سنة 1974م بما نصه: (إنا نواجه في الاتحاد السوفيتي تحديات داخلية في المناطق الإسلامية وكأن مبادئ لينين لم تشربها دماء المسلمين).

وبرغم القوى اليقظة التي تحارب الدين فإن الإسلام ما يزال يرسل إشعاعاً وما يزال يتفجر قوة بدليل أن ملايينا من الحيل الجدلي في المناطق الإسلامية يعتنقون الإسلام، ويجاهرون بتعليمه مع أن قادة الشعب وثقة المذهب لا يجيب عنهم خطر بيضة الإسلام في المناطق الإسلامية بالاتحاد السوفيتي إذ ذكرت ( دائرة معارف الثقافة الشيوعية) أن الإسلام أخطر الأديان الرجعية، ويبدل ( أي الإسلام) أقصى جهده ليكون في خدمة المستغلين والإقطاعيين والرأسماليين، ويقدم كل العون للاستغلال. وهو دين جامع حفوق على الحضارة والتقدم، وخصوص عند اللاشترائية، ويناهض الحركات الثورية.

(1) ومن هذا المخطط أن يتخذ الإسلام نفسه أداة لهدم الإسلام نفسه وقد قررتنا ما يلي:

1- مهادنة الإسلام لتم الغلبة عليه، والمهادنة لأجل حتى نضمن أيضاً السيطرة، وجذب الشعوب العربية لللاشترائية.

2- تشويه سمعة رجال الدين والحكام المدنيين واتهامهم بالعملة للاستعمار والصهيونية.

3- تعليم دراسة الاشتراكية في جميع المعاهد والكليات والمدارس في جميع المراحل... ومزاوجة الإسلام ومحاربته حتى لا يصبح قوة تهدد الاشتراكية.

وتقول الوثيقة (1):

(1) أرقام الفقرات هذه حسب وقوعها في الوثيقة الأصلية.
6- الخبلولة دون قيام حركات دينية في البلاد مهما كان شأنها ضعيفاً والعمل الدائم بوضحية نحو أي انعاعات دينية، والضرب بعنف لا رحمة فيه لكل من يدعو إلى الدين ولو أدى إلى الموت.

7- ومع هذا لا يجيب علينا أن للدين دوره الخطير في بناء المجتمعات، ولذا يجب أن ناصره من كل الجهات وفي كل مكان، وإصلاح التهم به ولنغير الناس منه بالأسلاوب الذي لا يتم عن معاادة الإسلام.

8- تشجيع الكتب الملمحدين وإعطائهم الحرية كلها في محاكاة الدين والشعور الدين والضمير الدين والعبقرية الدينية، والتركيز في الأذهان أن الإسلام انهى عصره، وهذا هو الواقع، ولم يبق منه اليوم إلا العبادات الشكلية التي هي الصوم والصلاة والحج وعقود الزواج والطلاق وستخضع هذه العقود للنظام الاشتراكي. أما الصوم والصلاة فلا أثر لها في الحياة الواقعي ولا خطر منهما، أما الحج فتميده بظروف الدولة، ويمكن استخدام الحج في نشر الدعوة الاشتراكية بين الحجاج القادمين من جميع الأقطار الإسلامية والحصول على معلومات دقيقة عن حركات الإسلام تستعد للقضاء عليها.

9- قطع الروابط الدينية بين الشعوب قطعاً تاماً، وإحلال الرابطة الاشتراكية

عمل الرابطة الإسلامية التي هي أكبر خطر على اشتراكتنا العلمية.

10- إن قصم روابط الدين نحو الدين لا يتفاهم بهدم المساجد والكنائس، لأن الدين يكمن في الضمير، والمعابد مظهر من مظاهر الدين الخارجية، والمطلوب هو هدم الضمير الدنيي ولن يصبح صعباً هدم الدين في ضمير المؤمنين به بعد أن نحننا في جعل السيطرة والحكم والسيادة للاشتراكية، ونحننا في تعميم ما يهدم الدين من القصص والمسرحيات والمحاضرات والصحف الأخبار والمؤلفات، والتي تروج للإلحان وتدعو إليه، وتهزا بالدين ورجاله وتدعو للعلم وحده وجعله الإله المسيطر.
الفصل الثالث: أسئلة البراء النفسية

11- مزاحة الوعي الديني بالوعي العلمي، وطرد الوعي الديني بالوعي العلمي.

12- خداع الجماهير بأن يزعم لهم أن المسيح اشتراكي وإمام الاشتراكية فهو فقير ومن أسرة فقيرة، وأتباعه فقراء كادرون، ودعا إلى محاربة الأغنياء، وهكذا يمكننا من استخدام المسيح نفسه لثبت الاشتراكية لدى المسيحيين.

ونقول عن محمد أنه إمام الاشتراكيين فهو فقير وتباهه فقراء وحارب الأغنياء المحترمين والإقطاعين والمرابين والراشدين، وثار عليهم، وعلى هذا النحو يجب أن نصور الأنبياء والرسل، وبعد القداسات الروحية والمحتجزات عنهم بقدر الإمكاني لجعلهم بشراً عاديين حتى يسهل علينا القضاء على الهالة التي أوجدوها لأنفسهم وأوجدوها لهم أتباعهم المهوسون.

13- وفي القرآن والسنة والإجاحة قصص، وثلا نصص枺 شعراء الجماهير الديني وثيرهم على الاشتراكية، يجب أن نفسر تلك القصص الدينية تفسيراً مادياً اشتراكياً، قصة يوسف - على سبيل المثال - يمكن تفسيرها تفسيراً مادياً تاريخياً، وما فيها من جزئيات يمكن أن نفيد منها في تعبئة الشعر العام ضد الرأسماليين والإقطاعيين والنساء الشرفوات والحكام الرجعيين.

14- إخضاع جميع القوى الدينية للنظام الاشتراكي، وتجريد هذه القوى تدريجيًّا من وجدانها... إلخ.

15- إضافة الجماهير بالشعارات الاشتراكية وعدم ترك الفرصة لهم للتفكير، وإشغالهم بالأنشطة الحماسية والوطنية، والأغاني الوطنية، والشؤون العسكرية والتنظيمات الحزبية، والمخاضرات المذهبية، والوعود المستمرة برفع الإنتاج ومستوى المعيشة، وإلقاء مسؤولية التأخر والانهيار الاقتصادي والعنف والCursorPosition على الرجوع والاستعمار والصهيونية والإقطاع ورجال الدين.
16 - تحطيم القيم الدينية والروحية بإظهار ما فيها من خلل وعيوب وتخدير للقوى الناشئة.

17 - الهتف الدائم ليل نهار وصباح مساء بالثورة، وأن الثورة هي المنتقذ الأول والأخير للشعوب من حطامها الرجعيين، واتهام للاشتراكية بأنها هي الجنة الموعد بها جامع الشعوب الكادحة.

18 - نشر الأفكار الإخاذية، بل نشر كل فكرة تضعف الشعر الدينية والعقيدة الدينية وزعزعة الثقة في رجال الدين في كل قطر إسلامي.

19 - لا يعتمد من استخدام الدين لقمع الدين، ولا يعتمد من أداء الزعماء الاشتراكين بعض الفرائض الدينية الجماعية للتضليل والخداع على أنها يطول زمن ذلك، لأن القوى الثورية يجب أن تظهر غير ما بطن إلا بقدر، ويجب أن تتخصر الوقت والطريق لتضرب ضريبتها، فالثورة قبل كل شيء، هدم للقيم والمواريث الدينية جميعاً.

20 - الإعلام بأن الاشتراكين يؤمنون بالدين الصحيح لا بالدين المزيف الذي يعتنقه الناس، لجهلهم، والدين الصحيح هو الاشتراكية، والدين الزائف هو الأفيون الذي يخدر الشعوب لتساق وتسير لخدمة طبقة معينة، وإلصاق كل عيوب الدراويش وخطايا رجال الدين بالدين نفسه، وترويج الإلحاد وإثبات أن الدين خرافاً، والخرافات تكمن في الدين الزائف لا بالدين الصحيح الذي هو الاشتراكية.

21 - تسمية الإسلام الذي تؤديه الاشتراكية لبلوغ مآربها وتحقيق غاياتها بالدين الصحيح والدين الثوري، والدين المتطور، دين المستقبل حتى يتم تجريد الإسلام الذي جاء به محمد من خصائصه ومعالمه، والاستفادة منه بالاسم فقط، لأن العرب إلا القليل مسلمون بطبعتهم، فليكونوا الآن مسلمين اسماً، اشتراكين فعلاً حتى يذوب الإسلام لفظاً كما ذاب معنى.
ونقول الوثيقة:

25- الاهتمام بالإسلام مقصود منه - أولاً - استخدم الإسلام في تحقيق الإسلام - ثانياً - استخدام الإسلام للدخول إلى شعوب العالم الإسلامي. ومع أن القوى الرجعية في العالم العربي والإسلامي قوى يقظة إلا أن الخطة التي اتخذناها ستضعف هذه القوى حتى تجردها من عناصر احتفاظها بقومياتها تنذوب على مر الأيام.

26- وباسم تصحيح المفاهيم الإسلامية وتنقيته من الشوائب، وتحت شعار الإسلام يتم القضاء عليه بأن نستبدل به الاشتراكية.

وتضحى الوثيقة عن أسرار رهبة فتقول: "وفي المحيط العربي كله يعمل أنصارنا بجد، وقد استطاعوا أن ينشوا إلى المناصب الرئاسة في الوزارات والإدارات الحكومية والشركات والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية، ووافقوا حسب تعليماتنا للسيطرة التي وإن كانت فردية إلا أن توفقيهم للوصول إلى تلك المناصب يعد من الأعمال الناجحة، كما أن لقاء الأفراد بعضهم مع بعض يجعل اللقاءات في صورة اللقاء الجمعي. "ولكن كان من المتعذر جداً توفير التحرك الثوري إلا أن التمهد له يتهي في وقت غير بعيد، ومنذ على مر الأيام عدد أنصارنا الذين يتولون المناصب ذات الأثر الفاعل في خلق الجو الصالح للتحرك الثوري وحسب تعليماتنا هم جعلوا من الوزراء والمسؤولين الذين لا يشكون في إخلاصهم للنظام الرجعي الحاكم المعادي للإشتراكية وواجهة يقفن وراءه، ويعلمنا تحت ستارها ما يريدون في أمور وطمانينة مع اليقظة والحذر دون أن تخوم حولهم الشكوك لأنهم يسترون بأولئك المسؤولين.

وأنصارنا مبنون في كل الوزارات وال摤ادات والقطاعات الحكومية والعسكرية والشعبية والرسمية والأهلية، واتسع دائرة نفوذهم التي تزداد اتساعاً ويزداد تغلغلهم على مر الأيام".
كانت تلك بعض كلمات الوثيقة التي تفضح حقيقة آراء الشيوعيين ونياتهم تجاه الإسلام، وهي حقيقة لا تحتاج منا للتدليل عليها، فما من دارس للشيوعية ومتابع لأصولها وسيرتها في مجال التطبيق والنشاط العلمي إلا ويدرك إدراكاً كاملاً تلك الحقيقة بكل أبعادها، ولكن ركون الشيوعيين للأقنعة وأخذهم في السنوات الأخيرة في إعلان غير ما يضمرون، واسترساهما في الكذب والبهتان مع الإعادة والزيادة المعهودة في فنون الدعاية الشيوعية، ما هو إلا خداع من ليس لهم دراية وعمق في معرفة حقيقة الشيوعية (1).

مرجع السابق ص: (٥٦٤-٤٨٤٧،٤٨٤٧،٤٨٤٧)
ثالثاً: الدعاء الغربية:

تمهد: أعني بالدعوة الغربية: الدعاء المنطلقة من وسائل الإعلام الغربية في أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية، والتي مازال شبح الحروب الصليبية يطاردها والخرير على الإسلام والمسلمين أسس بنائها والكذب، والخداع، والتشويه، وترويج الحقائق، ديدنها، مهما لبست من أثرات الحقيقة الموضوعية وغيرها من الأثراء البراقة، والتي تغري السذجة والبسطاء من أنعم المجتمعات الإسلامية.

وما ينبغي معرفته أن الدعاء بفهمها الحديث والعصري من نتائج العقلية الغربية، نظرياً وتطبيقياً، ولكن أتعرض للدعوة وأنواعها والأسس النفسية التي تستند عليها لأن ذلك مر معنا في أول هذا الفصل، ولكن ما أهتم به في هذه الفقرة من البحث هو الأسس الأخلاقية لهذه الدعاء، ودوافعها وموقفها من الإسلام والمجتمع الإسلامي، ومراحلها قبل الحروب الصليبية، وبعدها وثمار هذه الدعاء، وما جنت وحصدت في المجتمعات الغربية، والمجتمعات الإسلامية.

- في المجتمعات الغربية حيث شوهت صورة الإسلام، دين التوحيد والعدالة والحرية، وحولته إلى صورة بغيضة ينفر منها كل إنسان.
- في المجتمعات الإسلامية حيث ربت التلاميذ الأءوي، وما لمدنية بحرية.

فانقلبوا أعداء لديهم ومجتمعهم. ورسل فساد في بلادهم.

(1) أسس الدعاء الغربية: قامت الدعاء الغربية على أسس أهمها:

- أن جميع الوسائل والأساليب الدعائية تعتبر جيدة ومقبولة وصحيحة إذا ما أدت إلى التنفيذ الناجح للمهمة المطلوبة.
- يجب على رجل الدعاء أن يعتمد في عمله، قبل أي شيء آخر، على المعرفة والآراء الباطلة، وأن يستغل بصورة مكثفة الانفعالات البشرية ويتوجه بادئ ذي بدء إلى عواطف الناس لا إلى عقوبتهم.
أما الأساس الأول، فقد مر بناه، حين عرفنا الحرب النفسية، وترقنا إلى الدعاية بصفتها إحدى أسلحة الحرب النفسية في وقت الحرب وفي وقت السلم أيضًا... وأنها تستخدم كل الوسائل الممكنة في سبيل التأثير على سلوك الآخرين، دون النظر إلى قيمتها الأخلاقية أو قبولها من قبل الشرائح السماوية. وهي بهذا تسير على منهج "الغايّة تبر الوسيلة" المقوله الميكانيكية المشهورة.

وأما قضية الصدق في الدعاية الغربية، فنجد في رأي (ليندلي فريزر) وال"الدعاوي الغربي العالمي" إذ يقول: "الدعاية، تقف من الصدق موافقًا محايدًا، فما هي إلا طريقة أو مجموعة من الطرق الفنية التي تهدف إلى تحقيق هدف معين هو حمل الجمهور الذي توجه إليه على تغيير موقفه وسلوكه، وعندنا لا نستطيع القول، كمبدأ مسلم به، أن التزام الصدق يكون أبعد أثراً في تحقيق ذلك الهدف".

أي أن الدعاية لا تلتزم بالصدق إلا إذا كان يحقق أهدافها... ويقول: "إن القائمين بالدعاية قد لا يلتزمون الصدق ماداموا على ثقة من أن الجمهور المعني لا تتوافر له وسائل التحقق مما يقولون".

ويقول أيضًا: "إن القائم بالدعاية قد يستمر في عدم التزام الصدق لو وُجِّه أقواله إلى أشخاص كبار السن يمكنهم الإطلاع على مصادر أخرى للمعلومات، مادام يهدف إلى أمل حيوي عظيزي، وهنا يقال "إن الغايّة تبر الوسيلة".

_____________
(1) هذا الوصف، وصفه به "أمين شاكر"، مقدم كتاب فريزر "الدعاية السياسية وأثرها على مستقبل العالم" ترجمة عبد السلام شحاته، ط. القاهرة - 1960 - منشورات جمعية الوعي القومي.
(2) المرجع السابق ص 116.
(3) المرجع السابق ص 117.
(4) المرجع السابق ص 117.
هذه الأقوال واضحة، لا تحتاج إلى بيان، بل إن الأفعال توضحها أكثر، ذلك أن المجتمعات الأخرى، والإسلامية بشكل خاص، لاقت من وسائل الدعابة الغربية، الويلات، ومازالت تلاحق على يد تلاميذها في تشويه العقائد والثقافات، وستعرض إلى هذا في حينه بإذن الله...

ويمكن الآن أن نخلص إلى القول: إن الدعابة الغربية اتخذت الكذب والخداع، وتحرف الحقائق، ونشر الشائعات الغرضا، وإثارة مشاعر الرعب، والاستغلال وتلبية مختلف أنواع المواد الثقافية والسياسية، المشابهة للموارد الحقيقية، وفكرة الأخبار حيث تخدم مصالحها، بالإضافة إلى أنها تطعم الأخبار بالشائعات في براعة شيطانية، بحيث يصعب التمييز بين العناصر الحقيقية والعناصر المختلفة مادامت جميعها تتضمن في بناء واحد متجانس ومنطقي في ظاهره. (1)

(2) الدعابة الغربية والإسلام: وإن المرء ليسأل: هل موقف الدعابة الغربية من الإسلام يقوم على هذه الأسس نفسها؟.. ونستطيع أن نجيب بقناعة تامة: نعم، بل أكثر من ذلك نقول: إنها قد تتفق موقعاً محايداً تجاه العقائد الأخرى، أما إذا ذكر الإسلام، تبدل موقف تماماً! وأصبح موقف كره عميق الجذور، يقوم في الأكثر، على صور من التعصب الشديد. (2)

وهذا الموقف نجده عند أكثر المستشرقين خاصة، وعند رجال الإعلام وحتى عند الفرد الغربي العادي، الذي سُميت أفكاره من قبل هؤلاء...

ويسأل المرء أيضاً: لماذا هذا الموقف من الإسلام؟ نجيب "محمد أسد" على هذا السؤال، وهو الغربي الأصل، والعارف المطلع على حقيقة موقفهم بقوله: "إن

(1) "الإعلام والاتصال بالجماعه" إبراهيم إمام ص 276.
(2) ارجع إلى: الإسلام على مفترق الطرق - محمد أسد - دار العلم للعلمان، بيروت - ط 91976 (ص 3).
الحروب الصليبية هي التي عُيِّنت في المقام الأول والقائم الأهم موقف أوروبية من الإسلام لبضعة قرون تنلو» ويبين في تحليل عميق، كيف تكوّن هذا الموقف في عقل الأوروبي وعاطفته: «لقد كانت الحروب الصليبية في ذلك حاسمة لأنها حُدثت في أثناء طفولة أوروبا، في العهد الذي كانت فيه الخصائص الثقافية الخاصة قد أخذت تعرّض نفسها، وكانت لا تزال في طور تشكيلها، والشعوب كالأفراد، إذا اعتبرنا أن المؤثرات الصينية التي تحدث في أوائل الطفولة تظل مستمرة ظاهراً أو باطناً مدى الحياة التالية، وتظل تلك المؤثرات محفورة عميقاً، حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية في الدور التأخر من الحياة - والمتنم بالتفكير، أكثر من أسئمته بالعاطفة - أن تمحوها إلا بصعوبة، ثم يندبر أن تزول آثارها تماماً... وهكذا كان شأن الحروب الصليبية، فإنها أحدثت أثراً من أعمق الآثار وأبقاها في نفسية الشعب الأوروبي».(1)

(3) مراحل الدعاية الغربية ضد الإسلام: يمكننا تقسيم الدعاية الغربية ضد الإسلام إلى ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: قبل الحروب الصليبية: وذلك للتهيئة لها.

المرحلة الثانية: بعد الحروب الصليبية: واختلت شكلين:

أ- الاستشراق. ب- التبشير.

المرحلة الثالثة: في الوقت الحاضر، أصولها ووسائلها.

المرحلة الأولى: الدعاية الغربية ضد الإسلام قبل الحروب الصليبية: امتدت هذه المرحلة إلى ما يقارب مائة عام قبل الحروب الصليبية بشكل فعلي (1)، والذي تولى كبر هذه

المراجع السابق ص 55 و56.

(1) أول من دعا إلى الحروب الصليبية هو البابا سلفستر الثاني سنة 1002م (في رواية صاحب كتاب «حاضر العالم الإسلامي» وسنة 1999م، في رواية أحمد رضا بك صاحب كتاب الحديقة».)
الدعاية البابوات والرهبان، والكتاب والملوك والرحالة(1) والتجار، وزوار بيت المقدس وغيرهم «وقد انتشرت الدعاية وذلك بإثارة البغض والمخاوف من الأعداء، والتحسس للدين»(2).

وإن زوار بيت المقدس (المقدسة)(3) والتجار والرحالة، كانت دعايتهم ضد الإسلام تأتي بشكل غير مباشر، وذلك خلال ما يثيرونه من رموز، وتجديدا وكان ما يصفونه عن بلاد الإسلام بين الرعب في قلوب النصارى في أوروبا.

فقد كان الروهبان عند أوبتهم لدورهم بعد تأدية فريضة الزيارة للبيت المقدس ينقلون لأبناء جنسهم ما اطلعوا عليه في الشرق الإسلامي، فكان أول شعور يلمع ذاك بآبائهم القديسين هو الاستغراب الذي يتولاهم حين يعلمون سرعة انتشار الدين الإسلامي، ويزيدهم رعباً واستغراباً أن تلك الأمصار القاسية عنهم والحيطة بلاد القدس مهد الدين المسيحي يسكنها العرب (أي الكافرون برأيهم)(4).

---


(2) من كتاب النصارى ومفكريهم الذين حرضوا على الحروب الصليبية: سانشوا وماريوتو، بين دبوا، جيليمون دي نوجاري، رونديل لول براک.

(3) وفي كتاب تاريخ البابوات تأليف السيد فرانكل هابورد بيان كيف ألب البابوات ملوك أوروبا للحرب المسلمين وكيف حاولوا أنفسهم قيادة هذه الحروب الصليبية.


(5) الدعاء السياسية - ناندي فريزر ص 20.

(6) انظر كتاب "الخيبة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق" ص 54.

(7) المصدر السابق ص 555.
وهم يتصرفون أن الخطر الحقيقي في نظرهم مقره الشرق، ويتخيلونه في صورة
زحف المسلمين عليهم. فقد كان ما ينقله القادسة من الروايات منها لمنازع
الكنيسة التي كانت موجهة حقتها وعنايةها على مسلمي الشرق.

و"ما كان يدفع النصارى في توجه أنظارهم نحو الشرق وجود ترات ثمين ذي
شهرة دينية عظيمة خلفه الحواريون ويقي محفوظاً بمدينة أوشليم، هناك يوجد قبر
المسيح، حسب اعتقادهم، وكيف لا يعتريهم أشد الحنق والاغتياظ حين تحدثهم
أنفسهم بالعار الذي يلحقهم من استبقاء ذلك القبر المقدس في قضية الذين
يعتبرونهم كافرين؟ هذا من موجبات تحدثهم بالشرق، ورد أن اليونان كانوا
يوجرون نار الغضب ويبيعون كل أنواع الأكاذيب لاستنهاض العالم المسيحي ودفعه
إلى الإجهاض على التراك" (1).

ثم بعد ذلك بدأت الحملة الدعائية المبكرة ضد الإسلام بوساطةبابوات
والرهبان، بعد أن كشف البابا سلفستر الثاني عن آرائه عام 999م في الحرب
الصليبية التي يجب أن تشن على المسلمين في الشرق. ولم يهم بهذه الآراء عظماء
الكنيسة والملوك حينئذ. (2).

إلا أن الأحقاد ضد المسلمين في الشرق، بقيت كامنة في قلوب نصارى الغرب
حتى جاء البابا «أوربان الثاني» الذي التقى مع «بطرس الناسك» (3) عند عودته

المصدر السابق ص 14. والترك يعرف الأوروبيين هم المسلمون. لأن الأتراك المسلمين هم الذين
طرقوا أبواب أوروبا عدة مرات بعد فتحه في القسطنطينية...

المصدر السابق ص 15.

(1) بطرس الناسك أو (الراهب): أحد قُدماء الجنود اعتنق الرهبانية على أثر ما أصابه من المكاره
الزوجية. قال في حق المؤرخ الفرنسي ميشلي أنه كان يلقب (بكوكو الراهب).

(2) وقد أُلِصِحت كلمة (كوكو) التي تشبه من حيث النطق كلمة أخرى لا يلبق التلفظ بها صراحة
لأنها تطلق على من كانت زوجهه تذده من حيث تمكن غيرُه من نفسها.
من زيارة بيت المقدس، وفي عام 1095م عقد هذا البابًا مجلسًا حضره جميع أساقفة العالم النصارى الذي قرر الدعوة إلى الحرب القديسة وتشكيل إرسالية محاولة تقليص بيت المقدس.(1)

وقد خطب البابا خطة، حماسية، أمام جمع كبير من النصارى، أثار فيها النفوس، وأيقظ الأحقاد، وحرص لقتل المسلمين (أعداء الله ملأه)، ووعدهم بالجنة، وما قاله في هذه الخطبة الدعائية المؤثرة: "اذنوا وقاتلوا أعداء الله بالعمر المسيحيين، إن أعداءهم لم يزالوا من عهد بعيد ناصبين سرادقات نفوذهم على سوريا وأرمينيا، بل ارتكبو ما هو أدهى من ذلك وآمر إذ إنهم اختلصوا قبر المسيح ذلك المعهد العجيب لإيماننا".(2)

وقد قرر الخطاب بهتاف كانت مظاهره البكاء والزفير، فقام الحاضرون بأسرهم وخرجوا سجداً على قدمي الخطيب. وبهذا التمثيلية المؤثرة بدأت الحملة الدعائية بقيادة البابا والرهبان ومنهم «بطرس الناسك» الذي أخذ يجوب البلاد الأوروبية ويخبر الناس على حرب المسلمين، وطردهم من البلاد التي وعدهم بها الرب».(3)

ومنذ ذلك التاريخ بدأ زوار بيت المقدس يقصون القصص الكاذبة عن المسلمين في الشرق، حتى يهيجوا النفوس، وتمكن منها ملامح الانتقام.

ووجد دعاة الحرب الصليبية أن لا وسيلة لإثارة لرواح التعصب النصراني أنتج من ذكر القساوسة التي يقاسيها زوار بيت المقدس من قبل المسلمين، ولذلك

المراجع السابق ص: 60-66.
(1) أرجع إلى المصدر السابق ص 66-67 للإطلاع على بقية الخطبة.
(2) قال ميلاني في تاريخه نقلًا عن الراهب فلووري: "من التغري والتفصيل بل من الحب يعاني الألفاظ أن ندعو بلاد فلسطين إثناً للدول أو أنها هي الأرض التي وعد بها أمه، فإنه لا يوجد في كتب الدين ما يشير بأن الله أمر المسيحيين بشتيد المدينة المقدسة". المراجع السابق ص 72.
تراى الرواة لا يقلون إلا أن النصارى تحت الشتائم والمعاملات الجافية، وقد نقلت هذه القصص من قرن إلى قرن، وكل ناقل يلبس ما استطاع من الضخامة حتى أصبحت خرافة تحكي أساطير الأولين (1).

واستغل «بطرس الناسك» هذه الأساطير، وأخذ ينقل من مكان إلى آخر في أوروبا، فكان يبرد ويرير في خطبه التي كانت تلهب حاسة وثارة على المسلمين، فتثير أحقادهم، وتوقع نار العداء الكامن في نفوسهم، بالإضافة إلى أن الكنيسة ضمنت للمقاتلين لتخيض ضريح المسيح حفظ أمواتهم وعفرين ذنوبهم والسعادة الأبدية في الآخرة (2).

وهكذا استجاب نصارى أوروبا لدعوة البابا وبطرس الناسك، ويؤكد المؤرخون الأوروبيون أن دوافع القتال متعددة وختلفة ولكنها أبعد ما تكون عن الدين والأخلاق (3). قال الراهب انتكيل في تاريخه: «قليل من الصليبيين كانت لهم غايات دينية حقيقية» (4).

(1) وقد رد على دعوة الصليبية مسيويلافيس في تاريخه قائلاً: «ففضل ما يبدو على العرب من عواطف التسامح كان المسيحيون القاطمون بأورشليم في راحة وتحنة بالنسبة لغيرهم، وهناك عدة كتابات تشهد أن كانهم مستشفاتهم كانت زاهرة بانعة وتصرف أربابها في ثروات طائلة، فلا سبيل والخالدة هذين للتصديق بصحة ما تحاول الكنيسة إيهامنا إيا من أن الزوار من المسيحيين يعاملون هناك بالجفاء» المرجع السابق ص: 74.

(2) المرجع السابق ص 76.

(3) كتب الراهب فلوري ميناً اللعنتين المقاتلة في الحروب الصليبية يقول: «إن حرب الصليب انتهى غريناً الدماء ترصة للتخلص من دولتهم، والأشياء للتخلص ما قضت به عليهم جرائمهم من العقاب، والرهبان الجائعون لمغوا حالهم والانحراف عن دورهم، والنساء التائهات للاستمرار بأكبر حرية على التهتك والخدعة، ومن هنا تصور المرة ما كان عليه الصليبيون من اضطراب الحال وارتفاع حبل الأخلاق». المرجع السابق ص 77.

(4) المرجع السابق ص 77.
وجعلًا كان فقأوا الدّمّة كالمثل، والفجأ ولفصوص، والنهبة - وهم الذين
وجه لهم البابا (أوربان الثاني) خطابه: يصرحون بأنهم يريدون من المغروت في
سلك الصليبيين غسل جراماتهم في دماء المسلمين، فما يرثى له - حسبما لاحظه
فولر - أن يشاهد الإنسان أخيب أعضاد الشيطان يقرون ماجاهدين في سبيل
الله»(1).

ومن هنا لا تري أن نؤرخ للحروب الصليبية، ما جئت على العالم الإسلامي،
بل على العالم كله من ويلات، وما رافقها من وحشية لا توصف من شناعتها(2).

المراجع السابق: ص 78.

(1) لم يرو التاريخ أن قومًا بلغوا من الوحشة ما بلغه الصليبيون الذين ليسوا ثواب العقيدة، ورفعوا
الصليب شعراً لهم فقص روت (آن كونين) أبنة إمبراطور القسطنطينية المسيحي: (أن الذين
ملاهيهم - أي الصليبيين - أن قتلينا جميع الأطفال المسلمين الذين يصادفونهم وصلونهم نارًا
ثم باكلوا لحومهم)» هذه الرواية إبداع المؤرخ الإنكليزي (ميلس) أيضاً قائلاً: إن الصليبيين
بكلون لحم البشر، في بلدة إيطابية ذبح (بهموند) أحد قواد الجيش زمرة من أسرى الأتراك،
وشواههم أمام الناس، ثم دعاء الحاضرين صائحاً بوجه إقناع الجروج من الموجود،» إن سيرة
بهموند المتوحشة وهو حفيد ملك فرنسا (فيليب الأول) تبنى عن درجة التوهش التي كان عليها
من هم دونه منزلة من حيث التربة والأخلاق. وهم المواد الأعظم، وأبد هذا أيضاً المؤرخ
الفرنسيان لافيس ولوشان.

(2) وقد كتب أحد شهود العيان وهو (روبير لوموان): «أن راجنا كانوا يجرون الشوارع ويجهوز
على الأفكار والشعور» ولذلك في مدينة إيطابية التي تمكن الصليبيون من فتحها بمساعدة أحد
الأورم المكلفين فيها وقتلوا عشرة آلاف تركي وأحرقوا المساجد، ثم أجهزوا على البقية من أهل
المدينة في اليوم الثاني.

ارجع إلى المرجع السابق ص 79، وما بعدها للإطلاع أكثر على وحشية الصليبيين...
المرحلة الثانية - الدعابة الغربية بعد الحروب الصليبية: بعد أن حُررت أرض الإسلام من جنس الصليبيين، وظَهرت من أدرائها على يد نور الدين الشهيد محمود بن زنكي، ثم على يد صلاح الدين الأيوبي. أيقنت الغرب بعدها أنه لن يستطيع غلبة المسلمين، مماهم ضعفوا حتى ينال أولاً من عقيدتهم وفكرهم.

وقد ظهرت أخيراً وثيقة خطيرة تلبق الضوء على تحول الصليبيين من الغزو العسكري إلى الغزو الفكري، وهذه الوثيقة تتضمن وصية (القديس) لويس التاسع ملك فرنسا (1214-1270م) وقائد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة التي انتهت بالفشل والهزيمة، ووقوعه في أسر المصريين في مدينة المنصورة عام 1250م، وقد بذل الملك لويس التاسع هذا فداء عظيمًا للخلاص من الأسر، وبعد أن عاد إلى فرنسا أيقن أن لا سبيل إلى النصر والتغلب على المسلمين عن طريق القوة الحربية، لأن تدينهم بالإسلام يدفعهم للمقاومة والجهاد. وبدل النفس في سبيل الله حماية ديار الإسلام. وهو لابد من سبيل آخر، وهو تحويل التفكير الإسلامي، وترويض المسلمين عن طريق الغزو الفكري، بأن يقوم العلماء الأوروبيون بدراسة الحضارة الإسلامية لأخذوا منها السلاح الذي يغزو به (الفكر) الإسلامي...

وهكذا تحولت المعركة من ميدان السلاح إلى معركة في ميدان العقيدة والفكر بهدف تزويج عقيدة المسلمين الراسخة التي تحمل طابع الجهاد وتدفع المؤمنين إلى الاستشهاد (1). وهكذا أنتجت الحروب الصليبية ما يدعي بالاستشراق والتبشير، الذي كان طابع وسيلة الدعابة الكاذبة، المطلقة من الروح العدائية التي توارثها الغرب من الصليبية.

ويسأل المرء هل كان عمل المستشرقين والمبشرين لونا من ألوان الدعاء؟

(1) الإسلام في وجه التغريب - أنور الجندي - ص 87.
وجواب هذا السؤال سيبدو جلياً من خلال تفصيلنا لما قام به كل منهما مما عدَّ غزواً فكرياً وعقدياً وخلاقياً، مازلنا نكتوي بنار هذا الغزو في ديار الإسلام.

- المبشر: أما ما يتعلق بالمبشرين، فإن الدعوة التي قام بها البشريون التابعون للكنيسة الكاثوليكية في القرن الثاني على حركة الإصلاح أطلق عليها "دعاية لنشر الدين". ونستطيع أن نقول بأن الكلمة استخدمت لأول مرة بحناها الحديث في تلك المناسبة.

وقد وصف "لندلي فريزر" دعوة المبشرين بأنها دعاية قائلًا: "ووجدت المسيحية لوناً جديداً من الدعوة، فقد نمت هذه الجهود جزءاً وأتباعها للعمل على نشرها في أرجاء الأرض وكان ذلك نهجاً جديداً في الدعوة الدينية وفي الدعابة على حد سواء.

وكلمة الروح الصليبية هي المحرك للمبشر للعمل على نشر النصرانية، لتنظر إلى أحدهم وهو يقول مثلاً عن هذه الروح: "ويأتي البشر تحت علم الصليب يحلم بالماضي، وينظر إلى المستقبل وهو يتجلى إلى الريح التي تصرف من بعيد، من شواطئ رومية ومن شواطئ فرنسية، وليس من أحد يستطيع أن يمنع تلك الريح من أن تعبد على أذهاننا قوها بالأمس وصرخة أسلافنا (الصليبيين) من قبل: إن الله يريدها.

وهناك أهداف سياسية أخرى، يحاول المبشرون إخافةها، ولكن الحقيقة لا تثبت أن تظهر في فلئت الستهم.

(1) الدعابة السياسية - لندلي فريزر - ص 14.
(2) المرجع نفسه ص 19.
(3) " حينما جاء الصليبيون إلى الشرق كانوا يرددون صرخة واحدة: (إن الله يريدها) أي أن الله هو الذي أراد الحرب الصليبية".
- ارجع إلى كتاب التجسير والاستعمار - ص 38.
يقول القس سيمون: "إن الوحدة الإسلامية تجمع آمال الشعوب السمر (كذا)
وتدعهم على التملص من السيطرة الأوروبية، ولذلك كان التبشير عاملاً مهما
في كسر شوكة هذه الحركة. ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيون في نور
جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز الذين
هما فيها: إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلاً ضد الاستعمار الأوروبي، ثم استطاع
المبشرون أن يظهروا الأوروبيين في غير مظهر المستعمر، فإن الوحدة الإسلامية حينئذ
تفقد حجة من حججها وسبيلاً من أسباب وجودها، من أجل ذلك قالوا يجب أن
تحول بالتبشير مجري التفكير في الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن
تغلغل في المسلمين".

و هذا يظهر خطر الوحدة الإسلامية على الغرب، وأن القوة التي تكمن في
الإسلام هي التي تخفف أوروبا.

وهكذا كان التبشير هو طريق الاستعمار واستعباد الشعوب.. وما لزوم فيه
أن الباعت الحقيقي والأول في رأي القائمين على التبشير إنها هو القضاء على
الأديان غير النصرانية تواصلًا إلى استعباد أتباعها، وما بدأ هم أن الإسلام أشد
الأديان مراساة لذل ذلك نراه يتمكن أن ينصروا المسلمين كلهم. والقصور الأول
بالجهود التبشيرية هم المسلمون.

ويعرف المشروون بأن التبشير الرسمي واكتساب المسلمين إلى صفوف
النصرانية قد خاب. من أجل ذلك فنع هؤلاء المشروون أن يكون عملهم قاصراً
على زعزعة عقيدة المسلمين على الأقل.

---

(1) التبشير والاستعمار، ص 37.
(2) المراجع السابق ص 45.
الفصل الثالث: أساطير العولمة النفسية

الفرضات المبشرين: لن نرد حتى على افتراضات المبشرين وسخافاتهم التي تملأوا الكتب بها، طعنةً في الإسلام ونبي الإسلام... والتي هي على لسان كل غربي... حتى بلغت الأماكن... وحتى أصبحت كلمة «مسلم» تثير الغضب الذي يغمر الشعراء الشعبي في أوروبا، والمتشدد منهم وغير المتشدد أيضاً.. إذ جاء وقت أحد الشعراء الذين يكتب في أوروبا ولكن العداء للإسلام استمر. ومن أبرز الحقائق الدالة على ذلك أن الفيلسوف والشاعر الفرنسي فولتر، وهو من ألد أعداء النصرانية وكتبيته في القرن الثامن عشر، كان في الوقت نفسه مبباً مغالياً للإسلام ولرسول الإسلام.

فلننا لن نرد على افتراضات المبشرين، لأن هذا مجال كتب أخرى، ولكننا نقدم بعض النماذج لأكاذيبهم السخيفة، والمضحكة أحياناً، «والذي لا يحظى في مثل ما كتبه المبشرون من الكتب أنهم لا يجمعون عن الاستهزاء والتهكم على كل مظهر من ظاهر الإسلام ثم هم ينكشون عن جهل فاضح (هندي) صدراً على بعضه في الصفحات الآتية.

ومن أشد أعداء المسلمين رجل أرمني اسمه لطفي ليفونيان ألف بضعة كتب للنيل من الإسلام. ومع أن العلم قليل في كتبه، فإنه خص هذه الكتب باستعراض أركان الإسلام والتهكم عليها، وبلغ بلطفي ليفونيان الجهل إلى أن يقول: إن المسلمين جهلة لأنهم يعتقدون التنبؤ به تعالى. ومن الأمور التي تستحق التفكك بها قول مبشرا اسمه (نلسنش) يزعم فيه أن الإسلام مقلد، وأن أحسن ما فيه ما أخذ من النصرانية، وسائر ما فيه أخذ من

المراجع السابق ص 60.
التثبيت والاستعمار ص 9.
الإسلام على مفترق الطرق - ص 59.
الوثنية كما هو أو مع شيء من التبديل. ويلغ التدجيل ذروته بمبهر آخر اسمه (المتحرم جون تاكي) لأنه يقول عن المسلمين: يجب أن نستخدم كتابهم (أي القرآن الكريم)، وهو أضخم سلاح في الإسلام، ضد الإسلام نفسه لنقضي عليه تماماً، يجب أن نربي هؤلاء الناس أن الصحيح في القرآن ليس جديداً، وأن الجديد ليس صحيحًا.

وأظهر هذه الافتراءات أن الإسلام قام بالسيف، وأن تاريخ الإسلام كان سلسلة مخيفة من سفك الدماء والحروب والمذاهب، وكانهم نسوا وحشية الصليبيين، وأما البشرون الذين يتعرضون لشخص الرسول (ع) بالافتراءات فهم كثيرون جداً، بل كل البشرين، فقد قال ف. ج. هاربر: إن محمدًا كان في الحقيقة عابد أصنام، ذلك أن إدراكه لله في الواقع «كارليكتور»، وسماء بعضهم «ذئاب مكة» ومنهم من زعم أن محمدًا لم يستطع فهم النصرانية، ولذلك لم يكن في خياله منها إلا صورة مشوهة بعي عليها دينه الذي جاء به إلى العرب.

وسائل الدعابة البشرية: إن وسائل الدعابة البشرية تشبه وسائل أي دعابة أخرى، فقد استخدم البشرة، الصحف والجلالات والكتب، ووسائل الإعلام الأخرى مثل الإذاعة، والرادي (التلفزيون) وغيرها من الوسائل المتجددة... ويعتمدون أيضاً على الاتصال الشخصي، الذي هو يؤثر أكثر في سلوكي الآخرين.

(1) المرجع السابق نفسه ص 40.
(2) المرجع السابق نفسه ص 42.
(3) وارجع إلى نفس المرجع للإطلاع أكثر على افتراءات البشر، التي ملاحظها بها الكتب والجلالات.
(4) ومن هذه الافتراءات كنزة الرأي العام الغربي صورته عن الشرق الإسلامي.
(5) مثل إذاعة صوت الإنجيل التي تسمع في جميع دول الخليج.
إلا أن هناك وسائل للدعاية أعمق أثراً، وأبعد مدى، في التأثير على سلوك الآخرين، تستطيع أن تطلق عليها الدعاية بالأعمال الرمزية، ومنها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

1- التطبيق واستغلال آلام البشر: سحر المشروون الطب في سبيل غاياتهم، وحسبك دليلاً على ذلك قولهم: "حيث تجد بشراً تجد آلاماً، وحيث تكون الالام تكون الحاجة إلى الطبيب، وحيث تكون الحاجة إلى الطبيب فهناك فرصة مناسبة للتبشير، وهكذا اتخاذ المشروون الطب ستاراً يقتربون تحته من المرضى".

ويقول الطبيب بول هاريسون في كتابه: "الطبيب في بلاد العرب": ص 277: "إن البشر لا يرضى عن إنشاء مستشفى ولو بلغت منافع ذلك المستشفى المنطقة (عمان) بأسرة، لقد وجدنا نحن في بلاد العرب لنجعل رجاءها ونساءها نصارى".

وإن وسيلة التطبيق هي أفضل الوسائل للدعاية بنظرهم، لأن المريض المثل يضحي بأعز شيء عنده للتخلص من آلامه، وأقارب المريض القريبين مثل الأب والأم والزوج والزوجة، تقل في نظرهم قيمة أي شيء في سبيل شفاء قريبهم.

ولقد أدرك المشروون هذا الميل في البشر، واستغلوه أبعش استغلالًا.

2- الإحسان: الإحسان عن طريق عطف من القوى على الضعيف، عطف يتبدى في صور مختلفة أبرزها وأشهرها دفع المال، ولكن الإحسان قد يجري مجرى أخرى كالتعليم المجاني، وهبة الثياب والكتب، والمساعدة على إيجاد عمل إلخ.

1) توجد فreira كاملة عن الدعاية بالأعمال الرمزية بعد عدة صفحات ضمن عنوان الدعاية الغربية.

2) التبشير والاستعمار ص 95.

3) ارجع إلى كتاب التبشير والاستعمار للإطلاع أكثر على حيل المشرونين في هذا المجال، ص 58 وما بعدها.
لم يكن المشروون محسنون بمعنى النبيل الذي تفهمه من الكلمة ولكنهم كانوا يستغلون ما يأبديهم من وسائل الإحسان حتى يصلوا إلى أهدافهم البشرية.

ألف جاعة من المشرين كتابًا اسمه: "أسس جديده للتشير" قالوا فيه: "كان التعليم والتعليم من وسائل التشير، يجب أن يبقوا كذلك.

أما أعمال الخير فيجب أن تستعمل محكمة فلا تقلق الأموال إلا في سبيلها.

يجب أن تعطي الأموال أولا للبعداء، ثم يقلل دفعها تدريجيًا كلما زاد اقترب هؤلاء إلى الكنيسة (أي كلما زاد الأمل بانضمامهم إلى المذهب الجديد) فإذا دخلوها منعت عنهم أعمال الخير، ثم يجب أن تبقي في الناحية الخيرية في كل حال".

والمشروون عرفوا أن الطريقة المباشرة للدعوة إلى النصرانية لا تمجد مع المسلمين، وهي خطابهم رأسا بأمور العقيدة والتعليم السني، لذلك جاوا إلى الطريقة غير المباشرة في الدعاء، وهذه هي الطريقة التي تقوم على الإحسان المادي، وليس ضروريًا أن يكون هذا السبيل ناجحا في جعل المسلمين نصارى، بل يكتفي بأبعادهم عن الإسلام في أغلب الأحيان.

كتبت دوغلاس مقالة عنوانها "كيف نضم إلينا أطفال المسلمين في الجزائر" ذكر فيه أن ملاجئ قد أنشئت في عدد من أقطار الجزائر في شمال إفريقيا لإطعام الأطفال الفقراء وكسائهم وإيوائهم أحيانا، ثم قال: إن هذه السبيل لا تجعل الأطفال نصارى، لكنها لا تبقيهم مسلمين كأبنائهم".

(1) التشير والاستعمار ص 194.

(2) المراجع السابقة ص 194 - وكذلك الصفحات : (165-196- 197 - 198).

(3) للإطلاع أكثر على استخدام هذا النوع من الدعاء في التشير. ارجع إلى "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية (مرجع سابق) الدكتور محمد الهواري "المدخل إلى العمليات النفسية الإعلامية" ص 69.
وأما التعليم المجاني الذي يظهر عليه طابع الإحسان، فإن المبشرين يهتمون به.

يعتقد "اليسوعيون" (1) أنه يجب أن يقوم إلى جانب كل مدرسة يدفع طلابها النفقات المدرسية مدرسة صغيرة للفقراء جنباً، لا تعليمهم في الدرجة الأولى بل لحفظ المظهر التبشيري باديةً للعين. إن القراء أكثر انحجارًا لقبول هذا المظهر من أندادهم من أبناء الأغنياء (2).

أي أن الغاية الأولى هي الدعاية فقط .. وهذه الدعاية تتضمن الاحترام والاستمالة (3). تنتقل بعدا أفكار المبشرين إلى هؤلاء القراء ...

وهذه النزعة في التعليم المجاني لا يتردد بها اليسوعيون الفرنسيون وحدهم، بل ينتميها جميع المبشرين. لقد استطاع المبشرون المشيخيون الأمريكيون (4) أن يغلبوا المبشرين الآخرين في هذا الضرب من الإحسان.

وعن هذه المدارس تقدم الكتب والطعام واللباس أحياناً بلا مقابل (5).

أما الوسائل الأخرى من الدعاية التي كان يستخدمها المبشرون، فهي باختصار ما يلي:

1- الصحافة: إن الصحافة لا توجه الرأي العام فقط أو تهيه لقبول ما تنشر فيه، بل هي توجه الرأي العام أيضاً، ويعلن المبشرون أنهم استغلوا الصحافة المصرية على الأخص للتعبير عن الآراء المسيحية، أكثر مما استطاعوا في أي بلد إسلامي.

---

(1) اليسوعيون فرقة من الكاثوليك من أصل فرنسي.
(2) التبشير والاستعمال ص 210.
(3) ارجع إلى "آسية علم النفس" الكتب الأول، د. عبد العزيز الفوضي. ص 157.
(4) القاهرة 1950 لزادة الإطلاع على معنى الاستهواء.
(5) المشيخيون : فرقة من البروتستانت.
(6) التبشير والاستعمال ص 210.
آخر(1). على أن البشريين أنشأوا في العالم صحفاً يومية وأسبوعية خاصة بهم، فهناك
"بشائر السلام" و«الشرق والغرب» في مصر.
ثم هنالك النشرة الأسبوعية التي أسّسها البروتستانت في بيروت وظلت تصدر
إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية. وهناك جريدة «البشير» التي كانت تصدر في
بيروت، والتي كانت تتمتع بحماية فرنسا، إلا أنها توقفت بعد الاستقلال(2).
ولقد اعتمد البشريون مدينتين لنشر كتبهم وصحفهم: القاهرة وبيروت. أما
القاهرة فاستخدم البروتستانت مركزاً لتوظيف المبشورات المسيحية في قطر المصري
وفي جمع العالم الإسلامي، كما أنهم أقامت المطبعة الأمريكية في بيروت، تلك
المطبعة التي أصبحت أهم وسائل البشير في الشرق كله.
أما اليهود فقد ركزوا جميع جهودهم في المطبعة الكاثوليكية في بيروت منذ
عام 1871م وقاموا من طريقها بعمل بشري في الدرجة الأولي(3).
- الكتب والمنشورات: يرى البشريون أن الكتب والمنشورات النصرانية، أشد
الوسائل أثرًا في المسلمين وبطيء النظر عن قيمة هذا الأثر الذي يزعمونه فإن
سياستهم في إنتاج النشرات تبع التوجه الآتي(4): يحرص البشريون في الدرجة
الأولى على نشر الكتب الدينية كالانجيل الأبرعية، وعلى نشر أشياء من التوراة، ثم
إنه يطرقو في نشراتهم موضوعات مختلفة ولكن يرغونها في قالب مسيحي ديني.
والبشريون حريصون كل الحرص على أن يتولى كتابة هذه الموضوعات أشخاص
وطنين لا مبشرون أجانب، أو أشخاص جاؤوا إلى النصرانية حديثاً، لأن هؤلاء

(1) أرجع إلى "الإسلام الإسلامي والعلاقات الدولية" (مرجع سابق) - مقال يوسف العمص ص
471.
(2) البشير والاستعمار ص 213.
(3) البشير والاستعمار ص 214.
(4) المرجع السابق ص 240 وما بعدها.
يكونون أقدر على فهم عقلية جاهريهم، وعلى عرض تلك الموضوعات على شكل يقرب من فهم تلك الجماهير. وفي بعض الأحيان يختار المشروون موضوعات إسلامية لها مقابل في الديانة النصرانية، ثم يمohon الحقائق ويقفون فوق الفروق، إن القرآن الكريم يسمي المسيح "كلمة الله" ومعنى ذلك أن الله تعالى ألقى كلمته، أي أمره، بأن يولد المسيح على ذلك الوجه المعجز في التاريخ، ولكن المشروون يأخذون "كلمة الله" ليفسرا التفسير النصراني، ووجه الخلاف أن كل شيء في هذا العالم كما يرى المسلمون كان بأمر الله: "إنما أمره، إذا أراد شيئًا أن يقول له، كن فيكون" (2). أما النصارى فيعتقدون أن التعبير "كلمة الله" تعبير خاص بالنصرانية يجب أن يفهم على أن المصوود به عيسى ابن مريم وحده، وأنه دال على الألوهة في المسيح.

ولقد تبنى المشروون الفرنسيون خاصة هذه الطريقة، ثم أكثر من الكلام فيها المستشرق الفرنسى "لويس ما سينيون" الذي يقف علمه واستشراقه على التبشر الديني للوصول إلى أهداف استعمارية، شأن العدد الأكبر من المشروين المتزمن بكل زي والمتلبسين بكل لباس.

ويرى المشروون أن يتوجهوا بالكتب إلى طبقتين من المسلمين على الأخص، إلى طبقة الأزهر في مصر، على اعتبار أن الأزهر معقل الإسلام، وأن الصابئ الأزهرى - إذا اتفق ذلك - يكون عوناً للمبشرين على زيادة التخلف في العالم الإسلامي.

وأما الطبقة الثانية التي يجب المشروون أن يصلوا إليها بكتبهم الدينية فهي طبقة النسا، فإنهم يزعمون أن المرأة المسلمة محجية (عن المجتمع والعالم... فيجب أن توضع لها كتب تتفق مع حالها وعقليتها ودرجة تفكرها.

3- الكشفة والمخابرات: جاء في مقررات مؤتمر المشروين الذي انعقد في القدس ما يلي (1): "نحب أن نؤكد الأهمية البالغة للعمل بين الصغار ولهصار قليل أن تشكل

المراجع السابق ص 214.
عقلتهم وأخلاقيهم تشكل إسلامياً. إن جميع الوسائط التي استخدمت وظهر نجاحها يمكن أن تستخدم من جديد لتوقيع عقول الصغار وتجلب أخلاقيهم، سواء في ذلك ما تعلق بالمدرسة أو ما كان خارجاً عن نطاق المدرسة، فمن ذلك مثلا: الكشفية للفيتنان والفتينات - مدارس الأحد (الدورس الدينية التي تعطى أيام الأحاد بصورة مباشرة أو غير مباشرة) - جمعية الشباب المسيحيين وجمعية الشباب المسيحية وسواهما من منظمات الشباب - المخيمات والمؤتمرات لطلاب الأندية الرياضية وما يتعلق بذلك - بيوت الطلبة التي زادت الحاجة إليها لزيادة عدد الطلاب (إن هذه البيوت يجب أن تكون حتى يمكن أن تجذب هؤلاء الطلاب إلى ملكة المسيح)

بيوت للأطفال يشرف عليها مبشرون فقط.

- الإذاعة: عرف المشروون أهمية الإذاعة، وأنها وسيلة إعلامية سريعة البث واسعة الانتشار، وأن المذياع يتميز عن غيره من وسائل الإعلام بأنه يتيح الإنسان الاستماع إليه وهو يقوم بعمل آخر، مما لا يتوفر لدى قراءة الصحفية أو مشاهدة الرطمي. لذلك استغلت الإرسالات التبشيرية «هذه الوسيلة بشكل كبير. وتقول دراسة» أنه يوجد أكثر من خمس محطة إذاعة تبشيرية في أنحاء العالم. منها محطة في كوبويو في الإكوادور بأمريكا الجنوبية وأخرى في منزروفا في ليبيا وتمشي إذاعة ألو في 1954 على يد اتحاد إفريقية، وهي مجموعة إذاعات أمريكية، ويتبع هذه المجموعة إذاعات في وسط إفريقية والشرق الأوسط (أي الشرق الإسلامي) وشمال إفريقية وتذيع بـ 15 لغة إفريقية عدا الإنجليزية والفرنسية والعربية.

(1) نشرت الدراسة مجلة "الدعوة" السعودية العدد 198 وحلة "الأمان" اللبنانية العدد 46 صفر 1400 هـ/ 12/11/1989 في مقال بعنوان "الإذاعة ووسيلة تستخدمها كل الفري .. إلا المسلمين".
وهناك إذاعة "عبر العالم" ومركزها "مونت كارلو" وقد أسست عام 1960م بعد نقلها من طنجة، وهذه الإذاعة فرع في البحر الكاريبي.

وهناك إذاعة أخرى في قبرص أسست عام 1974 ثم أسست أخرى في سويسرا في العام نفسه، وفي "سري لانكا" عام 1976م. وفي آسيا تعمل شركة إذاعة الشرق الأقصى الآسيوية من "مانيلا" في الفلبين، وقد أسست عام 1948، وفتح لها فروع في أوكينوا عام 1958م وسان فرانسيسكو عام 1960م وابتداء من عام 1979 افتتحت لها فروعاً في سيبئيل والهند وباكستان، ووضعت لها مقومات في شمال الهند والشرق الأوسط وشرق إفريقيا. أما صوت الإنجيل (1)، الذي يبث من "أديس أبابا" في الحبشة بتوحجه من اتحاد الكنيسة اللوثرية، فقد استولى عليه الشيوعيون. وآخر إذاعة أسستها الإرساليات التبشيرية هي الإذاعة الموجودة في منطقة الشريط الحدودي بين لبنان وإسرائيل، والتي تسمى "بالمغامرة السماوية من صوت الأمل" والتي مولتها مؤسسات تبشيرية أمريكية (2).

5- السينما والروائي: بالإضافة إلى هذه الوسائل، هناك الأفلام السينمائية، والمسلسلات التي تبث في الرأي، حيث عمد هذه الإذاعة إلى استخدام هذه الأفلام ل텔عيم وتحفيز الفرسان في حرق الدين النصروني. فالقصص في الفيلم يعرف كل شيء، ويسأل عن كل شيء، فيجيب عن

(2) بعد توقيف بث البرامج التصويرية من راديو صوت الإنجيل في إثيوبيا نتيجة للانقلاب الشيوعي أخذت تسمع هذه الإذاعة في دول الخليج بشكل قوي جداً. ويظهر أنها قادرة على جديدة في إثيوبيا لأن قادتها لا يزالون على صميتهم وإن لبوا ثرب الشيوعية.
الفلك والطب والدين، والراهب أجمل ما في السفينة أناقة وجمالًا. بينما في المقابل نجد الأفلام العربية تخرج العالم المسلم في صورة مزربة.

وكثرًا من الأفلام تحكي قصة صلب المسيح مثل فيلم "آلام المسيح" الذي عرض في كثير من البلاد الإسلامية، وأفلام "الحروب الصليبية" تظهر بطولات الصليبين، وانكسار المسلمين أمامهم. مثل فيلم "ريشارد قلب الأسد" وتعقل من وحشية الصليبين في قتل النساء والأطفال والشيوخ، بشهاده مؤرخي الغرب أنفسهم. (1)

(1) الاستشراق: وهو المجال الثاني - الذي أفرزته الحروب الصليبية - للدعاية الغربية، والتي كانت هدفها الأول: تزييف عقيدة الإسلام، عن طريق الغزو الفكري المنظم، بناء على وصية "القديس لويس" ملك فرنسا وقائد الحملة الصليبية الثامنة.

وقد سار التبشير والاستشراق في خطين متوازيين، بل في خط واحد، يكمل بعضهم بعضاً. وقد استفاد التبشير كثيراً من دراسات المستشرقين، والتي تحتوي على كثير من الأكاذيب والتي تلبس الثرب العلمي وهذه شهادة أحد القسس بعد أن هداه الله للإسلام، والذي عمل كثيراً في مضمار التبشير بالنصرانية بين المسلمين في مصر، وهو "إبراهيم خليل أحمد" في كتابه "المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي" وهي شهادة عارف خبير يقول:

(1) بالإضافة إلى الوسائل السابقة، أيضاً استخدم الصليبيون أشرطة الكاسيات في نشر النصرانية، وخاصة في إفريقيا.

(2) (ارجع إلى المجتمع) العدد 457 عام 1399 هـ.

(3) ارجع إلى "الإسلام على مفترق الطرق" محمد أمض - فصل: شبح الحروب الصليبية 52 ط 1977 بيروت.
الفصل الثالث.. أساليب العرب النفسية

١- التبشير والاستشراق من دعائم الاستعمار، وعملاء التبشير والاستشراق عملاء للاستعمار وخذاع لسياسته، وإن ظهروا بوجه مقاومة الاستعمار وتحرير البلاد منه.

٢- تقاسم التبشير والاستشراق جوانب الأعمال المقررة في الخطة العامة لغزو الإسلام والمسلمين وديار الإسلام.

فحمل الاستشراق أعباء الأعمال في مبادئ المعرفة (الأكاديمية وادعى لبحث الطابع العلمي العالي، واستخدم الكتابة والتلفيق وإلقاء المحاضرات والمناقشات في المؤتمرات العلمية العامة، وكراسي التدريس في الجامعات تألف المستشرقون المؤلفات الكثيرة، وألقوا المحاضرات والدروس الكثيرة وجمعوا الأموال، وأنشأوا الجمعيات الاستشراقية، وعقدوا المؤتمرات وأصدروا الصحف والمجلات، وسلكوا مسالم أخرى كثيرة مما رجوا أن يحقق أهدافهم. وحمل التبشير أعباء الدعوة الجماهيرية (وقد عرفنا وسائنه في ذلك آنفا).

٣- من الكتب الجدلية التي يستعين بها البشر للوصول إلى غايته كتب المستشرقين التالية:

١- كتاب "ميزان الحق" للدكتور فاندر المستشرق الأمريكي والدكتور سكليرك.

٢- كتاب "الهدية" يقع في أربعة أجزاء، وهو يشمل على مطاعن كثيرة

٣- كتاب "مقالة في الإسلام" تأليف المستشرق الدكتور سالم.

٤- كتاب "مصادر الإسلام" تأليف الدكتور سكليرك

وهذه الكتب الأربعة تعتبر للمستشرقين والبشريين من أخطر المراجع للهجوم على الإسلام والقرآن والرسول ﷺ.
4- يدعو المبشرون والمستشقون إلى قراءة الكتب ضمن الخطط التي يرسمونها في مكتبات العامة، ودور الطباعة والصحف،

5- الاستشراق والتنشيط قام على أكاذيب الرهبان والآباء في أول الأمر فإنه لا يزال حتى اليوم يعتمد على أولئك وإن تظاهروا برسالتهم الدينية والخيرية.

وقد استخلص الدكتور مصطفى السباعي - رحمه الله - بعد لقاءاته المباشرة مع عدد من المستشرقين في جولة طاف فيها على أكثر جامعات أوروبية عام 1967 م ما يلي:

أولاً: أن المستشرقين - في جهورهم - لا يخلو أحدهم من أن يكون قسيسًا أو استعماريًا أو يهوديًا، وقد يشتد عن ذلك أفراد.

ثانياً: أن الاستشراق في الدول الغربية غير الاستعمارية - كالدول الإسكندنافية - أضعف منه عند الدول الاستعمارية.

ثالثًا: أن المستشرقين المعاصرين في الدول غير الاستعمارية يتخلون عن «جولد تسيهر» وأمثاله المفضوحين في لقبهم.

رابعاً: أن الاستشراق بصورة عامة ينبعث من الكنيسة، وفي الدول الاستعمارية يسير مع الكنيسة ووزارة الخارجية جنبًا إلى جنب ويلقي منها كل تأيد.

خامساً: أن الدول الاستعمارية كبريطانيا وفرنسا ما تزال حريصة على توجيه الاستشراق وجهته التقليدية، من كونه آدة هدام للإسلام وتشويه لسمعة المسلمين.

---

(1) تأليف: إبراهيم خليل أحمد - وصلى الله عليه وسلم.

(2) الامبراطور والمستشرقون - الدكتور السباعي ص 57.

(3) جولد تسيهر: مستشرق يهودي - ألف كتابًا كثيرة منها: العقيدة والشريعة.
وسائل الدعاء الاستشراقية: اتبع المستشرقون لتحقيق هدفهم الأول والذي ليس سوى تزييف الإسلام وتشويهه، وسائل الإعلام العادية، وأهمها وسائل النشر من كتب وصحافة ويمكن إيجازها بما يلي (1):

1- تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام والرسول والقرآن وتاريخ المسلمين ومجتمعاتهم، حتى بلغ عدد الكتب التي طبعت في أوروبا وأمريكا بين عامي (1800 و1950) نحو ستين ألف كتاب (2).

وفي معظم هذه الكتب كثير من التحريف المتبعد في نقل النصوص، أو في فهمها واستنباط المعاني منها، وكثير من التحريف في تفسير الوقائع التاريخية وتعليل أحداثها، واعتبار بعض الحوادث الفردية لها صفة العموم والشمول لكل الأفراد، و نحو ذلك تضليلات مروعة من المستوى الأدنى للأمانة العلمية.

2- إصدار المجلات الخاصة ببحوثهم حول الإسلام والمسلمين وشعوبهم وبلادهم. وقد بلغ عدد المقالات التي تعرضت للإسلام والمسلمين بين عامي 1906 وعام 1967 حوالي ست وعشرين ألف مقالة، هذا العدد الضخم من المقالات يدل دلالة واضحة عن اهتمام المستشرقين الجدي في تزييف الإسلام والتأثير على الرأي العام الغربي، وقد أورثت مفاهيم مزيفة عن الإسلام، وصور مشوهة عن المسلمين لم يستطع العقل الأوروبي الغربي بشكل عام أن يتخلص منها حتى اليوم، بل يعتبرها حقائق لارتب فيها.

(1) ارجع إلى كتاب "أجنحة المكر الثلاثة" ص 68.
(2) ارجع إلى مجلة "قافلة الزيت" العدد العاشر المجلد الثامن والعشرون - شوال 1400 هـ مقال المستشرقون. وهو تلخيص لكتاب بهذا الاسم ل (إدوارد ويليام سعيد) وعندما مجلة الأمان اللبنانية العدد ١٤ - ٧ جادي الأخيرة ١٣٩٦ هـ - ٤ أيلول ١٩٧٦، وفيه مقال لمؤلف الكتاب نفسه فيه تلخيص كتابه في مجلة (تايتم) الأمريكية عنوان المقالة: (الإسلام والاستشراق الغرب).
ومن أهم المجلات التي يصدرونها:

أ- في عام 1877م أنشأ الفرنسيون جمعية للمستشرقين الحقوقاً بأخرى في عام 1870م ثم أصدروا "المجلة الأسبوية".

ب- وفي لندن تألفت جمعية لتشجيع الدراسات الشرقية في عام 1873م، وقيل الملك أن يكون ولي أمرها، وأصدرت "مجلة الجمعية الأسبوية الملكية".

ج- وفي عام 1842م أنشأ الأمريكيون جمعية و مجلة باسم "المجلة الأمريكية" وفي العام نفسه أصدر المستشرقون الألمان مجلة خاصة بهم، وكذلك فعل المستشرقون في كل من النمسا وإيطاليا وروسيا.

d- ومن المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون في هذا القرن "مجلة جمعية الدراسات الشرقية" وكانت تصدر في مدينة جامبور بولاية أوراهيو ولها فروع في لندن وباريس ولينبرغ وتورنبو في كندا، ولا يعرف إن كانت تصدر الآن، وطاعبها العام على كل حال طابع الاستشراق السياسي وإن كانت تعرض من وقت لآخر لبعض المشكلات الدينية. وخاصة في باب الكتب.

ه- وأصدر المستشرقون الأمريكيون "مجلة شؤون الشرق الأوسط" وطاعبها على العموم طابع الاستشراق السياسي كذلك.

و- وأخطر المجلات التي أصدرها المستشرقون الأمريكيون مجلة "العالم الإسلامي" أنشأها "صموئيل زوير" (1) في سنة 1911م.

---

(1) ارجع إلى الاستشراق والمستشرقون - د. مصطفى السبعي . ص 28، 29.
(2) زوير : مستشرق مبشر، استمر بعداته الشديد للإسلام، مؤلف كتاب : "الإسلام نجد لفظية" صدر في سنة 1908م ونشر كتاب "الإسلام" وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيري الثاني في سنة 1911م. ولكنها ه Siddiq نادرة في الهند. وتقدر لجهوده التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه عند دراسة اللاحوات وإعداد البوذك. (المراجع السابق ص 26)
الفصل الثالث - إشبة العولمة النفسية

- وللمسترقين الفرنسيين مجلة شبيهة بمجلة "العالم الإسلامي" في روحها واتجاهها العدائي التبشيري وأسمها أيضاً "العالم الإسلامي".

- إمداد إرساليات التبشير بالخبراء من المستشرقين، ودعمها بما تحتاج إليه من جهودهم.

- إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية، وحتى في البلاد الإسلامية ليدرسوا فيها ما يتسار لهم درسه من أفكار.

- عقد المؤتمرات الاستشراقية لتبادل الرأي فيما يحقق أهداف الاستشراق، وما زالوا يعقدون هذه المؤتمرات منذ أول مؤتمر استشراقي عقد في باريس عام 1873.

- إنشاء الموسوعة الإسلامية، وقد أصدروها بعدة لغات، وقد حشد لهذه الموسوعة كبار المستشرقين وأشدهم عداء للإسلام، وقد ملأت بالأباطيل عن الإسلام.(1)

من أباطيل المستشرقين: محمد المستشرقون إلى تشويه الإسلام من عدة نواحي:

أ - رددوا أن القرآن من وضع محمد - عليه الصلاة والسلام - وأن سذاقة الصحابة وإخائهم دفعهم إلى نقله على أنه من عند الله.

ب - خلطوا في مصادر الأحكام الإسلامية بين المصادر الإلهية (القرآن والسنة) وبين الاجتهاد.. ونظروا إلى الجميع على أنها من صنع البشر فسوا بينها في المنزلة!

(1) من الموسوعات أيضاً بالإضافة إلى "دائرة المعارف الإسلامية" هناك:
- المجد في اللغة والعلوم والأدب - للإمام لطيف شيخو.
- الموسوعة العربية الميسرة. وكلها ملت بالسموم والشهوات.
ج- ودعوا إلى التصوف الإسلامي لما يؤدي إليه في أكثر الأحيان من صرف أصحابه عن الجهاد وهو أكثر ما يثير الصليبيين ويفزعهم (١).

د- الادعاء بأن الشريعة الإسلامية لا تختلف عن أعراف الجاهلية وهو إدعاء باطل إدعاء «شاخت» وأستاذه «جولد تسيهر» اليهوديان بالإضافة إلى أكاذيب كثيرة لا مجال لعرضها هنا، وقد تناولها كثير من الباحثين بال النقد، والرد الدافع، مما لا مجال للتوضيع في بحثنا هذا (٢).

ومن المهم هنا أن نعرف أن المستشرقين صنعوا تلاميذ لهم في البلاد الإسلامية، اقتبسوا أفكارهم وأساليبهم، وردوا مقتراحتهم على الإسلام.

وقد كان «ظه حسین» في مقدمة هؤلاء التلاميذ الذين أعلنوا الإعجاب والتقدير لمناهج المستشرقين، ويعتبر حامل لواء الدفاع عنهم وعن أهوائهم. حتى قال بعضهم: إن ظه حسين ليس إلا مستشرقًا من أصل عربي. وقد كانت أيامه للفكر الغربي ولهذا الاستشراق تفوق أمانة المستشرقين أنفسهم، وهكذا كان متابعاً لهم، مقتناً بما يقولون إلى أبعد حدود الاقتناع، حتى في تلك المسائل الخطيرة، كقولهم بضرورة القرآن (٣)، وكانت كتاباتهم توجه بذلك وإن لم يعلنه جهارًا، بعد أن صدور كتابه «في الشعر الجاهلي» وفيه شك بوجود إبراهيم وإسحاق وعليهما السلام وأعلن ذلك بالرغم من الإشارة إليها في التوراة والقرآن (٤).

(١) «أساليب الغزو الفكري»، علي جريدة.
(٣) راجع إلى «الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي» للدكتور محمد الهمي. رحمه الله.
(٤) الإسلام في وجه التغريب ص ٣٢ وكذالك: أساليب الغزو الفكري ص ٢٤ وقد كان هذا الإكثار وأمور أخرى سبباً في طرد ظه حسين من الجامعة المصرية ومصدرة كتابه «في الشعر الجاهلي» ولكن نفوذ الاحتلال الإنجليزي سرعان ما أعادوه إلى الجامعة ومضى به صعود إلى أعلى المناصب».
ومثل طه حسين في هذه التبعية للمستشرقين: سلامة موسى، وحسين فوزي، ورزيق نجيب محمود، ومحمود عزمي، وعلي عبد الرازق. وغيرهم في مصر...

وفي لبنان: سعيد فرحة، وسعيد عقل، والآباء المارونيون، وعلى أيديهم أُلتمِّعوا المعاينة، وكتابتها بالأحرف اللاتينية. وقد قُلَّحت مناهج المستشرقين في البحث والانفتاح العلمي، فراح كثير من تلاميذ المستشرقين يُصلُّون بهم، ويُحَدُّعون طريقهم فيما حاولوا من دراسات، وخاصة في مجال الجامعة والثقافة والصحافة، وحملوا نفس الروح التي يحملها أستاذهم في خصومة الإسلام، وكانوا أشد قسوة من الغربيين).

وقبل أن أتهي هذه الفقرة من البحث، لابد وأن ننوه أن هناك من المستشرقين المعادين من اتمموا بالانصف والاعتدال، فمنهم من أخطأ وأصاب، ومنهم من

انتهى به البحث النزية إلى الإيكان والإسلام.

- ويعتبر من الفريق الأول: ريان (الفرنسي) الذي انتهى به بحسبه إلى أن السير العربية للنبي محمد ﷺ كسرة ابن هشام لها ميزة تاريخية أكبر من الأنباء المتناولة بين النصارى.

- ومنهم (كاريل) الذي عدّه محمدًا في الأبطال وخصصه بصفحات كثيرة في كتابه (الأبطال).

ومن الفريق الثاني الذي انتهى به البحث عن الحق إلى اعتناقه الإسلام (اللورد هيدلي) وأثنين دينيه) «ناصر الدين» (الدكتور جربينه الذي كان عضوًا في مجلس النواب الفرنسي(3).

المرجع السابق ص 363. وكذلك ارتجع إلى "القومية الفصحي". عمر فروخ.

(1) أساليب الغزو الفكري ص 24.
(2) المرجع السابق ص 28.
(٤) أساليب الدعابة الغربية ووسائلها: تلجأ الدعابة الغربية إلى أساليب مختلفة من أجل تحقيق أعراضها السياسية والأقتصادية والفكرية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- الأخبار: لقد فطن خبراء الدعابة والإعلام والعلاقات العامة من خلال تجارب الحرب العالميتين إلى أن تأثير الاتصال في الرأي العام يزداد قوة باستخدام الأخبار بدلاً من المقالات الجدلية، والكتابات الإنشائية. واستخدام الأخبار بطريقة بارعة لأحداث احتجاجات معينة في المجتمعات الأخرى، وهذا يعتمد على فن انتقاء الأخبار وأسلوب صياغتها وطريقة عرضها، وإبراز بعض جوانبها دون البعض الآخر.

وقد أنشئت وكالات الأنباء الغربية هذا الأسلوب، وخاصة الوكالات الصحفية الأربعة: وكالة الصحافة الفرنسية ورويترز واسوشيتد برس ويوناند برس والتي احتكرت الأنباء العالمية، واستبدلت وسائل الاتصال في العالم، حيث يقع القارئ ضحية رؤية معينة تملؤها تحليقات أحادية الجانب، لكنها متقدة في الصياغة، وبارزة في الإثارة بعيدة كل البعد عن القيم الأخلاقية. بالإضافة إلى أن الخلفية العقيدة تؤدي دوراً مهماً في (فكرة) الأخبار حسب مصالح الغرب (۱). وخاصة إذا كانت هذه الأخبار تتعلق بالجموعات الإسلامية فإن الروح الصليبية هي التي تنتقد في هذا المجال. وتلجأ وكالات الأنباء إلى تلبية شهود العيان، وإلى أن مصادرها: الأخبار الموثقة فتقول مثلاً: "جاءنا من مصدر موثوق ما يلي..." ما هو هذا المصدر الموثوق؟ لا تذكر ذلك. أو تقول: "وصف لنا شهود عيان تلك الحادثة بما..."

١) الإعلام والاتصال بالجماهير. إبراهيم إمام. ص.٢٢٥
٢) الإذاعات المرجحة من "هيئة الإذاعة البريطانية" مثلما تقولها وزارة الخارجية لذلك تعكس وجهات نظرها.!! وقسم الإذاعات الخارجية أنشئ عام ١٩٣٨م وكانت اللغة العربية هي أولى اللغات التي تبث إلى الخارج من هيئة الإذاعة البريطانية (انظر مجلة المصدر) (العدد ٨٦ - السبت ٥ ذي الحجة ١٤٠١هـ).

الإذاعة المرجحة من "هيئة الإذاعة البريطانية" مثلما تقولها وزارة الخارجية لذلك تعكس وجهات نظرها.!! وقسم الإذاعات الخارجية أنشئ عام ١٩٣٨م وكانت اللغة العربية هي أولى اللغات التي تبث إلى الخارج من هيئة الإذاعة البريطانية (انظر مجلة المصدر) (العدد ٨٦ - السبت ٥ ذي الحجة ١٤٠١هـ).
يلى...» من هم شهود العيان، أياً لا تذكرونهم... وكذلك تلجأ إلى دس خبر كاذب بين خبرين صحيحين لتقوية ونشره لغابة في نفسها.

وإذا كان الخبر صحيحاً، ولا مجال لتحريره، تلجأ الوكالة أو الأذاعة إلى تفسيره بما يلائم مصلحتها، وذلك بأن توضع القائمين بالحدث الذي تنقله بصفات سبب، منفعة، فهي مثلاً عندما تتحدث عن حركة الطلاب الجامعيين في بلد إسلامي تصفهم بالمتصببين أو المتزعمين... ويدرك القارئ إيجاد هذه الصفة وما تعني. وما يؤسف له أن صفحات العربية تنقل حربياً هذه الأخبار في صفحاتها دون أي تجديد، والأمثلة كثيرة ولا تحتاج إلى برهان إذ إن نظرة واحدة على صفحات تكفي في هذا المجال.

وقد برعت ال«الإذاعة البريطانية» بهذا الأسلوب من نقل الأخبار ودس السم في الدسم، وتلفيق شهود العيان، وتشويه الأخبار وتحريرها وتفسيرها حسب مصالح «بريطانيا العظمى» (1) خاصة الغرب والصهيونية عامة (2) على الرغم مما تدعى من حيادية ونزاهة وموضوعية. ومازال المسلمون يذكرون موقفها عام 1956م إبان الاعتداء الثلاثي على مصر عام 1956م، وكيف أسفرت عن وجهها وتسمت باسمها الحقيقي (3) وكذلك موقفها إبان حرب رمضان عام 1971م وكيف

________
(1) "هيئة الإذاعة البريطانية" حصلت بموجب مرسوم ملكي عام 1927م على احتكار البث الإذاعي والتفاصيل في فيما بعد، في جميع أنحاء بريطانيا - وقسم الإذاعات الخارجية - ومنه الإذاعة باللغة العربية الذي تكلفت وزارة الخارجية البريطانية بمهمة إنشائها عام 1938م.
(2) على الرغم مما يقال من أنصلاحات وزارة الخارجية - الممثلة للقسم الخارجي - مقصورة على تحديد عدد اللغات الأجنبية التي يبث بها، وعدد ساعات البث، إلا أن نفوذ الوزارة واضحًا في كل ما تبذله الإذاعة (المجلة العدد 42) - 0 ذي الحجة 1438هـ.
(3) السفر الصهيوني في الإذاعة البريطانية لاسلك فيه وخاصة فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية (انظر المجلة العدد 45 - 0 ذي الحجة 1439هـ).
(4) كانت الإذاعة البريطانية قبل عام 1956م (أي قبل الاعتداء الثلاثي) تسمى باسم (محطّة الشرق الأدنى للإذاعة العربية) ثم تسميت باسمها الحقيقي: الإذاعة البريطانية من لندن.
اشتركت مع الإذاعة اليهودية في شن الحرب النفسية على القوات السورية بإذاعتها الأخبار الكاذبة لإضاع الروح المعنوية للجيش (1).

2- الدعاية بالأعمال الرمزية: مما لاشك فيه أن للعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وهذا الأمر معروف في الدعوة الإسلامية بشكل خاص، إذ الدعوة بالقوة الصالحة أبلغ تأثير من الكلام (2). وإن كان لا بد من الكلمات، فيجب أن تواكب العمل الرمزي. وقد نجحت كثيراً الدعوة الغربية في هذا المجال، إذ إن المساعدات الاقتصادية والمساعدة الغذائية (كالفيمج) مثلًا من وسائل الدعاية الرمزية للولايات المتحدة الأمريكية بشكل خاص (3)، وكذلك المساعدات الإنسانية مثل عمليات الإنقاذ والإغاثة أثناء الأزمات والزلزال والفيضانات، كلها أعمال رمزية يقصد منها الدعاية في أكثر الأحيان.

ومن الأعمال الرمزية أيضًا تحريك الأساطيل البحرية من مكان إلى آخر، ويدسك به الإرهاب والتخويف للدول الأخرى، وخاصة إذا رافق هذا التحريك الدعائية والشائعات حول احتلال مناطق معينة (4).

---

1- مازال المستعمرون العرب يذكرون التقرير الملفق الذي نقله مراسل "بي بي سي الصهيوني" مايكل الكنوز عن القادة اليهودية في فلسطين المحتلة إبان حرب رمضان، ودعى فيه سقوط قبرص "مسعم" السوري القوي، كانت تشهد معارك طاحنة، وكانت الغالبية استغلال موجات الإذاعة البريطانية الموجهة للتثبيت على معنويات القوات السورية (التقرير المذكور آنفًا في مجلة الجملة (العدد 86).

2- انتشار الإسلام في الشرق الأقصى (إندونيسيا، ومالزيا، وفلبين جنوب تايلاند). كان بالقدوة الصالحة للتجار المسلمين.

3- أرجع إلى كتاب "التبشير والاستعمار" ص 166، 167، 168، 198.

4- وتصدر الدول المساعدة على كتاب "enerima من الشعب" على الركاب، هذه دلالة على المقصود من المساعدات.

5- لم ننسى بعد تحركات الأسطول الأمريكي في المحيط الهندي عام 1980م والشائعات التي روجتها وسائل الإعلام الغربية حول احتلال الخليج العربي.
وقد استخدم "التبشير" هذا الشكل من الدعاية بأسلوب أعمق أثراً في النفس الإنسانية، فقد استخدم "التبشير" التطبيق، واستغلال آلام البشر لنشر دعاه، وكذلك استخدم التعليم والإحسان في هذا المجال لتميع وجه المبشرين في نظر الآخرين"(1).

2- استخدام الدعاية الرومانية: وهو أسلوب برع فيه الأمريكيون منذ الحرب العالمية الثانية، وقد مر معنا آثراً كيف أن الدعاية الرومانية معروفة المصدر، إلا أنها ترمي إلى غايات ملونة، فهي تلجأ إلى مسح العدو بقصد ضرره مثلًا، وكذلك برع في هذا النوع من الدعاية الشيوعية بالإضافة إلى ربيعة الشرق والغرب "الإسرائيل". وقد استخدم الغرب هذا الأسلوب من الدعاية في ضرب الحركات الإسلامية في العالم العربي(2).

4- الأفلام السينمائية: وهذه تؤدي دوراً مهمًا أيضاً في الدعاية الغربية، وخاصة بعد أن دخل الرائع إلى كل بيت، في مجتمعنا الإسلامي. فالسلف من الأفلام الغربية، عم جميع وسائل الإعلام المرئية في البلاد الإسلامية. وهذه الأفلام سُمحت لإشاعة الفاحشة، والإغراء بالجريمة، وتحث الفجاحت(3) والعقائد الدينية...

حتى الأفلام التي ليس فيها ما يثير من الناحية الأخلاقية، نجدها دعاية لتقديم الغرب، واهتمامه جميع الأمور، الاقتصادية والاجتماعية وغيرها. أو لإظهار الإنسان الغربي بظهر القوي الذي لا يغلب(4) وإظهار الأسر الغربية بشكل مثالي غوذجي... يغاير واقع المجتمع الغربي تماماً ...

---

(1) ارجع إلى كتاب «التبشير والاستعمار» ص 196 وما بعدها بالإطلاع بتوسع على الدعاية الضخمة التي ترافق المساعدات الاقتصادية واستغلالها لأغراض تبشيرية.
(2) انظر الفصل الرابع من هذا البحث.
(4) المسلسلات التلفزيونية: السوبرمان، ستيف.. وغيرها...

(*)
وذلك الأفلام التي تمجد أعداء الإسلام من اليهود، وتعد التاريخ اليهودي وتبرر احتلال فلسطين، وأنها أرض الميعاد.. وكذلك الأفلام التي تعكي حياة الأنبياء، مثل حياة المسيح - عليه السلام -. وتبين خرافة الصليب .. ولقد خدمت السينما الغربية المشرين والصهيونيين كثيرًا، بآلاف الأفلام منها ما عرض في البلاد الإسلامية ومها ما عرض في البلاد الغربية فقط ..

- التحسيم والتمويه: وأسلوب آخر من أساليب الدعاية الغربية هو التحسيم.

وعبد نشر الحقائق إلا بمقدار ما يعد مصالحها ..

فأيام ما يتعرض له المسلمين في العالم، لا تذكرها، ولا تطلع العالم عليها إلا ما ندر واحياناً نشر الأخبار التي تعيقها، أو تشوهها، أو تصورها بغير صورتها الحقيقية، وغيابها طمس الحقائق عنها، والسكت على الجرائم التي ترتكب ضدها .. ومن ثم إعاقة امتدادها، وعدم مناصرتها من قبل الدول الأخرى المعاطفة معها ..(1).

أما التمويه، وتسمية الأمور بغير أسماها الأصلية، فتهدف منه الدعاية الغربية، إبعاد الآخرين عن جوعر المشكلة، وتوجيههم إلى أمر آخر، يصرفهم عنها تماماً ..

ومن الأمثلة على التمويه في الدعاية الغربية:

- تسمية وجود «إسرائيل» واغتصابها لفلسطين، بمساعدة العرب، بمشكلة الشرق الأوسط ..(2) والذ لكباد المصير المسلم عن واقع المشكلة .. لأن ذكر فلسطين، والقدس تثيران في المسلم مشاعر خاصة تدفع المسلم إلى الجهاد لتحريرها من مغتصبيها ..

(1) مذابح المسلمين في الفلبين، وكثوبيا وأورتيبا، والصومال، والهند لا تعتبر سوى قضايا ثانوية في منظور الإعلام الدولي، لذا فإنه يتجيب تناولها لأنها لا تخدم فضيحته .. ويجب أن تبقى في عالم الظلوم ومن ثم السياح.

(2) إن كلمة «الشرق الأوسط» يقصد بها تلك المنطقة التي تمتد من مصر حتى إيران شرقًا وحتى تركيا شمالا .. (راجع إلى كتاب الحرب النفسية في المنطقة العربية .. حافد ربيع س 5 بروت 1974م).
الفصل الثالث: إسلامة العرب النفسية

وهذه التسمية أيضاً وسيلة لإبعاد القوى الإسلامية في «الشرق الأدنى والأقصى» والعالم كله عن الارتباط بالمشكلة، وعندما تسمى بهذا الاسم، كيف نفرض على المسلم في المناطق الأخرى من العالم أن يشعرون بأن المشكلة مشكلة أيضًا، بصفتها ترتبط باغتصاب جزء مقدس من أرض الإسلام؟ وهكذا تُصقّى القضية وكأنها قضية محدودة من غير مواجهة المشكلة بأبعادها الحقيقية.

ومن الأمثلة الأخرى على هذا التمويه «تصوير معركة الإسلام مع أهل الباطل بصورة المعركة القومية أو الوطنية أو الاشتراكية، أو رفع رايات أخرى ما أنزل الله بها من سلطان، مع العلم أن المعركة، معركة عقائدية مصيرية وهدف الدعاية الغربية هو إطفاء شعلة العقيدة الإسلامية في نفوس المسلمين وخداعهم، وإبعادهم عن سلاح النصر في هذه المعركة، مع أن الغرب الصربي كله يعامل المسلمين على أنهم أمة واحدة. فلا فرق عنده بين هندي وعربي، أو إيراني أو غيرهم من بلد المسلمين. ونحن نشهد مثجناً من تمويه الراية في محاولة الصليبية العالمية أن تخدعنا عن حقيقة المعركة، فتزعج لنا أن الحروب الصليبية كانت ستاراً للاستعمار... كلاً. إذا كان الاستعمار الذي جاء متأخرًا هو الستار للروح الصليبية التي لم تعد قادرة على السفر كما كانت في القرن الوسطي! والتي تكشف على صخرة العقيدة بقيادة مسلمين من شنعت العناصر.. العناصر التي نسبت قوميتها وذكرت عقيدتها فانتصرت تحت راية العقيدة»(1).

6- التزيف والتشويه: ويقصد بالتزييف هنا هو تصوير الأمور بشكل جزئي ومشوه ومغلوط، ولهذا يصبح الحق بطلًا بعد أن يلبس ثوبه - والباطل مكروه من قبل كل إنسان - وبهذا الأسلوب نُهِي وسائل الإعلام والدعاية في الغرب على الروح العدائية بين الإنسان الغربي والإسلام، والتي توارثها منذ الحروب الصليبية.(2)

(1) معالم في الطريق، ط دار الشروق (ب دون تاريخ) من 186 (آخر فقرة من الكتاب).
(2) ارجع إلى «الأسلام على مفترض الطرق» محمد أسد، فصل: شيح الحروب الصليبية.
ويتناول التشويه الدعائي الغربي، في السينما الأخيرة عقيدة المسلمين وحياتهم وأنظمتهم وعاداتهم وتقاليدهم، ونضرب مثالين على ذلك:

المثال الأول: في تشويه العقيدة والتشريع، حيث لوحظ تركيز الإعلامي غربي على الحدود في الشريعة الإسلامية، وكرس الرسامون الخبيثاء في بعض الصحف الدولية أنفسهم لإبراز رسوم «الكاريكاتير» وهي تتناول بعض هذه الحدود كقطع يد السارق ورجم الزاني المحصن لتشويه سماحة الإسلام بإظهار هذه الحدود بالظهر الوحشي الذي ينمو غريب الحقد في العالم الغربي على عقيدة الإسلام والمسلمين.

المثال الثاني: وينتناول الجهاد الإعلامي الدولي (الغربي بشكل خاص) في تشويه قضية المسلمين مع اليهود في فلسطين والأراضي العربية المحتلة، وهذا الجهاد مازال حتى الآن يركز على:

- الأصول اليهودية التاريخية المزيفة في فلسطين.
- الاحتلال العربي زمن عمر بن الخطاب.
- الوحشية الإسلامية العاملة على طرد اليهود من أراضي أجدادهم.
- الوداعة والسلام والثقافة والحضارة عند يهودي الأراضي المحتلة.

كل هذه الصور المشوهة، تعمل على تبديل الحق بالباطل، بينما يقف الإعلام في العالم الإسلامي موقف المقتفي في أغلب الأحيان(1).

٧- التحريض: تقوم الدعاية الغربية في وسائل الإعلام الغربي والدولي أيضاً بدور التحريض على العالم الإسلامي وعلى الدعوة الإسلامية بشكل خاص.

وهناك شواهد كثيرة على هذا التحريض، ولا يمرين يوم دون أن يرى المراقب المسلم عناصر التحريض الإعلامي على العالم الإسلامي، ومن أبرز عناصر هذا التحريض كما يلي:

(1) أرجع إلى مجلة (المجمع) الكويتية - العدد 486 - تاريخ 10 شعبان 1400 هـ.
الفصل الثالث: أسسية الإعلام النفسية

أ- طرح الإعلام العربي ولاسيما الإعلام الصهيوني في أوروبا وأمريكا قضية أعداد المسلمين في العالم على أنها قضية مزعجة للعالم العربي.

ب- دور العقيدة الإسلامية المتمكنة من نفوس المسلمين تؤدي دورًا أوليًا في وحدة المسلمين ووفقهم أمام التيار الغربي الغازي وهذا خطر على مصالح الغرب في العالم الإسلامي.

ج- فكرة الجهاد عند المسلمين ودورها في تكوين الجماهير الصليبة التي بدأت تنادي من جديد بتحكيم كتاب الله وسنة رسوله في حياة المسلمين.

و لهذا خطر كبير على الأنظمة في العالم الإسلامي التي عرفت بولائها للغرب وتفهمها مصلحه.

د- إمكانية المسلمين المستقبلية في نزع الدولة اليهودية ودور عقيدة المسلمين المستمدة من القرآن والسنة في ذلك.

(5) صورة المسلم في الإعلام الغربي: وحتى تكون صورة كاملة للدعاية الغربية، لا بد من تبيان الأسمى الفاسدة التي أثررتها هذه الدعاية، في المجتمعات الغربية خاصة والمجتمع العالمي عامة. فقد كونت صورة مشوهة للمسلم، بل مضحكة أيضًا. مما يضعف له أن الإعلام العربي ساعد في تركيز هذه الصورة في أذهان الجماهير الساذجة، البعيدة عن التصور الإسلامي الصحيح، اعتبار أن كثيرًا من وسائل الإعلام العربية والإسلامية مازالت عبيدة لوكالات الأنباء الغربية، فهي تنقل عنها حرفيًا، دون معنى فيما تنقل.

ومن هذه الصور التي تردها وسائل الإعلام الغربية، وغيابها الدعائية فقط، لاستهواء عقول الناس وقلوبهم ما يلي (1):

1- صورة الغني السفيف الذي يملك مالا هائلا، ولا يعرف كيف يتصرف به.
ولذا يجب أن تكون عليه وصاية في ماله، فصورة المسلم هو الغني أكثر من اللازم.
مع العلم أن أكثر المجتمعات ترقأ هو الشعب الأمريكي ومثال ذلك: رجل يملك
كلباً خاصاً له سيارة خاصة وسائق خاص وطباخ وله جناح خاص في
البيت، وعندما مات هذا الرجل ترك خمسة آلاف دولار وهبها للكلب.
فالواقع نحن لسنا أغنياء حقيقة، بل في حالة متوسطة.

2- صورة الهمجي الجالس وراء برميل النفط يهدد حضارة الغرب بزيادة
الأسعار.

3- صورة العقال والجمال والإعلام العربي يسهم في هذه الصورة.

4- صورة الزوجات الشهوانية.. مسلم يثير وراءه طابور من النساء، أو مسلم
يبدا بيئة بالإماء، أو مسلم يثير الدنانير على أخذ غانية.

5- صورة التعرض المتشفد، فالإعلام الغربي يصور الخبر كالآتي:
- قام مسلمون متشددون بكذا.
- قام الطلاب المتخصصون في جامعة أسبوتو بمظاهرات.
وصحنا ننقل الخبر حرفيًا دون تعليق!!

6- صورة القاتل الظلم المتحسن للدم والقتل.. والآخري أن تكون هذه الصورة
للإنسان الصليبي الحاقد على الإسلام لما شهد به كتابهم وعلماؤهم، وهذا واقعهم
أيضاً يشهد بذلك في كثير من بلاد المسلمين.

7- صورة العاجز عن التفكير المنهجي: يقولون: إن العقلية الغربية هي
العقلية الدقيقة التأمل التي تستطيع أن تفكر تفكيراً منطقياً سليماً، أما غيرهم من

(1) زين العابدين الركيبي - من محاضراته التي ألقاها عام (1398هـ) على طلبة السنة الثالثة - في
المعهد العالي للدعوة الإسلامية في الرياض.
الفصل الثالث: إسلامية الحريات النفسية

الشعوب - وخاصة الإسلامية - فإن عقليتهم ساذجة بسيطة، أو بالأصح "ذرية" كما عبر بذلك المستشرق "جيب" في كتابه "وجهة الإسلام" ويعتقد بذلك أن العقلية الإسلامية تدرك الأمور بواسطة الجزئيات ولا تدركها إدراكاً كلياً.(1)

- وأن عقلية المسلم خرافية - فهو يعتقد أن الأرض محمولة على قرن ثور.
- وأنه وثني يعبد محمدًا وأن محمدًا ربط اسمه بسم الله في الشهادة وأنه أمر المسلمين أن يقلدوه في كل شيء.

8 - يصور المسلم بصورة المحتقر للمرأة المضطهدة لها. المرأة في الإسلام أقل من الرجل، المرأة لها نصف المرات، وهي مسجونة في البيت، وكل همها إرضاء نزوات الرجل، ومع الأسقف أن المسلمين يعينون على تشويه صورتهم... مع العلم أن الإسلام هو الذي كرم المرأة وخلصها من نير العبودية الجاهلية.

9 - يصور المسلم بصورة تاجر الرقيق... وفي إفريقية تتعمد الكئانس تصوير المسلم بهذه الصورة.

10- في الولايات المتحدة، وارثة اليرث الاستعراضي، وظفت هذا الإرث في إعلامها، وجامعاتها، وثقافتها الشعبية، وسياستها الاستعمارية، فصورت المسلم في الأفلام السينمائية والكاريكاتورية كخوغر متعطش للدماء أو ذوي أنرف معقولة أو كالسادين(2) الفساق(3).

(1) الاستعراض والمستشرقون - 5، مصطفى السباعي ص 62
(2) السادية (أو جهنون القسوة): وهي الميل إلى التعذيب في نفس المدين، وقد دعيت بالسادية نسبة إلى (الفرنس دي ساد) وهو كتاب فرنسي أشتهر عنه هذه النزعة، والسادية هي لظة تطلق في معنى واسع على النزعة إلى القسوة بصورة عامة.(ارجع إلى معجم مصطلحات علم النفس)
(3) مجلة (الأمان) البيروتية - العدد 14 جدًا الآخر 1399 هـ.

مقال: الإسلام والاستعراض والغرب للدكتور أدوار سعид - ترجمة المجلة..
وبرنامجه القبيحة لابن السلم، تصور الأمريكي، بأنه إنسان تلمدح، يترك كل شيء، لا يخدم ولا يستطيع أحد الضحك عليه، ويظهر بمظهر المروءة (إطفاء الحريق، إنقاذ المرأة...).
هذه الصورة للرجل الأمريكي لا تعرض عفويًا، إنما تعرض بصورة منظمة، وإذا عرفنا أن أمريكا تصدر أكثر من 200 ألف ساعة «برامج تلفزيونية» كل عام، تغزو أكثرها الدول العربية والإسلامية، سندرك مقدار تأثير هذه الدعاية في المجتمعات الإسلامية.
الفصل الرابع
الحرب النفسية والدعوة الإسلامية

المبحث الأول: الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر.
أولاً - أعداء الدعوة الإسلامية وساحتهم.
- الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية.
(1) دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.
(2) السيطرة على الإعلام.
(3) تغيير الوعي الثقافي والسياسي.
- التغيير التعليمي والثقافي.
ب) التسميم السياسي ومحو ذاكرة الأمة.
(4) العولمة والهيمنة على العالم.
(5) استهداف الإسلام بدعوى الحرب على الإرهاب.
(6) دعم التوجهات الخدائمية والعلمانية.
(7) إظهار الحركات الهدامة والتعميم على الفكر الإسلامي الصحيح.
أ- إظهار الحركات الهدامة وتلميعها.
ب- حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف.
ج- التمويه والتعميم للحقيقة.
د- الطمس والتحكيم.
المبحث الثاني: مبادئ الحرب النفسية في الإسلام.
المبحث الأول
الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية في الوقت الحاضر

أولاً - أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم

- من هم أعداء الدعوة الإسلامية؟

سؤال نطرحه، لنعرف على هؤلاء الأعداء الذين يشون الحرب النفسية الحاصلة على الدعوة الإسلامية وحلمها من العلماء العاملين والمجهدين المخلصين. وذلك لتعريفهم من الثياب الراقية التي يلبسونها. ويُخدع بها المغلون من أبناء الإسلام. وحتى يميز المسلم بين عدوه وصديقه. ولا يُخدع إذا لبس العدو ثياب الصديق ونطق بلسان الصديق.

وعاء الدعاء اليوم كلهم، يلبسون ثياب التنافس والرباء، وإن صورة المكافئين في الصدر الأول تتكرر مرة أخرى في الوقت الحاضر. على مستوى الدول ومن خلال وسائل الإعلام المتعددة.

قال تعالى: "إِنَّمَا يَذْهَبُ مِنَ الْمَعْلُومِ إِلَى الْمُعْتَمِدِ، وَيُوْصِيُّ الْمُعْتَمِدَ إِلَى الْمَعْلُومِ".

ولعدم وضوح صورة الأعداء للمسلمين، لتلَّؤ هؤلاء الأعداء بالوران شتي، لابد من مصدر حق، يوضح صورتهم، وبينهم على حقائقتهم. وهذا المصدر الحق هو كتاب الله عز وجل الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه. والله عز وجل هو وحده العلم بأعدائه وأعداء المسلمين. ويقرر هذه الحقيقة قوله تعالى:

"أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أَوْثَانُوا تَصَدِّيَّ بِمَنْ كَتبَهُمُ الْأَكْبَارُ الْصَّلِّيْبُ وَيَرِيدُونَ أنْ يَضْلُوا أَلسَنَّةَ؟ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَاءِ آبَاكُمْ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا".

(قول للمرء)
وبين الله عز وجل أعداء الإسلام والمسلمين بقوله: لا تجدن أشد الناس عداوةً لِلذين ءامنوا اليهود والذين ءاصروا واتخاذهم مكيدةً لِلذين ءامنوا الذين قالوا إننا نصرينا ذللك لأنهم قسيسيون ورهبانا وأنهم لا يستمرون (72) (النساء). وإن أعداء الدعوة الإسلامية لم يكونوا يحاربونها في الميدان بالسيف والبرمح فحسب، ولم يكونوا يحولون عليها الأعداء ليحاربوها بالسيف والبرمح فحسب، إنما كانوا يحاربونها أولاً في عقيدتها، كانوا يحاربونها بالدس والتشكيك، ونشر الشبهات، وتزوير المؤامرات... وهكذا كانوا في العصر الأول... وهكذا هم في كل زمان ومكان، لم تنتقم هذه العدوانة والحرب بالسلاح وبغير السلاح، مروراً بالحروب الصليبية، مروراً بشروبه الإسلام وترويه على يد المستشرقين والمستشرين... حتى الوقت الحاضر، فإنهم لم يلقوا السلام، ولم يضعوا السيف في خده.

وأعداء الإسلام لم يرفعوا رأية العقيدة في حربهم للعقيدة الإسلامية في الوقت الحاضر... إنما يرفعون أعلاماً شتى في خبث ومكر لأنهم جربوا حماسة المسلمين لديهم حين واجهنهم تحت رأية العقيدة، ومن ثم استناد الأعداء فغزوا أعلام المعركة، لم يعلوها حرباً باسم العقيدة، خوفاً من حماسة العقيدة وجبشاتها، إنما أعلوها باسم الأرض، والاقتصاد، والسياسة ومناطق النفوذ وما إليها... وألقوا في رواج المخدوعين الغافلين ما أن حكايتهما العقيدة قد صارت قديمة لا معنى لها، ولا يجوز رفع رأيتهم، فهذه في رأيهم، سمة المتخلفين المتعلمين، ذلك كي يأمنوا جيشان العقيدة وحماستها، بينما هم في قرارة نفوذهم، يخلعون المعركة أولاً وقبل كل شيء لتخطيط هذه الصخرة العالية - صخرة الإسلام العظيم - التي نطبعها طويلاً فادهمها جميعاً.

(1) ارجع إلى الظلال - تفسير سورة المائدة آية 82 - والبقرة آية 120.
وكلما ارتفعت وسائل الكيد لهذه العقيدة والتشكيك فيها، والتوهين من عراها، استخدم أعداؤها هذه الوسائل المترقبة الجديدة، والحرب النفسية اليوم، والتي يشتهاها هؤلاء الأعداء على الإسلام والمسلمين، تستخدموها أرقى ما وصلت إليه وسائل الإعلام المرئية والسمعية والموقعة، ومن خلال هذه الوسائل تنشر الحرب النفسية أسلحتها، من دعاية وشائعة، وتحرير للأنكار، وتزيف للحقائق، وتشويه لأشخاص وجماعات. بالإضافة إلى الأسلحة الأخرى، التي ترحي بها الحكومات الاستعمارية إلى تلامذتها وصنعائها، الذين جعلوا منهم أعداء لديهم وأبناء أمتهم وأصبحوا طوع بناء الأعداء، في استخدام كل وسيلة لتوهين العقيدة في نفس الناس، والتصعيد على دعاة الإسلام محاربهم نفسياً وموادياً، واستخدموا كل وسيلة ممكنة لتيريس هؤلاء الدعاة. ويعادهم عن أتباعهم وجماعتهم. ومن تلك الوسائل تجننهم وتعذيبهم ومحاولة غسل ذماغهم وتشويه سمعتهم، وإقامة المحاكمات الصورية لهم. كل هذه الأساليب استخدمت ضد رجال الدعوة الإسلامية، الذين هم نضج هذه الأمة، وروحها المعنبر عن هذه العقيدة.

ثانياً: الاستراتيجية الغربية في الحرب النفسية في العالم الإسلامي: بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عام 1991م أخذ الغرب يفتتش عن العدو جديد له، فلم يجد إلا الإسلام والعالم الإسلامي، وبخاصة وهو يرى الصحوة الإسلامية بعد سبات طويل للعالم الإسلامي المفرح من قبل جميع القوى الصليبية والشيوعية والوثنية في الماضي القريب. ويصفه أن ضبع الحروب الصليبية - على حد تعبير محمد أسد في كتابه القيام «الإسلام على مفترق الطرق» والذي ذكرناه آنفاً في هذه الدراسة، أقول بصفة أن شبع الحروب الصليبية مازال يلاحق الغربيين خصوصاً. فالعدو الحاضر في أذهانهم هو الإسلام لا غير...

وهذا ما عبر عنه الرئيس نكسون - الرئيس الأسبق للولايات المتحدة الأمريكية في كتابه «اقتناص الفرصة» بقوله: «إن الإسلام سوف يصبح قوة
سياسة متعمصة، فمن خلال تبوؤه مركزاً مالياً مهماً، سيفرض تحدياً رئيسياً يختم على الغرب أن يقيم تحالفًا قوياً مع موسكو للتصدي لعالم إسلامي معاد وعدواني(1).

ويعد نكسون أن العالم الإسلامي هو التحدي الحقيقي للإستراتيجية الأمريكية في القرن الواحد والعشرين(2). بعد الهيمنة السياسية والاقتصادية والثقافية على العالم باسم النظام العالمي الجديد، والعولمة، ومحاربة الإرهاب، واقتنصت الولايات المتحدة الفرصة بعد الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) وضرب الارتجال التجارية في نيويورك عام 2001م لتعلنها حرباً شعواء نفسيّاً ومادياً ضد العالم الإسلامي.


وعداء حكومة الولايات المتحدة للإسلام لا ينطلق من فراغ، بل من جذور إنجيلية، لذا أطلق عليها من قبل جميع المفكرين في الشرق والغرب وحتى من الولايات المتحدة بالذات، اسم اليمين المسيحي المحافظ، أو المتطرف(3).

---

(1) ص 195
(2) ص 209
(3) انظر التقرير الخاص: الجذور الإنجيلية للأحادية الأمريكية، اليمين المسيحي وكيفية مواجهته بقلم دواو أولدفيد، الأستاذة المشاركة في العلوم السياسية في جامعة نوكس - مركز الشرق العربي للدراسات الحضارية والاستراتيجية - لندن - آذار 2004م قدم في الاجتماع السنوي للعلوم السياسية الأمريكية المنعقد في الفترة 28-31 آب 2003م.
والولايات المتحدة الأمريكية - زعيمة العالم الغربي في الوقت الحاضر - في حربها النفسية والمادية لا يبقى خبط عشواء، بل هي تسير في خطي مدروسة، وتعتمد على دراسات اجتماعية ونفسية موثقة من علماء غربيين، وعملاء حرب ومسلمين من يعيش في الغرب أو في العالم الإسلامي. من هنا نستطيع رصد إستراتيجيتها في هذه الحرب من خلال النقاط الآتية:

1- دراسة الحركات الإسلامية ورصدها.
2- السيطرة على الإعلام.
3- تغيير الوعي الثقافي والسياسي لدى المجتمع الإسلامي.
4- العولمة والهيمنة على العالم.
5- استهداف الإسلام بدعوى محاربة الإرهاب.
6- دعم التوجهات الخشعة والعلمانية.
7- إظهار الحركات المدامة والتعليم على الفكر الإسلامي الصحيح.
(1) دراسة الحركات الإسلامية ووصدها:
والباحث لهذه الدراسة هو خشتيهم من الصحوة الإسلامية الحاضرة، المطالبة بتحكيم الإسلام في الحياة بعد أن فشلت النظم الجاهلية كلها من رأسمالية وشيوعية في تحقيق ما يصب في الإسلام المسلم من عزة وكرامة وخِيَاء آمَنة...
ولذلك دبت روح جديدة في ضمائر كثير من المفكرين المسلمين صارت تنادي بالرجوع إلى الإسلام عقيدة وشريعة في الحياة.
فقد بدأت صحف الغرب خاصة تشبه العالم الغربي إلى هذه الصحوة وتتن خطرها. فالصحيفة الفرنسية والإنجليزية والأمريكية والصهيونية كلها تتحدث عن هذه الصحوة الإسلامية، والعودة إلى الإسلام في العالم الإسلامي صحفية "لوموند" وغيرها من الصحف الفرنسية تكتب سلسلة مقالات عن الإسلام وعن الرسول محمد ﷺ وعن هذه النهضة الإسلامية التي بدأت تظهر بوادرها، وصحيفة "التايمز" تقول: "ليس هذه الصحوة الإسلامية مقصورة على مصر بالطبع، فهناك أكثر منها وضُحَأ في إيران وآخرين في باكستان و هناك علامات على وجودها في إندونيسيا ومؤشرات على انبثقها في بعض مناطق الاتحاد الروسي المسلمة، أما إفريقية فقد أحوز الدين الإسلامي بعض التقدم على حساب المسيحية والديانات الجاهلي الأخرى، وعلى المستوى الدولي فقد ازداد الشعور التضامني الإسلامي بعد أن احتجت إسرائيل القدس الشريف ثم تقول: "إن المسلمين يكرهون الغرب، لأنه برز واشتهر على حساب القدر المدل الإسلامي، وفرضوا عليه كل ألوان الخزي والعادات السيئة" وتحمل مقاها قائلة: "العالم الإسلامي يعتري اليوم طلعت وحاجة لتأكيد ذاته وهويته" ثم تصبح منذرة محذرة: "الغرب اليوم أمام خطر، سيجعله يدفع الغالي والرخيص بسبب عجرفته الماضية ونحاهه السابق".

(1) انظر البلاغ العدد 469 - تاريخ الأحد 14 ذي القعدة 1398ه.
وهذه جريدة «باري ماتش» الفرنسية تتكلم عن المد الإسلامي الذي يغزو العالم. وأن على دول الغرب أن تتخذ الاحتياطات اللازمة لكي لا تدفع بالأحداث (1). وجودة «هيرالد تريبيون» الأمريكية تكتب مقالاً بعنوان: «رياح البعث الإسلامي تقلق العالم»، ثم تشرح الأخطار التي تهدد إسرائيل من جراء هذا البعث الإسلامي (2).

إن ما نشرته هذه الصحف يدل على أن هناك تخوفات من هذه الصحوة وأيادي تعمل على كبت انقسامات الشعوب الإسلامية، والوقوف ضد كل صحة إسلامية وبعث إسلامي، من شأنها أن يزجي الكابوس الاستعماري الظاهر والخفي على الشعوب الإسلامية، والذي يريد أن تبقى هذه الشعوب في ابتعاد عن حقيقتها ووجودها طامعة شخصيتها في شخصية الأجنبي، ومستبدلة بثقافتها وتفكيرها وقيمها ثقافة وفكر وقيم الأجنبي.

وذلك الصحف «الإسرائيلية» بدورها رفعت عقيرتها منذرة الغرب الخطر الذي يهددها. أما أن每次都ات 글طة الإسلام الإباحية في الوقت نفسه حيّة حكومة موسكو محددة من خطر البعث الإسلامي وتأثيره على المسلمين في الاتحاد السوفيتي (سابقاً) في صحفة «جوش كرونيكيلا» الأسبوعية: «إنه ليس في وسع الغرب أو الاتحاد السوفيتي إغفال النتائج المرتبطة على غير الثقة بالنفس عند المسلمين يمكن أن يزعموا توازن قسم كبير من الكرة الأرضية» (3). وهكذا نلاحظ أن هذا الانبعاث الإسلامي الذي أصبح يشق طريقه في البلاد الإسلامية يخطط الأعداء للتآمر عليه حتى لا يعم انتشاره، ويくんون على القضاء عليه وإلصاق

---

(1) مجلة الإصلاح العدد 11 - تاريخ ربيع الأول 1399 هـ.
(2) البلاغ العدد 469 - 14 ذي القعدة 1398 هـ.
(3) البلاغ - العدد 469 - 14 ذي القعدة 1398 هـ.
التهم المكتوبة به، ورميه أحياناً بالرجعية الزاحفة وأحياناً أخرى بالتواطؤ مع
الشيوعية.

ويتأكد هذا من الخبر الذي نشرته صحيفة «واشنطن بوست» من أن البيت
الأبيض كلف وكالة المخابرات الأمريكية بالعمل على دراسة الحركات الإسلامية
في العالم الإسلامي كله، وستضم هذه الدراسة التي أمر بإجرائها مستشار الرئيس
كارتر لشؤون الأمن القومي «زيغي جون بريجيسكي» تقارير مستقلة من وكالات
الاستخبارات الدينية والعسكرية، وقد وصف مسؤولون أمريكيون الدراسة بأنها
بالغة الحساسية نظراً للتآثرات المعقدة للتعليم الإسلامي في العديد من الدول،
وللأهمية السياسية المتزايدة لعدد من البلدان الإسلامية. وقالت «الواشنطن
بوست»: إن بريجيسكي مصمم على عدم السماح لكي تأثيرات بقوة تكون لها
دور في مناطق الأزمات في العالم كما حدث في إيران(1).

وأما يؤكد هذه الأخبار أيضاً «أن مجلس الأمن القومي الأمريكي طلب من
الاستخبارات البريطانية تزويده بكل ما يمكن من معلومات تتعلق ببعض الحركات
الإسلامية، بسبب افتقار الولايات المتحدة إلى المعلومات الوافية عن هذه الحركة،
ويشكل هذا الطلب جزءاً من المشروع الكبير الذي أمرت الحكومة الأمريكية
بإعداد الدراسات اللازمة حوله قبل أيام لمعرفة تأثير الحركات الدينية»(2).

ومن المعلوم أن الاستخبارات البريطانية لها خبرة كافية في هذه الحركات بصفتها
الدولة الاستعمارية الأولى للعالم الإسلامي وتعرف ما يجري فيه.

(1) نشرت النبا:
- صحيفة الشرق الأوسط - 31/1/1979م.
- صحيفة القبس الكويتية - 22 صفر 1399 هـ (21/1/1980م).

(2) صحيفة القبس 25-1399 هـ و 24-1979م.
ويسهم الصهاينة في فلسطين المحتلة في هذه الدراسة، مما يظهر تغريدها من هذه البقعة الإسلامية وذلك أنها عقدت ندوة خصوصية شارك فيها عدد كبير من الاختصاصيين الصهاينة من جملتهم البروفيسور «شارون» مستشار رئيس الوزراء للشؤون العربية وغيره من الأساتذة الكباد. ولقد ذكر «البروفيسور شارون» في هذه الندوة أنه ما من قوة في العالم تضاهي قوة الإسلام من حيث قدرته على اجتذاب وإثارة الجماهير، وأنه يشكل القاعدة الوحيدة للحركة الوطنية الإسلامية، ولم ينس «شارون» كفاح ونشاط المفتي الحاج أمين الحسيني - رحمه الله - الذي اعتبره أحد أعداء الصهيونية والكافح الأول ضدها. ثم قال: «إن المسجد هي دائماً منبر دعوة الجماهير العربية إلى التمرد على الوجود اليهودي» واعتبرت الندوة أعمالها مؤكدة أن هناك بقعة إسلامية حقيقية بين صفوف الفلسطينيين أيضاً وأن الاختلافات الموجودة بين المسلمين لا تنفعهم من أن يتبادوا ليقفوا صفاً واحداً.

(2) السيطرة على الإعلام: رأينا آنذاك أن الإعلام من العوامل المهمة المؤثرة في السلوك، وفي قناعات الطرف المستهدف، من هنا يصبح الإعلام من أهم الأدوات الميسورة للحرب النفسية، حيث الاستخدام المنظم لوسائله ومواده للتآثر على الآخرين. فالإعلام هو الذي ينقل الأخبار وتفاصيل الحروب. يصبح تزيد المعنويات أو تضعها، وهو الذي يهول بعض الأمور ويخفها، ويقلل من شأن أمور أخرى بنية تكون حالة إحباط مؤلمة. فضلاً عن طريقة فوزه في نقل الأفكار والمعلومات وحاجة الجمهور إليه في المتابعة وإشباع الحاجات، وكذلك قدرته وشموليته في التأثير. هذا كله يكون الإعلام من الأدوات الفاعلة جداً من بين

---

(1) مجلة البلاغ الكويتية -عدد نفسه المذكور سابقاً - في مقال بعنوان "رياح البعث الإسلامي تغلق العالم الغربي".
أدوات الحرب النفسية... وهنا أيضاً كان الهدف الإستراتيجي للغرب هو السيطرة
على الإعلام، وفعلاً أصبح يرد بصره كيف يشاء والدليل على ذلك (1):
- غالبية الشركات العملاقة (متعدة الجنسيات) للصحافة والتلفزيون
والإجراءات الصناعية الناقلة للبث الفضائي موجودة في اليد الأمريكية التي أنشأت
النظام العالمي الجديد.
ب- أساس عمل شبكة المعلومات (الإنترنت) أمريكي ورأسها مالها أمريكي
ومراكزها عبر العالم، والقدرة على مراقبتها والتحكم بها في يد أمريكية
تسعى لتعقيم النظام العالمي الجديد.
ج- 80% من الأنباء العالمية التي تتناوبها وكالات الأنباء في الدول النامية
مصدرها الولايات المتحدة الأمريكية القادرة على "الفبركة" والصباغة حسب
توجهات النظام العالمي الجديد.
د- خمس عشرة شركة إعلامية أمريكية - غربية تتحكم في الوسائط والمواد
والمؤسسات والتكنيات الإعلامية، والإطالة في العالم، وأن 75% من إجمالي
الإنتاج العالمي من البرامج التلفزيونية أمريكية. و90% من إجمالي الأخبار المصورة
و82% من إنتاج المعدات الإعلامية والإلكترونية، و90% من المعلومات المخزنة
في الحسابات جهد أمريكي.
ه- رأس المال البالغ نحو (489) مليار دولار الذي يتحكم في سوق التقنية
الإعلامية غالبيته أمريكي، يسعى أصحابه إلى استثماره للانتشار إلى السوق العالمي
بدفع من النظام العالمي الجديد (2).

(1) من المصدر: الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد - د. سعيد العبيدي - مجلة البحوث الإسلامية - ذكر
(2) المراجع السابق وانظر أيضاً: اتجاهات الشركات متعددة الجنسيات في ظل ثورة التكنولوجيا
والإعلام - د. حسن زعور - مجلة الفكر العربي - العدد 89 - ص 201 - صف 1997 م.
هذه كلمة نجد أن المهمين على النظام العالمي الجديد استبدل في كثير من الأحيان، الحرب النفسية بالحرب التقليدية، لأنها أكثر تأثيراً، وقلل خسارة من الناحيتين المادية والبشرية، ووجد في الإعلام ووسائل الاتصال الحديثة أخطر أسلحة الحرب النفسية.

أما مضمون الإعلام المسيطر هذا فوضحه نايف تشومسكي – المفكر الأمريكي- في كتابه «السيطرة على الإعلام»، حيث يورد في كتابه الكثير من الأمثلة التي تبين حجم الكاذب والخداع والتضليل الذي يمارس على الجمهور، ويخص إلى نتيجة رئيسية، وهي: أن «صورة العالم التي تقدم لامعة الجمهور أبعد ما تكون عن الحقيقة، وحقيقة الأمر عادة ما يتم دفنيها تحت طبقة وراء طبقة من الأكاذيب».

وهكذا نجد أن زعيمة العالم الغربي تستعمل الإعلام الكاذب المزيف لسلاح من أسلحة الحرب النفسية الموجهة للعالم الإسلامي، لأن الدولة التي تكذب على جهورها، لا تكذب على الشعوب الأخرى التي تسعى الهيمنة عليها مادياً وثقافياً وحتى نفسيًا.

(3) تغيير الوعي الثقافي والسياسي: يتضمن:
أ- التغيير التعليمي والثقافي.
ب- التسليط السياسي ونحو ذاكرة الأمة.

أ- التغيير التعليمي والثقافي: تغيير الوعي عن طريق التغيير الثقافي والتعليمي هذا ليس جديداً، فقد حاولة الغرب عن طريق المبشرين، وتأملهم في العالم الإسلامي، وفشلوا في ذلك، وبقي الوعي الإسلامي المحرك الأساسي للمجتمع.

أنشروا المدارس البشرية، والمؤسسات الثقافية، واستخدموا التعليم وكل الوسائل الممكنة للقضاء على الثقافة الإسلامية، ولم يفلحوا، إذاً لأبد من استعمال القوة أو التهديد بها. لابد من الحرب النفسية وتوجيه جميع أسلحتها الفتاكة تجاه مصدر القوة الكامن في المجتمع الإسلامي. وجاءت الفرصة لذلك بعد تفجير برجي التجارة العالمية في نيويورك عام 2001م.

* وبدأت الحرب النفسية الموجهة نحو العالم الإسلامي والعبري بشكل خاص، والملكة العربية السعودية بشكل أخص.. بحملات إعلامية دعائية مخططة وهمدفة تقول فيها:

- الوهابية السعودية مسؤولة عن التطرف في العالم الإسلامي كله.
- السعودية تصدر كره الكفار إلى الأمة الإسلامية.
- وتعليم الأطفال السعوديين كره الأمريكيين في المدارس الحكومية.
- السعودية هي التي أسست طالبان ومؤلاتها(1).

السعودية تموّل الجماهير الإسلامية المترفّة في الولايات المتحدة الأمريكية عبر جامعات ومؤسسات، مثل رابطة العالم الإسلامي، وهيئة الإغاثة الإسلامية العالمية، ومؤسسة الحرمين الإسلامية. وكذلك عبر الشؤون الإسلامية في السفارات السعودية والقنصليات على مستوى العالم(2).

* ثم بدأت وسائل الإعلام تركز على المناهج التعليمية في العالم العربي والإسلامي:

- لإبد من التغيير في العقلية التي تجعلها التقاليد الوهابية.
- يجب إلغاء فصول كاملا من الكتب التي تتحدث عن العداوة التاريخية بين المسلمين وغير المسلمين.
- التوقف عن دعم المدارس الإسلامية في الخارج أو تصدير ميزوجها الدينى إلى دول أخرى.
- حذف الأحاديث النبوية والآيات التي تتحدث عن اليهود والنصارى.

وقد يأتي يوم تطلب فيه الولايات المتحدة الأمريكية التوقف عن تدريس القرآن الكريم والسنة النبوية بصفتهما من منابع الإرهاب. وقد رأى الملايين من مشاهدي القنوات الفضائية كيف أن مراسل (س. إن. إن.) وقف على مجموعة من الأطفال في بيشاور - باكستان يتعلمون القرآن الكريم وقال: هذا مطح الإرهاب.

وإثماً لتغيير الوعي لدى الفرد المسلم، فقد صدر عن دار النشر الأمريكية (Wine Pres, Omega) كتاباً سمى "القرآن الحق" نشره المدعو (1) الصوفي والنهي عن الكتاب المقدس للقرآن الحادي والعشرين، وذلك أنه للأمة العربية خصوصا وللعالم الإسلامي عموماً. يحتوي الكتاب على آيات من القرآن الكريم مترجمة مع تلفيق وإضافات ما أنزل الله بها من سلطان. وهدفه نشر ثقافة الغرب في الأناجيل والشريعة. فضلاً عن نشر ثقافة الاستسلام والخضوع والضعف والجهل في ديار المسلمين.

(2) انظر موقع مجيب على الإنترنت في 1425/12/28 نقلًا عن مجلة القرآن التي تصدرها جمعية إحياء التراث الإسلامي بالكويت، والكتاب المذكور مترجم إلى اللغتين العربية والإنكليزية.
ب- التسميم السياسي وهو ذاكرة الأمة. مفهوم "التسميم السياسي" يتلخص في استخدام جميع الأمور المتاحة للتأثير في نسيات وعقل وذاكرة الجماعة أو الأمة بقصد تغيير أو تدمير مواقف معينة، وإحلال مواقف أخرى تؤدي إلى سلوك يتفق مع مصالح الطرف الآخر وأهدافه.

ويتوجه التسميم السياسي إلى عقل الإنسان ونفسيته، محاولًا التأثير في ثوابته ومنهج تفكيره. وهو بهذه الصورة من أسلحة الحرب النفسية، ويشبه إلى حد بعيد غسيل الدماغ الذي بسط في غير هذا الموضوع من هذه الدراسة ويمكن تلخيص غايات التسميم السياسي وتحديدها في العالم الإسلامي في الآتي:

1- تحقيق إيمان المسلم بعدالة قضية التي يدافع عنها ومشروعيتها.

2- تمييز أسس المسلم الدينية والعقيدة ومبادئه.

3- إضعاف ثقة المسلم بهذه الأسس والمبادئ.

4- تطعيم التماسك الإدراكي والعقلي للمسلم. والوصول به إلى مرحلة الإحباط.

5- الهزيمة النفسية قبل الهزيمة العسكرية.

6- زرع قيم جديدة تخدم أهداف العدو.

* والوصول إلى هذه الغايات لا يتم دفعًا واحدة، بل ضمن مراحل متتالية، كل مرحلة تؤدي إلى الأخرى ولنضرب مثلًا على ذلك بقضية فلسطين:

- قضية مجتمع احتلت أرضه، فمن حقه لاسترجاعها المقاومة.. وهو حق عادل وشرعي.

- تبدأ عملية التسميم برزغ قيم جديدة لدى المجتمع المحتج مثل: الاعتراف بالآخر، والربا ليس حلاً لأي مشكلة، والسلام والتنمية الاقتصادية...إلخ.
- تضخم وسائل الإعلام والاتصال والتعليم والتربية هذه القيم حتى توصلها إلى قمة سلم القيم الهرمي، وعندئذ تحدث عملية إحلال شعورية ولا شعورية لها محل القيم القديمة الثابتة والعادلة، وهكذا تسهم الأمة ذاكراها.
- وهكذا تتخلى الأمة عن حقوقها الأصلية ومقدساتها في سبيل حل مشكلاتها الاقتصادية والرفاهية أو حتى إنها تتوهم تحقيق ذلك.
- وحتى إذا اكتشفت الأمة الحقيقة فإنه يتزمن على ذلك نوع من الصدمة تؤدي إلى الشلل النفسي، والإحباط، ومن ثم عدم القدرة على المواجهة لما توجد من تمرد في الشخصية، فيتحقق النصر للعدو بأقل تكلفة.
- وهكذا يتم التسمي السياسي والفكري الذي يعد المقدمة المنطقية لتشكيل الارأي العام في الأمة. إنه القضايا المهمة، وهذا الأسلوب تخضع ذكرى الأمة ووعيها الجمعي منذ عقدين من الزمن على الأمل في صراعها مع الكيان الصهيوني (1).

(4) العولمة وهمية على العالم: تقف الأمة الإسلامية اليوم على مفترق الطرق، بعد أن برزت ثقافة معينة ذات لون واحد هو اللون الغربي للحياة، تريد أن تفرض على العالم البشري باسم «العولمة».
- هذا اللون الغربي للحياة، أو هذا النموذج، صورة مجتمع واحد، له تراثه وأخلاقه وقيمته التي لا تتفق، في أغلبها، مع الثقافة الإسلامية، أو العقيدة الإسلامية خاصة، ومع الثقافات الأخرى للمجتمعات بعامة.
- ولبن الماء كان عولمة.. للعلاقات الإنسانية القائمة على التعاون والتفاقم والموارد المبنا من أجل تكوين حضارة إنسانية تبدأ تقوم على الحرية والمساواة بين

---
(1) أنظر د. حامد عبد الماجد - التسمية السياسي ومعنا الذاكر - مجلة الانتقاذ الإسلامية -
WWW Pinonlin.net - العدد السادس - 1425/11/14 - الموقع على الإنترنت: 1425/11/14
الشعب، وتحقيق إنسانية الإنسان في الحياة، ولكن الصور السلبية للعولة تظهر
محاولة هيمنة مدنية معينة، وهي المدنية الغربية [ولا تقول حضارة] على
الحضارات الأخرى.
هذا مع العلم أن العولة تلبس ثوباً قشياً برأساً، يخدع المشاهدين، وهي تنزين
بهذا الثوب ليقبلوها على علاتها...
ومن أهم السلبيات التي تتصف بها "العولة" بصورةها الحالية الواقعية هي
الهيمنة الشمولية، ومحاولة فرضها على العالم بالقوة أو التهديد بها، كسلاج من
أسلحة الحرب النفسية، حتى لا يكون في العالم إلا ثقافة واحدة، وفكر واحد,
وعقيدة واحدة، بينما نجد الحضارات، على مر التاريخ، لم تكن واحدة، بل كانت
متنوعة، وهذا التنوع دفعها إلى الإبداع والابتكار في المجال المادي والفكري.
ولعل نظرة على الواقع في الساحة الدولية والساحة العربية والإسلامية تقنع أن
منطق القوة هو السائد في عصر ما يسميه "بالعولمة" و"العولمة" أو اختصاراً
عصر القلم الواحد.. المتتم بالولايات المتحدة الأمريكية، زعيمة العالم الغربي
دون منازع.
والغرب هو وارث المدنية الرومانية واليونانية، حيث القوة واستعمار الشعوب
هو دينها.. ويظهر هذا واضحًا في رد الملك فيليب والد الإسكندر الأكبر على
أستاذه الفيلسوف أرسطو الذي اعترض على نية الملك في غزو الشرق، قائلاً: "إنه
يغزو الشرق حتى يجعل الثقافة اليونانية والفكر اليوناني هو فكر العالم وثقافةه"(1).
وهو الهدف نفسه الذي سعى إليه الاستعمار الأوروبي، سواء كان إنكليزيًا أو
فرنساً أو برتغالياً أو إسبانيا في القرن التاسع عشر، لقد استخدم القوة العسكرية في
غزو العالم ورفع شعوبه بمجرد تحديها ومثليها وإعمارها(2).

(2) المراجع السابق ص 51.
وقد وصف جارودي في كتابه "حوار الحضارات" ما صنعه الغربيون يشعوب العالم الأخر بأنه صنع "الشر الأبيض" واتبعت على إمبراطوريتهم اسم "إمبراطورية الشر الأبيض" وهو أدق وصف يمكن أن توصف به أمم العالم طوال تاريخها، فهي الأمم التي كانت دائمًا السطو على إنجازات الآخرين، ودائما الاعتداء على حقوقهم وأراضيهم ومواردهم تحت حجج واهية ودعوى فارغة لا تنطيح على أحد(1).

وها هو التاريخ يعيد نفسه، الغرب يريد الهيمنة على العالم الإسلامي تحت دربعة "العولمة"، وتحت دعاوى الإصلاح ونشر الديمقراطية، والتنمية الاقتصادية، وحقوق الإنسان، ولا ندر fils هذه الدعاوى صادقة؟ بينما نرى جيوشه الحرة تدك أفغانستان والعراق وفلسطين، وتقتل الآلاف بالغازات السامة، والقنابل والصواريخ، إن الغرب الحاقد على الإسلام، إنه الغرب الذي مازال شبح الحروب الصليبية يلاحقه، والصهيونية العالمية تفح في كيده.. ويشهم الدكتور برنارد لويس (2) الذي نجح في إقناع الساسة وصنع القرار في الولايات المتحدة الأمريكية بآرائه التي تثبت فشلها، ولكن لجهل الأمريكيون بالتاريخ الجغرافية، استسلمت عقولهم لصياغات برنارد لويس المحاكاة والعنصرية(3) فهي مقالته "جذور الغرب الإسلامي" التي نشرها عام 1990م يرى أن الإسلام خطر على الغرب، ويرى أنه...

المرجع السابق.

(1) برنارد لويس مفكر بريطاني الأصل، كان رئيس قسم التاريخ في كلية الدراسات الإفريقية والشرقية ثم انتقل إلى AMERICA للتدريس في جامعة برنتستون وأصبح من المقربين إلى البيت الأبيض في عهد بوش، وصديقا حياً لسعدة رؤساء صهينة - ألف عدة كتب عن العالم الإسلامي من أولها: الغرب والشرق الأوسط.

(2) انظر: الانتدارات الثقافية - المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر 1416 هـ في الرياض - ندوة: الخط الإسلامي بين الحقيقة والوهم ص 172، 173.
لا التقاء بين الإسلام والحضارة النصرانية الغربية، ولكنه يعد أكثر من ذلك، فيقرر في ذلك المقال بأن الإسلام دين الحقد والعنيف، وأن من سوء حظ الغرب أنه يعيش في هذه الحقبة التي وجه ذلك الحقد ضد الغرب.

ويبري الدكتور لويس رأياً خطيراً أخرى، فهو يقرر في تلك المقالة بأن المسلمين متأثرون في نظرتهم على الغرب بالفكر النازي، وهذه النظرة هي أيضاً موجودة عند آخرين من الكتاب الغربيين - فهم يربطون الإسلام بالإسلام بالمباريات المفروضة بها عند الغرب من حيث الوهشية والتطرف مثل الشيعية والنازية الفاشستية.

ويؤكد عدم التقاء الحضارات الإسلامية والغربية أيضاً "أيوجين روستو "رئيس قسم التخطيط في وزارة الخارجية الأمريكية ومساعد وزير الخارجية، ومستشار الرئيس الأمريكي "جونسون" لشؤون الشرق الأوسط فيقول: "يجب أن ندرك أن الخلافات القائمة بيننا وبين الشعوب العربية ليست خلافات بين دول وشعوب، بل هي خلافات بين الحضارة الإسلامية والحضارة المسيحية (الغربية) ". لقد كان الصراع محتملاً بين المسيحية والإسلام منذ القرون الوسطى... إن الظروف التاريخية تؤكد أن أمريكا هي جزء مكمل للعالم الغربي، فلسفته، وعقيده، ونظامه، لذلك يجعلها تقف معادية للشرق الإسلامي، بفلسفته وعقيده المتصلة بالدين الإسلامي".

وهكذا يتبنى كل ذي بصيرة أن "العولمة" التي ينادي بها الغرب، ويريد فرضها على العالم الإسلامي للهيمنة عليه، ليست هي العولمة العلمية والتقدم العلمي، ولا العولمة الاقتصادية لخير الإنسانية عامة دون تمييز بين دين ولون وعرق.

---

المراجع السابق ص 173، وانظر أيضاً: د. سعيد حارب - الثقافة والعولمة، ص 60 وابق.
دار الكتاب الجامعي - العين الإمارات العربية المتحدة 2002م.
المراجع السابق (الثقافة والعولمة) ص 116.
إنها نظام عالمي سياسي وعسكري واقتصادي وثقافي. وحضاري إن صحة القول.
إنها تسعى إلى إخضاع الإنسان وصيغها لاستهدافات إرهابية تحكم مسلك الأفراد والدول وجميع المجتمعات، إنها "عولمة الرعب" إن سلكت طريق الإرهاب والحرب النفسية لفرض إرادتها.

 الاستراتيجية الأمريكية -
زعيمة العالم الغربي - في منطقة الشرق الإسلامي - الذي يطلقون عليه الشرق الأوسط - تركزت في ثلاث دوائر متشابكة وهي:
- ضمان أمن إسرائيل.
- تأمين منابع النفط.
- مكافحة الإرهاب.
وقضية مكافحة الإرهاب أصبحت الأساس في هذه الاستراتيجية بعد أحداث الحادي عشر من أيلول (سبتمبر) عام 2001م، واتخذت هذه الحرب أبعادً لا يمكن فهمها إلا أنها حرب على الإسلام، والدليل على ذلك هو الاستهداف الواضح لكل ما هو إسلامي يحمل مشروعًا حضاريًا أو جهاديًا لمقاومة الاحتلال، ورفض الهيمنة الغربية على المنطقة، وألا فما معنى التهديدات الأمريكية المتكررة لحركات المقاومة الإسلامية في فلسطين وليبيا وكشمير وغيرها؟، وهؤلاء لم يهاجموا أمريكا ولاست لهم علاقة بالقاعدة التي تهاجمها. وهذا يؤكد النهج الذي اعتمده اليمين المحافظ والتطور في الحكومة الأمريكية لتمكين إسرائيل لبسط نفوذها بالمنطقة تحت ما يسمى بشريعة الشرق الأوسط الكبير. وهذا ما يفسر الحملات الممنوحة للضغط.

ملخص من مقال د. أحمد يوسف الكاتب الإسلامي المقيم في واشنطن، الذي عنوانه:
الاستراتيجية الأمريكية الجديدة في الشرق الأوسط: استهداف الإسلام بدعو الحربية الإرهاب
[www.algudr.co]
على الدول الخليجية عامة والسعودية خاصة لوقف الدعم الشعبي والرسمي كافة للمقاومة الفلسطينية تحت ما يسمى بسياسة تجفيف المتبقي حيناً، وقطع الطريق على دعم الإرهاب حيناً آخر.

وهكذا نجد أن الحرب على الإرهاب أصبح إستراتيجية ثابتة للقضاء على كافة القوى الوطنية والإسلامية، لتسهيل المهمة أمام إسرائيل للتوسع ووسط النفوذ في المنطقة خلال مشروع الشرق أوسط الكبير. إلا أن هذه القوى ستوت الحائط المثير الذي يمنع أمريكا من الوصول إلى غايتها الاستعمارية، وتحقيق أحلامها في الإمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

حتى نؤكد أن الحرب التي يشها العرب على بعض دول العالم الإسلامي هي حرب صلبة بكل معنى الكلمة، ويطلق عليها الحرب على الإرهاب للتنمية على بقية دول العالم الإسلامي، تأتي بشواهد منهم، على حد قول من فيك أدننك:

- الباحث الأمريكي صموئيل هنتر(1) في الشؤون السياسية قال في حديث صحفى نشر في عمان، وفي صحيفة الدستور(2) : "إن حرب الخليج الثانية التي حدثت في الربيع الماضي بمثابة حرب بين العالم الإسلامي من جهة، والولايات المتحدة وإسرائيل من جهة ثانية، حيث تمت إسرائيل وأمريكا الغرب، وكانت تلك الحرب صورة حقيقية لصراع الحضارات الغربية مع الإسلام".

صموئيل هنتر: مدير معهد آن للدراسات الاستراتيجية في جامعة هارفارد الأمريكية، سبق وعمل في البيت الأبيض عام 1976م كمساعد للتخطيط الأمني لمجلس الأمن القومي الأمريكي.

وبله حيدة كتب أهمها: صدام الحضارات - انظر كلمة في الندوة التي عقدت في ظل المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر 1416هـ. الندوات الثقافية - نشر الحرب الوطني - ص 173 الرياض.

وأضاف يقول: "إن القرن الحادي والعشرين يشهد حالياً الحرب الشاملة على المسلمين" وزعم الباحث الأمريكي الحاقد: "إن الحضارة الإسلامية هي العدو اللدود للحضارة الغربية التي تمثل المسيحية واليهود".

وقال: "إن لابد للحضارة الغربية من مواجهة الصدام المتائر بين المسلمين من جهة واليهود والمسيحيين من جهة ثانية. داعبا الدول الغربية إلى تشكيك تكتل وتحالف غربي يضم المسيحيين واليهود لمواجهة الإسلام والمسلمين".

ب - الجنرال وليم بويكن الناطق باسم البنتاغون (وزارة الدفاع الأمريكية)

وصف الحرب على الإرهاب بأنها صراع المسيحية ضد الإسلام.

والجنرال نفسه هاجم المسلمين في شخص عيدود، زعم الحرب الصومالي واعتبر إلههم صنم، حيث قال عنه: "كنت أعرف أن إلهي أعظم من إلهه، كنت أعرف أن إلهي إلهي حقيقي وأن إلهه ليس سوى صنم". 

(1) ج- برنارد لويس - ورأيناها أنتأ كيف يصف الإسلام بأنه دين الحقد والعنف، وكيف ربط الإسلام بالوحشية والطوفان، مثل الشيوعية والنازية.. وما في كلامه من تهديد على الإسلام والمسلمين، وما الحرب التي تشن على المسلمين إلا نتيجة تنظيره المزرور الحاقد للأديان الإسلامية.

د- ويلي كلاس - الأمين العام للفلسف شمال الأطلسي، وصف الإسلام بأنه العدو الأول بعد سقوط الاتحاد السوفيتي.

هـ - ويقول مورو بيرجر في كتابه "العالم العربي المعاصر": "إن الخوف من العرب، واهتمامنا بالأمة العربية، ليس ناتجاً عن وجود الصراع بين العرب، بل بسبب الإسلام، يجب محاربة الإسلام، للحيلولة دون وحدة العرب، التي تؤدي

(1) انظر وكالة الأنباء الفرنسية - تاريخ 22/10/2003م.
(2) د. سعيد حارب - الثقافة والعلولة - (مراجع سابق) ص 117.
إلى قوة العرب، لأن قوة العرب تصاحب دائماً مع قوة الإسلام وعزته وانتشاره.

إن الإسلام يفزعنا عندما نراه يتشر بيسر في القارة الأفريقية». 

- وهناك عشرات المقالات والأقوال لساحة العرب وفكرهم تؤكد أن المستهدف من شن الحروب الغربية بزعامة أمريكا هو الإسلام وليس شيئاً آخر.

وقد لبست هذه الحروب ثوباً جديداً الآن وهو ثوب الحرب ضد الإرهاب العالمي.

على الرغم من أن رئيس الولايات المتحدة الأمريكية صرح بأنها حرب صلبية إلا أن الكثير في العالم العربي والإسلامي لا يريد أن يصدق ذلك، ويعاون مع الإرهاب الدولي - كما يزعمون - الذي تقومه أمريكا ضد الشعوب الإسلامية، وهكذا يتبنون لنا بعد هذه الأقوال الصريحة الواضحة أن الإستراتيجية الأمريكية في العالم الإسلامي هو مهارة الإسلام.

(2) دعم التوجهات الحداثية. الحرب العسكرية التي تشنها الولايات المتحدة على بعض دول العالم الإسلامي مباشرة مثل أفغانستان والعراق، أو بالوكالة في فلسطين ليست كافية في حرب الإسلام بنظر المحافظين الجدد، بل لا حد من دراسة دور الإسلام في المجتمعات الإسلامية، ثم محاولة السيطرة على هذه المجتمعات بمساعدة المسلمين "المعتدلين". وتقوم بهذه الدراسة مؤسسات علمية ضخمة تعني بالفكر الإستراتيجي وتحويله إلى خطط، وخرائط "دبابات Think Tanks" وبرامج وأولويات، ويطلق على هذه المراكز الفكرية نمط الفكر فلسفة القوة، وهي تعم عن التحالف بين الفكر والسلاح في الولايات المتحدة الأمريكية، وهي تمثل قوى ضاغطة وفاعلة تعمل.


(2) ارجع إلى كتاب جلال العالم - قناة الغرب يقولون: دمروا الإسلام، أبديوا أهله - دار الاعتصام - القاهرة 1974م.
بنشاط قل مثله في العالم، ومؤسسة «رائد البحثية» التي سبسط تقريرها الاستراتيجي، أحد هذه الدبابات الفكرية.”

وقبل تبيان ما في التقرير من خطط لأياد من التنويه أنه ركز على مجتمع معين تنطبق عليه أطلياف المجتمع التي ذكرها، وهذا المجتمع هو مجتمع المملكة العربية السعودية، وإن كان قد تعرض في بعض فقرات التقرير لمناطق مثل إيران وباكستان، إلا أنه يذكر أشياء لا وجود لها إلا في المملكة العربية السعودية.

عنوان التقرير: "الإسلام الهدادي أكثر لياقة"

- يقسم التقرير المجتمع إلى أربعة أقسام: الأصوليين والتقليديين والحداثيين والعلمانيين.

1- الأصوليون: وهم الذين يرفضون القيم الديمقراطية والثقافية الغربية الراهنة.

- وهؤلاء موقفنا تجاههم عدم تأليدهم؛ إلا إذا كان الأمر مختلفاً باعتبارات تكتيكية مؤقتة.

(1) مؤسسة رائد، مؤسسة معمقة تأسست 1948م وذات توجهات صهيونية، وتتبع وزارة الدفاع الأمريكية، ومنهم من يقول أنها تتمتع الكونغرس ويوجد لها أربعة مواقع رئيسة في الولايات المتحدة الأمريكية، ثلاثة فروع في أوروبا في كل من هولندا ومملكة السلفادور، والملكة المتحدة، كما أنشأت رائد - قطر للسياسات في إبريل 2003م، برئاسة "شارلي برنارد" عامة الاجتماع، والباحثة الرئيسة، وكاتبة التقرير وزوجة زمي خليل زاد الذي يشغل منصب المساعد الخاص للرئيس بوش، ومبيوعة الخاص إلى أفغانستان، وأحد المقربين منه، وهو أيضاً رئيس مجلس إدارة مؤسسة رائد الذي أعاد التقرير المذكور بتم镕 من مؤسسة سيتي ريتشارد سون (انظر سليمان البطحي - حوار معه - نشر في موقع الإسلام اليوم في 20/05/1425هـ /8/7/2004م، (وانظر أيضاً، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية).

(2) ترجمة وتحرير شهري جامد فهمي - في 18/05/2004م. انظر موقع الساحة السياسية على الإنترنت.
الفصل الرابع: الحركات الإسلامية والعقلة الإسلامية

2- التقليديون: هم الذين يسعون إلى مجتمع محافظ، مع الابتعاد بقدر الإمكان عن كل ما يتصل بالتغيير والتجديد والحداثة.
- وهؤلاء ندعمهم ضد الأصوليين..

3- الحداثيون الذين يغون عالماً إسلامياً مندوباً في داخل الحداثة العالمية، مما يستلزم - من وجهة نظرهم - تحديث الإسلام وتغييره ليتماشى مع ظروف العصر. وهؤلاء هم الأقرب إلى الغرب إذا ما تحدثا عن القيم والسياسات، ويجب دعمهم.

4- العلمانيون: وهو يريدون عالماً إسلامياً بعيداً عن الدين، على غرار الديمقراطية الغربية - حيث الفصل بين الدولة والكنيسة.
- وهؤلاء أيضاً الأقرب إلى الغرب، ويجب دعمهم أيضاً.

* وينصح التقرير بالنظر ويإماسان وتدين في هذه القوى الاجتماعية الأربع، والعمل مع كل قسم ما يتواءم مع الأهداف الاستراتيجية للولايات المتحدة، وذلك كالآتي:

أولاً: تأييد الحداثيين: ويشمل التأييد:
- القيام بنشر وتوزيع أعمامهم بأسعار مدعمة.
- تشجيعهم على محاكمة الجمهور والشباب والكتابة إليهم.
- تقديم آرائهم في مناهج التعليم الإسلامي.
- منحهم منبرًا جامعيًا يعبرون من خلاله عن وجهات نظرهم.
- جعل أحكامهم الشرعية تجاه المسائل الجذرية في متناول أيدى الجمهور، لنوع من المدافعة عن الأصوليين والتقليديين...

وضع العلمانية في اتجاه معاكس للحداثة، حتى لا يأتي بالأثر السلبي على الشباب المسلم.
الترشيح التقليدي للعنف والتشدد الأصولي، وتغذية نقاط الاختلاف بين التقليديين والأصوليين.

- دحض أي فرصة للتقارب بين التقليديين والأصوليين.
- تعزيز ودفع التعاون بين الحداثيين والتقليديين الغربيين للفكر الحداثي.
- تدريب وتكوين التقليديين يجعلهم أكثر دراية وخبرة في مجال الأصوليين.
- تعزيز الوجود الحداثي في المؤسسات التقليدية.
- تأييد الاتجاه الصوفي، ونشره، والدعوة إليه!!!.
- التمييز والتفريق بين الفئات المتناينة في داخل التيار التقليدي، ومن ثم تأييد تلك الوجهات التقليدية الأقرب للحداثة.

ثالثاً: مواجهة ومعارضة الأصوليين : يكون ذلك بـ:

- دحض نظرياتهم حول الإسلام، وإظهار عدم دقتها وصحتها.
- إظهار اتصالاتهم وعلاقاتهم بالجماعات والأنشطة غير القانونية.
- نشر العواقب الواضحة الناتجة عن أعمال العنف التي يتهجرونها.
- إبداء قدراتهم الهشة في الحكم، وإمكانياتهم الضعيفة في الوصول إلى تنمية حقيقة تفيد مجتمعاتهم.

- توصيل هذه الرسائل - المذكورة آنفاً - إلى الشباب المسلم، وإلى الجموع الغفيرة من المتدينين التقليديين، وإلى الأقليات المسلمة في الغرب، وأخيراً إلى المرأة المسلمة.
- تجيب إظهار أي بادرة احترام أو تقدير لأعمال العنف التي يتبنونها، وصيهم جيماً في قالب «الجناء» و«المحبوين»، وليس «الأبطال الأشرار».

- غذية عوامل الفرقة بينهم.

- دفع الصحفيين للتنقيب والبحث في جميع القضايا المهينة التي يمكن أن تشهدهم وتتالى منهم، مثل الفساد والتفاق، وسوء الأدب.

رابعاً: الناويد الانتقائي للعلمانيين: ويعود بـ:

- تأييد أولئك العلمانيين الذين ينافضون الأصوليين، والوقوف معهم في الخندق نفسه معارضتهم. ولكن من الناحية الأخرى التشبيه من أي تخفيف علماني مع القوى المعاصرة للولايات المتحدة، سواء على الأرضية الوطنية أو الأرضية اليسارية.

- التعزيز من فكرة فصل الدين عن الدولة في الإسلام، وأن الأخير لن يتضرر من هذا الفصل، بل على العكس سيستفيد منه أكبر استفادة.

* هذه بعض النقاط المهمة في تقرير "راند" ذكرت حرفيًّا.. دون تعديل لعرف القارئ ما يفكر فيه الغرب تجاه الإسلام والمسلمين، وعقلية المستعمر الذي يلجأ إلى الفتنة والتفريق بين أبناء الوطن الواحد، ليستهله عليه الهيمنة عليهم.

- فهو يضع الأصوليين وجميع الحركات الإسلامية في دائرة العنف.. وإذا كان يقصد بالأصوليين المتمسكون بديهتهم.. وهم المصصودون عنه - فإن الأكثرية منهم ذوو تفكير معتدل، ويؤمنون بالوسطية التي تعبر عن الإسلام الحقيقي، وهم لا يؤمنون بالعنف كوسيلة للتغيير.

- والإسلام الذي يريد التقرير هو "إسلام ديمقراطي مدني" يناسب مع توجهات الغرب والولايات المتحدة الأمريكية، يسهل توجهه وتوجيهه صوب المزيد من الديمقراطية والحداثة والتأقلم مع النظام العالمي الجديد.
وباختصار يريدون إسلام خالص هو يمكن اختراعه وتشكيله لكي يتناسب مع "أجنادتهم" (١).

- ويصرر التقرير بوجوب دعم الحداثيين وقسم من العلمانيين الذين يحقكون مصالح الولايات المتحدة - دعماً مادياً ومعنويًّا - أي تشكيك طابور خامس في المجتمع، لإفساده دينياً وثقافياً، مع رفع شأن هذا الطابور في الإعلام وتركيته في التعليم ومشاريع المجتمع الأخرى.

أما العلمانيون فيطلب التقرير من أصحاب القرار دعم من ينادي بفصل الدين عن الدولة، ومن يحارب الأصوليين علانية، أما الوطنيون منهم الذين لا يرضون بالهيمنة الأمريكية فإنهم لا يعيدونهم، حتى لا يتحالفوا مع القوى الأخرى، للوقوف ضدهم.

١٧(١٧) إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح.

ومن أسلوب الحرب النفسية أيضاً، حرب الإسلام الصحيح بإظهار الحركات الهدامة في الفكر الإسلامي، والتعتيم أو التزيف للفكر الإسلامي الصحيح. ويمكن إيزاب هذا الأسلوب بما يلي:

١- إظهار الحركات الهدامة وتلميعها: هذا الأسلوب في معركة الفكر الإسلامي الصحيح اقتبسه تلامذة البشر والمحتشرين من أساتذتهم، الذين أكبوا السنين الطوال في تجوؤهم ودراساتهم على كل الآراء المناهضة للإسلام، والحركات المخربة والبدعة الهدامة ثم خرجوا بنتيجة: أن الحركة المخربة هي ثورة جماعية مظلمة، طفح بها كيل الشقاء، وإن البدعة الهدامة فلسفية، وتفكير سليم، والرأي المناهض حرية فكر.

(١) انظر: سليمان البطحي (مراجع سابق).
وبين أبدينا كتباً لهم، وكلها مديح واستحسان للمذاهب الضالة، التي أنزلت
بالإسلام أبلغ الضرر، في عصره الأول، كحركة القرامطة، والباطنية، والحرمية،
والبابوية وغيرها. وهم يردون شعارات براقة، ظاهرها الرحمة، وباطنها العذاب مثل: «التحليل
العلمي» و«إعداد كتابة التاريخ» و«الدراسة الموضوعية المنهجية» فجعلوا باسم
التحليل العلمي» الحركات الشعوية الحاقدة على هذه الأمة، منارات هدى في
تاريخنا.

و«أرخوا للقرامطة معتمدين على كتب عرف مؤلفوها بشعوبيةهم، وبعدائهم
لأمتنا والإسلام معاً، ككتاب ناصر خسرو الفارسي «سفرنامه» علمًأ أن المؤلف
كان رحلة وليس مؤرخاً: فإذا النتيجة التي خرجوا بها تفاقتنا لتقرر أن:
القرامطة أول جبهة اشتراكية في وطننا العربي قامت كرد فعل ضد الدولة
العباسية الإقطاعية الرأسمالية اليمنية».

ومثل هذا الكلام يردده الآن كل أعداء الإسلام في بلادنا الإسلامية.. ومن
الغريب أن هؤلاء حولوا الكذابين والأقافين ومدعى النبوءة والإباحيين إلى أبطال
تحرير، وقواد ثورة.. إلخ ومن هؤلاء مثلًا «الأسود العنصري» المجهول بـ
«كذاب اليمن» حولوه إلى بطل من أبطال الأساطير في اليمن. رغم أنه كذاب

(1) الإسلام وحركات التحرر العربية - ص 5 - دار الفكر - دمشق ط 2.
(2) المرجع السابق.
(3) الأسود العنصري; هو عباهلة بن كعب بن غوث من بلد يقال لها كهف حنان، ابن عتيرة العبسي
لقب بذي الخمار، كان كاهناً مهتمًا يقيم بجنوب اليمن. تبناً وادعي النبوة واتلقى عليه نفسه
رمان اليمن» ونقلته وزراء وزوجه الذين أسلموا وشهدوا بكذبه.. واستأصلت فتته بعهد
الصديق رضي الله عنه.
أحق، زعم النبوة، وقام بفتنه واضطرابات كثيرة وقد قضى عليه المسلمون وعلى أتباعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه(1).

وكذلك الدعوة إلى القادانية في القارة الهندية، التي أيدها الإنجليز بل صنعوها على أعينهم، لتكون خنجرًا مسمومًا في جسم الأمة الإسلامية قال الدكتور (رحمه الله): "إن القادانية مؤامرة مدروسة ترمى إلى تأسيس طائفة جديدة تدعمها نوبة جديدة منافسة لنبوة محمد ﷺ" (2) أسسها الميرزا غلام أحمد عام 1876 م في مدينة قاديان إحدى مدن مقاطعة البنجاب بالهند، وهو من بيت اشتهر بتغذية سياسة الإنجليز الاستعمارية وتحقيق مصالحهم البغيضة (3) وقد انتشرت هذه الدعوة المتحفزة المارقة في العالم أجمع بتأثير الإنجليز. ففي البلاد العربية مثلاً أسس القادانيون مكتباً لهم في فلسطين على جبل الكرمل في حيفا، وذلك قبل اغتصاب فلسطين من قبل اليهود وكانت لهم علاقات حسنة مع اليهود بعد الاحتلال، مع العلم أنهم يقيمون في فلسطين المحتملة على الجواز البريطاني (4) ودعوتهم نشطة إذ عندهم دار للتثبيث ومكتبة عامة، ومكتبة لبيع الكتب، ومدرسة ويصدرون مجلة شهرية اسمها "البشرى".

ومن المهم أن نذكر أن "دعاة القادانية عندما يشعرون في بث دعوتها وفكرتها في أوساط المسلمين لا يظهرون إلا بظهور دعاة الإسلام، ولا يطلقون على مهمتهم إلا كلمات البعث والتجديد، لإيقاف المسلمين السكج في مصيدهم". (5)

(1) ارجع إلى مجلة "الإرشاد" اليمنية العدد "الثامن والثامن" ذو القعدة وذو الحجة 1399 هـ مقال بعنوان "كتاب حوله إلى بطل .. كناب اليمن الأسود العنصري".
(3) المرجع نفسه ص 9.
(4) المورودي - ما هي القادانية ص 14.
(5) المرجع نفسه ص 77.
الفصل الرابع: الرواية النفسية والواجهة الإسلامية

والقاديانية نشطة أيضاً في أوروبا وآسيا، وخاصة في إفريقيا، وذلك للوقوف في وجه البهث الإسلامي هناك، وخاصة في نيجيريا، حيث يشكل المسلمون كثافة سكانية كبيرة، وأن عدد مراكزهم في العالم حسب تصريحهم أنفسهم يقارب واحداً وثلاثين مركزاً (1).

ب - حرب الإسلام الصحيح بإسلام مزيف ومشوه: وهذا وجه آخر من وجه حرب الإسلام، وقد رفع الستار عنه أعداء الإسلام حديثاً، بعد أن شرعوا أنهم أمام موج طافح من البهث الإسلامي، إذا لابد لهم من أن يركبو الموجه، بوساطة صنائعهم، ويدعون للإسلام، ولكن أي إسلام؟ إسلام مزيف. مشوه بعيد كل البعد عن الإسلام الحقيقي، ولنسمه "إسلام إنجليزي" أو "إسلام أمريكي" إن جاز التعبير، لأنه فعلاً يعبر عن أهوائهم وأطماعهم في ضرب الإسلام الصحيح (2).

المراجع نفسه ص ٦٤.

(1) ومن نوع هذا الإسلام الدين يدعون إليه: إسلام القذافي مثلاً - صاحب "نظرية الثالثة" - كما يسميها في كتابه "الكتاب الأخضر" الذي ملأه شعارات فارغة لا مضمون لها، ولست هنا في مجال عرض هذا الكتاب وما فيه من تعرصات... ولكن المهم أن نعرف أن "القذافي" جاهر باللغة السنة، وكانت أول محاولة لإلغاء السنة وعدم الاعتراف بها في مؤتمر الشعب العام عام ١٩٧٧م عندما قرر أن القرآن فقط شريعة المجتمع، ثم كان بعد ذلك المجاهرة بإلزام السنة حيث ألقي القذافي كلمته بمناسبة المولد النبوي في سنة ١٩٧٨م في مسجد "مولاي محمد" بطرابلس.

(2) وقد ذكر يومها أن من بقايا الوثنية التي بقيت في التصور قولنا "_".
المبحث الثاني
مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

أولاً: أسس الحرب النفسية في الإسلام.
1) إعداد القوة البشرية والمادية المرعبة للعدو.
2) مدد الله للمؤمن بقذف الرعب في قلوب أعدائهم.
3) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن:
   a) الدعاية.
   b) الشعارات والهتافات والرجز.
   c) الدعاية بالأعمال الرمزية.
   d) إشاعة الفرقة بين الأعداء.
   e) الشائعات.

ثانيًا: مقاومة الحرب النفسية المعادية - وطرقها.
1) الإيمان الصادق بالله.
2) الوعي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية.
3) كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات.
4) التصدي للقوى المضادة المستمرة.
5) مواجهة الشائعات والدعايات بالحقائق.
المبحث الثاني
مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

بعد أن بنيت الحرب النفسية وأسلوبها، والأسس التي تقوم عليها في التصور الغربي والماركسي، وكذلك الحرب النفسية التي شنت من قبل الغرب والشرق على الإسلام والمسلمين في الوقت الحاضر... ووزنا كل ذلك ميزان الإسلام العظيم...

بعد كل ذلك لا بد من أن نبين مبادئ هذه الحرب في التصور الإسلامي والأسس التي قامت عليها، والوقاية منها، ومقاومتها إذا صدرت من الأعداء وتطبيقها العملية في الحروب الإسلامية الماضية، التي قصرنا كثيراً تجاهها في الوقت الحاضر، وفعل في عرضنا لهذه المبادئ، ما يكون حافزاً لبناء تصور كامل للحرب بنوعيها المادية والنفسية...

ومن ثم تطبيقها كما طبقها أجدادنا، وخاصة وأن هذه المبادئ مسروحة من كتاب لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سنة رسول الله العظيم محمد ﷺ.

أولاً: أسس الحرب النفسية في الإسلام: تقوم الحرب النفسية في الإسلام على ثلاثة أسس مهمة هي:

(1) إعداد القوة البشرية والمادية المرعبة للعدو.
(2) مدد الله للمؤمنين تفوق الرعب في قلوب أعدائهم.
(3) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن.

(2) إعداد القوة البشرية والمادية المرعبة للعدو. قال تعالى: ﴿وَأَعْدُوا لَهُمْ مَا أَشْطَعْتُمُ مِنْ فُوَّاحٍ وَيَرْهَبُونَكُمْ بِعَدْوِي وَعَدْوَٰكُمْ﴾ ﴿[العدو]﴾.
والتعبير القرآني «ما استطعتم من قوة» يتضمن القوى البشرية والمالية والأسلحة بجميع أشكالها وأنواعها ولا ينفي ما استعراض القوة من إرهاب للآخرين. وتعبير «رباط الخيل» يشير إلى أن الرابطة الدائمة والتآهيل لمقاومة الأعداء في كل وقت من أسباب إرهاب الأعداء.

وتعبر «واخرين من دونهم» يدل على أن الإرهاب لهذا العدو يتعدي العدو المباشر، إلى أعداء لا يعلمهم المسلمون، وهذه القوة ترهبهم وتردعهم بحيث لا يفكون في التصدي لهم.

وإعداد القوة أمر لا يدكر للإسلام لكي يطلق في «الأرض» لتحرير الإنسان. وأول ما صنعه القوة في حقل الدعوة أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريةهم في اختيارها، فلا يصدوا عنها، ولا يفتنوا بذلك بعد اعتناؤها.

والآمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكون في الاعتداء على دار الإسلام التي تحميها تلك القوة».  

ومصادر القوة في الإسلام كما توحيا هذه الآية الكريمة هي:

- القوى البشرية المدرية على السلاح، كيفما كان، وعلى جميع أنواعها. والإسلام حضر على تقوية الجسم والتدريب على السلاح منذ الصغر، عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً قال: «علموا أبناءكم السباحة والرمى والمرأة المغزل».  

---

(1) ارجع إلى «الظلال» جلد 3/ ص 1543 (تفسير سورة الأنفال).
(2) رواه البيهقي (المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشهورة على الألسنة) للسخاوي حرف العين.
والرماية فإن وتدرب، واهتمام الإسلام بها في تربية الأبناء، دليل على أن أمة الإسلام أمة ماجهدة لا تعرف الخضوع والذل. وقد خص الرسول ﷺ القوة في الرمي فقط بقوله ﷺ وهو على المنبر: "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة" إلا إن القوة الرمي، أما إن القوة الرمي، أما إن القوة الرمي.

والرمي هو رمي السهام على الأعداء في عهد رسول الله ﷺ. واليوم الرمي هو أكبر قوة رادعة في العالم، بل هو الذي يتحكم بنتائج المعارك الحربية. ويبدأ من رمي البدنية العادية إلى رمي الصواريخ العابرة للقارات الحاملة للرؤوس النووية، وإن الخوف من بطشها الشديد بين المعسكرات القوية اليوم هو الذي يمنع قيام الحروب، وتؤدي دوراً مهماً في الحروب النفسية في الوقت الحاضر.

ب – ومصدر آخر للقوة هو قوة السلاح. لذا نجد بعض المفسرين ينقل قول سعيد بن المسبح رحمه الله: "القوة: الفرس إلى السهم، فما دونه".

وهذا يشمل في الوقت الحاضر: الطائرات والقنابل والصواريخ بأنواعها وقاذفهم، "القوة الحصون" وهي تشمل في الوقت الحاضر الدبابات والمدفعات بانواعها البرية والمائية. بل وحتى الصواريخ المضادة لصواريخ الأعداء، بحيث تبطل مفعولها، مادام مفهوم الحصن هو المانع للأعداء من تحقيق النصر.

ج – التأهاب الدائم والمرابطة (2): والتآهب الدائم من العناصر التي تقنع العدو بحيث لا يستطيع مباغتة المسلمين، والمعروف أن تعرض الجيش للمباغة بضعف من قدرته وكفاءته القتالية. من أجل ذلك عني الإسلام عناية بالحذر وليقظة والتآهب وجعلها من العناصر التي لا تفصل من القوة، فلو أثملنا الآية القرآنية:

(1) رواه مسلم. باب "فضل الرمي والحديث عليه وذم من علمه ثم نسيه" ج ۱۳/۱۴ صحيح مسلم

(2) انظر "فتح القدر" تفسير سورة الأنسان.

(3) ارجع إلى النظرية الإسلامية في الحرب النفسية – ص ۲۹۹ جمال الدين محفوظ.
وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وعزم رباط الخيل...» وآخذوا لهم ما استطعتم من قوة ورباط الخيل...» الآية نجد أن الله تعالى خص رباط الخيل بالذكر مع أنها داخلة فيما قبلها "من قوة" وهذا دليل على أهمية المراقبة وتثبيتها في القلوب ومن ارتباط وثيق بحيث لا يستغني إحداهما عن الآخر.

فالقوة تحمي المراقبة بالحراسة والقبض والإنذار المبكر، وهي بدونها تفقد فاعليتها وقيمتها إذا لم تكن القوة من المبالغة.

- والمرابطة: في حاجة إلى القوة التي تساندها وتدعومها، وهذا ثم تطبيق المراقبة مع القوة في تحقيق الهدف وهو إيجابية، وهي قلب العدو "من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به العدو الله وعدوكم..." الآية.

وقد حث رسول الله ﷺ المسلمين على أن يكونوا على أقصى درجات التأهـب، وهو ما يفهم من قوله ﷺ: "من خير معاش الناس هم رجل مسك بعنان فرسه في سبيل الله، يطير على متهة، كلما سمع هـيـعـة - أو فزعـة - طار بتبغي القتل أو الموت مظلته... الحديث".

وقد قدم الرسول ﷺ نفسه مثالاً على درجة التأهب العالية حينما سبق أهل المدينة جياعاً ذات ليلة إلى مصدر صوت قوي غير عادي أفزعهم، فانطلق بعضهم...

(1) رواه مسلم في "الإمامة" باب: فضله الجهاد والرابطات الحديث: "أو رجل في غاية في رأس شعفة من هذه الشعفة أو بطن واد من هذه الأودية بقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويجد ربه حتى يأتيه اليقين ليس من الناس إلا في خن" ارجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج13 ص 343، 350.

هيئة: الصوت عند حضور العدو.

مظنة: يبطيه في مواذية التي يرجى فيها الشدة رغبة في الشهادة.

الفزعـة: النهوض إلى العدو. (انظر الشرح في صحيح مسلم بشرح النووي ص 35 ج 13).
فهو الصوت، فإذا هم برسول الله ﷺ عائد من هناك راكباً فرسه عاريًا والسيف على عنقه وهو يقول: لم تراعوا، إنه لبحر، أي سريع الجري! (1)

- العقيدة الصادقة: الإيمان بالله، قوة عظيمة، تزود المؤمن المجاهد في سبيل الله، ثباتًا في المعركة، وشجاعة في القتال، لأن المؤمن يعلم أن الآجال بيد الله فهو لا يخف على الحياة، وإن استشهد فهو حي عند الله تعالى. وهذه القوة يرهبها العدو، ويحسب لها ألف حساب بعد أن خبر المؤمنين في قتالهم، لذلك فهي قوة رادعة أيضاً، تضاف إلى قوة الجسم وقوة السلاح.

ويشهد التاريخ أن الفتوحات الإسلامية، والانتصارات على الشرك والكفر لم يكن بعدد وعدة بقدر ما كان بالإيمان الراسخ المتبين. وكثيراً ما جابه المسلمون عددًا يفوق عددهم بعشرات الأمثال، وعدة تفوق عدتهم. ومع ذلك انتصروا بإذن الله. وذلك بإيمانهم وضحياتهم، والشهداء على ذلك كثيرة في كتب السنن والتاريخ.

- الوحدة وعدم التفرق: قال تعالى: {وأطيعوا الله ورسوله ولا تتقُرَّؤُوا فتَفَسَّلُوا وَتَذْهَبْ رِيحَكُمْ} {البقرة: 135} وقال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ} {البقرة: 243} فصدأ كلهم بئين مرصوصٌ.

في الآية الأولى نهى الله عز وجل المسلمون عن التنازع وهو الاختلاف في الرأي، فإن ذلك يتسبب عنه الفشل وهو الجبن في الحرب، وذهب القوة والنصر! (2)

---

(1) رواه البخاري في باب السرعة والركض في الفنزع (رقم 969 - فتح الباري) وكذلك باب

(2) مبارة الإمام عبد الفوزر رقم 968 وفي أبواب أخرى.

انظر تفسير الآية في "فتح القدير".
والآية الثانية فيها "إخبار من الله تعالى بحبته عباده المؤمنين إذا صفوا مواجهين لأعداء الله في حومة الرغى يقاتلون في سبيل الله من كفر بغيره لكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهرة العالي على سائر الأديان"  
"ألا إنهم بنيان مرصوص" مثبت لا يزل ملصق بعضه بعضاً  
وهكذا فإن الوحدة بين المسلمين، وخاصة في جو المعركة مع الأعداء، قوة عظيمة وذهباء هذه الوحدة معناها الفشل وعدم النصر 
و- الجهاد بالنفس والمال: الجهاد بالنفس وهو القتال المباشر، وهذا يكون على أرض المعركة، أما الجهاد بالمال فهو من مقتضيات إعداد العدة لإرهاب العدو، مما لا شك فيه أن المال والاقتصاد عصب الحرب وعدة القوة الحربية بلا جدال. لذا ربط الإسلام بين الاستراتيجية والعسكرية والاقتصاد بربط وثيق، وهذا الرابط واضح في الآية (۳۱) تهزْهُ بِيَدِهَا وَمَا تَنَفْقُوهُ مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُؤْفِكُكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظَلَّمُونَ 
كما يتضح أيضاً فرض الجهاد بالمال مع الجهاد بالنفس على الأمة الإسلامية، بل إن الجهاد بالمال ورد مقدماً على الجهاد بالنفس في أكثر الآيات التي تحت على الجهاد: "الذين آمنوا وأُولِياَكُمْ هُمُ الفَائِزُونَ (۱۲) [اللهٰب]  
"يَا بُنيَّا الْذِّنَانِ آمِنُوا هَلْ أَدْلَكُ بَيْنَكُمْ عَلَى تَحْكِيمِ مُنِّ عَدَّادِ أَلِيمٍ  
"تَوْمِينَ بِيَدِ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَتَحْجِيذُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَمَّأْوِيهِمْ وَأَنْفُسِكُمْ  
"ذَلِكَ حُبُّ مَعْلُومٌ لِّكُلِّ مُتَّقِٰنٍ (۲) [الحَمْد]  
"لَكَنْ إِنَّكُمْ تَعْمَلُونَ (۱) [النساء].  

(۱) انظر تفسير ابن كثير في تفسير سورة الصف.  
(۲) المرجع نفسه.  
(۳) وكذلك انظر الآيات: ۹۸، ۹۸، ۱۱۶، ۴۱، ۱۵ من سورة التوبة، و۱۵ من سورة الحج، و۹۸ من سورة النساء.
وقال رسول الله ﷺ: «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وأسلحتكم!» (1)

وهكذا يحقق الجهاد بالمال والرئة في قلوب الأعداء من قوة المسلمين، فإذا رأى العدو أن سيواجه من المسلمين قوة عسكرية مؤمنة وقوة اقتصادية لا تنفد فسوف لا يهين المسلمين، ولا يعلن أمله في التغلب عليهم (2).

(2) مدد الله للمؤمنين بذف الرعب في قلوب أعدائهم. قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَيْلَالذِينَ ظَهَروْنَهُمْ مِنَ أُمَّةٍ كُبْرِيَّةٍ مِنَ الصَّابِرِينَ قَدْ فَسَدْنَا قُلُوبَهُمْ أَوْ رَأَبْنَاهُمْ أَرْبَابَهُمْ﴾ (الزمر 71، 72).

وقال تعالى: ﴿فَأَفْتَبَرَتْهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواَ وَقَدْ فَسَدْنَا قُلُوبَهُمْ أَرْبَابَهُمْ﴾ (اللذين كفروا الرعب مما أشتركونا بالله) ﴿سُّلِقَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الْعَرَبُ﴾ (الزنكورة 105).

وقال تعالى: ﴿كُفْرُوا الرَّعْبَ فَأَقْضِيمَوْا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَقْضِيمَوْا مِنْهُمْ سَكَّٰلُ بَنَانٌ﴾ (الأنفال 22). 

ففي هذه الآيات الكريمة تبيان لنصر الله للمومنين على أعدائهم وذلك بذف الرعب وهو الخوف الشديد في قلوب الأعداء، وهو وحد من الله تعالى للمؤمنين الصادقين بإلقاء الرعب في قلوب الذين كفروا، وهذا الوجد كفيل بنهاية المعركة لصالح المسلمين وضمان هزيمة أعدائه ونصر أوليائه. قال رسول الله ﷺ: ﴿وَنَصَّرَتْ بِالرَّعْبِ عَلَى الْعَدُوِّ بَيْنِ يَدَيْ مِسِيرَةِ شَهَرٍ﴾ (3).

__________________________

(1) أخرجه أبو داود رقم 2504 في الجهاد -باب كراهية ترك الخزوة، والنسائي 2/679 في الجهاد باب وجوه الجهاد (ارجع إلى جامع الأصول 7/14) وكذلك (ارجع إلى صحيح الجامع الصغير) الأبياتي 3/4.

(2) النظرية الإسلامية في الحرب النفسية ص 26.

(3) الجزء من حديث رواه البخاري 719/11 باب التيمم، ومسلم رقم 351 في المساجد (ج 5 ص 239 تفرد الفأر ببقرة 1392) والنسائي (110) في الغسل (ارجع إلى جامع الأصول ج 8 ص 139 تفرد الفأر ببقرة 1392 وحدث في البخاري: «عن جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: أعطيت خساً لم يعطوني أحد قبلني: نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطورها فأنا رجل من أمي أدرك الصلاة فلقيص، وأجلتي لي الغنائم ولم تخلي لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي ﷺ يبعث إلى قومه خاصة ويعمل إلى الناس عامة».)
والرعب هو الفزع والخوف الذي أوقعه الله في قلوب أعداء النبي ﷺ وأعداء الله، وبينه وبينهم مسيرة شهر، لذا لا يقدرون على لقائه (1) وهذه خاصية للرسول ﷺ أعطاها الله للرسول ﷺ لم يعطها لأحد قبله، وهي حاصلة لأمته من بعده بإذن الله.

(2) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن: تستخدم الحرب النفسية في الإسلام أسلحة الحروب النفسية التي تستخدمها الدول الأخرى من دعاية وشائعة وإرهاب بأساليب مختلفة نذكر منها:

1- الدعابة: وهي من أهم أسلحة الحرب النفسية، ولقد عرفت الحرب النفسية ذاتها بأنها الاستخدام المخطط للدعاية بهدف التأثير على عواطف وأفكار وسلوك شعوب الدول المعادية لتحقيق روحاً معنوية وإرادتها القتالية. (3).

والجهاد باللسان حضَّ عليه الإسلام وأمر به، وقرن بهجاه النفس والمال قال ﷺ: «جاهدوا المشركين باموالكم وأنفسكم والستكم» (4).

ومن أشكال جهد اللسان «هجاء المشركين» بالشعر الذي كان من أهم وسائل الإعلام في عهد رسول الله ﷺ، وعند العرب في الجاهلية وكان وقع الهجاء في نفوس المشركين كبيراً: «عن عائشة أنها رضي الله عنها قال: أهوج قريشَاً فإنه أشد عليهم من رشق النبل» (5).

(1) ارجع إلى جامع الأصول ج 8 ص 529 وما بعدها - ط دمشق.
(2) ارجع إلى تعريفات الحرب النفسية في الباب الأول من هذا البحث.
(3) مسند أحمد، أبو داود، النسائي، ابن حبان، الحاكم، عن أنس رضي الله عنه صحيح (صحيح الجمع الصغير (3 - 4) الألباني.
(4) رواه مسلم - كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل حسان بن ثابت رضي الله عنه.
والرسول ﷺ كان يحضر حسان بن ثابت رضي الله عنه على هجاء المشركين.

عن البراء رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لحسن: أهجمهم - أو قال هاجهم - وجرير معك (1).

كل هذه الأحاديث تبين أهمية الجهاد باللسان، وشدة تأثيره على الأعداء، حتى إن أهمية الكلمة الموجهة على الأعداء أشد من وقع النبل...

ومن أشكال أو صور الدعابة في الإسلام ما يلي:

1- الشعارات والهتافات والرجل: أتخذ المسلمون الشعارات والهتافات لتحقيق عدة أهداف كالتعارف فيما بينهم أثناء الالتحام بالأعداء أو في الظلام، وإثارة الفزعات الشجاعة والحماسة في نفوسهم، مع ترويع العدو وتبة الرهبة والخوف في قلبه في الوقت نفسه، ومن أمثلة صيحات القتال التي استخدمها المسلمون في عصر النبوة: "أحد، أحد" في غزوة بدر و"أمم، أمم" (2) في غزوة أحد، ومنها أيضاً "يا خليل الله اركبي" و"يا صاحباه" (3), في غزوة ذي قرَّد، هذا إلى جانب التكبير الذي كان شعار كل مسلم "الله أكبر".

وقدوة المسلمين في التكبير هو الرسول القائد ﷺ عندما كبر قبل فتح خيبر وأنزل الشرع والخوف في اليهود.

عن أنس رضي الله عنه قال: "صحيح النبي ﷺ خير وقد خرجوا بالمساحي على أعقابهم، فلم رأوه قالوا: محمد والخميني، محمد والخميني، فلجأوا إلى...

(1) رواه البخاري في موضع متعدد: كتاب الأدب - باب هجاج المشركين رقم 663 وكذلك في كتاب المغازي وكتاب تباد الخلق.
(2) أبو داوود رقم (596) في الجهاد. وأخذ في مسنده 4/4 (ارجع إلى جامع الأصول 2/573).
(3) صحيح مسلم بشرح النووي بباب غزوة ذي قرَّد (صف 167) وذكر قرد: ماء على بعد يوم من المدينة مما يلي بلاد غطفان. وانتظر السيرة النبوية لابن هشام ج3 ص 223.)
الحسن، فرفع النبي ﷺ يديه وقال: الله أكبر خربت خير، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المذريين» (1).

والرجل يستخدم في المعارك أو قبلها لتفويض الروح المعنية للمقاتلين وزيادة حماسهم، واندفاعهم أثناء القتال. وما ورد في الرجل. أن رسول الله ﷺ كان يوم الأحزاب بقلل الرتاب وقد وارى بياض بطنه وهو يقول:

والله لولا أنّا ما اهتدينا ولا تصدّقنا ولا صلى، إن الآلل قد أهو علينا ويرفع بها صوته (2).

ومنها ما ارجحه سلمة بن الأكوع - رضي الله عنه - عندما استأنذن رسول الله ﷺ والمسلمون قافلون من خير بعد فتحها (3).

وكان أثناء حفر الخندق رجاءً على النبي ﷺ أنه ارجح:

اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للانصار والمهاجرة.

وكان الأصحاب - رضي الله عنهم - يقولون:

نحن الذين بايعوا محمدًا على الإسلام ما بقيانا أبداً (4).

(1) رواه البخاري (انظر فتح الباري رقم 2401 ج 6 ص 134) باب التكبير عند الحرب. قال الشارح: قوله (باب التكبير عند الحرب) أي جوازه أو مشروعية (المساحي): آلة الزرع، عمداً والخمس) أي محمد والجيش.

(2) صحيح مسلم بشرح النووي ج 24 ص 171 (كتاب الجهاد والسير - غزوة الأحزاب وذكر ذلك البخاري (انظر فتح الباري رقم 343). (3) المرجع السابق (نفس الكتاب - غزوة خير) ص 170. (4) المرجع نفسه (كتاب الجهاد، غزوة ذي قعد).
وأياً ما روي عن ابن الأكوع - رضي الله عنه - أنه عندما سمع أن غطفان أخذت لقاح رسول الله ﷺ قال: "فصرخت ثلاث صرخات يا صباحاً قل: فأمعنت ما بين لا بني المدينة ثم انطفأت على وجهي حتى أدركتهم بذي قرد و قد أخذوا يسقون من الماء فجعلت أرميه بنبلي وكنت رامية وأقول:

أنا ابن الأكوع واليوم يوم الربع
فارتجز حتى استنفدت اللقاح منهم." (1)

2- الدعاء بالأعمال الرمزية: قلنا سابقاً (2) إن لعمل مغزى أبلغ من الكلمات، وبينا نجاح الدعاء الغربية في هذا المجال، ولو رجعنا إلى تاريخنا الإسلامي لوجدنا أن هذا النوع من الدعاء قد استخدم بغرض إرهاب العدو وتحذيفه... ومن ثمْ الانتصار عليه.. وزيتته بلا قال...

وكمثال على هذا النوع من الدعاء.. ما جرى قبل فتح مكة من تخطيط وضعه رسول الله ﷺ، فعلاً نجحت الخطة .. وفتحت مكة بلا قتال والحادثة التاريخية الآتية تبين نوعين من الأعمال الرمزية لإرهاب مفهومي مكة نذكرها بعد إيراد الحديث: الذي رواه البخاري في صحيحه عن هشام عن أبيه قال: "ما سار رسول الله ﷺ عام الفتح، بل ذلك قريشاً، خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبدلى بن ورقاء بنتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فاقتبلوا يسرؤن حتى أتوا مرْ الظهران فإذا هم بنيران كانت نيران عرفة فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكانا نيران عرفة. فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو. فقال أبو سفيان:

(1) المصدر السابق ص 174 (غضرة ملي قرد) قال الإمام النووي رحمه الله في شرحه للحديث: (أنا ابن الأكوع) "وفي جواز قول مثل هذا الكلام في القتال وتعريف الإنسان بنفسه إذا كان شجاعاً ليرعب خصمه.. (ذي قرد) هو ماء على بعد يوم من المدينة (بوسائل مواصلاتهم المستخدمة في ذلك الحين).

(2) في الفصل الثاني (الدعوه الغربية).
عمرو أفل من ذلك. فرأهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوه فأخذوه، فأتوا بهم رسول الله ﷺ فاسلم أبو سفيان فلما سار قال للعباس: احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين، فحبسه العباس فجعلت القبائل تمّ مع الني ﷺ ثم كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال: يا عباس من هذه؟ فقال: هذه غفار، قال: مالي ولفقار، ثم مرت جهينة، قال: مثل ذلك الحديث ﷺ حتى مرت جميع القبائل».

في هذا الحديث عملان من الأعمال الرمزية لإرهاب العدو وتخويفه وهما:

الأول: إيقاد النيران الكثيرة وفي رواية ابن سعد «أن النبي ﷺ أمر أصحابه في تلك الليلة فأوقدوا عشة آلاف نار» (1).

وذلك عن «ابن إسحاق»: «أن المسلمين أوقدوا تلك الليلة عشرة آلاف نار» (2) ورؤية هذه النيران الكثيفة دلالّة على ضخامة الجيش، ولا يخفى ما في ذلك من تخويف وإرهاب للنفس.

الثاني: قول الرسول ﷺ للعباس: «احبس أبا سفيان عند حطم الجبل حتى ينظر إلى المسلمين...».

وفي رواية موسى بن عقبة أن العباس قال لرسول الله ﷺ لا آمن أن يرجع أبو سفيان فيكفر، فحبسه حتى تُريه جنود الله، فقال فقال: أب سفيان: اغدرا يا بني هاشم؟ قال: العباس: لا ولكن لي إليك حاجة فتصبح فتنظر جنود الله للمشركون (3).

(1) رواه البخاري (انظر فتح الباري) رقم 4280 ج 8 ص 5 (للحديث بقية). «مر الظهران»: مكان قرب مكة. «نيران عرفة»: إشارة إلى ما جرت به عادتهم من إيقاد النيران الكثيرة ليلة عرفة. (انظر فتح الباري شرح الحديث).

(2) المرجع السابق: شرح الحديث (وخطط الجبل: أنف الجبل. وهو شيء يخرج منه يلبس به الطريق).

(3) المرجع السابق.
وما أعد الله للمشركين، فحبسه بالписан دون الأراك حتى أصبحوا وامر النبي ممنادياً ينادي: لتشهر كل قبيلة ما معها من الأداة والعدة وقدم النبي الكتب.


وال اختيار الرسول مفضلا الوادي بالذات لوقوف أبي سفيان يدل على براعة وإحكام في تدبير أمر الخوف، فمرر المسلم في مضيق، يجعل أبا سفيان يرى قوة الجيش عن كثب وهي تمر عليه، ولو كان اختيار موضعًا في الصحراء المكشوفة لتفرق الجيش فيها، وله وقع التأثير المعنوي المطلوب.

ب) العمل على الفرقة بين الأعداء: ووسيلة المسلمين في ذلك كان الاتصال الشخصي، لعدم توافر وسائل الإعلام الموجودة اليوم. وواعي المسلمين من العمل على الفرقة بين الأعداء، التخلي بينهم حتى لا يكونوا وحدة على المسلمين، ومن ثم إضعافهم وفشلهم.

1) المرجع السابق: شرح الحديث (وخطم الجبل: أنف الجبل). وهو شيء يخرج منه يفتي به الطريق.
2) النجاة إلى قومك: أسرع على قومك.
3) السيرة النبوية لأبي هشام ج 1 ص 22.
وصة نعيم بن مسعود رضي الله عنه في غزوة الأحزاب مشهورة، روتها كتب السيرة. إذا استطاع نعيم أن يفرق بين قريش وبيئي قريطة، بعد أن قال له رسول الله ﷺ: وقد جاءه مسلمًا، ولم يعلم قومه بإسلامه «إنا أنا فينا رجل واحد فخذعنا إن استطعت فإن الحرب خذعة»(1).

وقام نعيم بن مسعود بالمهمة خير قيام بأسلوب بارع حاذق حيث حققته هدفها في الوقعة بين المتحالفين (قريش ويهود بني قريطة) وفي إزالة الثقة فيما بينهم.

(ج) الشائعات: وهي من أسلحة الحرب النفسية التي يستخدمها المسلمون. وهي من أنفك الأسلحة لما لها من خاصية سرعة الانتشار، وخاصة إذا قتلوا الشائعة إلى أسطورة دائمة. في أذهان الناس لا تموت على مر الزمان. واستخدام الشائعة الأسطورة - إن جاز لنا التعبير يجاج إلى حنكة ودهاء لبث الربع في قلوب الأعداء.

ويذكر لنا التاريخ أن سيف الله خالد بن الوليد رضي الله عنه استخدم الشائعة في حربه النفسية مع الروم قبل وقعة اليرموك إذ «إن ماهان - قائد الروم - طلب خالداً ليبرز إليه فيما بين الصفين، فيجتمعوا في مصلحة لهم فقال ماهان: «إذا قد علمنا أن ما أخرجكم من بلادكم الجهد والجوع فهموا إني أن أعطي كل رجل منكم عشرة دنانير وكسوة وطعاماً وترجعون إلى بلادكم فإذا كان من العام المقبل بعثنا لكم بملتها» فقال خالد: «إنه لم يخرجنا من بلادنا ما ذكرت، غير أنا قوم نشرب الدماء، وأنه بلغنا أنه لا دم أطيب من دم الروم فجئنا لذلك فقال أصحاب ماهان: هذا والله ما كنت تحذث به عن العرب»(2).

(1) البداية والنهجية لابن كثير ج 4 ص 111 - مكتبة المعارف - بيروت ط 1978 وكذلك السيرة النبوية لابن هشام ج 2/ 247.
(2) البداية والنهجية لابن كثير (ج 7 ص 10).
وكلمات خالد فعلت فعلا، في زرع الخوف في صميم قلوب الأعداء لذلك
صدق أصحاب ماهان ما قاله. وكان بعد ذلك الانتصار العظيم للمسلمين على
الروم في الشام وقد كان عدد الروم يومها يفوق عدد المسلمين أضعافاً مضايعة.
هذه بعض أسلحة الحرب النفسية في الإسلام، وقبل ختام هذه الفقرة قد يخطر
ببال البعض، أن أساليب الحرب النفسية هذه، من دعاية وشاعة والتي تستخدم من
قبل أعداء الإسلام بصورة سلبية، المبنية على الكذب والخداع في جميع المجالات
.. وفي كل الأوقات.. في وقت السلام وفي وقت الحرب، فكيف يسغ للمسلم
الكذب والخداع، وهل يشرع له الكذب والخداع؟ وفي أي مجال؟..

وطحت تضح الصورة في ذهن الإنسان المسلم، لا بد من إيضاح هذا الأمر.
إن الإسلام دين صدق وعدل في معاملته، حتى مع أعدائه، فهو لا يحب الظلم،
والمكذب .. قال تعالى: ﴿بِنَبِيَّةَ الْذِّرِّيَّةِ إِنَّكُم مُّنِيبُونَ قُوْمِكُمْ أَيَّامَ الْآخِرَةِ عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا مَنْ أَنْقُلَ لَكُمْ إِنَّ رَبُّكُمْ خَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: 36). ﴿بِنَبِيَّةَ الْذِّرِّيَّةِ إِنَّكُم مُّنِيبُونَ قُوْمِكُمْ أَيَّامَ الْآخِرَةِ عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا مَنْ أَنْقُلَ لَكُمْ إِنَّ رَبُّكُمْ خَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: 36). ﴿بِنَبِيَّةَ الْذِّرِّيَّةِ إِنَّكُم مُّنِيبُونَ قُوْمِكُمْ أَيَّامَ الْآخِرَةِ عَلَى أَنْ تَعْبُدُوا مَنْ أَنْقُلَ لَكُمْ إِنَّ رَبُّكُمْ خَيْرٌ مَا تَعْمَلُونَ﴾ (النور: 36).

والمسلم يريد للبشرية أن ترتفع، ويريد للبشرية أن تعف، فلا يبيح الكذب
والظلم في سبيل الغلب، وهو يكافح لأسمى الغايات وأشرف المقاصد، ولا يسمح
للغة الريفية أن تستخدم الوسيلة الحسية .. وليس مسلمًا من يسوّغ الوسيلة
بالغاة. هذا المبدأ غريب على الحس الإسلامي والحساسية الإسلامية لأنه لا
انفصال في تكوين النفس البشرية وعالمًا بين الوسائل والغايات من أجل ذلك نهى
الله عن الكذب والظلم وأنذر الكاذبين بعذاب اليم: ﴿وَلْهُمَّ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَمَّا كَانُوا يَكَذِّبُونَ﴾ (البقرة: 3).
وقال حاضنًا على الصدق، ناهيًا عن الكذب، ميّتًا عاقبة كل منهما: "إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليسدق حتى يكتب صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل ليكتب حتى يكتب عند الله كذاباً".1

وكذلك فإن الإسلام لا يخضع ولا يغش وخاصة مع الأمم التي بينه وبينها ميثاق فهو لا يصفح باليد اليمنى، والحنجر المسموم في اليد السري، كما هو سبيل الدعاية الغربية والشيوعية، وهو لا يبت الآخرين بالهجوم الغادر الفاجر وهم آمنون مطمئنون. فإذا نبذت المواثيق وأعلنت الحرب، في هذا الوقت بالذات؛ الحرب خدعة، لأن كل خصم قد أخذ حذره، فإذا جازت الخدعة عليه فهو غير معذور به إذا هو غافل، وكل وسائل الخدعة حينئذ مباحة لأنها ليست غادرة.2

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ "الحرب خدعة".3

قال الإمام النووي رحمه الله: «واتفقوا على جواز خداع الكفار في الحرب كيّما أمكن، إلا أن يكون فيه نقض عهد أو أمان فلا يجوز» .4

وهذه الخداعة يمكن أن تتم بأسلوب التخيل والتفرقة بين أعداء الإسلام، كمثل الذي تقم قيل غزوة الأحزاب بوساطة نعيم بن سعود - رضي الله عنه - الذي عمل على إثارة الفرقة بين مشركي مكة وبيتي قريظة من يهود المدينة، وقد ثبت في الصحيح أنه يجوز الكذب والاحتيال في الحرب.

1 متفق عليه (باب قبح الكذب وحسن الصدق وفضله) واللfect لمسلم (راجع إلى صحيح مسلم بشرح النووي ج 16 ص 159).
2 انظر في ظلال القرآن تفسير سورة الأنفال.
3 أخرجه الجماعة إلا الموطا والنسائي (جامع الأصول ج 2 ص 575).
4 صحيح مسلم (باب جواز الخداع في الحرب) (ج 12 ص 45) (بشرح النووي).
قال تعالى: "ليس الكذاب الذي يصلح بين الناس فنمي خيرًا أو يقول خيرًا" (1) وزود مسلم في رواية "قالت أم كلثوم ولم أسمعه يرخص في شيء مما يقول الناس إلا في ثلاث: الحرب والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها" (2).

ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعايدة: ذكرنا آنفاً (3) عندما رحنا للشائعة - باعتبارها سلاحًا من أسلحة الحرب النفسية طرق مقاومتها في المجتمع الإسلامي وخاصة خلال الأزمات التي يتعرض لها المجتمع في الحروب وغيرها. وكذلك في ظننا لعلم النفس العسكري (4) بيئة قيم الروح المعنوية للمقاتلين والتي هي من أولى دعائم النصر في المعركة، وأن الحرب النفسية تستهدف تحطيم هذه الروح، لذلك تتخذ الجيوش كل التدابير التي من شأنها رفع الروح المعنوية وتقوية إرادة القتال لدى رجلا ومقاومة الحرب النفسية التي تشن من قبل الأعداء، وإزالة آثارها إن استجاب لها بعض الأفراد واستعادة الروح المعنوية العالية. ومن أهم طرق مقاومة الحرب النفسية في التصور الإسلامي ما يلي (6):

1- الإيمان الصادق بالله: فالمؤمن لا يخف ولا يرهب، لذا هو لا يستجيب للدعاية التي تؤد إرهابه وإزعجه: ولا يخف إلا من الله عز وجل وحده.

أخيره: "الجماعة إلا المواطأ والنسائي (جامع الأصول ج 2 ص 575).

(1) صحيح مسلم (باب تخريم الكذب وبيان ما يباح منه) ج 10 ص 107. وأم كلثوم هي أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مريج وكانت من المهاجرين الأول الثلاثي بابيع النبي ﷺ وهي زوج عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

(2) الفصل الثالث - أسلحة الحرب النفسية - الشائعات.

(3) الفصل الأول - علم النفس الاجتماعي - فقرة علم النفس العسكري.

(4) ارجع إلى النظرية الإسلامية في الحرب النفسية (ص 28 - 58) اللواء الركن محمد جمال الدين علي محفوظ - دار الاعتصام - القاهرة. لقد استنفدت منه كثيراً في هذه الفقرة، جزاه الله خيراً.
قال تعالى: "إِنَّمَا ذِلِّكَ مَا ذُكِّرْتُوهُ مِثْلُ أُولَٰئِكَ، فَلَا تَخَافُونَ إِنَّ اللَّهَ رَحِيمٌ وَلَطِيفٌ"). قال تعالى: "وَلا تَخَافُونَ لُؤْمَةَ لَأْيِمٍ" (الإسراء: 3). 

أما المناقشين الجرباء فقد قال فيهم تعالى: "فَإِذَا جَاءَ الْحَرُوفُ رَأَيْتُهُمْ يَبْنُونَ إِلَيْكَ تَدْوَرُ أَعْيُنِهِمْ كَأَنَّهُمْ يُغْشَى عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُبِّبَ الْحَرُوفُ سَلَفَوْكُمْ بَالْيَتِينَةِ حَدَادٍ) (النور: 119)

وأما المؤمنون فلا يزيدهم التهديد إلا إياها: "فَإِذَا قَالَ الْقَرْنُسُ إِنَّ الْأَلْلَهَ قَدْ جَعَلَكُمْ لَكُمْ فَاخْتُنُوتُمْ فَرَّادَهُمْ إِبَّانًا وَقَالُوا حَسْبِنَا اللَّهُ وَيَمِينُ

والوقت.

وإذا كان من أهم أهداف الحرب النفسية التخويف من الموت والفقر، ومن القوة الضاربة للمتصرف، ومن محاولة جعل النصر حاسماً بالدعوة إلى الاستسلام وثوث الشائعات والأراجيف وإشاعة اليأس والقنوط.

فإن المؤمن لا يخشى الموت لأنه يؤمن بأنه لا يموت بلى بجلبه الموعود: قال تعالى: "فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ) (البقر: 114)

وقال تعالى: "وَمَا حَسْنٌ لِلَّذِينَ افْتَسَدَّ الْأَلْلَهُ إِلَّا إِذْنَ اللَّهُ وَكُنَّا مُؤْجِلَا) (الإسراء: 116)

وقال تعالى: "فَأَيْمَما نَكُونَا يَدْرُّ كَمْ مَا الْمَوْتُ وَلَوْ كَنَّا فِي يَوْمِ مُسَيَّدَةٍ) (النساء: 78)

- إن المؤمن يعتقد بأن الآجال بيد الله سبحانه وتعالى، وما أصدق قول خالد ابن الوليد - رضي الله عنه - "عندما حضرت وفاته: لقد حضرت كذا وكذا زحفاً، وما في جسدي شبر إلا وفيه ضربة سيف أو طعنة برمح أو رمية بهم وها أنا أموت على فراشي حتف أنفي كما يموت البعير فلا نامت أعين الجرباء" (1).

(1) من البداية والنهج لابن كثير ج 7 ص 114.

والمؤمن لا يخشى قوات العدو الضاربة، فما انتصار المسلمون أيام الرسول القائد وادي النجف. وفي أيام الفتح الإسلامي بعدة أو عدد، بل كان انتصارهم بالإسلام. قال تعالى:

قُل الَّذِيرَ يَطُوبُونَ أَنَّهُم مُّلِئْقِيُّونَ اللهَ حَمِيمَ مِنْ فِيَّةٍ قَلِيلَةٍ غَلِبَتْ فِيَّةٍ

كَبِيرَةٍ يِلَّذُونَ ﴿وَاللهَا وَاللَّهَا مِنْ الصَّبِيرينَ﴾ [البقرة: 129].

- والمؤمن لا يقترب بانتصار أحد عليه مادام في حياة عقيدته، فهو لا يستسلم أبداً ولا يفكر بالاستسلام لأنه يؤمن بأن انتصار العدو عليه قد يدوم ساعة ولكن لا يدوم إلى وقته الم自主، قال تعالى: ﴿إِنَّ يَمَسَّكُمْ فَرُوحُ فِي أَلْلَهِ وَسُرُورُ ﴾ [النساء: 2] وَلَكَ الَّذِي أَتَبَّعْهُ أَنْ تَبْذِلْهَا بَيْنَ الْأَنْثَى (3).

- وكذلك المؤمن لا يباس أبداً. لأن النصر له في النهاية بإذن الله وإن الباس شيمة الكفار. قال تعالى: ﴿وَلَا تَأْيِسَنَّ مِنْ رَوْحِ الْلَّهِ إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ مِنْ رَوْحِ الْلَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَفُوُّونَ﴾ [المائدة: 67]. وقال تعالى: ﴿هَلَّكَ إِذَا أَشْتَيْسَ أَلْسَنُ وَظِنَّتْ أَنْهُمْ قَدْ سَكَبَوْا جَاهِدَهُمْ نَصْرَتُهَا﴾ [البقرة: 110]. وان المؤمن يشعر دائما أنه الأعلى في عقيدته وأن أعداء ما هم إلا كثرة فجرة. فكيف يخضع لهم؟

قال تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسْنَ وَلَا تَجُرُّنَّ وَأَنْتُمْ أَعْلَمُونَ إِنَّ كُلُّ مُؤْمِنٍ مُّؤْمِنٌ﴾ [النساء: 139].

هذا الشعور يرفع من روح المؤمن المعنوي وهذا فهو لا يستسلم. وقال تعالى: ﴿وَلِلْآمِرَةِ وَلِلْبُشَرَى وَلِلْمُؤْمِنِينِ وَلِلْمُؤْمِنَاتِ وَلِكُلِّ مَنْ فِي الْأٍرْضِ يَعْلَمُونَ﴾ [النساء: 2].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَحَرُّنُوا كُلُّوْلُهُمْ إِنَّ الْأَمْرَةِ لِلْجَمِيعَ﴾ [النساء: 88].

- والمؤمن يقاوم الغزو الفكري والحضاري ومحاولات التنصير والتزيد buzzword التاريخي من قبل المستشرقين. ويعتقد أن ما في دينه من حضارة وفكر يغني عن
استيراد العقائد المشوبة: «قلُّ بِنَاعِمٍ مَّا مُحَفِّرُونَ لا أُعْبِدُونَ أَوْلَىَ أنْفُقُونَ مَّا أُعْبِدُونَ وَلَا أَنْفُقُونَ مَّا عَبِّدُونَ ولا أَنْفُقُونَ مَّا أُعْبِدُونَ» (8:12). وقال تعالى: «قلْ هَبَيْنِ فَسَبِّلْ أَذْعِمُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بِصَبَرٍ أَنَّمَا أَتَبَعُّي وَسُبْحَنَ اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ» (3:7).

2- الركيز، إذ بدأ العدو وأساليبه في الحرب النفسية: إن الركيز بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية من أهم عناصر المقاومة لهذه الحرب، لذلك نجد كل الجيوش تطالب كل جندي بان يكون واعياً ومدركاً وعارفاً بما يلي، حتى لا يخده أو يضللهم:

- ماذا يدير العدو ضد أمه؟
- ما هو هدف دعائيه؟
- ماذا يريد العدو منك أن تفعله؟
- ما هو أسلوب الحرب النفسية للعدو وما هي طبيعة دعايتة؟

وهو الوعي يجعل المقاتل مستعداً استعداداً نشياً لمواجهة الحرب النفسية، وعدم الاستجابة لها والتآثر بها، وخاصة إذا كان مسلماً بالإضافة إلى الوعي والعرفة والإيمان القوي والعقيدة الراسخة.

وقد عني القرآن بكشف أهداف أعداء الإسلام والمسلمين من الكفار والمنافقين، وفضح أساليبهم ومحاولاتهم للتفرقة بين المسلمين، والقضاء على وحدتهم وأمنهم، ودورهم في التخلي والتوهين وتشويه العزائم، ومحاولاتهم للتشويك وزيادة الثقة في النصر على الأعداء، وأرشد القرآن المسلمين إلى طريق مواجهة هذه المحاولات ومقاومتها والقضاء عليها، وهذا ما نبينه باختصار فيما يلي:
1- فضح محاولات الفراق والمقاومتها: قال تعالى: "إِنَّكُمْ نَجْزِينَ الَّذِينَ ءَامَنُواَ أَنِّيَ أَنْتُمْ تَطِيِّعُونَ فِي رَبِّكُمْ بَرْزُوقُكُمْ بَعْدُ إِنْكَاحُكُمْ كَنَفَرِينَ" {آل عمران: 100}. ثم قال تعالى: "وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تَتَّلَى عَلَيْكُمْ عَذَابُ اللَّهِ وَفِي هَذِهِ رَسُولُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِغَيْبَتِكُمْ وَكَأَنْتُمْ عَلَى مُسْتَقِيمٍ" {المائدة: 111}. إن القرآن إلهي فقد هدى إلى صرط مستقيم.

2- قال تعالى: "إِنَّكُمْ نَجْزِينَ الَّذِينَ ءَامَنُواَ أَنْتُمْ تَطِيِّعُونَ فِي رَبِّكُمْ بَرْزُوقُكُمْ بَعْدُ إِنْكَاحُكُمْ كَنَفَرِينَ" {آل عمران: 100}. ثم قال تعالى: "إِنَّكُمْ نَجْزِينَ الَّذِينَ ءَامَنُواَ أَنْتُمْ تَطِيِّعُونَ فِي رَبِّكُمْ بَرْزُوقُكُمْ بَعْدُ إِنْكَاحُكُمْ كَنَفَرِينَ" {المائدة: 111}. إن القرآن إلهي فقد هدى إلى صرط مستقيم.

والقرآن يدعو المسلم إلى الحذر من الأعداء: "إِنَّ اللَّهَ أُنْعِمَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُواَ وَأَطِيعُواَ الرَّسُولَ" {المائدة: 53}.

ويقصد بهم المنافقون في هذه الآية. وكذلك اليهود من أعداء الله وأعداء المسلمين. قال تعالى: "لَتَجْدِينَ أَشْدَدَ آَلَّاَتُ عُدْوَآَةٍ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواَ أَلِيمُوْهُمْ وَالَّذِينَ أُشْرَكُواَ أَشْرُكُواْ" {المائدة: 22}. إن القرآن إلهي فقد هدى إلى صرط مستقيم.

ب- كشف محاولات التخليد وتثبيط العزائم: يقرر القرآن الكريم أن الدور الذي يؤديه أعداء الإسلام في التخليد وتثبيط العزائم وإضعاف الهمم له خطورة إذا انسلق في تياره أبناء الأمة، ويرفض أنه كلما لقيت دعواهم آذاناً صافحة فإنهم يفرحون بذلك ويستبشرون، وهذا شأنهم في كل عصر.

ومن الأمثلة التي أوردها القرآن في هذا المجال أولئك المنافقون الذين دعوا المسلمين - عندما أمر الرسول عليه السلام بالإعداد لغزو ثبوك - إلى أن يتخلى عن الرسول ولا ينفروا في ظل الشمس ووجه الحر. فتجار الآية الكريمة تعد من اتباعهم وتبنيهم بأن جهنم أشد حراً وتطلب من الرسول لا يستعين بهم في
غزوة أخرى: قال تعالى: «فرَحَ الْمُخْلَقُونَ يَقُلُّونَ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ، وَكُرِّهُوا أن يَجْهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا نُنفِرُوا في اِخْرَجُ ً قَنَاءً» (البقرة 33:1). تأذى جهانم أشد حراً لو كانوا يفخعون. فليضحكوا قليلاً وليبتكونوا كبيراً جرأةً، بما كانوا يكسبون. فإن رجعتك الله إلى طابية مثبنه فاستنذذوك للخرج فقيل لن تخرجوا معي أبداً ولن تقتيلوا معي عندوا إنكر رضيتم بالفعود أول مرّة فاقعدوا مع الخائفين. {البقرة 33:1}. فالقرآن هنا لا يكشف محاولات تنفيز العزائم، ويذكر المسلمين من الاستجابة لها فحسب، بل يقرر أيضاً ضرورة تطهير الجيش من أمثال هؤلاء المنافقين لشدة خطرهم عليه.

ج- كشف محاولات زعزعة الثقة في النصر: ويكشف القرآن أيضاً محاولات إعداء الإسلام لزعزعة المسلمين في النصر فأورد مثالاً على ذلك أولئك المنافقين الذين أرادوا أن ينهروهم في أهل المدينة يشكونهم في وعد الله ورسوله بالنصر والفتح المبين، فركزوا على جانب التهويل والتخويف وإضعاف العزائم ليتركوا الرسول - في غزوة الخندق - وحده مع نفر قليل، وليرجعوا إلى بيوتهم متعلمين بأنها غير محصنة (وكان الخندق خارج المدينة). قال تعالى: «وإذ يقول المنيفون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غضراً، وإذا قالت طائفة منهم يتأهل يترُب فمِّن يُبزرَ لَكُر فآزرعوا، وثبتون.innerHTML

النبي يقولون إن بيوتنا غورة وما هي يعزِّرة إن يرتدون إلا بشارًا» {البقرة 12}.

3- كنmana الأُسرار ومنع توجيه الشائعات: إن توجيهات الإسلام تسد منافذ الحرب النفسية ولا تعطي غير أهل العلم من القادة والرؤساء حق الحديث عن أسرار الجيش والامة، لأن هؤلاء أدرى بما يصح أن يقال وما لا يقال، وخاصة في الظروف الحساسة، ولذلك لم الاقتران المنافقين الذين كانوا يتظاهرون بالإسلام كما لام ضعفاء المسلمين لأنهم كانوا يفشون أمر رسول الله ويجيبونه ويتحدثون به
قبل أن يقفوا على حقيقته سواء كان هذا الأمر يتصل بحالة الحرب أم حالة السلام والأمن وفي ذلك يقول الله تعالى: 
{وإذا جاءهم أمر من الأموات أو النحور آذعوا
به، ولو ردوه إلى الرسول وآله لأنه الأول أمر بهم، ثم لم يسلموه الذين يستسلمونه، فمُضِلُّونَ}
{قله الله عليه ورحمةه، لاتبعوا الشيطان إلا قليلاً} (النساء 32).
وكم حذر الإسلام من إذاعة الأسرار طلب من المسلمين أن يثبتوا ما يصلهم من الأنباء قبل الركون إليها والعمل بها: قال تعالى: 
{يأتينا الذين آمنوا إن
جاهز كفر يأسق بني قينقاع أن تصبحوا قومًا يجهلها فتصبحوا على ما فتشمث
تنذيرم} (المورى 10).
ولقد نهى الله تعالى أن يكون مصدر العلم على الكافرين بابناب الظن 
{إن يتبعون إلا أهل الظن ومالك الظن} (الأعراف 21) {وإن أهل الظن لا يغني من
أخي شقي} (البقرة 18) {يتأتى الذين آمنوا أُجْتَنِبْوُا كثيرة من أهل الظن إبً بعض
الظن إنهر} (النور 27) {وان على المسلم مهري الصدق في القول والعمل. ومراقبة
لسانيه جيداً فقد تجر كلمة واحدة عواقب وبخيمة: يقول} (العبد ليتكلم
بالكلمة ما يبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق) وعند مسلم: 
{ابعد
ما بين المشرق والغرب}.
ويحذر الإسلام من ترويج الشائعات وإن من أشد أنواع الكذب أن يدعى
الرجل بالباطل أنه رأى بنفسه الشيء الذي يحب عنه: قال: {أفروى الفرى، أن
يروي الرجل عينيه ما لم تروا}.

(1) متفق عليه - (ارجع إلى فتح الباري رقم 774) باب حفظ اللسان... ومنعه يبين: يذكر أنها
خير أمر لا.
(2) رواه البخاري في التعبير (باب من كذب في حلمه).
كما يكشف الإسلام مدى الجريئة التي يترفها مروجو الشائعات كما يفهم من قوله تعالى: "إذَّ كُلُّهمُ كُلُّهُمْ يَتَبَيَّنُونَ وَيَقُولُونَ إِنَّمَا كُلُّهُمْ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَخَصِيبُونَ هُمْ يَهْيَأُونَ وَهُوَ عِبَادُ اللَّهِ عَظِيمُونَ" (النور 10).

وقوله تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ شَيَاءَنَّ أَنْ تَشُيعُواَ الْفَنْحَاسَةَ فِي الْذُّبُورِ إِنَّمَا هُمْ عَدُّابٌ أَلِيمٌ فِي النَّارِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنَاَ لَتَعَلَّمُونَ" (النور 11).

وهيذا يدعو الله تعالى المسلمين لكي يكونوا صادقين فيما يقولون وفيما يفعلون، وأن يقدروا الكلمة قبل أن ينطق بها اللسان، وأن يعرفوا أبعادها وعواقبها ويدركوا أنها أمينة، وأن الكذب فيها أو قولها لغير ما قيلت له غش وخداع وكدب على الله الذي يكشف الدخال ويدرك الخفايا: قال تعالى: "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ كُفُّواَ اللَّهَ وَقُولُواَ قَوْلاً سَمِيِّداً وَصَلِّ لَهُ كُلُّ أَمَانَٰتِكُمْ وَبَيِّنَ لَهُ ذَٰلِكَ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا" (الإسراء 20).

4- التصدي للقوى المضادة المستمرة: ومنها تتميز به "الاستراتيجية" الإسلامية في إعداد القوة الرادعة التي ترهب العدو أنها لا تهدف إلى رد العدوان الخارجي الظاهر فقط، بل تهدف أيضاً إلى رد أعداء الإسلام من القوى المضادة التي تعمل في الحلفاء والتي قد يكون خطرها - إذا غفلت الامة عنها - أو لم تتصدى لها - أجد بكثر من خطر العدو الظاهر: قال تعالى: "فَأُعْدَوُوا لَهُمْ مَا أَشْتَعَلْتُمْ لَهُمْ فَوْرًا وَمَرًّا، ءَايَةٌ لِّلْحَمِيمِ بِهِ عَدُوُّ اللَّهِ وَعَدُوُّ عِيسَىٰ مُّسْتَقِيمٌ لِّلْحَمَّامِ لَن تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ" (الأنفال 20).

إن "عدو الله" و"عدو المسلمين" هم المشركون والكافرون واليهود قديماً، أما حديثاً فهم أعداء الإسلام والمسلمين من اليهود والنصارى والشيعة، الملحدين الذين يجاهرون بالعداء ويعلمن الحرب يجحج يعلمها كل مسلم أنها باطلة.
أما الفئة الثالثة: وهي المعتبر عنها بقوله تعالى: ۚ وَأَخْرِينَ مِنْ ذُوٌّ يَبْحَثُهُمْ لَآٓ تَعْلَمُونَهُمْ اللهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ فقد فسرها العلماء السابقون بالمنافقين الذين يلبسون ثوباً ظاهره الرحمة وباطنه العذاب. إن قوله تعالى هذا ينطوي في الوقت الحاضر على كل القوى المضادة التي تعتقد على الإسلام، وتفشل سموها في الخفاء، وتروج الشائعات، وتثير الفتنة، وتغرى بالفساد. ومن هذه الفئة من يكون داخل البلاد الإسلامية وبين صفوف أبنائها، ومنهم من يكون خارجاً يدب ويشتت ويتحرك بكل الأساليب العلمية للحرب النفسية والجذور الفكري الفاعلة.

ومن أجل ذلك فقد نه القرآن المسلمين إلى تلك الفئة من الأعداء الحذرين، وأوجب على الأمة الإسلامية إعداد كل وسائل القوة التي تردعهم.

5- مواجهة الشائعات والدعابة بالحقائق ليس هناك مثل الحقائق وسيلة للقضاء على الشائعات والدعابات الخبيثة التي تريد النيل من الإسلام، هذه حقيقة علمية يقرها علماء النفس وخبراء الحروب النفسية. إن غيبة الحقيقة تولد لدى الإنسان فراغاً فكرياً يجعله فريسة سهلة للإشارات والأخبار المضللة التي يذيعها الأعداء مستغلين ذلك المناخ الساحل الذي يتهاباً لهم لتحقيق أعراضهم في تدمير الروح المعنية.

ولا تفلح وسائل تكذيب الشائعات والأخبار المضللة في إزالة تلك الآثار الهمامة مثلما تفلح الحقيقة التي هي السبيل الأوحد لقطع الشك والقضاء على البلبلة والغموض.

ومن الأمثلة التي تساق في هذا المجال ما حدث في عصر القضاء سنة سبعية للهجرة قبل فتح مكة. إذ أشاع المشركون أن المسلمين لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الهزال وقد وتهتم حمي يرثب، فخرج أهل مكة لينظروا بذلك حتى
النساء والأطفال. فما كان من الرسول ﷺ وقد بلغته هذه الدعاية وما بالمسلمين من حي. إلا وأمر أصحابه الاضطباب(1) والرمل(2) ثلاثاً أثناء الطوفان ليرى المشركين قوة المسلمين.

"عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما- قال: إن رسول الله ﷺ قدم مكة فقال المشركون إن محمدا وأصحابه لا يستطيعون أن يطوفوا بالبيت من الحزام وكانوا يحسبونه قال: فامرهم رسول الله ﷺ أن يرموا ثلاثاً ويشوا أربعاً.")٣(.

وفي رواية أخرى: "وامرهم النبي ﷺ أن يرموا ثلاثة أشواط ويشوا ما بين الركين ليرى المشركون جلدهم، فقال المشركون هؤلاء الذين زعمتم أن الحمي قد وهتتهم هؤلاء أجلد من كذا وكذا...")٤(.

وفي رواية: "تقول قريش: كأنهم الخزلان")٥(.

وهكذا كانت الحقيقة الدامغة بما قام به المسلمون من الرمل، أبلغّ رد يقضي على ما أشيع عن هزال المسلمين، وكان قول المشركين بعد ذلك هو الدليل على القضاء على الشائعة.

ومثال آخر على مواجهة الشعارات بالحقائق الدامغة ما حدث في غزوة أحد من إشاعة مقتل النبي ﷺ. والأثر السيئ الذي تركته هذه الشائعة في المسلمين، ثم رد

الاضطباب: هو أن تدخل البرداء من تحت إبط الكام فيديوا منكبوه الأيمن ويتغطي الأيسر.

وسمى بذلك: لإبداء الضبعين وهم العضدان ما تحت الإبط.

الرمل: سرعة المشي والهرولة.

رواه مسلم - باب استجاب الرمل والطواف والعمرة ج 9 ص 10 صحح مسلم بشرح النروي.

المرجع السابق - الباب نفسه - والحديث رواه أيضاً الترمذي والنسائي وابو داود وأحمد (ارجع إلى جامع الأصول تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ج 3/117).

رواية أبي داود رقم 1886 في المناسك باب الرمل.

(1) (2) (3) (4) (5)
الرسول القائد عليه الصلاة والسلام نقلت أن صعد فوق الجبل ليطمئن أصحابه ورد إليهم الثقة في أنفسهم. وقد أثبتنا على ذكر هذه الحادثة في الفصل الثاني من هذا البحث. بالإضافة إلى ما ذكرنا من مقاومة الحرب النفسية، نجد أن الإسلام يوجه أبنائه دائمًا إلى الطريق الصحيح لاستعادة قوامه المعنوي وخاصة بعد الأزمات والضغوط النفسية من قبل الأعداء وذلك على الأسس الآتية:

- سرعة الرجوع إلى أصول العقيدة والاعتقام بالكتاب والسنة.

- الاستعانة بالصبر والصلاة.

ومن الأمثلة على النقطة الأولى ما حدث بعد وفاة الرسول بعد استغلال المنافقون موقف على الفور. وأخذوا يشكون الحرب النفسية ضد المسلمين لزعزعة إيمانهم وإثارة الفتنة بينهم.

وقول عمر بن الخطاب في المسجد: "إن رجالاً من المنافقين يزعمون أن رسول الله قد توفي، وأنه والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران..." تظهر هذه البلبلة في موقف لولا أن خرج أبو بكر الصديق رضي الله عنه وحمض الموقف: "همة المشهورة التي قال فيها بعد أن علم الله وآتين عليه: "أيها الناس، فإنه من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا موت" ثم تناوله تعالى: "وَمَا مُتْحَدَرَ إِلَّا رَسُولُ اللهُ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ آرُسُلَ أُمَّةَ مَّاتُ وَقُبِّيْلَ آنَقِلَتُ عَلَىَّ أَعْقَبُكَمْ وَمَن يَنْقَلِبْ عَلَىَّ عَقِيبَيْهِ فَلَنْ يُصِبَّ الَّذِيْنَ عَثَرَ وَسَيْجُرَّيْهَا اللهُ الْمُشْتَرِكِينَ").

وهكذا زاول القلوب كل شكل في أن محمدًا قد مات. ولا كان الغد من ذلك اليوم خطب عمر الناس فقال: "إني قد قلت لكم بالأمس مقالة ما كانت مبيّنة في كتاب الله ولا كانت عهدًا عهده إلى رسول الله، ولكنك قد كنت أرى أن

(1) السيرة النبوية لابن هشام 4/324.
رسول الله سيدنا عمرنا ويبقى ليكون آخرا، وإن الله قد أبقى فيكم كتابه الذي به هدى رسوله، فإن ا تصتمتم به هداكم الله لما كان هداه له»(1).

وهكذا يكون الاعتقام بالكتاب والسنة أقوى أسباب الوقاية من الضلال والانحراف. وأما النقطة الثانية وهي الاستعانة بالصبر والصلاة لإزالة الضغوط النفسية يقول الله تعالى: "فَبِأَيْلَهَا الْدِّينَ خَلِّمَهُمْ أُنَبِيْتُمْ إِذْ تُقْتَلُونَ بِالْقَبْسِ وَالْقُلُوبِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّبَرِينَ ولا تَقْتَلُوا لَمْ يُقْتَلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَتُ بِأَحَيِّاءٍ وَلْيَكُن لَّكُم بِالْأَمْوَالِ الَّذِي نَشْعَرُونَ وَلَنِنْيَذِبْنَكُمْ بِثِيَابِ مَنْ أَخَذُوا وَالْجَوْفِ وَنَقْصُ مَنْ أَمْوَالِ الْأَنْفُسِ وَالْأَشْرَابِ وَيَدُورُ الْبِرَّ وَالْأَفْضَلْ عِنْدَ اللَّهِ أُوْلِي الْأَمْرِ يَأْتِيْنَكُمْ وَيَسْتَغْفِرْنَ لَهُمْ وَأَنْفُسَهُمْ وَيَتَمَسَّكَنْهُمْ مِنَ الْأَذَابِ أَذُفْ كَيْبًا وإن تصبروا وتنتموا فإن ذلك من عزم الأمور(2).

(أ ب ع ر أ ١٦٨)

أَمْ حَيْسَبُ أَنْ تَدْخِلُوا الْجَنَّةَ وَلَمْ يَأْتِكُم مَثْلُ الْذِينَ خَلَوْا مِنْ فَتْلِكُم مَسْتَهُمُ الْبَرَاءَةَ وَالْأَشْرَابَ وَزَرَّأْنَاهُمْ حَتَّى يَقْبُلَ الرَّسُولُ وَالْذِينَ خَلِمَهُمْ أَنْعَمَ مَنْ يَأْتِيْنَكُمْ وَلَيْسَ اللهُ إلاَّ إنْ نَصْرَهُ قَرِيبٌ(٣).

والأحاديث النبوية الشريفة كثيرة في هذا الباب. نقتصر على حدث واحد منعاً للإطالة: يقول الرسول الكريم: واصفًا المؤمن: "عجبًا لأمر المؤمن إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته ضرر شكر فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"(1).

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) السيرة النبوية لابن هشام ٤/٣٤٠.
(2) رواه مسلم (كتاب الزهد).
(3) أخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.
خاتمة

عرضت في هذا البحث صفحات موجزة عن الحرب النفسية، ماهيتها وتاريخها وأسلحتها الفتاكة، وقد اخترت من هذه الأسلحة أهمها وأشدها أثراً، وهي الدعابة والشائعة وغسيل الدماغ، ثم رأت الحاجة الماسة في عرض نماذج عملية من الدعائيات المعادية لطلع المسلم على ما يخطط له وما ينفذ سراً و جهة أ، واخترت من هذه الدعائيات أشدها خطراً على الإسلام والمسلمين والمتمثلة بالثالوث العتيق في عداوته، المخادع في معاملته، وهذه الدعائيات هي:

- الدعابة اليهودية.
- الدعابة الشيوعية.
- الدعابة الغربية.

وقد رأينا كيف أن هذا الثالوث الرهيب بني دعايته، التي هي أمضى سلاح من أسلحة الحرب النفسية على أسس مدرسة وخطيئة بشكل دقيق، وعلى مراحل متممة بعضها لبعض، ثم نفذوها عملياً وواقعياً في مجتمعنا العربي بشكل خاص والإسلامية عامة، وخاصة ما طالت منها ضد الحركات الإسلامية المعاصرة، وكيف أنهم حاربوها بكل الأسلحة من دعاية وشائعة وغسيل دماغ.

وقد رأينا كيف أن العدو على علم بطبيعة الحرب النفسية وأسلوبها وذلك من خلال التنظيم الدقيق لدعوته الداخلية والخارجية، خصوصاً الدعابة المسومة الموجهة ضد المسلمين في البلاد العربية خاصة، ويهيئ هذا واضحاً في الدعابة اليهودية في فلسطين المحتلة وفي أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية. إذا عرنا كل هذا، وعرفنا أن عدونا يقظ دائماً، وقد تدربنا نفسياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً، فمن النتائج التي تترتب على ذلك ما يلي:
أ- إعادة النظر في إعلامنا ووسائطه وأسلوبه وخططه.
ب- دراسة الحرب النفسية دراسة علمية دقيقة.
ج- اهتمام الجامعات بالدراسات العلمية للحرب النفسية، وتخرج الاختصاصيين بها.
د- إنشاء ملاك كامل من الخبراء في الحرب النفسية والإعلام للعمل في وزارة الإعلام.

وحتى خرج من المجال النظري إلى المجال العملي والتطبيقي للرد على الحرب النفسية العدوة أقترح إنشاء إدارة خاصة في وزارة الإعلام وليصلي بوزارة الخارجية تسمى «إدارة الحرب النفسية» توطد علاقتها بشكل جيد مع:

١- وسائل الإعلام الإسلامية في الداخل والخارج.
٢- السفارات العربية والإسلامية.
٣- المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا.

وتتعاون هذه الإدارة مع وزارة التعليم العالي لتثمين ملاكها من الموظفين والمختصين وعلماء النفس والاجتماع وخبراء الإعلام والحرب النفسية .. الذين يقومون عليها. وقبل أن ننجز وظيفة هذه الإدارة لابد أن نشير إلى الآسس والمركزات التي تبنى عليها الحرب النفسية المضادة التي نطمئن أن تشنها هذه الإدارة على الأعداء، وهذه الآسس هي:

١) العقيدة الإسلامية الصحيحة.
٢) الشريعة الإسلامية هي نظام الحياة.
٣) الأخلاق الإسلامية هي أساس المعاملات والعلاقات الإنسانية.
٤) التخطيط السياسي المبني على أساس علمية دقيقة.
إن النقاط الثلاثة الأولى واضحة في أذهاننا، أما النقطة الرابعة المتصلة للنقاط الأولى، مازلنا لا نراها بوضوح، لذلك نتجاهلها، ولعلنا رأينا من خلال نظرة للدعاية اليهودية كيف كانت تستند على دراسة وتطبيقات في كل مرحلة من مراحلها، ويقوم عليها علماء النفس وخبراء الإعلام ... فمن الغباء مواجهة هذه الدعاية بدعاية ساذجة وارتجالية لا تحتوي سوى الصيحات الإلهامية، والخطب الرثائية المتلاعبة بعواطف الناس، فلا بد إذاً من التخطيط البناء، للإعلام والدعاية، التخطيط الذي يستند على إيمان يقيني وإسلام صادق وأخلاق قرآنية ... وبهذا الشكل ستؤدي الحرب النفسية المضادة ثمارها بإذن الله.

أما وظيفة هذه الإدارة، فنذكر منها ما يلي:

1 - التخطيط للحرب النفسية المضادة قبل المعارك الفاصلة مع العدو.
2 - تقويم حقيقي وعلمي للدعاية الغربية والشيوعية بشكل عام والدعاية اليهودية بشكل خاص.
3 - رصد أسلحة الحرب النفسية العدوة والرد عليها بالأسلوب الملائم.
4 - كشف أساليب الأعداء بالحرب النفسية وتوعية الرأي العام الإسلامي بذلك.
5 - إيجاد رأي عام إسلامي واحد تجاه الأحداث الجارية.
6 - دراسة دقيقة للرأي العام غير الإسلامي ومعرفة سبل تفكيره ونقاط ضعفه.
7 - التعبئة الروحية والفكرية للأفراد والجماعات وذلك بإيصال روح الإيمان والتضحية بالنفس والمال في سبيل الله.
8 - تجريد كل مفكر مخلص وداعية إسلامي في الداخل والخارج والاستفادة من جميع طاقاته لخدمة الإسلام والمسلمين.
9- تجديد جميع المراكز الإسلامية في أوروبا وأمريكا، خدمة الإعلام الإسلامي والحرب النفسية المضادة.

هذه بعض الوظائف التي يمكن أن تؤديها هذه الإدارة، وقد تجد وظائف أخرى كثيرة لها من خلال العمل الدؤوب والمخلص، والله أسأل أن يوفق الجميع إلى ما فيه خير المسلمين وعزّتهم.

وآخر دعواناً أن الحمد لله رب العالمين.
مراجع البحث

1 - كتب التفسير والحديث والسيرة

أ - التفسير:
1 - الطبري (محمد بن جرير) جامع البيان في تفسير القرآن دار المعرفة - بيروت 1398/78.
2 - الشوكانى (محمد بن علي) فتح القدير دار العرفة - بيروت (دون تاريخ).
3 - ابن كثير (إسماعيل) تفسير القرآن العظيم دار الفكر - بيروت (دون تاريخ).

ب - الحديث:
1 - العسلقلاني (ابن حجر) فتح الباري شرح صحيح البخاري - تحقيق عب الدين الخطيب، المكتبة السلفية.
2 - النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، دار الفكر - (دون تاريخ).
3 - ابن الأثير الجزري، جامع الأصول - تحقيق الأرناؤوط، مكتبة الحلواتي - دمشق 1391/1971 الم.
4 - ناصر الدين الألباني، صحيح الجامع الصغير (1403 هـ)، المكتب الإسلامي دمشق.

ج - السيرة:
1 - ابن كثير، البداية والنهاية، مكتبة المعارف - بيروت 1978 الم.
2- ابن هشام، السيرة النبوية - تحقيق محمد كعبي الدين عبدالحميد، دار الفكر (دون تاريخ).

3- أبو الحسن الندوي، السيرة النبوية، دار الشروق - جدة ط 1976م، 1397هـ.

2- الكتب العربية

1- الدكتور إبراهيم إمام، الإعلام والاتصال بالجماهير، مكتبة الأمل، المصرية، 1975م.

2- الإعلام الإذاعي والتلفزيوني، دار الفكر العربي - القاهرة، 1979م.

3- إبراهيم خليل أحمد، المستشرقون والباحثون في العالم العربي والإسلامي، مكتبة الوعي، القاهرة، 1964م.

4- أبو الأعلى المودودي، ما هي الف.aliانية، دار القلم - الكويت (دون تاريخ).


6- أحمد عبد الوهاب - إسرائيل حرفت الأنجيل والأسفار المقدسة، مكتبة وفاء، 1972م.

7- الدكتور أحمد عزت راجح، أصول علم النفس، القاهرة، 1953م.

8- أحمد عبد الغفور عطار - محمد بن عبد الوهاب، مكتبة العرفان، بيروت، 1392هـ - 1972م.

10- الإسلام في وجه التغريب.

11- الدكتور حامد ربيع - الحرب النفسية في المنطقة العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت 1974م.

12- فلسفة الدعاية الإسرائيلية، منظمة التحرير الفلسطينية بيروت 1970م.

13- الدكتور حامد عبد السلام زهران - علم النفس الاجتماعي، عالم الكتب، ط. ٤، ١٩٧٧م.

14- زين العابدين الركابي - محاضرات عام ١٣٩٨ـ في المعهد العالي للدعوة الإسلامية.

15- سعد جمعة - الله أو الدمار، المختaru الإسلامي - القاهرة ١٣٩٦ـ/ ١٩٧٦م.

16- سعيد حارب - الثقافة والعولمة - الكتاب الجامعي، العين ٢٠٠٠م.

17- سيد قطب - معالم في الطريق، دار الشروق، دون تاريخ).

18- شوقي أبو خليل - عوامل النصر والهزيمة عبر تاريخنا الإسلامي، دار الفكر، دمشق ١٣٩٩ـ/ ١٩٧٩م.

19- الإسلام وحركات التحرر العربية، دار الفكر - دمشق (دون تاريخ).

20- الدكتور عهان أحمد رشيدي - النظام الإذاعي في المجتمعات الاشتراكية، دار الفكر العربي، القاهرة ١٩٧٩م.

21- صلاح نصر - الحرب النفسية (جزءان)، دار القاهرة للطباعة والنشر، ط. ١٩٦٧م.

22- الدكتور صلاح عيمر وعبد رزق - المدخل إلى علم النفس الاجتماعي، مكتبة الأزتيك المصرية، ١٩٦٠م.
24- عارف العارف - الفصل في تاريخ القدس، مكتبة الأندلس في القدس - شوال 1390 هـ نيسان 1971 م.
25- عبد الرحمن الباني - مدخل إلى التربية في ضوء الإسلام، المكتب الإسلامي - دمشق 1400 هـ.
26- عبد الرحمن الميداني - أجنحة المكر الثلاثة، دار القلم - دمشق 1395 هـ - 1976 م.
27- عبد الرحمن النجلاوي - المدخل إلى علم النفس، (طبع على الاستنسل) كلية الدراسات الاجتماعية.
28- عبد الستار فتحي الله سعيد - معركة الوجود بين القرآن والتلمود، دار النصر للطباعة الإسلامية – القاهرة (دون تاريخ).
29- د. عبد العزيز القوصي - أسس علم النفس، مكتبة النهضة المصرية 1955 م.
30- علم النفس أسسه وتطبيقاته التربوية، 1964 م.
31- أسس الصحة النفسية، مكتبة النهضة المصرية ط 1969 م القاهرة.
33- د. عبد الكريم اليافي - تمهد في علم الاجتماع، مطبعة الجامعة السورية 1376 هـ / 1957 م.
34- د. عبد اللطيف حمزة - الإعلام والدعاية، دار الفكر العربي القاهرة 1978 م.
35- د. عبد المنعم الحفني - موسوعة علم النفس والتحليل النفسي، مكتبة مدبولي - القاهرة، 1978 م.

36- عبد المجيد عبد الرحيم - علم النفس الاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، 1969.

37- عقيل هاشم - تخطيط الإعلام العربي، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، 1968.

38- علي جريشة - محمد شريف الزيق - أساليب الغزو الفكري - دار الاعتصام - القاهرة، 1397 هـ.


40- غازي القصيبي - أمريكا والسعودية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002.

41- الغزالي (أبو حامد) - إحياء علوم الدين، عيسى البابي الحلبي، 1377 هـ/1957 م.

42- الاقتصاد في الاعتقاد، المكتبة التجارية - القاهرة (دون تاريخ).

43- كيمياء السعادة، من رسائل الغزالي - المطبعة المحمودية التجارية - القاهرة.

44- الغزالي (محمد) - دفاع من العقيدة والشريعة ضد مطاعن المستشرقين، دار الكتب الحديثة - القاهرة.

45- د. فخري الدباغ، غسيل الدماغ، المؤسسة اللبنانية للنشر، 1970 م.

46- مالك بن نبي - الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر - دمشق، 1389/1969 م.
47 - محمد أحمد النابلسي - الحرب النفسية في العراق، مركز الدراسات النفسية - بيروت 2003م.

48 - د. خانم التهامي - الرأي العام والحرب النفسية، دار المعارف - القاهرة 1975م.

49 - محمد جمال الدين محفوظ - النظرية الإسلامية في الحرب النفسية، دار الاعتصام - القاهرة (دون تاريخ).

50 - د. محمد علي العوني - الإعلام العربي، عالم الكتب - القاهرة 1979م.

51 - د. محمد عبد القادر - الرأي العام وتأثيره بالدعاية والإعلام، مكتبة لبنان - بيروت 1973م.

52 - د. محمد صادق - الدبلوماسية والمكياجية في العلاقات العربية الأمريكية، بيروت - 1391-1 1971م.


54 - د. محمد بن لطفي الصباغ - الابنعت ومخاطرها، (دراسة نشرت في أضواء الشريعة العدد 8-1397/1976م) وهي مجلة تصدرها كلية الشريعة بالرياض.

55 - د. محمود محمد شاكر - آبائل وأسمار، القاهرة - 1972م.

56 - د. مصطفى السباعي - الاستشراق والمستشرقون، المكتبة الإسلامية - دمشق - 1399/1979م.

57 - د. مصطفى الخضناوي - الدعاية السياسية والإعلام، مطبعة جريدة قناة السويس - القاهرة - 1374/1954م.

58 - د. مصطفى سويف - مقدمة لعلم النفس الاجتماعي، مكتبة الأدب العربي المصرية 1966م.
9- مصطفى الخالدي وعمر فرج - التبشير والاستعمار، المكتبة العمرية بيروت ط 5 - 1973 م.

10- مصطفى النشر، ضد العولمة / دار قباء، القاهرة، 1990.

11- منذر عنطباوي - أضواء على الإعلام الإسرائيلي، مركز الأبحاث الفلسطيني 1968.

12- مهندسة الحنزا - معجم مصطلحات علم النفس، دار النشر للجامعيين بيروت - (دون تاريخ).

13- السندوات الثقافة - المهرجان الوطني للتراث والثقافة الحادي عشر 1416 هـ - الرياض. ندوة: الخطر الإسلامي بين الحقيقة والواقع.

3- المراجع المترجمة

1- أحمد رضا بك - الخريجة الأدبية للسياسة الغربية في الشرق - ترجمة محمد الصادق الزمرلي ومحمد بورقية، دار بوسيلة - تونس 1977 م.

2- الكسيس كاريل - الإنسان ذلك الشجاع - ترجمة شفيق أسعد فريد، دار المعارف - بيروت (دون تاريخ).

3- المهندسة مريم جميلة - الإسلام في النظرية والتطبيق - مكتبة الفلاح - الكويت - 1398 هـ.

4- برنارد لويس - الغرب والشرق الأوسط - ترجمة نبيل صبحي، المختار الإسلامي 1398/1978 م.

5- ج - جيلفرد - مبادئ علم النفس - ترجمة يوسف مراد، دار المعارف - القاهرة 1962 م.

6- رجاء جارودي - الأساطير المؤسسة لدولة إسرائيل.
8- شانتال لبريه - المسلمين في الاتحاد السوفيتي - ترجمة الدكتور إحسان حقي، مؤسسة الهالة - بيروت 1397هـ.
9- د. ريتشارد ميتشل - الإخوان المسلمون - ترجمة منى أنيس - عبد السلام رضوان، مكتبة مدبولي - القاهرة 1977م.
10- فرانسيس ستوندرز - الحرب الباردة الثقافية - ترجمة طلعت الشباب - المجلس الأعلى للثقافة مصر 2002م.
11- كولومبوسكي وآخرون - علم النفس الاجتماعي وقضايا الإعلام والدعاية - ترجمة نزار عيون السود، دار دمشق 1987م.
14- مايكلز كوبلاند - لعبة الأمم - ترجمة مروان خير، مكتبة الزيتونة - بيروت 1970م.
16- بروتوكلات حكماء صهيون، مكتبة دار العروبة - القاهرة 1961م.
17- موريس جنر بيرغ - علم الاجتماع - ترجمة فؤاد زكريا، (دون تاريخ).
19 - هيربرت شيلر - المتلاعبون بالعقل - المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت - ط 2 ، 1999م.

4 - المقالات
1 - "الحرب النفسية ما صنع بها العدو وما صمغنا؟ للدكتور عبد الله ناصر، مجلة "العربي" العدد 117 - جمادى الأولى 1388هـ، آب 1968م.
2 - الراوي العام الدولي والسلك السياسي مجلة "السياسية الدولية" للدكتور حامد ربيع 6 أكتوبر 1968م.
3 - "حرب القصاصات"، مجلة المختار من "ريدرز دايجرست" آذار 1944م.
4 - "كذاب حوله إلى بطل" كذاب اليمن: الأسود العنصري، مجلة "الإرشاد اليمنية العددان (8/9) ذو القعدة 1399هـ.
5 - "ما هو المقصود من تأليف الكتاب الأخضر؟" مجلة "الراي" (آخن - ألمانيا الاتحادية العدد 42/400 /1400هـ /1980م.
6 - حرب الشائعات ضد الحركة الإسلامية - مجلة المجتمع - العدد 481/5 رجب 1400هـ.
7 - الحركة الإسلامية في الصحافة الغربية - مجلة المجتمع - العدد 433/23 ربيع الأول 1399هـ.
8 - الغضارة الإعلامية على العالم الإسلامي - مجلة المجتمع - العدد 486/10 شعبان 1400م.
9 - هل يستطيع الإسلام التكيف مع الثورة الاجتماعية المعاصرة؟ مجلة "الإصلاح" العدد 12 شعبان 1399هـ.
10- صحف الغرب تهاجم الإسلام - المجتمع - العدد 485 - 14 ربيع الأول 1399 هـ.

11- رياح البعث الإسلامي تقلق العالم - البلاغ - العدد 479- 14 ذو القعدة 1398 هـ.

12- الإسلام والاستشراق والغرب (إدوارد سعيد) مجلة الأمان العدد 14.

13- سيكلوجية الإشاعة. فاخر عاقل مجلة العربي العدد 94 أيلول 1966 م.

14- إعرف عن التحليل النفسي - هـ - إيسنك - المختار آذار 1960 م.

15- الحرب النفسية في النظام الدولي الجديد - د. سعد العبيدي - النبا - ذو الحجة 1421 هـ.

4- الدوريات

أ- المجلات الشهرية:

1- البيان 2 شوال 1423 هـ.

2- الهلال (القاهرة) عدد ربيع الأول 1397 هـ.

3- المختار (من ريدرز دايتجست) آذار 1944 (القاهرة).

4- السياسة الدولية (القاهرة) عدد 6 أكتوبر 1966 م.

5- العربي (الكويت) الأعداد 94 و 117.

6- الدعوة (المصرية) الأعداد 32 و 328.

7- الإصلاح (الإمارات) الأعداد 11 و 16.

8- الفكر العربي العدد 89 - صيف 1997 م.
ب- المجلات الأسبوعية:
1- الدفاع (الرياض) العدد 132 ، 2003/11/1.
2- المجتمع (الكويت) الأعداد: 22، 430، 431، 432، 434، 437، 438، 480، 481، 482.
3- روز اليوسف 29/6/1963.
4- الإرشاد (اليمنية) الأعداد: (2 و 3 و 8 و 9).
5- الأمان (اللبنانية) الأعداد: 14، 187.
6- البلاغ (الكويتية) الأعداد: 406، 479.
7- النبا (المصرية) العدد: 55 ذو الحجة 1421 هـ.
ج- الصحف اليومية:
1- الإندبندنت البريطانية.
2- المدينة (السعودية) العدد (570).
3- الشرق الأوسط (السعودية) تاريخ 21/1/1979.
4- الرياض (السعودية) العدد (4169).
5- القبس (الكويتية) الأعداد: 182، 182، 3185، 3189.
6- السياسة (الكويتية) عدد 22/12/1980.
7- الدستور (عمان) 16 رجب 1424 هـ.
د- دوريات أخرى:
1- الرائد (ألمانيا الغربية - آخن) العدد 42.
2- قافلة الزيت (السعودية) العدد 10 شوال 1400 هـ.
5. مواقع الإنترنت والمجلات الإلكترونية

1. الإسلام اليوم في 11/12/1424 هـ، 12/12/1424 هـ.

2. مهبط 28/12/1425 هـ.

3. مجلة الانتفاضة الإلكترونية - التسليم السياسي ومحور الذاكرة.

4. الساحة السياسية.
<table>
<thead>
<tr>
<th>الصفحة</th>
<th>الموضوع</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>3</td>
<td>المقدمة</td>
</tr>
<tr>
<td>9</td>
<td>الفصل الأول: ماهية الحرب النفسية</td>
</tr>
<tr>
<td>10</td>
<td>البحث الأول: علم النفس الاجتماعي</td>
</tr>
<tr>
<td>10</td>
<td>- مفهوم علم النفس الاجتماعي</td>
</tr>
<tr>
<td>15</td>
<td>- السلوك الاجتماعي</td>
</tr>
<tr>
<td>17</td>
<td>- السلوك عند الغزالي وعند المدرسة السلوكية</td>
</tr>
<tr>
<td>20</td>
<td>- الدوافع الاجتماعية للسلوك</td>
</tr>
<tr>
<td>23</td>
<td>- الغزائر عند مكدوجال وفرويد</td>
</tr>
<tr>
<td>27</td>
<td>- نقد نظرية فرويد</td>
</tr>
<tr>
<td>31</td>
<td>- الغريزة في الإسلام</td>
</tr>
<tr>
<td>34</td>
<td>- تعديل الدوافع</td>
</tr>
<tr>
<td>43</td>
<td>البحث الثاني: العوامل المؤثرة في السلوك</td>
</tr>
<tr>
<td>43-1</td>
<td>- التربية</td>
</tr>
<tr>
<td>43-2</td>
<td>- العقيدة</td>
</tr>
<tr>
<td>45-3</td>
<td>- الرأي العام</td>
</tr>
<tr>
<td>53</td>
<td>- الإعلام</td>
</tr>
<tr>
<td>الموضوع</td>
<td>صفحة</td>
</tr>
<tr>
<td>----------------------------------------------</td>
<td>--------</td>
</tr>
<tr>
<td>البحث الثالث: علم النفس العسكري والحرب النفسية</td>
<td>61</td>
</tr>
<tr>
<td>أولاً: علم النفس العسكري</td>
<td>61</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: الحرب النفسية</td>
<td>66</td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الثاني: نظرة تاريخية</td>
<td>73</td>
</tr>
<tr>
<td>البحث الأول: ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام وفي العهد النبوي</td>
<td>74</td>
</tr>
<tr>
<td>أولاً: ظاهرة الحرب النفسية قبل الإسلام</td>
<td>74</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: الرسول ﷺ والحرب النفسية</td>
<td>85</td>
</tr>
<tr>
<td>1 - المرحلة الملكية</td>
<td>86</td>
</tr>
<tr>
<td>2 - المرحلة المدنية</td>
<td>103</td>
</tr>
<tr>
<td>البحث الثاني: صور من الحرب النفسية</td>
<td>122</td>
</tr>
<tr>
<td>أولاً: صور من الحرب النفسية على مر التاريخ</td>
<td>122</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: الحرب النفسية في الحربين العالميتين وما بينهما</td>
<td>128</td>
</tr>
<tr>
<td>ثالثاً: صور من الحرب النفسية بعد الحرب العالمية الثانية</td>
<td>140</td>
</tr>
<tr>
<td>1 - صور من الحرب النفسية الصهيونية</td>
<td>140</td>
</tr>
<tr>
<td>2 - صور من الحرب النفسية بعد الثورة المصرية 1952م</td>
<td>143</td>
</tr>
<tr>
<td>3 - صور من الحرب النفسية في حرب الخليج</td>
<td>144</td>
</tr>
<tr>
<td>4 - صور من الحرب النفسية في العراق</td>
<td>145</td>
</tr>
<tr>
<td>5 - صور من الحرب النفسية ضد الشعب الأفغاني</td>
<td>147</td>
</tr>
<tr>
<td>6 - صور من الحرب النفسية الأمريكية الحديثة</td>
<td>149</td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>--------</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الفصل الثالث: أسلحة الحرب النفسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>155</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>البحث الأول: أسلحة الحرب النفسية</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>156</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>أولاً: الدعاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>156</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1 - مفهوم الدعاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>159</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>2 - تعريف الدعاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>160</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>3 - أنواع الدعاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>163</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>4 - وسائل الدعاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>163</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>5 - نفسية (سيكولوجية) الدعاء</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>165</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: الشائعة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>166</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1 - تعريف الشائعة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>166</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>2 - أهداف الشائعة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>167</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>3 - تصنيف الشائعات</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>167</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>4 - نفسيّة الشائعة (سيكولوجية)</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>168</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>5 - الرأي العام والشائعة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>173</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>6 - مقاومة الشائعات</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>175</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>ثالثاً: غسيل الدماغ</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>179</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>1 - مفهوم غسيل الدماغ</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>179</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>2 - الأساس النفسي لغسيل الدماغ</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>184</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>3 - طريقة غسيل الدماغ</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>184</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>الصفحة</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>---</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>194</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>198</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>199</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>199</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>216</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>218</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>222</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>224</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>234</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>232</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>234</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>239</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>246</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>260</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>260</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>267</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>268</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>294</td>
<td></td>
</tr>
<tr>
<td>301</td>
<td></td>
</tr>
</tbody>
</table>

الموضوع

4- مقاومة غسيل الدماغ والوقاية منه

المبحث الثاني: نماذج من الدعاء المعادية

أولاً: الدعاء الصهيونية

1- مراحل الدعاء اليهودية

المرتكزات الأساسية للتخطيط الدعائي اليهودي

2- الدعاء اليهودية والإسلام

3- الدعاء اليهودية وتضخيمها للنصرانية

4- مصادر الدعاء اليهودية ووسائلها

ثانياً: الدعاء الشيعية

1) نشأة الدعاء الشيعية

2) أسلوب الدعاء الشيعية

3) وسائل الدعاء الشيعية

4) الدعاء الشيعية والإسلام

ثالثاً: الدعاء الغربية

1- أسس الدعاء الغربية

2- الدعاء الغربية والإسلام

3- مراحل الدعاء الغربية ضد الإسلام

4- أسلوب الدعاء الغربية ووسائلها

5- صورة المسلم في الإعلام الغربي
الفصل الرابع: الحرب النفسية والدعوة الإسلامية

المبحث الأول: الحرب النفسية ضد الدعوة الإسلامية

أولاً: أعداء الدعوة الإسلامية وسلاحهم

ثانياً: الإستراتيجية الغربية في الحرب النفسية

1- دراسة الحركات الإسلامية وردائها

2- السيطرة على الإعلام

3- تغيير الوعي الثقافي والسياسي

4- العولمة.. والهيمنة على العالم

5- استهداف الإسلام بدعوة الحرب على الإرهاب

6- دعم التوجهات الحداثية والعلمانية

7- إظهار الحركات الهدامة والتعتيم على الفكر الإسلامي الصحيح

المبحث الثاني: مبادئ الحرب النفسية في الإسلام

أولاً: أسس الحرب النفسية في الإسلام

1) أعداد القوة البشرية والمادية الرهبة للعدو

2) مدد الله للمؤمنين بذف الروع في قلوب أعدائهم

3) استخدام أسلحة الحرب النفسية بشكل متقن

4) الدعاية

5- الشعارات والهتافات والرجز

345
<table>
<thead>
<tr>
<th>الموضوع</th>
<th>الصفحة</th>
</tr>
</thead>
<tbody>
<tr>
<td>٢- الدعابة بالأعمال الرمزية</td>
<td>٣٤٧</td>
</tr>
<tr>
<td>١٠- العمل على الفرقة بين الأعداء</td>
<td>٣٤٩</td>
</tr>
<tr>
<td>١١- الشائعات</td>
<td>٣٥٠</td>
</tr>
<tr>
<td>ثانياً: مقاومة الحرب النفسية المعادية - وطرقها</td>
<td>٣٥٣</td>
</tr>
<tr>
<td>١- الإيمان الصادق بالله</td>
<td>٣٥٣</td>
</tr>
<tr>
<td>٢- الرعاي بأهداف العدو وأساليبه في الحرب النفسية</td>
<td>٣٥٦</td>
</tr>
<tr>
<td>٣- كتمان الأسرار ومنع ترويج الشائعات</td>
<td>٣٥٨</td>
</tr>
<tr>
<td>٤- التصدي للقوى المضادة المستردة</td>
<td>٣٦٠</td>
</tr>
<tr>
<td>٥- مواجهة الشائعات والدعاء بالحقائق الواضحة</td>
<td>٣٦١</td>
</tr>
<tr>
<td>خاتمة</td>
<td>٣٦٥</td>
</tr>
<tr>
<td>مراجع البحث</td>
<td>٣٦٩</td>
</tr>
<tr>
<td>فهرس تفصيلي للبحث</td>
<td>٣٨١</td>
</tr>
</tbody>
</table>
المؤلف الدكتور فهمي النجار

المؤهلات:
- مواليد دير الزور- سورية 1938 م.
- أهله التعليم العامة- حلب 1961 م.
- ليسانس الآداب- قسم الدراسات الفلسفية والاجتماعية- جامعة دمشق 1968 م.
- ماجستير الإعلام- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض 1403 هـ.
- الدكتوراه الفلسفة- جامعة باهولي - باكستان 1994 م.

الخبرة والعمل:
- الإشراف الاجتماعي والثقافي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- الرياض.
- مركز البحوث- عمادة البحث العلمي- جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- رئيس مركز البحوث- وكالة النتائج الدولية للإعلام.
- باحث متعاون في مركز الدراسات المتخصصة- الرياض.
- التعاون مع بعض المؤسسات الثقافية- الرياض.

المؤلفات:
- زاد الطالب من أوضح المسالك- أربعة أجزاء (ط 5).
- الإعلام والبيت المسلم (ط 2).
- قواعد الإملاء في عشة دروس سهلة (ط 2).
- الدراسات النفسية عند الإمام ابن تيمية- 1- العقل (ط 1).
- فلسفة العلامة محمد إقبال وعلاقاته الثقافية بالعالم العربي (مخطوط).
- الحرب النفسية - (أضواء إسلامية) (ط 1).
- مناهج أدبية وفلسفية واجتماعية ودينية (58 مذهماً) نشرت ضمن موسوعة الأديان والمذاهب المعاصرة- الندوة العالمية للشباب الإسلامي- الرياض.
- دراسات ومقالات لغوية وفنية وتربوية وتراجم (82 دراسة) ومقال نشرت في الجيلات الثقافية والأدبية.